



مركز الأبحاث العقائدية

موسوعتها

عبدالله بن عباس

حبر الأمة وترجم القرآن



المخلف الأولى: تاريخ وسيرة

الجزء الأول

تأليف

الشيخ محمد مهدي بن السيد حسين الموسوي بن مرشان



موسوعتبا
عبداللہ شہید عباسی

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ

حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ

الْجُلَّةُ الْأُولَى: تَارِيخٌ وَسَبِيحَةٌ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

تَأَلَّفَتْ

عَلَى يَدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الرَّسَيْدِيِّ بْنِ مَرْثَدَانَ

مركز الأبحاث العقائدية

● العراق . النجف الأشرف . شارع الرسول (ص)
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)
ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) ٩٦٤ +

● إيران . قم المقدسة . صفائية . ممتاز . رقم ٣٤

ص . ب : ٣٧١٨٥ / ٣٣٣١

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) ٩٨ +

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) ٩٨ +

الموقع على الانترنت : www.aqaed.com

البريد الإلكتروني : [info @ aqaed.com](mailto:info@aqaed.com)

شابك (ردمك) : ٧ - ٥٠٠ - ٣١٩ - ٩٦٤ دورة ٢٠ جزءاً احتمالاً

ISBN : 964 - 319 - 500 - 7 / 20 Vols.

شابك (ردمك) ج ١ : ٥ - ٥٠١ - ٣١٩ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 319 - 501 - 5

موسوعة عبدالله بن عباس خبير الأمة وترجمان القرآن
تأليف

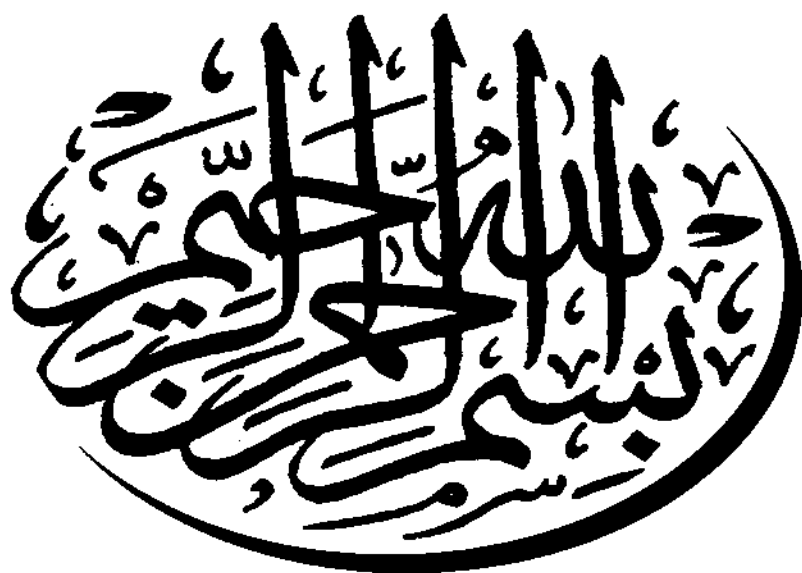
السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرساني
الجزء الأول

الطبعة الأولى : ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٢٨ هـ

المطبعة : ستارة

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على محمد وآل محمد

بدءاً نرى لزماً علينا الإشارة لحقيقة واضحة ناصحة إلى أن النجف الأشرف مدينة أمير المؤمنين عليه السلام ما زالت تزهو بطماثها وفضلاتها، الذين ما فتوا يرفدون المكتبة الإسلامية بإبداعاتهم ونتائجهم مشمرين سواعدهم في الدفاع عن الإسلام الأصيل والمذهب الحق. وكيف لا وقد جاؤوا باب علم النبيين وحام حمى الدين علي أمير المؤمنين عليه السلام وما هذه الموسوعة (موسوعة عبد الله بن عباس) التي خطتها أنامل علم من أعلام النجف الأشرف فضيلة العلامة الحجة السيد محمد مهدي الخرسان إلا دليل واضح وبرهان ساطع على ذلك.

ونظراً لمتبنيات مركز الأبحاث العقائدية المنصبة على درء الشبهات، والدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ومن يتسبب إليهم، فقد بادرنا - ضمن مشروع سلسلة رد الشبهات - بالعمل في إخراج هذه الموسوعة لتعم الفائدة على الجميع.

وفي الختام يُبدي مركز الأبحاث العقائدية شكره وامتنانه لسماحة العلامة الحجة السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان لِمَا أولاه من ثقةٍ وتخويل للمركز في إعداد وإخراج الحلقة الأولى من هذه الموسوعة العظيمة، راجين المولى عز وجل أن يوفق الجميع لإخراج جميع حلقاتها لتعم الفائدة.

والحمد لله رب العالمين.

مركز الأبحاث العقائدية

النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

به نستعين

كان من حق هذا الكتاب أن يصدر منذ خمسين عاماً، إلا أن العوائق حالت دون ذلك والأمور مرهونة بأوقاتها، وقد كثر السؤال عنه، والمطالبة به من العلماء وأرباب الفضيلة وكنت أحدهم، وأتحنن الفرصة للوفاء بالوعد، ولكن كلما هممت صرفني صارف من اشتغالي بتأليف أو تحقيق كتاب أو تقديم مؤلف لأعلام الطائفة، مما أراه في تقديري ربما كان أجدي وأجدد، وهكذا بقي كتاب (ابن عباس) رهين المخزاةة، وذمتي رهينة للمطالبين به بالوفاء يسر الله سبحانه أسباب طبعه ونشره أنه سمع مجيب.

المؤلف

جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم:
(من ورّخ مؤمناً فكانما أحياء، ومن قرأ تاريخه فكانما زاره)
(ومن زاره استوجب رضوان الله، وحق على المزور أن يكرم زائره)
(خاتمة ذخيرة المال للحفظي)

جاء في أبعاد العلوم: في رسالة الشيخ المسند حسن العجيمي ما معناه:
(من ورّخ أحداً من أهل الفضل والكمال فهو في شفاعته)
(أبعاد العلوم للقنوجي ٤٧٣)

وفي كتاب تحقيق الصفا لمحبه الدين الطبري:
(أن من ورّخ مؤمناً فضلاً عن عالم عامل فكانما أحياء، ومن أحيى
مؤمناً فكانما أحيى الناس جميعاً)

الإهداء

السلام عليك يا باب مدينة علم الرسول ﷺ أيها الإمام المجاهد. ويا مرعي
المسلمين بنهجه الخالد

سيدي أبا الحسنين:

أرفع بكل خضوع وخشوع بكتنا يديّ نحو جنابكم العالي ما ضمته هذه
الأوراق عن حياة تلميذك الوفيّ وابن عمك الصفيّ (عبد الله بن عباس) حبر
الأمّة وترجمان القرآن الذي توسمت فيه الخير حين حدثت على تربته وتهذيبه
حتى صفت نفسه، وزكا حسه بفضل ما أودعته من فيض علومك ونمير أخلاقك
فصار كما قلت عنه: ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق.

إليك يا أبا السبطين أهدي ما جمعته في هذه الأوراق.

فما أحدهُ أولى بها منك، راجياً من الله المثوبة ومنك القبول.

والسلام عليك وعليه ورحمة الله وبركاته.

خادمك

محمد مهدي الموسوي الخراساني

عفي عنه

١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٦٨ هـ

تقریض

سماحة المغفور له الحجة: السيد هبة الدين الحسيني

بسم الله وله الحمد

أما بعد الحمد والصلاة فإنني مبتهج بالفرحة السعيدة التي أطلعني فيها ولدي المهذب الفاضل والحير البحات الكامل فخر الزمان السيد مهدي الخراسان دامت افاضاته وفروضاته على كتابه القيم الذي عانى في سبيل اتمامه المشاق فذل له الصعاب وخاض الغمرة وكشف الغبرة وسدد الثغرة ولا غرو فهو ابن جلاها وطلاع ثايباها فاسفرت جهوده عن سفره النفيس في حياة حبر الأمة عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب ﷺ عالج مؤلفه الفاضل عامة القضايا الخاصة بهذا الإمام من ازاحة الأوهام عن صفحة حبر الأمة والإسلام بحر العلم وترجمان القرآن الزعيم السياسي في آرائه وحكمته ومواقفه، والفقير الورع الزاهد في علمه وتقواه وعمله، والأديب الأريب اللوذعي الأكمعي، والخطيب المصقع في خطبه وكتبه واحتجاجه وحواره، إمام المفسرين وشيخ المحدثين، ونادرة الصحابة والتابعين رضی الله تعالى عنه، فالمؤلف هو بحاث النجف وبقية السلف وعنوان

الشرف، ثقة الإسلام وفخر العلماء الأعلام، والمؤلف مجموعة موسوعة فذة جمعت إلى حسن الجمع والانتخاب وجمال الأسلوب والتنسيق، الصدق والأمانة في النقل والمحاكمة التاريخية، وقد استوعبت

هذه الموسوعة في أجزائها الأربعة حياة حمر الأمة وازاحة ما حوله من تهمة أو بهمة، ولقد كنت في شباهي مؤلفاً كتابي الموسوم بالحساس في ازالة التهمة عن ابن عباس مجتهداً في تنزيه هذا البطل الفذ بالأدلة الواضحة إلا أنني بعد اطلاعي على هذا المؤلف الممتاز اعترف بأن كتابي بالقياس إلى هذا الكتاب غيضر من فيض او قطرة من بحر فاهنيء مؤلفنا المهدي بالموهبة التي خصه الله سبحانه بها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

هبة الدين الحسيني
مكتبة الجوادين العامة

مؤسسة: السيد هبة الدين الحسيني

تقون ٦١ الكاظمية

لحضرة الامتاذ البارع والقاضل الأديب السيد مهدي الخرساني

مؤلف كتاب (عبد الله بن عباس) المحترم

بغداد / تقون ٢٠٣٠

التاريخ: ١٢ شعبان سنة ١٣٧٤

عدد: ١٢٤ / سجل: ٤

تقریظ

سماحة المغفور له المرجع الديني آية الله العظمى: السيد عبد الهادي الحسيني
الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ان خير ما تصوّره ريشة
الكاتب وتخطه براعة الباحث هو ما يثبت حقيقة راحته أو يثبت برهنة
صادقة، وإن ما جاء به ولدنا الأعرز الفاضل الباحث الناقد الشريف محمّد
المهدي الخرسان دام فضله أخذ بمجامع المهتمين فطلق يفيض بحراً عن
حبر الأمة، وعقوداً ذهبية من حياته المفعمة بالفضائل والفواضل فحقيق له
أن يعدّ في عليّة الكتب وحسنة العصر الطاهر ومأثرة خالدة لمؤلفه البارِع
فحيّاه الله علماً للأدب وموتلاً للفضيلة والسلام عليه ورحمة الله وبركاته في
ذي الحجة الحرام ١٣٧٤هـ.

الأقل عبد الهادي الحسيني الشيرازي

هبة الدين الحسيني

بمقداد

تقوین ۲۰۳۰

بسم الله وانه الحمد

التاریخ ۱۴ سبتمبر ۱۳۷۴

عدد ۱۱۴

جلد ۱

امام الحلی واصلوة فانه ببسبیل بالانفحة السعیدة الذی اطلعنا علی ولده المرید بالاضاحی والخبیر العارف
 المفاضل فخر الرمان السید مهدي الرمان ذات انا حاشاه ونبوغه على كتابه القيم الذی عايناه من سبعين ايامه المشاهير
 الذی له الحساب وناظره المعرفه وكتبت الصبره وسيرة الصفة ولدته في ربيع الثانی واولادها واولادها من اولادها من اولادها
 من سبعين من حياة خیر ائمة عبد الله ابن عباس ابو عبد الله الطيب عالج مولده المفاضل علامة الدنيا في الخاصة
 بهذا الاسم ثم اذاعة الودعاهم عن صفة خیر ائمة والاسموم ابو العاصم وروايات الفرائد الزخيم السياسي من اذاعة
 وحاشيته وسوانقه والعقبة الروح الزاهد فحمله وكتابه وعمله والاديب الذين اللوحى الوضوح والخطيب المفسر
 من خطبه وكتبه واحكامه وهو امة امام المعشوقين وشيخ الميراثين وناوذة الصعابة والتأنيب رخص الله تعالى عنه
 فاما المؤلف فهو ساجدة النبي ووصية السلف وعنوان السرفقة الاسلام وفخر العلماء والاعلام المؤلف بجمعه من روعة
 فقه فخصه الى حسن الجمع والالتزام وجمال الاستنباط والتأسيخ الصدق والادمانه من العقل والما كونه اشارية وقد
 استوعب هذه الموسوعة من اجزاء الاربعة حياة خیر ائمة واذاعة ما عونه من راحة اورهم وقد كتبه في حياته
 مؤكفا كآية المرسوم بالاساس من اذاعة المراه من ابن عمارة فخره من فخره هذا البطل الفقه الودعه الرضا
 الا انه لم يخطه هذا الظاهر على هذا المؤلف المماثا اعدت في اذاعة كتابه بالاعياس التي هذا الكتاب غلط من خطه
 اذ نظره من اجراء فقه مؤلفه المراد بالمولفة التي وضعه الله سبحانه جلا وذلك فقه الله بونه من سيار

هبة الدين الحسيني
 مؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ان خير ما تصور
ويشئ الكاتب ونظمه براعة الباحث هو ما ثبت حقيقة واهنة
او بيت بهتة صداقة وان ملجا به ولدنا الاغرة الفاضل
الباحث الناقد الشريف محمد المهدي الخرماني دام فضله
اخذت بجامع المهتمين فطقن نصيب بحر اعين جبر الامنة وعقودا
ذهبية من حياة المفعمة بالفضائل والقواضل لتحقيق له ان بعد
في عملية الكتب وحسن العصر الحاضر وما تارة خالدة لمولفة البارع
فجاءه الله علما لا اورد في مؤتلا للفضيل والسلام عليه ودحمته
وبركاته في ذي الحجة الحرام ١٣٦٢ للهجرة النبوية
لقد قرأه عبد الله محمد بن الحسين



مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله خاتم النبيين
وعلى آله الطيبين الطاهرين الميامين حجج الله على الخلق أجمعين.
ورضى الله عن الصحابة المهتدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد، فهذه سطور بين يدي كتابي (موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة
وترجمان القرآن) الذي أرجو أن يثني الله سبحانه عليه أجزل الثواب، فقد
أخلصت فبدلت فيه جهداً، وآمنت فنصرت له عبداً.
دافعت عن حق يحاول ذو هوى إظهاره للناس شيئاً منكراً

فكرة الكتاب من أين ؟ والى أين ؟

قبل أكثر من نصف قرن، وأنا يومئذٍ في أواخر العقد الثاني وأوائل الثالث من عمري وفي متوسط مراحل التحصيل الدراسي على النهج المعروف المؤلف في محيطي، كنت أشعر حين قراءتي للتاريخ الإسلامي في عصوره الأولى، براحة نفسية أتخيل فيها الحضور والمعايشة لرجالنا الذين وطّدوا الدعائم وأقاموا السلام، ليرقى عليها من يأتي بعدهم ويهتدي بهديهم، إلى أوج السعادة والكمال.

فأستشعر لهم الحشمة والإكبار لمواقفهم الجهادية في ميادين العلم والعمل.

كما كنت أشعر بالحيرة وأصاب بالدهشة حين أقرأ عن بعض أولئك الرجال ممّا يزرى به، فيما يتناقله المؤرخون بتناقض جاوز حدّ الغرابة، فتتملكني الحيرة - ولا أقول الخيبة - كيف يكون ذلك؟ وما أكثر الشواهد على التناقض في مدونات المؤرخين، وما أكثر المظلومين من ضحايا ذلك التناقض، وكان من جملة هؤلاء الضحايا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن صاحب هذه الموسوعة.

فحين أقرأ أي كتاب تاريخ عن عصره ومصره، أجدّه حاضراً وناظراً فأنا أقرأ عنه: حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهو البحر في علمه، والذي ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق و. و. فلا يشير ذلك في نفسي تساؤلاً لأن الرجل له حضور مكثف في التفسير والحديث والفقه والأدب فلا غرابة في وصفه بذلك، ولكن حين أقرأ عنه في سلوكه ما يرويه عنه بعض المؤرخين ما يزدريه فيهبط به

من أوجه نسباً وعلماً إلى حضيض الهاوية عملاً، حيث ذكروا أنه ولاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة فاخْتان بيت مالها، ثم ذهب مضاعفاً لإمامه وابن عمه، وبالتالي مفارقاً ومغاضباً؟!

فأنا حين أقرأ هذا تعتريني الحيرة، فهل هذا يتفق مع ما مرَّ عنه من وصفهم له بكل جميل وثناء جليل.

إنها هي الحيرة التي انتبخت منها الفكرة. ألا يستحق هذا الرجل أن أعرفه - أنا على الأقل - على حقيقته لأبعد نفسي عن الحيرة؟ فضاغلتُ مع الفكرة التي صارت لا تبارحني، وبدأت أتحرّك في أطارها، وصرت أقرأ وأكتب ما وصلت إليه يدي من مصادر حياته وما يمت إليها وهي كمٌ كبير وكثير.

وقد رأيت فيها من طغيان العاطفة - سلباً وإيجاباً - كما رأيت فيها كثيراً من التقليد، يتبع الآخر للأول، وربما على غير هدى ولا كتابٍ منير. وفي خضم ذلك الكم الهائل تبتقى ومضات نورٍ على الدرب تعين الباحث لو أفرغ وسعه فاستخلص - ولو لنفسه - من بين تلك الشوائب بعض الحقائق التي آمن بصحتها فسجلها لتكون له حصيلة نافعة في دينه حين نصر مؤمناً، وفي دنياه حين هدى غيره إليها.

فمن هنا بدأت الفكرة وتنامت، حين القيت بذرتها وراعيت نبتها، فلما ربت وأنبتت قطفْتُ ثمارها، فكانت هذه الموسوعة، وهي أربعة أجزاء، انتهت منها - أولاً - في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٦٨ هـ. وبقيت أتابع مسيرتي مع الكتاب طيلة هذه السنين، أضيف كل ما استجد لدي من معلومة أجدها في مصادر لم تكن ميسرة لي من قبل، أو دراسات حديثة يستدعي الرجوع إليها غرضاً

المناقشة غالباً، فصار هذا الكتاب، وليد مخاض بحوث طويلة، وعلى فترات كانت مطاولة ومتابعة. فتغيرت بعض العناوين، واستجد بعض آخر، لكن هيكله العام لم يتغير.

وأرجو أن أكون قد وفقت في نفع القارئ ولو بنبرة صالحة يستفيد منها فيذكرني بخير، فقد جمعت له ما تآثر في مئات المصادر، من بطون الكتب والدفاتر، والله سبحانه وليّ التوفيق وهو خير ناصر.

ماذا نقرأ في هذا الكتاب؟

لا أكتم القارئ أنني يوم صممت العزم على تأليف كتاب يتضمن حياة ابن عباس رضي الله عنه، لم أكن أحسب أن ذلك سوف يتسع إلى قدر ما وصل إليه اليوم - بل ولا إلى هيكله الأول - كما لم تكن لدي خطة مدروسة على منهجية محددة على أنماط الدراسات الحديثة، بل كنت يومئذٍ اتحو النهج التقليدي المألوف لدينا يومئذٍ، كما هو واضح الأثر بدءاً من أول الكتاب إلى حياته في عهد الرسول ﷺ.

ولكن بعد أن استمرت المسيرة مع الكتاب وبعد الإتهام من هيكله الأول في أجزاءه الأربعة، فقد دعت الحاجة إلى إعادة النظر في دراسة بعض النقاط من تاريخ المترجم له، مما يستوجب الفاضلة في دراسة ذلك، دراسة محررة ومستوعبة لجوانب ينبغي البحث حولها، خصوصاً والحاجة ملحة لكشف حقائق خفيت على كثير من الباحثين ممن أخذوا بسورة التقليد، وئهبوا بطنطنة الأسماء والألقاب، وخذعوا بتطويل الإسناد.

لذلك أعدت النظر في صياغة البحث أحياناً، فتكثرت المواد وازدادت الفصول بما تولد من جديد، ونتيجة لذلك فقد استبدلت عنوان الأجزاء بالحلقات، ورتبتها كما يلي:

(الحلقة الأولى): في تاريخه وسيرته، وقد أصبحت في خمسة أجزاء: يضم الجزء الأول منها: أحداث ما يقرب من ربع قرن، بدءاً من ولادته وحتى وفاة النبي الأكرم ﷺ، وابن عباس يومئذٍ في أول شبابه. ويضم الجزء الثاني منها: أحداث ما عاشه ما بعد وفاة رسول الله ﷺ، إلى نهاية عهد عثمان.

ويضم الجزء الثالث منها: من أول خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحتى شهادته سنة ٤٠ هـ.

ويضم الجزء الرابع منها: ما يتعلق بسيرته عند ولايته على البصرة وما رافقها من أحداث.

ويضم الجزء الخامس منها: من بداية حكومة بني أمية وحتى وفاة حبر الأمة سنة ٦٨ هـ.

(الحلقة الثانية): في تاريخه العلمي. تتضمن دراسته وعطاءه بدءاً من يتابع العلم والمعرفة وانتهاءً بمظاهر العطاء من مدارسه وتلاميذه ونماذج من خطبه ومحاوراته وكتبه ومسائله والمأثور عنه من حِكَم وكلمات قصار.

(الحلقة الثالثة): في تاريخه العلمي أيضاً. وتتضمن آثاره في التفسير والحديث والفقه واللغة وآدابها.

(الحلقة الرابعة): حبر الأمة في الميزان وتتضمن ما جاء فيه من الجرح والتعديل. وبها خاتمة الكتاب.

نسأله تعالى أن يمنَّ عليّ بإخراج ذلك من ضم الشئات قبل الممات، إنه مجيبُ الدعوات.

نور على الدرب لما فيه:

أولاً: إن كتابة التاريخ - كل التاريخ - إنما هو محور تسجيله وهو رهن ذمة الرواة الذين يروون للناس - غالباً - ما يهواه الحاكمون، فللسلطة والأموال بريق - مخادع - على حروف التدوين، يراه الباحث بوضوح حين يجد في مدونات المؤرخين ما يكاد يخطف بالأبصار، من أكذاس التراث الحافل بالمناقيات والمزایدات المحشورة للتضخيم والتعظيم، وحتى الاستعانة بالغيبيات، لإضفاء القداسة على الحاكمين وأتباعهم، وتطويعاً للمحكومين بكم أفواههم، عن تهوين أقدار حكامهم، أو تهويل أخطائهم، فإن ذلك من قدر الله فعليهم الرضا والتسليم، والى جانب ذلك يجد الهمز واللمز للأخصام، وهذا ما يجعل الباحث - وهو يدرك الدوافع وراء الرفع والوضع - في دوامة من الشك والريبة في صحة جميع ما في المدونات سواء في تقييم الرجال أو عرض الأحداث، وسواء أكتب الأقدمين أو المحدثين.

لذلك كانت مهمة الباحث المحايد. ولنسميه بالموضوعي التزيه. صعبة جداً، حيث عليه أن يكون حذراً ويقظاً، مستعملاً عقله وفطنته ليستشف ما وراء النص، ويتبين وجه الحق فيأخذ به، ويصدر أحكامه على ضوءه، ولا ينساق وراء

المواطف، ولا يخدع بهرجة العناوين والألقاب. فالناس في الخلق سواسية كأسنان المشط، فمنهم المحسن ومنهم المسيء. ولكل أجر ما اكتسب ﴿قُلْ أَخَيْرَ اللَّهِ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١)، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٢).

ثانياً: ومن هنا تعالت صحبات إعادة كتابة التاريخ من جديد، ولا شك كان من بينها أصوات مخلصه وجادة في دعوتها إلى مراجعة التاريخ الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة، فلا يدان بريء، ولا يُبرأ مذنب، ولا يجامل الرجال على حساب الشرع. فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣) وهذا ما استدعي رفع الحواجز بين الحاكم والمحكوم في تقويم الأعمال، كما استدعي رسم الصورة لكل منهما دون تزويق أو تمزيق، وفوق مسار الشبهات التي تحجب العقل عن النظرة الموضوعية.

فإذا وجدنا ابن عساكر - مثلاً - يروي لنا عن عمرو بن العاص مرفوعاً: (قريش خالصة الله فمن نصب لها حرباً سلب، ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة)^(٤). ووجدنا أبا لهب وهو عربي وقرشي وابن سيد البطحاء وزوجه أم جميل عربية وقرشية أيضاً ولما كانا كافرين، نزلت سورة كاملة في ذمهما والتنديد بهما. فلم تنفعهما القرشية شيئاً. وفي المقابل نجد سلمان الفارسي وهلال الحبشي وصهيب الرومي وهم من السابقين أقوامهم إلى الإسلام كانوا أفضل

(١) الأنعام/ ١٦٤.

(٢) المدثر/ ٣٨.

(٣) الحجرات/ ١٣.

(٤) راموز الأحاديث/ ٣٣٤ ط استانبول سنة ١٣٧٥ هـ.

عند الله وعند رسوله وعند المسلمين من ألف قرشي لم تمازج روحه بالإسلام، وإنما أسلم كرهاً أو طمعاً كالمناققين ومسلمة الفتح وأندادهم.

إذن فلا يجوز أن يستغل القراء باحثاً يدعو إلى كَفِّ الأَقلام وتحجيم الإسلام، في اطار ضيق، ومنظور خاطيء وخائق. بأن الجميع من الصحابة، ولا يجوز أن يقال لصحابي لماذا اتعرفت أو اتعرفت؟ فالصحابه أناس أمثالنا، فهم بشر يُخطئون كما يخطئ سائر الناس، ولا غضاضة بعد ما رووا هم لنا قوله ﷺ في أحاديث الحوض: (إن منكم من لا يراني)، و (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً)، و (لتلدن عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي فيقال: ما تدري ماذا أحدثوا بعدك)، وهذه أحاديث وردت في الصحاح مكررة ومنها صحيح البخاري وصحيح مسلم، ولما كانت لا مجال لتكرانها، اضطرت علماء التبرير إلى تسلق جذرائها بالتأويل والتفسير وليس هناك.

ثالثاً: ولما كان عبد الله بن عباس من الصحابة، وللصحابه بريق صورة مرسومة في الكتب محاطة بهالة من التقديس ارتسمت في الأذهان بأنهم - حسب العاطفة الدينية - فوق مسار الشبهات، فلا ينبغي أن يتجاوز الباحث سور الحصانة، الذي دونه سور الصين العظيم، فكيف باهن عباس وهو حبر الأمة، لذا كان لزاماً عليّ وأنا أريد أن أكتب عنه من الرجوع إلى المصادر المعنيّة - وما أكثرها وأكثر ما فيها - لأجمع أشتات أخباره، وأقف على آثاره، ثم الموازنة بينها واستخلاص النتائج منها.

وهذا أمر على ما فيه من جهد ليس بلدي بال لأتبه عليه. لكن الأهم - والمزعج حقاً - أنني وجدت تاريخه مليئاً بالمفارقات العجيبة، فهو بين إفراط

وتفريط، أصابه من التميمق والترويق، كما أصابه من التظفيق والتمزيق، فضاحت - أو كادت - حقائق ما بين ذين وذين، لو سلمت صفحاته من عبث الحاكمين، سواء الأمويين وهم خصماؤه، أو العباسيين وهم أبناؤه، أو المناوئين لهم ومنهم كذلك أعداؤه - أقول لو سلمت لكان الجانب المشرق هو الأكثر وضوحاً، ولكن التضييب والتعتيم شوّه الصورة حتى بدا الجانب المعتم المظلم أيضاً - كيف لا ؟ وهو قد عاش أحداث الإسلام الكبرى منذ فتح مكة وحتى يوم وفاته، وخاض غمار بعضها مبرزاً فيها فكان له رأي، وكان له صوت، وكان له حضور فاعل ومؤثر. وذلك كله يستدعي إكبار المعجبين به كما يستغزّ حقد المناوئين له. ولكل من الفريقين أنصار لهم غايات وأهداف، ربما وصلت إلى حدّ الإسفاف، فمثلاً نجد في العصر الأموي إن مدوّتي السيرة الأوائل فيهم من كان ضالماً في ركاب الحاكمين - إن لم يكونوا كلهم إمّا رغبة أو رهبة - ولتقرأ نموذجاً منهم، وهو ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري يروي لنا عنه أبو الفرج الأصفهاني قوله: ((قال لي خالد بن عبد الله القسري: اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر وما أتممته قال: أقطعه قطعه الله من أصولهم، وأكتب لي السيرة فقلت له فإنه يمرّ بي الشيء من سيرة عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فأذكره؟ فقال: لا إلا أن تراه في قعر الجحيم.

قال أبو الفرج: لعن الله خالداً ومن ولاه وقبحهم وصلوات الله على أمير

المؤمنين))^(١).

(١) الألفباني ٥٩/١٩ ط العباسي.

فإذا كان هذا من مدوّتي السيرة وهو يعترف بما عليه أن يكتبه، فلا غرابة إذن على من راجع المصنف لعبد الرزاق مثلاً حين يجد دلائل نصب الزهري هذا واضحة في جملة من الموارد، وقد أحصيت منها على عجل اثني عشر مورداً في جزء واحد من أحد عشر جزءاً ملخصها:

١- أول من أسلم زيد بن حارثة وليس عليّ.

٢- إغفال اسم عليّ في كتابة صلح الحديبية حين ذكر خبر الصلح فتجاهل اسمه فقال (الكاتب): مع أن عبد الرزاق ذكر عن غير الزهري أنه عليّ^(١) وهو نفسه لما سأله معمر عن الكاتب فضحك وقال هو عليّ بن أبي طالب ولو سألت عنه هؤلاء قالوا عثمان - يعني بني أمية^(٢) - . فماذا يعني ضحكك؟ ألا أن شر الهلية ما يضحك؟

٣- لم يذكر عليّاً في تليفه براءة مع ذكره أبا بكر أميراً على الحج؟

٤- لم يذكر حضور عليّ في وقعة أحد، وأعجب من ذلك لم يذكر شهادة لحمزة لثلاث يذكر من مثل به.

٥- لم يذكر لعليّ حضوراً في وقعة الأحزاب وقتله عمرو بن عبد ود.

٦- لم يذكر لعليّ حضوراً في وقعة بني قريظة.

٧- لم يذكر لعليّ حضوراً في وقعة خيبر وقتله مرجأ.

٨- لم يذكر لعليّ حضوراً في عمرة القضاء.

٩- لم يذكر لعليّ حضوراً في غزوة حنين.

(١) المصنف ٣٤٢/٥.

(٢) نفس المصدر ٣٤٢/٥.

١٠- لم يذكر لعليٍّ حضوراً في هجرة النبي ﷺ من مكة ولم يذكر ميته على الفراش.

١١- لم يذكر لعليٍّ حضوراً في تبوك وطوى حديث المتزلة.

١٢- وفي خبر عليٍّ ومعاوية أكثر من شاهد فراجع المصنف^(١).

أتطلب أثراً بعد عين، وأيضاً ألم يحدثنا المدائني عن نسخة معاوية إلى عماله برئت الذمة ممن روى في فضل عليٍّ وأهل بيته شيئاً. وكتابه برواية أحاديث في فضائل الصحابة، فكثير المتزلفون أمثال أبي هريرة وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص وأحزابهم ممن لا تلتقي بدمهم الشفتان احتقاراً لهم وازدراءً بهم، لأنهم لا كرامة لهم، وكثير الحديث الموضوع حتى قال ابن عرفة النحوي - نبطويه -: «إن أكثر الأحاديث الموضوعه في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني امية تقريباً اليهم بما يظنون أنهم يرضون به اتوف بني هاشم»^(٢).

ولمّا كان ابن عباس عاش تلك الفترة الحاققة الخائفة أيام معاوية الذي كان يلعنه مع لعنه للإمام، وينهاه عن التحديث بفضائل الإمام - كما سيأتي إن شاء الله تعالى في صفحات احتجاجه - فقد أصابه رذاذ الأذى من معاوية الذي كان، على حد قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (وَدَّ معاوية ما ترك من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في نبطه)^(٣). وما كان أخلاف الأمويين بأحسن حالاً من أسلافهم في عداوتهم لبني هاشم - ومنهم ابن عباس -.

(١) نفس المصدر ٤٥٢/٥ - ٤٦٦.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦/٣ ط مصر الأولى.

(٣) الفائق للزمخشري / طبع.

والآن إلى نموذج آخر في العصر العباسي الذي زاد في الطين بلة، فكثرت الموضوعات المبشرة بحكومتهم من الرواة المترفين:

فمنها أن النبي ﷺ قال للعباس: (يا عم ليملكن من ذريتك عدد نجومها - وقد نظر إلى الثريا-) ^(١). ومنها قوله ﷺ له: (فيكم النبوة والمملكة) ^(٢)

ومنها ما ينسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبن عباس: (خذ إليك أبا الأملك) في ولادة ابنه علي بن عبد الله.

وما ينسب إلى محمد بن الحنفية من مبايعة الشيعة له ثم لأبنته عبد الله بن محمد ووصيته بالأمر إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ^(٣)، وجعلوا ذلك مستنداً في صحيفه ورثها محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين.

وهكذا تنتشر فضائل وأحاديث مبشرة بالعباسيين وإن الخلافة فيهم ستبقى حتى يسلموها إلى المسيح ^(٤).

قال الذهبي: ((وقد اعتنى الحفاظ بجمع فضائل العباس رعاية للخلفاء)) ^(٥).

ولعل خير شاهد على ذلك ما صنعه ابن هشام صاحب السيرة النبوية فقد نقلها عن ابن إسحاق - وهو مؤرخ دولة رسمي كما كان مالك بن أنس مدون السنة الرسمي لدى العباسيين - فذكر ابن هشام حرب بدر وذكر قائمة بأسماء أسارى بدر نقلاً عن ابن إسحاق وقد خلت من اسم العباس جد العباسيين، مع أن قصة أسره تكاد لا تخفى على أي مؤرخ بعد ما ذكرها ابن سعد نقلاً عن

(١) سير أعلام النبلاء ٤١١/٣.

(٢) نفس المصدر ٤٠٩/٣.

(٣) الإمامة والسياسة ١٢١/٢ ط مصطفى محمد.

(٤) انظر البداية والنهاية ١٠/١٢٢.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤١٣/٣.

الواقدي، وجرى ذكرها في كتب السنة كما جرى ذكرها في كتب السيرة، ولم تخل منها حوليات المؤرخين كالطبري وغيره.

وهنا من الطبيعي أن يكون للرأي الآخر دورٌ في تنفيذ حجة العباسيين ونسف تاريخهم، وكان يمثل ذلك الدور الخصوم من العلوية من أبناء الحسن مضافاً إلى شيعتهم ومن يرى في العباسيين مظالم لا حد لها.

فكان النقل، وكان اللبس والإفراء بما يسلبهم حتى محاسن أمجادهم الثابتة، فقال العباس وابنه عبد الله - وهو والد الخلفاء - نصيب غير منقوص. حتى صوروا العباس وهو يشايح ابن أخيه علياً على أمره، فيذكروا عنه كلاماً لا يخلو من نقد لاذع ومهما تهضمناه ورأينا صحة المروي في ذلك فربما كان المبرر هو جوّ الصدور الذي استدعي تلك الزفرات الحارة ولكن هلم الخطب في ابنه عبد الله وما ألحق به من الرواة حتى كادوا تجريده من كل فضيلة، فصوروه نداءً لعلي وناقداً له كما في قصة تحريق الغلاة، وفيها من التهويل والتشويش ما لا يخفى كما سيأتي بيانه في الكتاب. وذكروا له آراء قهية مخالفة له، ولا كبير مؤاخذه لمن يراه مجتهداً. غير أن ما ورد من الحديث مكدوباً عليه أكثر من غيره، لكثرة المترلفين إلي أبنائه، حتى قال يحيى بن سعيد: «لم أر لكذب قط أكثر منه فيمن ينسب إلي الحبر»^(١).

ولكن الطامة العامة ما رووه في خيانتهم بيت مال البصرة أيام ولايته ومفارقتهم للإمام مغاضباً وخاصباً، واستمرت روايات الخصوم في التشنيع عليه، فذكروا له

(١) قبول الأخبار ومعرفة الرجال ٦٧/١ لأبي القاسم الكبير ٣١٩ هـ دار الكتب العلمية بيروت.

حتى حديث الجرادة كما سيأتي بيان ذلك كله في الحلقة الرابعة (عبد الله بن عباس في الميزان) إن شاء الله.

وفي مكاتبات المنصور العباسي ومحمد النفس الزكية الحسن بن علي ما يؤكد ما قلتمته من تبادل العباسيين وخصومهم الاتهام والشتم التي نالت الآباء لتنازع الأبناء، وفي نقائض شعراء العباسيين والعلويين من تبادل الشتم ما لا يحل ذكره. وهكذا كان من قدر ابن عباس أن يكون العباسيون من أبنائه، ويكون خصومهم - الأمويون والعلويون معاً - من أعدائه فلحقته تبعات من هؤلاء وشتمات من هؤلاء ما شوّه جانباً من تاريخه، حتى لم يسلم نتيجة لذلك التشويه حتى من غير أولئك كالخوارج، بل وحتى من غير المسلمين، فكان - باختصار - ضحية لأمية حاقدة، وعباسية بغيضة وحسنية متورة وخوارج قانصة، وأخيراً ليهودية وصلبية كافرة^(١).

رابعاً: إذن ليس من السهل غريزة المتناقضات في شتات أخبار ابن عباس. ولم يكن من الهين استخلاص تاريخه سليماً من بين تلك الشوائب الكثيرة. ولا بد لي وأنا أحنى بتاريخه أن أتخطى الحواجز - فيما أحسب - حين قرأته في مختلف مصادره وعلنيّ بذل الجهد البالغ مع الصبر والأناة، وقد تم لي ذلك - والحمد لله - وإن عانيت طويلاً حتى استوت معرفتي به معرفة يسّرت لي تمييز ما هو صحيح وثابت له أو عليه، فوضعت صورته حسب رؤيتي له في إطارها الخاص، دون تجاوز الحدين. الإفراط والتفريط، ومن دون تلميح أو تغليف، لتكون أقرب إلى واقعها، وهي - في نظري - أفضل من الصور

(١) سيأتي مزيد بيان من تحامل المستشرقين الذين تناولوه بالطعن أمثال جولد زيهر اليهودي وهبر نجر وغيرهما.

المصطنعة المحاطة بهالة التضخيم والتعظيم، كما أنها أصدق من الصورة المصنوعة والمشوهة بضباب التعظيم.

فكانت قناعتني بأن البحث قد تم بالمستوى المطلوب من الموضوعية نتيجة إيماني بتمام المسؤولية، وتطلعاً إلى ثقة القارئ وإطمئنانه بصحة ما كتبه نصرة لحق مهضوم، والله من وراء القصد، وهو وليّ التوفيق والهادي إلى الصواب.

خامساً: ما كتب عن ابن عباس بتأليف خاص، لقد مرت بنا كلمة الذهبي: ((وقد اعتنى الحفاظ بجمع فضائل العباس رعاية للخلفاء)) وهي صادقة إلى حد بعيد. ولكنه لم يذكر لنا عناية الحفاظ بجمع فضائل ابن عباس الذي هو أبو الخلفاء، وربما لم يكن في زمانه ما رآه جديراً بالذكر.

ومهما يكن فإلى القارئ نبذة عن الكتب المؤلفة قديماً في ابن عباس رضي الله عنه:

١- ذكر ابن النديم في الفهرست في مؤلفات المدائني عدة كتب في العباس وابنه عبد الله بن عباس وابنه علي بن عبد الله بن العباس وابنه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فكان نصيب عبد الله منها كتاباً واحداً، ولم نعرف عنه شيئاً سوى ما تقدم ^(١).

٢- ولقد ذكر النجاشي في رجاله في ترجمة عبد العزيز بن يحيى الجلودي الأزدي البصري جملة كتبه، ومنها: الكتب المتعلقة بعبد الله بن عباس مسندة عنه، كتاب التنزيل عنه، كتاب التفسير عنه، كتاب المناسك عنه، كتاب النكاح والطلاق عنه، كتاب الفرائض عنه، كتاب تفسيره عن الصحابة، كتاب القراءات

(١) الفهرست/ ١١٤ تم رضا تجدد.

عنه، كتاب البيوع والتجاراات عنه، كتاب الناسخ والمنسوخ عنه، كتاب نسيه، كتاب ما أسنده عن الصحابة، كتاب بقية قوله في الطهارة، كتاب الصلاة والزكاة، كتاب ما رواه من رأي الصحابة، كتاب الذبائح والأطعمة واللباس، كتاب الفتيا والشهادات والأفضية والجهاد والعدة وشرائع الإسلام، كتاب قوله في الدعاء والعود وذكر الخير وفضل ثواب الأعمال والطب والنجوم، كتاب قوله في قتال أهل القبلة وانتكار الرجعة والأمر بالمعروف، كتاب في الأدب وذكر الأنبياء وأول كلامه في العرب، وقريش والصحابة والتابعين ومن ذمه، كتاب قوله في شيعة علي عليه السلام، كتاب بقية رسالته وخطبه وأول مناظرته، كتاب بقية مناظرته وذكر نسائه وولده. آخر كتب ابن عباس.

وهذه الكتب كلها لم يصل إلينا منها شيء، ويبقى للجلودي فضل روايتها وللنجاشي فضل ذكرها وروايتها عن الجلودي بواسطتين، وأحسب أنه رآها فرواها، فهي كانت حتى القرن الخامس الهجري أيام النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ.

وهناك مؤلفات متأخرة عن زمان العباسيين، فلا سبيل إلى اتهام مؤلفيها بالتزلف إليهم، مثل:

٣- (استثناس الناس بفضائل ابن عباس) تأليف ملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي تزيل مكة المتوفى بها في سنة ١٠٤١ هـ منه نسخة ضمن مجموعة بقلم معناد ويخط أحمد الجزائري فرغ منها يوم الأثنين ٩ ذي القعدة سنة ١٢٧١ هـ^(١).

(١) كما فهرست الكتب لدار الكتب المصرية ٥/١٣٠ برقم ١٠ مجاميع.

- ٤- (تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووجّه والطائف) تأليف الشيخ محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن فهد القرشي المكي المتوفي سنة ٩٥٤، وهو مختصر على مقدمة وباين وخاتمة، ألفه سنة ٩١٥، نقل عنه السيد عباس المكي في نزهة الجليس^(١).
- ٥- (اتحاف الناس بفضل وابن عباس) تأليف نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي القاري المكي الحنفي المذكور أولاً.
- ٦- (تحفة الأخوان من الناس في فضيلة ابن عباس) تأليف علي القاري المذكور آنفاً، نسخة منه في مكتبة أسعد أفندي في تركيا برقم ٣٥٢٤. ولا يبعد أن يكون متحداً مع سابقه.
- ٧- (رفع الالتباس في فضائل ابن عباس) تأليف تقي الدين أبي محمد عبد الله بن عبد العزيز بن فهد المكي، وهو دون الكراسة.
- ٨- (كشف اليأس عما رواه ابن عباس مشافهة عن سيد الناس) تأليف محمد عابد بن أحمد الأنصاري السندي نسخته في التيمورية.
- ٩- (نشر اللطائف في فضل الطائف) لأبن عراق الكنتاني (مخطوط)، نقل عنه في التاريخ الإسلامي العام ١٢٣ حديثاً مناقياً في ابن عباس أثر الصنعة ظاهر عليه، سوف نشير إليه عند ذكر قبره.
- ١٠- (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لأبن عباس) تأليف المحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفي سنة ٧٩٥. طبع بتحقيق عبد الفتاح خليفة ومحمود خليفة، بمصر سنة ١٣٦٥.

(١) نزهة الجليس ٢/٢٤٦ ط الحيدرية.

وفي نظري من خير ما تقدم ذكره هو (كشف البأس مما رواه ابن عباس مشافهة عن سيد الناس) للسندي، فإن اسمه يعني جمع أحاديث ابن عباس التي رواها مشافهة عن النبي ﷺ، وهذا موضوع نافع في تقويم أحاديث ابن عباس، وما تطرق إليها من شكوك. وإني آسف إذ لم أقف على نسخه، ودونه كتاب نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لأبن عباس، فهو لا يخلو من فائدة أخلاقية كما رأيت، أما الباقيات فغير صالحات في مجال التقييم، بل إنها بالمناقيات أشبه، وذلك أمر نرغب عنه. لا لأننا نكر فضل ابن عباس، بل نترفع بشأنه عن تلك المزادات.

ولا يتقضي صغي من التجني على ابن عباس ﷺ فقد خلا فيه مناقياً أصحاب الكتب المذكورة وعلى التقيض منهم، قلاه ابن تيمية حتى كتب كتاباً عنوانه: (تكفير ابن عباس)^(١) وهو أمر محزن للمسلم كما هو محزن للمؤلف.

سادساً: شكر و عرفان بالجميل:

(من لم يشكر المخلوق لم يشكر المخلوق) فالحمد لله الذي منّ عليّ بجميل آلائه، فهيأ لي من أستهدي بآرائه، إذ كنت أعرّض بعض ما كتبه عليّ بعض مشايخ العلم وأساتذة الفن، كما كنت دائم التساؤل مع ذوي الاختصاص، لغرض الاستفادة من توجيهات الأولين، والأستارة بآراء الآخرين.

لذلك صار من الواجب عليّ - عرفاناً بالجميل - أن أشكرهم عليّ ما رأيت منهم من التقدير والإطراء حتى أولائي بعضهم متفضلاً مبتدأ - وخير الفضل ما كان ابتداءً - بما لا أستحقه من تقريظ الثناء فديج يراعه كلمة قيمة، وآخر

(١) جلاء المئينين / ٩٢ ط بولاق سنة ١٢٩٨ هـ.

القي إلي منه كتاب كريم، فشكراً لهم جميعاً على إحسانهم إليّ، ولهم الذكر
العلي فرض عليّ، فأنا أذكر أسماءهم، إحياء لهم (وهل جزاء الإحسان إلا
الإحسان) وأسأل الله أن يمنّ عليهم بالرحمة والرضوان. وهم السادة التالية
أسمائهم:

أولاً: سيدي وراعي غرسي المغفور له سماحة السيد الوالد (قدس سره)
(المتوفى ١١ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ) الذي ربّاني فأحسن تربيتي، ورعاني بعطفه،
وأولاني بعطفه ما أعجز عن ذكره فضلاً عن شكره.

ثانياً: شيخ محدثي العصر بقية السلف سماحة المغفور له الشيخ آغا بزرك
الطهراني قدس سره (المتوفى ١٣ ذي الحجة ١٣٨٩هـ)، مؤلف الموسوعتين
الشهيرتين (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة)، فقد كنت
أحظى بزيارته فأنهل من نعيم علمه، ويشجني عملياً على المثابرة والمصابرة
كلما أطلعت على ما جدّ لي من بحوث، وقد كتب في الذريعة أسماء ما أطلع
عليه. وكان منها كتاب (عبد الله بن عباس حبر الأمة) فأعجبه حتى سجل انطباعه
عن كل جزء من أجزائه الأربعة في ج ١٥ من الذريعة. ومن المؤسف حقاً أن هذا
الجزء طبع بعد وفاته فلم يذكر (في ج ١٥/٢١٧) سوى (عبد الله بن عباس فيه
تفاصيل حياته في أربعة أجزاء كبار) وضاع باقي ما كتبه سماحة الشيخ ^{تدريسه}،
حتى اسم مؤلف الكتاب، وهذا ما يبعث على الريبة فيمن تولى كبر ذلك، وإلا
كيف يعقل أن الشيخ يذكر الكتاب وحجم أجزائه، ثم هو يفتل اسم المؤلف مع
صلتي الوثقى به والمودة الصادقة بيننا، وحسي شاهداً على ذلك ما كتبه بخطه
حين طلب مني تهذيب وتشذيب ما كتبه من الحواشي على كشف الظنون،

فاستجبت لطلبه، وقد طبع صورة ما كتبه بخطه في ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون (ط أفتت إسلامية. طهران عن طبعه معارف استانبول) سوى ما كتبه لي في إجازتيه من طرق الخاصة ومن طرق العامة.

ثالثاً: سماحة الحجة المغفور له الشيخ محمد علي الأوردبادي قدس سره (المتوفى صفر ١٣٨٠هـ) فقد بذل لي من وقته ساعة في كل ليلة بعد الانتهاء من صلاة العشاء يستمع فيها ما أقرأ عليه بعض فصول الجزء الأول، فأفادني بتوجيهاته ومناقشاته تغمده الله برحمته.

رابعاً: سماحة آية الله العظمى الفقيه السيد ميرزا عبد الهادي الحسيني الشيرازي قدس سره (المتوفى ١٠ صفر ١٣٨٢ هـ) فقد عرف أمر الكتاب من الشيخ الأوردبادي رحمه الله الذي كان يحضر مجلس الفتيا عنده ليلاً في داره، ولما كانت قراءتي على الشيخ ربما طالت فأخرته بعض الوقت عن مجلس الفتيا، فهو أخبر سماحة السيد بالكتاب، فأحبّ الأطلاع عليه، واطّلع عليه وأعجب به فقرّضه. متفضلاً مشكوراً. بما تقدمت صورة تقرّضه.

خامساً: سماحة الحجة العلم الفدّ المغفور له السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (قدس سره) (المتوفى ٢٥ شوال ١٣٨٦ هـ) فقد كنت أرتاد مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية، وكنت أزوره هناك، وأسأله عن رسالته التي كتبها في تنزيه جبر الأمة ممّا أفتري عليه من قصة بيت المال بالبصرة، وكان يمنحني من خلقه الرفيع ورحابة الصدر ما يجروني على التحدث معه حول شخصية المترجم له وكتايبه عنه، فأقول ويسمع، ويناقش فأدفع - بسورة الشباب مع شيخ

جاز الثمانين - مناقشة الندوة للندوة^(١) تغمده الله برحمته، ووفاء مني بعرفان جميله نشرت كتابه الكريم في أول الكتاب.

سادساً: العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله (المتوفى ١٩٦٩م) الذي جرّت المعرفة بيننا إلى معرفته بأمر الكتاب واطلاعه عليه حيث دعاني إلى بيته، وهناك كانت قراءة بعض الصفحات وإبداء بعض الملاحظات ثم تناهت قراءة بعض آخر أرسلته فكان يوشح - مشكوراً ومأجوراً - بعض التصويبات اللغوية فرحمة الله عليه.

(١) لا انسى تلك الأمسية العلمية الأدبية في ليلة الاثنين التي كانت تقام في مكتبة الجواديين العامة في صحن الإمامين الكاظمين عليهما السلام فدخلت المكتبة وكان المكان قد ضاق بالزوّار، والمقرء السيد حيدر الجوادى يتلو بعض آي الذكر الحكيم فجلست بقرب مدير المكتبة الذي أضح لي حتى إذا انتهى المقرء من تلاوته وتقدمت للسلاط على سماحة السيد رحمه الله فاستقبلني بحفاوة بالغة وكان من بين السادة الحضور المرحوم الخطيب السيد عبد اللطيف الوردى، والمرحوم الخطيب الشيخ كاظم آل نوح والمرحوم الدكتور عز الدين آل يس، والدكتور ضياء الدين الدخيلي وآخرين لم تحضرني فعلاً أسماؤهم، فراوا إقبال المرحوم سماحة السيد بطلعته البهية وهيبته البيضاء الفضية التي زالت محياه على شاب لم يتخطأ المقعد الثالث من عمره، فأتار ذلك تسأل من لم تكن لي ولهم سابق معرفة بيننا. فأحفظني - رحمه الله - بالسؤال، ثم تفضل يعرفني إلى الجماعة الذين ذكرت أسماؤهم بما لا استحقه من الإطراء ثم عاد يسألني عن كتاب ابن عباس - رحمه الله - وإلى أي مرحلة وصلت فيه، فأخبرته بتمامه، فاستبشر كثيراً وجرناً الحديث إلى طلبه بقراءة فهرسته ثم قراءة بعض فصوله، وفي أثناء ذلك كانت مداخلات من بعض الحضور - وخاصة المرحوم الخطيب الشيخ كاظم آل نوح - ومناقشات دامت وقتاً أكثر مما هو معتاد لسماحته وللحضور. ولكنهم كانوا يصرون على مزيد من الحديث وجرت بيني وبينهم بعض المطايبات والنكات، وانتهى المجلس بتنازلهم وإجابهم ودعائهم بالموقفية لأن الموضوع هائل وهائق كما قال الدكتور آل يس، فشكرتهم ثم ودعتهم وخرجته وبعد أيام وأنا في النجف الأشرف فاجاني رسول من قبل سماحة السيد الشهرستاني يحمل مطروفاً فيه كتاب كريم يفرض حبا وعاطفة، وثناءً ودعاء، وقد نشرت صورته في أول الكتاب تقديراً مني لفضل صاحبه واحترافاً مني بإداء بعض ما يجب من الذكر والشكر.

وأخيراً لا أنسى إفضال بقية الأعلام الكرام وفي مقدمتهم المغفور له سماحة الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء والمغفور له الحجة العالم الموسوعي الشيخ محمد السماوي تغمدهما الله برحمته فقد أفدت من مكتبتهما خصوصاً الثاني حيث يسرّ لي الاطلاع على نواذر المخطوطات مثل ربيع الأبرار والدرجات الرقيقة وغيرهما ممّا لم يكن مطبوعاً يومئذٍ فرحم الله الماضين ممن تفضل باللطف، وحفظ الباقيين وأجرهم جميعاً على الله. والحمد لله رب العالمين.

النجف الأشرف

محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرساني

عفي عنه

تمهيد

الحياة العربية بمكة قبل الإسلام:

مهما تفاوتت وجهات النظر في طريقة كتابة التاريخ، فهي لا تعدو عن حقيقة ثابتة هي أن التاريخ يصنع من النصوص، كما انه يكفي في تاريخ الأفراد سرد الواقع للشخص فيما يخصه، أما تاريخ الجماعات فلا يكفي ذلك، بل لا سبيل إلى تحقيقه دون إعمال الفكر في انتقاء الحدث النموذجي للدلالة على معرفة المجتمع معرفة تامة ولو بالتحليل الفلسفي للأحداث لفهم كنه الروابط بينها بامعان ودقة، ويبقى القاسم المشترك بين تاريخ الفرد وتاريخ المجتمع هو دقة الملاحظة، ونقل الحوادث بأمانة، دون التزوع إلى العاطفة، بل الرجوع إلى الحق في الاستنتاج.

ولمّا كانت حالة الحياة العربية في مكة المكرمة قبل الإسلام، يستدعي البحث عنها إلى استخدام المعلومة من تاريخ الجماعات لغرض التعرف التام إلى

المجتمع المكي، فلا أجد مصدراً أصدق أنباءً من القرآن الكريم، فهو أبلغ نصاً وأوضح مفهوماً من جميع المصادر الأخرى.

لقد عرض القرآن الكريم في بعض آياته لوحات تصوّر (حال الحياة العربية)، قبيل الإسلام وبعده في شتى أنحاء الجزيرة العربية وبواديه فسّى (الأعراب) كما ورد ذلك في القرآن المجيد في عشر آيات تنديداً بمعظمهم، ولم يرد تسميتهم (بالعرب) ولا مرة واحدة، نعم إنّما وردت النسبة إلى العرب مدحاً في وصف القرآن ولغته، فمن الجدير بالذكر التنبّه إلى وجوب الفرق بين العرب والأعراب، ولما كانت فترة ما قبل الإسلام تسمى (الجاهلية) وتلك فترة كتبت عنها أقلام نفاوت أصحابها زماناً ومكاناً، وفهماً وإيماناً، ولم تسلم أحكامهم غالباً من الجنوح العاطفي بين إفراط وتفریط، وإن استند بعضهم إلى آي القرآن الكريم، ولكنه أساء فهم المعنى فلم يفرّق - مثلاً - بين العرب والأعراب، كما لم يراع طبيعة المكان والزمان، ولا بين الحاضرة والبادين من الأعراب.

(ولكي نكون منصفين في الأحكام، عادلين غير ظالمين، علينا التفریق بين الأعراب وبين العرب، فما يقال: عن الأعراب يجب ألا يتخذ قاعدة عامة تطبق على العرب، لما بين العرب والأعراب من تباين في الحياة النفسية والعقل. ثم علينا لكي نكون منصفين أيضاً أن نفرّق بين عرب وعرب. لما أصاب عرب كل أرض من أرض العرب من أثر تركه الأجانب فيهم... والامتزاج والاندماج يؤثران بالطبع في أخلاق أهل المنطقة التي وقعا فيها)^(١).

(١) المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٩٨/٤ ط الأولى بيروت.

وقد أشار إلى وجوب التفریق من اللغويين الأزهری، وذهب إلى مذهبه ابن خلدون وهو من المؤرخين، فقال الأزهری في تهذيب اللغة ونقله عنه الزبيدي في تاج العروس فقال: ((والذي لا يفرق بين العرب والأعراب، والعربي والأعرابي، ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية- «الأعراب أشد كُفْرًا وَتَفَاقًا»^(١) - وهو لا يميّز بين العرب والأعراب، ولا يجوز أن يقول للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب، لأنهم استوطنوا القرى العربية، وسكنوا المدن، سواء منهم الناشيء بالبدو ثم استوطن القرى، والناشيء بمكة ثم هاجر إلى المدينة))^(٢).

وما قلناه من وجوب التفریق بين الأسمين فكذلك يجب علينا أخذ الحيطة فيما نجده في بعض كتب الحديث من أحاديث مدح أو ذم للعرب أو للأعراب، وأن نكون بمتنبهي الوعي في أخذ الحذر مما نراه ميثوثاً في الكتب، حتى وإن كانت قد أضيفت عليها قداسة الحديث النبوي الشريف.

فمثلاً ما نجده في بعض كتب التفسير والصحاح والسنن، ونتخيل لأول وهلة أنّ ما أخرجه أصحابها إنّما هو القول الفصل، وليس إلى الخدش فيه من سبيل، خصوصاً إذا كان في مثل صحيح البخاري الذي قيل عنه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله؟ أو في أمثاله من الصحاح والسنن. فضلاً عن كتب التاريخ والأدب مما درس فيها الشعوبيون أو غيرهم من قصص ونوادير، لا ينبغي لنا أن نقيم عليه صرحاً، ونجعله ميزاناً في تقييم الأمم والشعوب، بل لكل أمة حسناتها كما أنّ عليها سيئاتها، والكمال هو لله وحده سبحانه وتعالى.

(١) التوبة / ٩٧.

(٢) تاج العروس ٣٧١/١ (عربي).

شعوبية بغيضة:

ولست الآن في صدد الخوض عن العروبة وما لها وما عليها، بل كفانا ذلك القرآن الحكيم الذي دعا أولاً الناس كافة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ثم خاطب المؤمنين بعد انتشار الإسلام بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ولم يرد فيه أي نداء لأمة حسب هويتها القومية. وإنما الذي دعاني إلى تقديم ما ذكرت ما قد يجده القارئ من آيات أو أحاديث - مدحاً أو ذمماً - للعرب، وهو يتخيل أن ذلك لجميع العرب، ولم يفرق بين العرب والأعراب من جهة، كما أنه قد يُخدع بما يجده في مثل صحيح البخاري مثلاً حين يقرأ باب قصة زمزم وجهل العرب ثم لا يجد فيه إلا الحديث التالي:

أخرج البخاري في صحيحه كتاب المناقب (باب قصة زمزم وجهل العرب) - فالعنوان إن دل على شيء إنما يدل على شعوبية بغيضة - بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١))).^(٢)

فيتخيل القارئ أن ذلك القول - إن صححت نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنه - هو عن كل العرب وليس ذلك بصحيح.

(١) الأنعام / ١٤٠.

(٢) صحيح البخاري ١٨٥/٤ ط سنة ١٣١٤ الأميرية بولاق وانظر شرح فتح الباري لابن حجر ٣٦٧/٧ وشرح إرشاد المساري للقسطلاني ٨/٦.

ونحو ذلك أيضاً ما يقرأ في سنن الدارمي، بسنده عن هارون بن معاوية قال: «كان الرجل في الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار، ثلاثة لقدره والرابع يعبده، ويرمي كلبه ويقتل ولده»^(١).

فإن هذه الأقوال وأمثالها - إن صحت - فإنما هي عن الأعراب، لا العرب. يقول المرحوم الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام): «الحق أننا إذا أردنا البحث عن مورد يصور لنا أحوال الحياة الجاهلية، ويتحدث لنا عن تفكير أهل الحجاز عند ظهور الإسلام، فلا بد لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم، ولا بد لنا من تقديمه على سائر المراجع الإسلامية، وهو فوقها بالطبع، ولا أريد أن أدخله فيها، لأنه كتاب مقدس، لم ينزل كتاباً في التاريخ أو اللغة أو ما شاكل ذلك، ولكنه نزل كتاباً عربياً، لغته هي اللغة العربية التي كان يتكلم بها أهل الحجاز، وقد خاطب قوماً فوصف حالتهم، وتفكيرهم وعقائدهم، ونصحهم وذكرهم بالأمم والشعوب العربية الخالية^(٢) وطلب منهم^(٣) ترك ما هم عليه، وتطرق إلى ذكر تجاراتهم وسياساتهم وغير ذلك. وقد مثلهم أناس كانت لهم صلوات بالعالم الخارجي، واطلاع على أحوال من كان حولهم، وفيه تنفيذ لكثير من الآراء المغلوطة التي نجدها في المصادر العربية الإسلامية، فهو مرآة صافية للعصر الجاهلي، وهو كتاب صدق لا سبيل إلى الشك في صحته نصه.

(١) سنن الدارمي ٤/١ مطب الأستانة بدمشق سنة ١٣٤٩.

(٢) سورة هود / ٩٥، سورة الحج / ٤٢، سورة الضمراء / ١٤١، سورة الحاقة / ٤، سورة ق / ١٤، سورة الدخان / ٣٧، سورة الفيل / ١، سورة البروج / ٤. (تنبيه: حذفنا أرقام السور التي ذكرها المؤلف).

(٣) وطلب إليهم.

وفي القرآن الكريم ذكر لبعض أصنام أهل الحجاز، وذكر لجدلهم مع الرسول في الإسلام، وفي الحياة، وفي المثل الجاهلية وفيه تعرض لنواح من الحياة الاقتصادية والسياسية عندهم.

وفيه أمور أخرى تخص الجاهلية وردت فيه على قدر ما كان لها من علاقة بمعارضة قريش للقرآن والإسلام. وفي كل ما ورد فيه دليل على أن صورة الإخباريين التي رسموها للجاهلية، لم تكن صورة صحيحة متقنة، وأن ما زعموه من عزلة جزيرة العرب، وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء، كان زعماً لا يؤيده القرآن الكريم الذي خالف كثيراً ما ذهبوا إليه^(١).

فعلى ضوء ما قدّمناه ينبغي لنا أن نعرف ما يقال عن وصف الحالة في الجزيرة العربية بأنها كانت جاهلية مظلمة.

حالة العرب قبل الإسلام:

جاهلية مظلمة، وجور سائد، وظلم فاش، يقاسي الضعيف من القوي الأمرين، وينال العبد من مواله البلاء، وينوش الأثني أحياناً الهضم والظلم، إنما هي حالة الأعراب، نعم وهي كذلك حالة بعض العرب قبل الإسلام، وهي تختلف في الشدة والضعف باختلاف قبائل العرب، وتفاوت مداركهم وتمازجهم مع أصحاب الحضارات من بلاد الروم وفارس.

حسبنا ما روي من حديث جعفر بن أبي طالب مع النجاشي: ((ملك الحبشة كنا أهل جاهلية: نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام،

(١) المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٦/١ ط الأولى سنة ١٩٦٨ بيروت.

ونسىء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل إلى من قبلنا...»^(١).

ولم يقصر عنه كلام المغيرة بن شعبه مع كسرى يزدجرد في وصفه لحالة العرب، فقد ذكر ابن كثير عن المغيرة قوله: «... كنا نأكل الخنافس والجمالان، والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم... وديننا أن لا يقتل بعضنا بعضاً وأن لا يبغي بعضنا على بعض... وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه...»^(٢).

ولعل الباحث لا يعدم الشواهد على أن الحال في قلب الجزيرة العربية كان أخف وطأة وأحسن حالاً، كما هو الحال في مكة المكرمة. فإن فيها من المتحفظين الذين يدينون بالحنيفية كعبد المطلب وأميه بن أبي الصلت وزيد بن عمرو، وفي العرب أمثال قس بن ساعدة، ولعل زهير بن أبي سلمى منهم فقد كان في شعره مؤمناً بالله وبالمعاد والحشر والحساب إلى غير هؤلاء.

كما أن من كان بمكة من القاطنين أكثر رفاهية في الحياة، واستقراراً في الأمن من سائر أقطار الجزيرة. لأن أهلها اتخذوا مكة مثابة للناس وأمنأ، وجعلوا في السنة الأشهر الحرم فلا حرب فيها، وكانت تجارتها رابحة تتصل بالشام واليمن والعراق وفارس وجل أهلها تدير شؤونهم تلك التجارة الواسعة، إمّا تجاراً

(١) السيرة الحلبية ٣٤٠/١ سيرة ابن هشام ٢١٨/١.

(٢) البداية والنهاية ٤٢٧.

أو مضارين أو حماة لما يمرّ بأرضهم من التجارة في طريقها إلى الشام أو اليمن، فهم برحلتى الشتاء والصيف يُغيّرون طابع حياتهم.

ومكة نفسها وقعت في دائرة التنازع الدولي الذي كان قائماً بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية، وقد بذلت محاولات من جانب الأحباش والبيزنطيين للسيطرة عليها، لكن رجال مكة - الحريصين على الحياد - عارضوا كل تدخل في شؤونهم واستطاعوا أن يتعاملوا مع رجال الدولة من الفرس والروم على السواء، كما كانوا يحذقون التعامل مع الأعراب من أهل البادية^(١).

وقد دخلت مكة في طور النظام الاجتماعي بعد أن مرت بطور من الاضطراب والرحلات والغزوات والقتال على السيادة^(٢).

نبوغ قصبي في مكة:

وتاريخ مكة الحقيقي يبدأ من أيام قصبي بن كلاب بن مرة القرشي الذي تولى أمر مكة حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي، وبحكم قصبي استقرت قبيلة قريش في مكة، ونهضت بها، وجعلت منها مدينة ذات مركز اقتصادي

(١) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة / ١٥٠ من الأولى

١٩٦٨، دار الفكر العربي د. أحمد إبراهيم الشريف.

(٢) أنظر سيرة ابن هشام ١٣٣/١ - ١٣٠، تاريخ اليعقوبي ١٨١/١ - ١٩٨، تاريخ الطبري ٢٥٥/٢ -

٢٨٦، البداية والنهاية ١٨٥/٢ - ١٩٠.

ودينه وأدبي ممتاز، وأصبحت في عهده تتمتع بتوجه عربي عام في أواخر القرن السادس وأوائل السابع حين ظهر الإسلام^(١).

فكان قصي أول رجل من بني كنانة أصاب ملكاً، وأطاع له به قومه فكانت إليه الحجابة، والرفادة، والسقاية، والندوة، واللواء، والقيادة، وفي ذلك يقول حذافة بن غانم الجعفي يمدحه:

أبوهم قصي^٢ كان يدعى مجتمعا به جمع الله القبائل من فهر^(٣)

فحاز قصي شرف مكة وأنشأ (دار الندوة) وفيها كانت قريش تقضي أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة، وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون، وحلفاؤهم^(٤).

وكان عبد مناف بن قصي قد شرف في زمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب، ولم يبلغ بنو قصي ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف، وبدت بوادر تنذر بالشر نتيجة الحسد، فأجمع قصي أن يقسم أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعز بين ابنيه، عبد الدار - وهو أكبر بنيه - فأعطاه السدانة وهي الحجابة ودار الندوة، واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية، والرفادة والقيادة^(٥).

وهكذا امتازت مكة عن غيرها بنحو من التنظيم الذي سنه قصي، والذي يكفل لقريش وأبنائه مكان الزعامة والصدارة ما قاموا بتلك الشؤون.

(١) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة / ١٦ د. أحمد إبراهيم الشريف

(٢) تاريخ مكة للأزقي / ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) نفس المصدر / ١٠٩ - ١١٠.

(٤) نفس المصدر / ١١٠.

قال أبو هلال العسكري: كانت قريش تسمى في الجاهلية (العالمية) لفضلهم وعلمهم، قال الفضل بن العباس بن عتبة:

ألسنا أهل مكة عالمياً وأدر كنا السلام بها رطاباً^(١)

آل الله:

قال ابن عبد ربه: كانت قريش تسمى آل الله، وجيران الله، وسكان حرم الله.

وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم:

نحن آل الله في ذمته لم نزل فيها على عهد قدم
إن للبيت لرباً مانعاً من يرد فيه يألّم يخترم
لم تزل لله فينا حرمةً يدفع الله بها عنا النقم^(٢)

وقال ابنه أبو طالب:

ويصبح آل الله ييضاً كأنما كستهم حبيراً ريذة ومعاقر^(٣)

وقال الثعالبي: «كان يقال لقريش في الجاهلية: أهل الله، لما تميّزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم، والفضائل والخصائص، التي هي أكثر من أن تحصى.

(١) التاريخ الإسلامي العام / ٩٥ د. علي إبراهيم حسن.

(٢) المعتمد الفريد ٣/٣١٣، وقارن تاريخ اليعقوبي ١/٢١٠ فما بعدها تجد الأبيات أكثر من

عشرة قالها عبد المطلب لما كان من أصحاب الفيل ما كان.

(٣) ديوان أبي طالب / ٣٧ ط الحيدرية / ١٣٥٦.

فمنها: مجاورتهم بيت الله تعالى، وإيثارهم سكن حرمه على جميع بلاد الله، وصبرهم على لأواء مكة وشدتها، وخشونة العيش بها.

ومنها: ما تفردوا به من الإيلاف والوفادة والرفادة والسقاية والرياسة واللواء والتدوة.

ومنها: كونهم على ارث من دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من قرى الضيف ورفد الحاج والمعتمرين، والقيام بما يصلحهم، وتعظيم الحرم، وصيانتة عن البغي فيه والإلحاد، وقمع الظالم ومنع المظلوم.

ومنها: كونهم قبلة العرب وموضع الحج الأكبر، يؤتون من كل أوب بعيد، وفج عميق، فترد عليهم الأخلاق والعقول، والآداب والألسنة، واللغات والعادات، والصور والشماثل عفواً بلا كلفة ولا عُرم، ولا عزم ولا حيلة، فيشاهدون ما لم تشاهده قبيلة. وليس من شاهد الجميع كمن شاهد البعض...

ومنها: بات وجودهم وجزيل عطاياهم، واحتمالهم المؤن الغلاظ في أموالهم المكتسبة من التجارة ...

وأعجب من ذلك أنهم من بين جميع العرب داتوا بالتحمس والتشدد في الدين فتركوا الغزو كراهة للسي واستحلال الأموال ...^(١)

وإذا بحثنا عن السبب في تميّز مكة عن غيرها في ذلك المضمار، لم نجد الحقيقة في أن نرجع الفضل في ذلك إلى سببين هما:

أولاً - وجود البيت الحرام الذي وفر لمكة من الشرف على سائر البلاد ما لم يتوفر لغيرها، حيث كان مدعاة لحج الناس إليه، وفي ذلك من الفضل والشرف ما يسمو بها عن غيرها إلى مرتبة القداسة.

(١) ثمار القلوب / ١٠ - ١١ تح محمد أبو الفضل إبراهيم. ط دار النهضة مصر سنة ١٣٨٤ هـ.

ثانياً - وجود أبناء قصي الذين استأثرت مكة بهم زعامة وفضلاً وشرقاً ومنعة، مما جعل لهم من المكانة في نفوس الآخرين أن أقروا لهم بالزعامة فكانوا يقصدونهم للحكومة وفصل الخصام، وينعموا في ظلهم بأمن ورغد عيش.

مكانة قريش بين العرب:

وأصبحت زعامة قريش بين العرب زعامة حقيقية لا شك فيها قبل الإسلام، وأبرز مثل يوضح هذه الزعامة القرشية هو أنه حين وقعت قريش موقف المعارضة للنبي ﷺ لم يجد استجابة - كاملة - لدعوته بين العرب، فلما ألفت قريش لواء المعارضة بعد فتح مكة سنة ٨ هـ لم يلبث العرب أن دخلوا في الإسلام طائعين^(١).

وقد أظهرت قريش قدرة على التنظيم، فاستطاعت أن تقيم نوعاً من التنظيم الحكومي في مكة، هو في جوهره تنظيم قبلي تطور بحسب مقتضيات ظروف الاستقرار في مكة، وبحسب اتصالاتها الواسعة وقيامها على التجارة واحتكاكها بالعالم المتحضر.

وقد تميزت الوظائف الحكومية إلى نوعين رئيسين:

الأول: الوظائف المتعلقة بالكعبة وهي السدانة والسقاية والرفادة.

الثاني: ما يتعلق بإدارة الشؤون العامة في البلد الحرام.

(١) دور الحجاز في الحياة السياسية د. أحمد إبراهيم الشريف.

وكلها تهدف إلى رعاية البيت الحرام وإعداده للزائرين، وتوفير الراحة للوافدين عليه في موسم الحج، كما تكفل للمقيمين الطمأنينة والاستقرار. وقد قام بإدارة تلك الوظائف رجال من مختلفي بطون قريش، تفادياً لما يمكن أن يحدث بينها من تنافس على الحكم، وضمناً لإسهامها في رعاية شئون مكة، ولكي يتجنب أهل مكة كل ما من شأنه أن يثير التنافس فقد جعلوا على ضوء تقسيم قصي - كما أشرنا - لكل بطن وظيفته معينة، يختار البطن لها من رجاله من يشغلها على أساس العرف القبلي، الذي يعتبر الكفاءة الشخصية أساساً للتصدر^(١).

وإذا أردنا أن نتعرف تاريخ اولئك الزعماء الذين ترجع إليهم الأمور، وتكفلوا بالنظر في حقوق العرب فيما بينهم - في فترة ما قبل الإسلام - نجدهم لا يتعدون البطون التالية:

وهم الذين يقال لهم قريش الأباطح، وقريش البطاح، لأنهم لباب قريش وصميمها الذين اختطوا بطحاء مكة وهي سرتها فترلوها وهم بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار، وبنو زهرة، وبنو تيم بن مرة، وبنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو عبد العزى، وجمح، وبنو عدي بن كعب، وبنو عامر بن لؤي، وبنو هلال بن أهيـب^(٢).

(١) نفس المصدر.

(٢) وكان الشعراء يمتدحون أبناءهم بالنسبة إلى الأباطح والبطاح فالبحراني يقول كما في ديوانه ١٣٢٠/٢

ابن الأباطح من أرض أباطحها في ذروة المجد أعلى من روابيه
والسري الرفاء يقول في قصيدة يمدح آل النبي ﷺ كما في ديوانه ٧١٦/٢ - ٧١٨،

إلا صحت قريشاً في أباطحها كانوا الذواجب فيها والمرائنا

ولاحظ مجمع البلدان ٢١٣/٢ ط الأولى بمصدر وثمار القلوب للثعالبي ٩٦.

ومع قيام ذلك التحالف وتوزيع الوظائف الفخرية بين البطون القرشية، فإن السيادة والشرف لبني هاشم، لأنهم على حد قول شيخهم وشيخ البطحاء أبي طالب ﷺ:

فإننا بمكة قدماً لنا به العز والخطرُ الأعظم
ومن يك فيها له عزة حديثاً فمزتنا الأقدم
ونحن ببطحائها الرائسون والقائدون ومن يحكم
نشأنا فكنا قليلاً بها نجير وكنا بها نطمع
إذا عرض أزمُ السنين الأنام وجب القتارَ بها المعدم
نماني شية ساقى الحجيج ومجدئ منيف الدرى مُعلم^(١)

ونظراً لذلك التفاوت فيما بينها في المكاة المرموقة ومنعة الجانب وحسن إدارة تلك الشئون فقد ناقس بعضهم بعضاً في تولي الزعامة العامة بالرغم من الاحتياط الذي أشرنا إليه للتفادي عن المناقسة، وخاصة مع (هاشم) الذي علا نجمه، وطال شأنه وكثر حساده، فكانت منافرات معه ومع أبنائه من حسادهم ويسببها عُقدت أحلاف، وكان منها حلف المطيبين لبني عبد مناف^(٢)، وكانت الأحلاف لبني عبد الدار^(٣)، وكانت وكانت.

(١) ديوان أبي طالب / ٩٧ - ٩٨، صنعة أبي هفان/تحاليم.

(٢) سمو بالطيبين لأنهم لما تماقد بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو تميم وبنو اسد بن عبد العزى وبنو الحارث بن فهر، أخرجت هاتكة بنت عبد المطلب جفنة فيها طيب فممسوا أيديهم فيها. لذلك سمو المطيبين (المنمق / ٢٣٣).

(٣) سمو الأحلاف ولعقة الدم أيضاً وذلك أن بني عبد الدار ومهم بنو سهم وبنو جمع وبنو مخزوم وبنو عدي لحرروا جزوراً فممسوا أيديهم في دمها فسموا الأحلاف ولعق رجل من بني عدي لعقة من دم ولعقوا منه فسموا لعقة الدم (المنمق / ٢٣٣).

وقد بقيت آثار ذلك النزاع والتخاصم حتى بعد ما جاء الإسلام، فكانت
النعرات القبلية الجاهلية تطفو على السطح بين الحين والآخر، وكانت لها آثارها
السيئة في نخر بُنية التكامل الإسلامي^(١).

ولكن مهما طال النزاع ومهما اشتدت الخصومة، فإن فضل بني هاشم لا
يوازي، إذ ليس بيت كمثلته في رفعته وسموه. وهم على حد قول ابن عباس رضي الله عنه
لمعاوية، وقد أثار معاوية نخوة الجاهلية في حديث له. قال: ليس حي من قريش
يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم إلا بني هاشم^(٢).

الحالة الدينية بمكة:

وكانت الحالة الدينية في مكة على نحو ما كانت عليه حالة العرب في
سائر أنحاء الجزيرة، فثمة أصنام تعبد ويتقرب إليها، إلا أن بين أهلها من كان
ينظر في الكتب السماوية، ويدين بالحنيفية البيضاء - دين إبراهيم الخليل عليه السلام -
ومنهم هاشم بن عبد مناف وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وأمية بن أبي الصلت،

(١) وقد أشار إلى ذلك شيخ البطحاء أبو طالب في أشعاره فقال:

رجال تمالوا حاسدين وبغضةً	لأهل العلا شبهتهم ابداً وتر
وليد أبوه كان عبداً لجدنا	إلى حلجة زرقاء جال بها السحر
وثيم وسخزوم وزهرة منهم	وكانوا بنا أولى إذا بُغي النصر

إلى أن يقول:

فوالله لا تنفك منا عداوة ولا منهم ما دام من نسلنا شفر

(٢) انظر العقد الفريد ٢/٣١٨، والملاحم والفتن لابن مطاويس الحسني ٨١/ - ٨٢، وسهاتي
في احتجاجاته مع معاوية.

وكانوا ينكرون بعض الترهات التي كان عليها قومهم كمباداة الأصنام، وكانوا يجاهرون بمقيدتهم في البحث عن ألوهية واحد متفرد بالجلال والعظمة والقدرة، ويعترفون بالبعث والنشور، ويقولون بالثواب والعقاب، وكان بعضهم من أعلن عن قرب ظهور نبي من العرب قد أطلّ زمانه يهدي الناس إلى الصراط المستقيم^(١).

حديث البعثة النبوية:

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

(إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار متخون^(٢) بين حجارة حُشن، وحيات صُم، تشربون الكديرَ وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة)^(٣).

وقال أيضاً: (بعثه والناس ضلالاً في حيرة، وخاطلون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واسترلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة، ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة)^(٤).

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ٦٧/١ . ٧٥ .

(٢) متخون أي مقيدون، من أتاخ بالمكان أقام به.

(٣) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٦/١ .

(٤) نفس المصدر ١٨٦/١ .

بعث النبي ﷺ من بني هاشم، فأَيّ دعوة هذه التي يجب أن يتقاد إليها بنو أمية وبنو سهم وبنو عدي وبنو زهرة وبنو تميم وبنو مخزوم وبنو أسد، وسائر البطون من قريش والقبائل من كنانة، إنها الاستهانة بكيان الأفضاخ وأمجادها في عرفهم، وإنها الاستكائة لداع سيحوز الفخر لبني هاشم دونهم فما بالهم لا يقاومون؟^(١)

فوقفت قريش في وجه الدعوة لا يصيخون لداعي السماء وهو يدعوهم:
قولوا: (لا إله إلا الله تفلحوا).

وكان أول من دعاهم النبي ﷺ هم رهطه الأذنون، وذلك بأمر من ربه تعالى حيث يقول: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^(٢).

ولهذه الدعوة حديث طريف يجده القارئ في مظانته^(٣)، وأول من أجاب من عشيرته هو ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أول ذكران العالمين إسلاماً

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ٤٧/١.

(٢) الشعراء / ٥.

(٣) أخرج حديث بدء الدعوة كل من الطبري في تفسيره في سورة الشعراء وتاريخه ٢١٦/٢، وأبو جعفر الأسكافي في كتابه نقض المثنائية كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٣/٣، والتعلبي في تفسيره وابن الأثير في تاريخه ٢٤/٥، وأبو الفداء في تاريخه ١١٦/١، والسيوطي في جمع الجوامع ٣٩٢/٦ نقلاً عن الطبري. وفي ص ٣٩٧ نقلاً عن الحفاظ الستة ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في سننه ودلائله وأحمد في مسنده ١١١/١، وابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٥٤/٣، وابن تيمية في منهاج السنة ٨٠/٤، والخازن في تفسيره ٣٩٠/٥، والشهاب الخفاجي في شرح الشفاء ٣٧/٣ وبتراخره والكتنجي الشافعي في كفاية الطالب ٨٩، وابن ظفر المكي في الباء لجباء الأبناء ٤٦ - ٤٨، والحلي في سيرته ٣٠٤/١، ومحمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ١٠٤ الطبعة الأولى وغيرهم وغيرهم. وللإستزادة راجع الفدير ٥٣/٢، ٢٥٦، وشواهد التنزيل للحسكاني ٣٧١/١ و ٤٢٠ مع ما في الهامش.

كما أنّ أول إنائهم هي زوج النبي الكريم السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، فهما أول من آمن به من الناس^(١).

وقاربخ ابن عساکر (ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) الحديث ١٣٢ وتوابعه فقد رواه ابن عساکر بسبع طرق، ود. علي إبراهيم حسن في التاريخ الإسلامي العام / ١٦٧.

(١) روى التيهامي في مجمع الزوائد ٢٢٠/٩ بسنده عن أبي رافع قال، ((أول من أسلم من الرجال علي عليه السلام وأول من أسلم من النساء خديجة قال: رواه البزار ورواه رجال الصحيح)).

وروى أيضاً عن بريدة قال: ((خديجة أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام)) رواه الطبراني.

وروى عن مالك بن الحويرث قال: ((أول من أسلم من الرجال علي ومن النساء خديجة)) رواه الطبراني. والأحاديث في سيق إسلام علي عليه السلام متظاهرة تكاد لا تحصر وهي مقدمتها أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كقوله في حديث عائشة: (يا عائشة دعني لي أخي فإنه أول الناس إسلاماً، وآخر الناس بي عهداً، وأول الناس لي يوم القيامة) الاصابة ٨ ق ١٨٣/١ في ترجمة ثعلب الفغارية وكذلك الاستيعاب. وقوله صلى الله عليه وسلم وقد أخذ بيده: (ان هذا أول من آمن بي وهذا أول من يضافحتني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر) أخرجه الطبراني عن سلمان وأبي ذر والبيهقي والمدني عن حذيفة، ونحو هذا كثير جداً. أما أقوال الصحابة الموقوفة عليهم فضلاً عن المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي أيضاً كثيرة، تقتصر على تسمية من قال ذلك مع الإشارة إلى مصدر قوله.

١- زيد بن أرقم . مسند أحمد ٣٦٨/٤ و ٣٧١، والنسائي في خصائصه ٢/، وابن سعد في الطبقات ١٢/١/٣، ومستدرک الحاكم ١٣٦/٣، وقاربخ الطبري ٥٥/٢.

٢- أبو موسى الأشعري . مستدرک الحاكم ٤٦٥/٣.

٣- سلمان المحمدي نفس المصدر ١٣٦/٣، وقاربخ بغداد ١٨/٢، وأسد الغاية ١٧/٤، والاستيعاب ٤٥٧/٢، وكنز العمال ٤٠٠/٦، ومجمع الزوائد ١٠٢/٩ وقال أخرجه الطبراني.

٤- سعد بن أبي وقاص . مستدرک الحاكم ٤٩٩/٣.

٥- جابر بن عبد الله . الاصابة ١٢٤ / ١١٨، والاستيعاب ٤٥٦/٢.

٦- أبو ذر الفغاري . الاستيعاب ٤٥٦/٢.

٧- المقداد بن عمرو . نفس المصدر.

٨- خباب بن الارت . المصدر السابق.

وقابلت قريش دعوة النبي ﷺ، بكل ما تملك من وسائل الحول والطول، وأصاب النبي ﷺ والمسلمين عنت شديد. وما كان الباحث لقريش على ذلك إلا الحسد والتعصب والانصياع لعصية القبيلة، والحفاظ على تقاليدهم الموروثة. فكانت ممعنة في ابداء النبي ﷺ والنفر المسلمين، وسلكت في سبيل ذلك مسالك كان منها مطاردة المسلمين وتعذيب بعضهم بالضرب والجلد حتى مات بعضهم تحت العذاب^(١).

ولمّا لم تجد كل تلك الوسائل في صد تلك الدعوة، اتخذوا قرارهم المشنوم بتحالفهم على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب: (ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوا لهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم حتى ينبدوا محمداً) فكانت تلك الصحيفة القاطمة نقطة تحول في موقف بني هاشم وحلفائهم وذلك بعد أن كتبها قريش، ووضعوا فيها ثمانين خاتماً وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم^(٢).

وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة فسلّت يده^(٣).

٩ - أبو سعيد الخدري - المصدر السابق.

١٠ - عبد الله بن عباس - المصدر السابق ٤٥٨/٢ قال: ((أول من أسلم عليّ ﷺ)).

وهناك أحاديث عن عمر وابنه عبد الله والنس بن مالك وغيرهم من الصحابة أنهم رويوا عن النبي ﷺ قوله لعليّ ﷺ: (الله أول الناس إسلاماً). وأمام هذه الجمهرة من أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة، لا تثبت لمتخرّص. مهما حاول. قائمة، والصبح أبلج لذي عينين.

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ١٧/٢ - ٢٦. وابن هشام ٢٧٨/١ - ٤٠٠. وابن سعد ١٨٤/١ - ١٩٥. والطبري ٣٢٢/٢ - ٣٤٤. والمقدّمين ٢٢٨/١.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٧٢/١.

(٣) تاريخ الطبري ٣٤٣/٢. والفاسي في المقدّمين ٢٢٩/١ - ٣٣٠.

وإليك حديث الصحيفة:

صحيفة المقاطعة:

أخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن ابن شهاب الزهري قال:

«ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم علاتية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم شعبهم ويمنوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيماناً وبقيناً، فلما عرفت قريش أن القوم قد منحوا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم واجتمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً وموائيق لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل، فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا طعاماً يقدم مكة ولا يبعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم.

وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فاضطجع على فراشه حتى يُرى ذلك من أراد مكرأ به واغتياه، فإذا نَوْم الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمومته فاضطجع على فراش رسول الله

صلى الله عليه (وآله) وسلم، وأمر رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

بعث الله ﷺ على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق، ويقال: كانت معلقة في سقف البيت، ولم تترك إسماءً لله ﷺ فيها إلا لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم، واطلع الله ﷺ رسوله على الذي صنع بصحيفتهم.

فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم لأبي طالب، فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني، فانتلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم حامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة الهلاء، فأتوا ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم مدفوع إليهم، فوضعوا بينهم وقالوا قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنا قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف، إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني إن الله ﷻ بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم^(١)، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا، فوالله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتهم أو استحييتهم.

قالوا: قد رضينا بالذي يقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه (وآله) وسلم قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب، قالوا والله إن كان هذا قط إلا سحراً من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وعلى المسلمين رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه، فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون، فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم، طمس الله ما كان فيها من اسم، وما كان من بغي تركه، أفنحن السحرة أم أنتم؟.

(نقض الصحيفة)

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم، منهم أبو البختری والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية

(١) هي جملة من المصادر التاريخية وكتب السير، إن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من قطيعة وظلم ولم تدع سوى اسم الله تعالى فتمتد؛ وكانوا يكتبون (باسمك اللهم).

ابن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لوي في رجال من أشراقهم ووجوههم نحن برآء مما في هذه الصحيفة فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في صحيفتهم، ويمتدح النفر الذين تبرأوا منها وتقصوا ما كان فيها من عهد، ويمتدح النجاشي»^(١).

(١) دلائل النبوة لليبيهي ٨٠/٣ - ٨٣ ط الأولى نشر المكتبة السلفية ١٣٨٩ هـ.

القول، ومما قاله في الشعب قصيدته اللامية المصماء كما عن المعيني في شرح البخاري والبغدادي في شرح هوائد الرضي، وهذا هو المشهور، لكن ابن هشام ذكر في سيرته عن ابن إسحاق أنه قالها لما خشي من دهماء العرب على نفسه وقومه. فمن هم أولئك الذين سماهم بالدهماء؟ اليسوا هم قريشاً؟ فلماذا التعميم؟ وتلك القصيدة المصماء قال عنها ابن كثير: قصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه، وهي أفضل من المعلقات الصبيح، وأبلغ في تأدية المعنى، وقد استشهدنا المصباح العباسي من موسى بن عبيد الله الحسني. كما في مقال الطالبين/٣٩٦. وهي قصيدة طويلة، أوردها أبو هفان في شرح ديوان أبي طالب في/١٢١ بيتاً، وابن هشام في/٩٤ بيتاً.

وشرحها كثيرون، منهم البغدادي في خزنة الأدب/١/٢٥١. ٣٣١.

ومنهم السهيلي في الروض الألف/١/١٧٤.

ومنهم المرحوم الشيخ جعفر نقدي شرحها بكتاب خاص سماه (زهرة الأدياء في شرح لامية شيخ البطحاء) وقد طبع في المطبعة الحيدرية سنة ١٣٥٦ هـ.

ومنهم المرحوم علي فهمي (مفتي بلاد الهرسك) ومعلم الأدبيات العربية في دار الفنون) وشرحه مطبوع باسم (طلبة الطالب في شرح لامية أبي طالب) في مطبعة روهن تركية ١٣٢٧ هـ وهو أولى شرحاً من غيره.

ولأبي طالب في ديوانه من غرر الأشعار يذكر فيها أسباب عداوة قريش لبني هاشم وأهمها الحميد، فأقرأ مثلاً قوله:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
وان حُصَلت أشراف كل قبيلة	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش ضحاً وسميتها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

معاناة الحصار:

قال البلاذري: «قلّمنا رأى أب و طالب انهم - قريش - عازمون على الاستمرار في قطيعتهم، خاف على ابن أخيه، ثم انطلق بهم - بني هاشم والمطلب - فأقامهم بين أستار الكعبة فدهوا على ظلمة قومهم، واجتمعت قريش على أمرها، فقال أبو طالب: اللهم إن قومنا قد أبوا إلا البغي فعبّل نصرنا وحل بينهم وبين قتل ابن أخي»^(١) اللهم انصرتنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا.

وقالت قريش: لا صلح بيننا وبين بني هاشم وبني المطلب ولا رحم ولا إل ولا حرمة إلا على قتل هذا الرجل الكذاب السفیه.

وعاد أبو طالب إلى الشعب ومعه بنو هاشم وبنو المطلب من كان على دين النبي ﷺ ومن لم يكن، ولكن للحسب والشرف إلا أبو لهب فإنه خرج إلى قريش فظاهروهم على بني عبد المطلب»^(٢).

ولتقرأ ما كتبه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ممن عاش في ذلك الظرف العصيب، وعانى الكثير الكثير فقال يصف تلك المحنة:

وكنا قديماً لا نقرّ ظلاماً	إلا ما نثّوا صعر الخدود نقيماً
ونحمي حماها كل يوم كرهية	ونضرب عن أبحارها من يرومها
بنا التمش العود الذوي وإنما	بأكنافنا كندى وتشمي أرومها
يدين لهم كل البرية طامعاً	ويكرمها ما الأرض عندي أديمها

(ديوان أبي طالب بن عبد المطلب) صنعة أبي هفان عبد الله بن أحمد المهزومي البصري المتوفى سنة ٢٥٧ هـ تحقيق العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسر / ١٢١ - ١٢٢ وتحقيق العلامة المحمودي / ٧٢.

(١) النسب الاشراف / ١ / ٣٣٠ ط دار المعارف بمصر.

(٢) بلوغ الأرب / ١ / ٣٣٦.

فأراد قومنا قتل نبيِّنا واجتياح أصلتنا، وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا العذبَ الماءَ وأحلسونا الخوفَ، واضطرونا إلى جبلٍ وعرةٍ، وأوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذبِّ عن حوزته والرمي من وراء حومته، مؤمناً بيني بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الأصل، ومن أسلم من قريش خلواً ممّا نحن فيه، بحلفٍ يمنعه أو عشيرةٍ تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن^(١).

ومن أصدق من عليٍّ وصفاً، وهو الذي كان مع النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره، فقد كفله عنده منذ أصابت قريشاً أزمةً شديدةً - كما يقول مجاهد راوي الحديث - وكان أبو طالب كثير العيال، فقال النبي ﷺ للعباس - وكان من أيسر بني هاشم - (يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله آخذ واحداً من بنير وتأخذ واحداً فنكفيهما عنه)، فقال العباس: نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: أنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأً فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب ﷺ مع النبي ﷺ حتى بعثه الله نبياً فاتبعه عليٌّ فأقرّ به وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٣٠٢.

(٢) نفس المصدر ٣/٢٥١، وروضة الواضحين ٨٦ ط الحيدرية.

الفصل الأول:

بداية حديثنا عن ابن عباس

وليد الشعب:

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج في بيان أسماء من كان في الشعب من بني هاشم: «كانوا صنفين مسلمين وكفاراً: فكان علي عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب مسلمين، واختلف في جعفر بن أبي طالب هل حصر في الشعب معهم أم لا؟ قيل: حصر في الشعب معهم، وقيل: بل كان قد هاجر إلى الحبشة ولم يشهد حصار الشعب، وهذا هو القول الأصح.

وكان من المسلمين المحصورين مع بني هاشم عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وهو وإن لم يكن من بني هاشم إلا أنه يجري مجراهم، لأن بني المطلب وبني هاشم كانوا يداً واحدة لم يفرقوا في جاهلية ولا في إسلام، وكان العبّاس رحمه الله في الشعب إلا أنه كان على دين قومه، وكذلك عقيل وطالب ابنا أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب - وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ... - وكان سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم أبا طالب بن عبد المطلب وهو الكافل والمحامي له»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٣/٣١٠.

فكان من أولئك الذين أخذتهم الحمية للنبي ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب فقد دخل الشعب هو وأفراد أسرته تبعاً لرأي زعيمهم شيخ البطحاء (أبي طالب) وإرضاءً لأبن أخيه محمد ﷺ.

وأصاب بني هاشم عنتٌ شديدة من جراء تلك المقاطعة، حتى أن الرجل منهم ليخرج بالنفقة فما يباع منه شيئاً، ويخرج العباس مرة من الشعب ليشتري طعاماً فأراد أبو جهل أن يسطو به، فمنعه الله منه^(١).

وفي أيام الشعب كانت للعباس بادرة مع الرسول ﷺ، ربما توحى باختيار أو تصديق فراسة منه في ابن أخيه.

فقد روى ابن كثير الدمشقي في تاريخه: إن العباس قال للنبي ﷺ: يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل، فأجابه النبي ﷺ: (لعل الله أن يقر أعينكم بغلام)، وفي رواية: (لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام)^(٢).

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه خبراً يسنده عن أم الفضل بنت الحارث الهلالية قالت: مررت بالنبي ﷺ وهو في الحجر فقال: (يا أم الفضل إنك حامل بغلام)، قالت: يا رسول الله وكيف وقد تحالف الفريقان أن لا يأتوا النساء؟ قال: (هو ما أقول لك. فإذا وضعتي فأتيني به)، قالت: فلما وضعتي أتيتُ به رسول الله ﷺ فأذن في إذنه اليمنى وأقام في إذنه اليسرى وقال: (أذهبى بأبي الخلفاء).

قالت: فأتيت العباس فأعلمته فكان رجلاً جميلاً لباساً فأتى النبي ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قام إليه فقبل بين عينيه ثم أقعداه عن يمينه، ثم قال: (هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه).

(١) انظر انساب الأشراف ١/٣٣٥.

(٢) البداية والنهاية ٨/٢٩٥، وانظر المعرفة والتاريخ للفسوي ١/٥٤١.

قال: يا رسول الله بعض هذا القول: قال: (يا عباس لم لا أقول هذا القول وأنت عمي وصنو أبي، وخير من أخلف بعدي من أهلي) فقلت: يا رسول الله ما شيء أخبرتني به أم الفضل عن مولودنا هذا؟

قال: (نعم يا عباس إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي)^(١).

وأخرج الحديث أيضاً أبو نعيم في دلائل النبوة وفي آخره: «منهم من يصلي بعيسى بن مريم عليه السلام»^(٢). والخبر باطل كما قال الذهبي في ترجمة أحمد ابن راشد في ميزانه حيث قال: «عن سعيد بن خثيم بخبر باطل في ذكر بني العباس ... ثم ساق الرواية، وقال: وهو الذي اختلقه بجهل»^(٣).

مباركة الوليد الجديد:

وفي آخر أيام الشعب تلد أم الفضل ولدها عبد الله بن عباس، وتصدق النبوة ويبدو أن العباس استبشاراً بولیده وإيماناً بصدق فراسته في ابن أخيه حين أخبر عن ولادته، يتقدم بولیده إلى النبي ﷺ ليباركه، فأخذه وحنكه بريقه^(٤) وسماه عبد الله.

وثمة رواية أخرى تذكر أن الذي تقدم به إلى النبي ﷺ هي أمه أم الفضل ولكن لا أكاد أصدق بصحتها، نظراً لاشتمالها على سنن لم تشرع بعد، نحو

(١) تاريخ بغداد ١/٦٣.

(٢) دلائل النبوة ٤٨٢/٤٨٣.

(٣) ميزان الامتدال ١/٩٧/٣٧٥.

(٤) قال مجاهد: فلا تعلم احداً حنكه رسول الله ﷺ بريقه غيره. انظر البداية والنهاية

الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى، وهذا لا يصمد أمام ما روي في تاريخ ابتداء الأذان، وأن تشريعه كان في السنة الثانية من الهجرة^(١). ولم تقتصر تلك الرواية في مباركة الرسول الأكرم ﷺ وليد عمه على ذكر الأذان، كما في الرواية السابقة، بل ذكر أنه ﷺ أخذه فحنكه، ولته بريقه، ودعا له، وسماه عبد الله.

وذكر البلاذري: «عن عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال: ولد عبد الله ابن عباس وبنو عبد المطلب في الشعب، وذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، ف جاء به أبوه إلى النبي ﷺ فقبله ومسح وجهه ورأسه ودعا له فقال: اللهم املاً جوفه فهماً وعلماً، واجعله من عبادك الصالحين. ثم قال: ياعم هذا عن قليل حبر أمتي وفتيها، والمؤدي لتأويل التنزيل»^(٢).

ولا شك أن في الرواية سنداً ومتناً أكثر من مناقشة، بل عليها آثار الوضع بادية ومع ذلك لا نشك أن الرسول الأكرم ﷺ كان إذا أتوه بوليد يدعو له ويباركه، فمن غير المستبعد أن أجرى ذلك لأبن عمه خصوصاً وهم في حال الحصار، وقد دخل أبوه العباس الشعب حمية لأبن أخيه، ولم يكن بعد قد أسلم.

وقد ذكر أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار في السفر الأول (مسند عبد الله بن عباس) تحقيقاً شاملاً حول أحاديث: (اللهم علمه الحكمة)، (اللهم علمه

(١) أمل من الغريب أن ينهب أبو القاسم السهمي في الفضائل إلى القول بهذه الرواية نقلًا عن أبي عمرو مع ما فيها من آثار الوضع الظاهرة أنظر تاريخ الخميس للديار بكري ١٢٧/١ ط الوهبة ١٢٨٣ هـ.

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ١٢٩/١.

الكتاب)، (اللهم ألهمه التأويل وعلمه الحكمة)، (اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل)، (اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن)، إلى آخر ما ذكره من أخبار ورد فيها دعاء الرسول الكريم بأسانيد مختلفة ومتون متفاوتة، وليست كلها قالها عند ولادته، بل صريح بعضها أنه ﷺ قالها في المدينة^(١).

ثم قال: ((القول البيان عن معنى ما في هذا الخبر، والذي فيه: الإبانة عما خصّ الله تعالى ذكره به نيّنا صلى الله عليه (وآله) وسلم من الفضيلة باجابة دعائه، وإعطاء مسأله، وذلك أنه دعا ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس بأن يعلمه الحكمة وتأويل القرآن، وأن يفقهه في الدين فأعطاه ذلك، وأجاب له دعاءه بما دعا به فيه، فكان عالماً بالحكمة وتأويل القرآن، فقيهاً في الدين، مقدماً في ذلك، نقاباً مبرزاً على أقرانه، لا يتقدمه منهم أحد، بل لا يدانيه ولا يقاربه منهم بشرّ في أيامه، يشهد له بذلك الجلة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم والتابعين لهم بإحسان))^(٢).

ثم ساق شهادات بعلمه عن كل من ابن مسعود، وعائشة، وابن عمر، ومجاهد، وميمون بن مهران، وعكرمة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليم أبي هناد، وطاوس، والأعمش وسعيد بن جبير، وشقيق، وحكيم بن جبير^(٣). (وستأتي في تاريخه العلمي، الحلقة الثالثة)

أقول: وبعد هذا الذي ذكره الطبري من الشهادات الدالة على ظهور آثار الدعوة النبوية في ابن عمه حبر الأمة عبد الله بن عباس، نظمثن إلى صدور الدعوة المباركة، اجمالاً مهما كانت الشكوك في التفاصيل الأخرى.

(١) تهذيب الآثار (ال سفر الأول) / ١٦٣.

(٢) نفس المصدر / ١٧١.

(٣) نفس المصدر / ١٧٢ - ١٨١.

لقد ورد في كتاب أخبار الدولة العباسية أبيات شعر قالها المسور بن مخرمة الزهري في تصديق ذلك:

أدنى النبي ابن عباس وقال له قولاً قدّس فيه الأهل والولد
والعلم والسلم كانا رأس دعوته ما مثلُ هذا بما يُرجى له أحد
وقبلها دعوة كانت مباركةً ثم الظهور بما فيهم وما ولدوا
كم دعوة سبقت فيهم مباركةً فيها افتخارٌ وفيها يكثر العدد^(١)

أقول: وأنا أشك في صحة نسبة الأبيات إلى المسور لأنه مات سنة ٦٤ كما ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء^(٢)، والأبيات فيما يبدو من نسج شاعر عباسي مترلف.

تحقيق في تاريخ زمان ومكان الولادة:

لا نشك في مكان وزمان الولادة، وأنها كانت في الشعب في آخر سني الحصار، بل وفي أخريات أيامه، فإذا كان مبدأ الحصار ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين نبي رسول الله ﷺ، وعرفنا أن خروج بني هاشم كان في السنة العاشرة، وكان مدة مكثهم ثلاث سنين^(٣)، فتكون ولادته في أحد أشهر الحج (شوال، ذي القعدة، ذي الحجة)، وما روي من أقوال أخرى في سنة ولادته من خلال تعيين سنّه عند وفاة النبي ﷺ لا تثبت عند التمهيص.

(١) أخبار الدولة العباسية / ٢٦ (لمؤلف مجهول تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطليبي) ط دار المطبعة.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨١/٤.

(٣) انصاب الأشراف (ترجمة ابن عباس) ٣٦٩/١٣١ به (مصور بمكتبة الأمام امير المؤمنين عليه السلام).

وقد وهنتها غير واحد من المحدثين، فلا حاجة بنا إلى الإطناب بنقلها ومناقشتها لأنها غير معتبرة عند الأئمة من أهل العلم، ونكتفي بما قاله الواقدي وأبو عمر في الاستيعاب .

فقد قال الواقدي: ((لا خلاف عند أئمتنا انه ولد في الشعب حين حصرت قريش بني هاشم، وانه كان له عند موت النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة))^(١).
وقال أبو عمر: ((لا اختلاف عند أهل العلم عندنا: ان ابن عباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين))^(٢).

وبناءً على ذلك فتكون ولادته في الشهور الأخيرة من السنة الثالثة لحصارهم ولما كان فك الحصار في أول المحرم، فعمل ولادته كانت في أيام شهور الحج.

وقد يؤيد ذلك بما رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد - واللفظ له - : ((من حديث مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال: مررت في حجة الوداع على حمار أنا والفضل وقد راهقت يومئذ الاحتلام، والنبي ﷺ يصلي... الخ))^(٣).

وهذا حديث احتج به غالب أصحاب السنن والصحاح في باب الرخصة في المرور بين يدي المصلي مستدلين على جوازه بحديث ابن عباس هذا، فإن حجة الوداع كانت في السنة العاشرة للهجرة، وإذا أضفنا إليها ثلاث سنين قبلها فتكون ثلاث عشرة سنة، فإبناها مراهق للإحتلام.

(١) الاصابة ٢/٣٣٠.

(٢) انظر ترجمته في الاستيعاب.

(٣) انظر ذخائر المواريت ٢/٤٠ ط ١ الأزهرية ١٣٥٢.

قال الواقدي: ((وهذا أثبت مما روى هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في سنه))^(١) - يعني قول ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر حجج - .

كنيته ولقبه:

قال ابن الأثير: ((إنما جاء بالكنية لاحترام المكنى بها، وإكرامه وتعظيمه، كيلا يصرح في الخطاب باسمه ومنه قول الشاعر:

أكتيه حين أتأديه لأكرمه ولا ألقبه بالسوء اللقبا

وقال أيضاً: ولما كان أصل الكنية أن تكون بالأولاد تعين أن يكون بالذين ولدوهم، كأبي الحسن في كنية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فمن لم يكن له ابن وكان له بنت كتوه بها ...

وقال أيضاً: وكذلك فعلوا في إضافة الأبناء والبنات إكراماً واحتراماً لهم بإضافتهم إلى آبائهم مع ترك أسمائهم، فقالوا ابن عباس وابن عمر لما كان اشرف من ابنيهما، وكذلك كانوا يقولون للحسين بن علي يابن بنت رسول الله كرامة له بأمه... اه))^(٢).

هذا عن الكنية أما عن اللقب فقد تطور في الاستعمال، فبعد أن كان مشعراً بالسوء كما مر في قول الشاعر، وورد ذلك المعنى في القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(٣)، لكنه تطور بعد ذلك، ففي تفسير الآية الكريمة المراد ما يكره من الأسماء والأوصاف لكن بتطور

(١) طبقات ابن سعد ١١٤/١ ج ١ محمد بن صالح السلمي.

(٢) المرصع لابن الأثير ٤١/٤٣ - ٤٤.

(٣) الحجرات ١١/.

الاستعمال صار اللقب مشعراً برفعة المسمى، ولعل في غلبة استعمال (اللقب) في المدح، واستعمال (النبز) في الذم ما يشير إلى ذلك التطور. ومهما يكن فإن الألقاب المستحسنة كانت ولا تزال تشر عن مكانة الملقين ورفعتهم، قال الشاعر:

وقلما أبصرت عينك من رجل إلا ومعناه إن فكّرت في لقبه^(١)

ويرى الفقهاء في استعمال الألقاب المستحسنة والمستحبة الجواز، بخلاف استعمال النبز والألقاب القبيحة^(٢)، وكان لحبر الأمة عبد الله بن عباس كنيّ متعددة، كما له ألقاب عديدة.

فمن كناه: (ابن عباس) وهي التي اشتهر بها، حتى طفت على باقي كناه والقباه، بل وحتى على اسمه، فكاد أن لا يعرف إلا بها، وقد اقتصت به، فلا يعرف بها عند اطلاقها غيره حتى من أخوته على كثرتهم إلا بقرينة حالية أو مقالية. قال ابن الأثير: «خلبت عليه بنوة أبيه - ابن عباس - دون باقي أخوته»^(٣).

وبتلك الكنية كان يعرّ عنه الرواة وأهل الحديث في كتب التفسير والسنة غالباً، وحتى كتب الأدب واللغة والتاريخ، بخلاف كنيته الأخرى (أبو العباس) إذ وكان له ولد اسمه العباس ويلقب بالأعتق، وكان أكبر ولده^(٤) وإن لم يكن أشهرهم ولا أفضلهم.

(١) لطائف المعارف للشمسي / ٤٥.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٣٠.

(٣) المرصع / ٢٤٨.

(٤) جاء في تاريخ الخلفاء طه موسكو سنة ١٩٦٧ سلسلة الآثار الشرقية: وكان العباس بن عبد الله أكبر أولاده، وبه كان يكنى ولا عقب له وقارن طبقات ابن سعد ١١١/١ من الطبقة

وكتبته بأبي العباس، كانت شائعة الاستعمال، فقد وردت في جملة من الآثار دعاه بها سيد أهله الإمام أمير المؤمنين كما في قوله: (يا أبا عباس إذا صليت العشاء الآخرة فالحقني إلى الجنة...) (١)، ودعاه الناس أيضاً بها.

فمن مجاهد قال: ((كان ابن عباس لا يدري ما فاطر السموات؟ حتى جاءه اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: يا أبا عباس بئري وأنا فطرتها؟ فقال: خذها يا مجاهد، فاطر السموات)) (٢).

وفي حديث خالد بن المهاجر بن خالد المخزومي أخبر: أنه بينما هو جالس عند ابن عباس جاءه رجل، فاستفتاه في المتعة، فأمره ابن عباس بها، فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري: مهلاً يا أبا عباس، فقال ابن عباس: ما هي والله لقد فعل - نكاح المتعة - في عهد إمام المتقين (٣).

وخاطبه بها عمر بن الخطاب حين قال له: ((يا أبا عباس قد طرأت علينا أفضية عضل فأنت لها ولأمثالها)) (٤).

وخاطبه بذلك معاوية في حديثه معه بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام فقال له: ((آجرك الله أبا عباس في أبي محمد الحسن بن علي)) (٥).

الخامسة تح. محمد صامل السلمي، وفي الرياض النضرة ٢٨٠/٧ في ترجمة الزبير، إن العباس هذا خلف علي هند بنت الزبير فأولدها مولداً.

(١) سعد السعود لابن طاووس / ٢٨٥.

(٢) الكنى والاسماء للدولابي ٨٢/١ ط. حيدرآباد سنة ١٣٢٢.

(٣) المعرفة والتاريخ ٣٧٣/١ وسياقي الحديث عن فتياه في المتعة في فقهه.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل برقم ١٩١٣ ط. مؤسسة الرسالة ١٤٠٣.

(٥) البيان والتبيين ٧١/٤ تح. هارون، وسياقي ذكر ما جرى في ذلك المجلس في محاوراته واحتجاجاته.

وفي حديث آخر له فقال: ((يا أبا العباس هل تكون لكم دولة؟))^(١).
 كما سيأتي في حديث خروج الحسين من مكة إلى العراق ومماتة ابن
 عباس في ذلك قال له الحسين: ((أبا العباس إنك شيخ قد كُتبت))^(٢)، وفي حديث
 أبي الزبير عن طاووس قال: ((... فقلت: يا أبا عباس))^(٣).
 أما ألقابه فكثيرة تتفاوت ظهوراً وخفاءً في شياخ الاستعمال وعدمه، ولعل
 أشهرها هو لقبه (حبر الأمة) اللقب الذي كان يلقبه به جماعة من الصحابة
 والتابعين، أمثال أبي بن كعب وهو أحد أصحاب القراءات، ومحمد بن الحنفية
 التاهمي الجليل، وأبي نجيع أحد علماء التابعين ورواتهم ومن تلاميذ ابن عباس،
 وغيرهم.

وربما كان سبب شهرته ما أضفي عليه من قداسته، حيث روى البلاذري
 في كتابه أنساب الأشراف في أول ترجمته (عبد الله بن عباس) رواية عن ولادته
 في الشعب ومباركة النبي ﷺ له عندما أتاه عمه العباس بوليدته، وأنه قال: (يا عم
 هذا عن قليل (حبر أمتي) وفتيها والمؤدي لتأويل التنزيل)^(٤)، وسواء صححت
 هذه الرواية أم لا فإن معناها قد حصل وكان ابن عباس (حبر الأمة) وفتيها
 والمؤدي لتأويل التنزيل.

(١) المعرفة والتاريخ ١/٥٣٥، والبداية والنهاية ١/٢٤٥ و ١٠/٥٠، وسناتي ذكر ما جرى في صفحات احتجاجاته.

(٢) طبقات ابن سعد (ترجمة الحسين ﷺ) تح الطباطبائي ط مؤسسة آل البيت وص ٤٥٠ (ترجمة الحسين ﷺ) الطبقة الخامسة من الصحابة تح محمد صامل المسلمي ط الأولى سنة ١٤١٤ هـ.

(٣) الكنى والأسماء للدولابي ١/٨٧.

(٤) الانساب نسخة مصورة بمكتبة الإمام أمير المؤمنين ﷺ العامة في النجف ومنها مخطوطة بمكتبتي.

ومن ألقابه: (حبر العرب) ويقال: إن أول من لقبه به هو جرجير ملك المغرب بأفريقية، وسيأتي تفصيل ذلك في حضور الحبر غزاة أفريقية. وقد جرى عليه هذا اللقب حتى كان أخص تلامذته يعبر به عنه أحياناً. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير قال: ((سألني يهودي من الحيرة أي الأجلين قضى موسى ﷺ؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل))^(١). وقال الجاحظ: ((وكان يُسمَى البحر وحبر قريش))^(٢).

وقد اختلف اللغويون في ضبط (الحبر) فقال بعضهم: بالكسر: حبر، وقال بعضهم: بالفتح: حبر، ومهما كان اختلافهم فانهم لا يختلفون في أنه الرجل العالم.

قال أبو عبيد: ((والذي عندي أنه الحبر: بالفتح، ومعناه العالم بتحير الكلام والملم وتحسينه، وقال: وهكذا يرويه المحدثون كلهم بالفتح))^(٣). ومن ألقابه (ترجمان القرآن) وهو أشرف ألقابه نسبة وأفضلها معنى، وثانيها شهرة، وإن صح ما رواه بعض المؤرخين من ((إن النبي ﷺ سماه به أيضاً يوم مولده في الشعب))^(٤) فإن ذلك يضيف عليه نوعاً من القداسة، لأن تسمية الرسول ﷺ إن صح، لا تخلو من نبوة وفراصة.

(١) صحيح البخاري ١٨١/٣.

(٢) البيان والتبيين ٣٣١/١.

(٣) تاج العروس ١١٧/٣ (حبر).

(٤) أخرجه الديار بكرى في تاريخ الخميس ١٦٧/١ نقلاً عن الطائي.

ومهما كان نصيب الرواية من الصحة، فقد كان هذا اللقب لابن عباس معروفاً بين الصحابة امتدحه به غير واحد منهم: منهم الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يكثر من قول: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»^(١)، ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي كان يطره بقوله: «نعم ترجمان القرآن»^(٢)، «لو أدرك أسنانا ما عاشره منا أحد»^(٣) وفي لفظ ما عاشره منا أحد^(٤) وفسروه: أي ما بلغ علمنا معشار علمه. وسيأتي العديد من شواهد ذلك.

ومن ألقابه (البحر) كما مرّ عن الجاحظ قريباً، وقال الصفدي: «وكان يسمى البحر لكثرة علومه»^(٥)، وقد ورد التعبير به في بعض الأحاديث، فهذا الحكم بن عمرو الغفاري يقول في حديث له: «ولكن أبا ذلك البحر، يريد به ابن عباس» كما في كتاب الذبائح آخر باب لحوم الحمر الانسية من صحيح البخاري^(٦).

وهذا جابر بن زيد يقول: «سألت البحر عن لحوم الحمر»^(٧)، وهذا مجاهد يقول: «كان عبد الله بن عباس يسمى البحر لكثرة علومه»^(٨)، وهذا عطاء كان يقول: «قال البحر كذا. يعني ابن عباس»^(٩).

(١) تاريخ بغداد ١/١٨٥.

(٢) الاستيعاب ٣/٩٣٥، وطبقات ابن سعد الطبقة الخامسة ١/١٤٨، تح محمد شامل المسلمي ومقدمة تفسير الطبري ١/٤٠ من عدة طرق، ومستترك الحاكم ٣/٥٣٧ وصححه.

(٣) مستترك الحاكم ٣/٥٣٧، والاصابة ترجمة ابن عباس.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/١٢٠، المعرفة والتاريخ ١/٤٩٥، صيون الأخبار لابن قتيبة ١/٢٢٩.

(٥) الواقي بالوفيات ١٧/١٢٢.

(٦) صحيح البخاري ٧/٩٦ ط مصر سنة ١٣١٤.

(٧) الاصابة ٤/١٤٨، تح الجاوي، والمعرفة والتاريخ ١/٤٩٦، وتاريخ بغداد ١/١٧٤.

(٨) نفس المصدر.

(٩) أنساب الأشراف (ترجمة ابن عباس) ١/٢٧١، مصور بمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة.

ومن ألقابه: (رباني الأمة)، قال الثعالبي: ((رباني الأمة: هو عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب كان يقال له: رباني الأمة، وحبها، وترجمان القرآن))^(١)، وقد سماه بذلك كل من محمد بن الحنفية وعمرو بن دينار^(٢).

والآن فقد رأينا مداليل ألقابه كلها مشعرة برفعة المسمى وسموه فكان أولها أشهرها وآخرها أشرفها، فإن معنى الرباني هو المتأله العارف بالله تعالى كما عن الثعالبي والقيروزآبادي، وشديد التمسك بدين الله وطاعته، كما في الكشف وغيره، أو هو الذي يرعى أمور الناس بتدييره واصلاحه، كما ذكره الطبرسي، وقال ثعلب: إنما قيل للفقهاء الربانيون، لأنهم يرعون العلم أي يقومونه^(٣).

ابن عباس في خلقه وخلقه:

ما دامت صفات الإنسان - الخلقية والخلقية - فيها دلالة على تمامية التعريف، فلا بد لنا إذن من الإمام بشيء من صفات الحبر ابن عباس ﷺ بما تيسر لنا من معرفته، فإنها تحكي لنا بعض مميزاته وخصائصه، وقد قال ابن عباس ﷺ: ((الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق، ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين، فأتقاهم أحسنهم يقيناً، وأزكاهم عملاً، وأرفعهم درجة))^(٤).

(١) ثمار القلوب / ١١٣.

(٢) ستجد هذه الكلمات منسوبة إلى مصادرهما فيما يأتي بعنوان - جمل الثناء والإطراء.

(٣) ثمار القلوب / ١١٣، وتفسير الكشافه ومجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ((كُونُوا رَبَّانِيَ))

آل عمران ٧٩، والقاموس (ريب).

(٤) المحاسن والأضداد للجاحظ / ١١٣، والمحاسن والمساوي للبيهقي / ١ / ٧٦.

وقد حاز ابن عباس تلك المفاخر الدنيوية في شرفه الرفيع وبيته المنيع، كما حاز الإمارة وأوتي من الغنى فضلاً كثيراً، وكل ذلك ستقرأه في سيرة حياته .

أما الجمال والهيئة والمنطق فقد كان ابن عباس رضي الله عنه - كما يصفه المؤرخون- : أيضاً مشرباً بشقرة أو بصفرة^(١) جسيماً، يأخذ مقعد رجلين إذا جلس^(٢) وسيماً، صبيح الوجه، طلق المحيا، فائق الحسن، له وفرة، يخضب بالحناء، إذ كان يصفر لحيته، وقيل يخضبها بالسواد^(٣) حتى قال مسروق عنه: «أجمل الناس وأفصحهم»^(٤)، وقال عطاء: «ما رأيت البدر إلا ذكرت وجه ابن عباس لحسنه وجماله وبهائه»^(٥)، وشهد له عمر بأنه أصبح الفتيان وجهاً^(٦)، وقال أبو إسحاق: «رأيت ابن عباس رجلاً جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جملة»^(٧)، وكان طويلاً والطول من كمال الجسم وجمال البسطة فيه، قال المبرد: «والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر»^(٨)، وكان الطول في بني هاشم صفة غالبية، حتى لقد

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٦/٨، ولما عمي اخترى لونه صفرة يسيرة أه ولا ضاربة في ذلك لأنه عمي وهو في سن الشيخوخة ولكن من القريب ما ذكره الجاحظ في رسالته: فخر السودان على البيضان (الرسالة الرابعة من مجموع رسائل الجاحظ / ٢٠٩ تح عبد السلام محمد هارون) إن ابن عباس رضي الله عنه كان أدلم ضخماً، والأدلم: الشديد السواد. وهذا مما انفرد به أبو عثمان الجاحظ فيما أعلم، كما انفرد في قوله، وكان وفد عبد المطلب المشرة السادة دُلماً ضخماً ؟ وفي قوله: وآل أبي طالب أشرف الخلق، وهم سود وأدم ودُلْم؟

(٢) البداية والنهاية ٣٠٦/٨.

(٣) ولا منافاة بين القولين، وربما كان يفعل هذا مرة وذلك أخرى، وكل راوٍ حدث بما رأى. الاصابة ٩١/٤.

(٤) الاصابة ٣٣٣/٢.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٣١/٣.

(٦) البداية والنهاية ٢٩٩/٨.

(٧) أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه كما في الاصابة ٩١/٤.

(٨) الكامل للمبرد ٩٢/١ تح أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته.

ورد في حديث ولادة الزهراء (عليها السلام): (إن أمها خديجة لما أحست بالطلق فأرسلت إلى نساء من قريش فأبين الحضور وقلن لها أنتِ صبيتنا وتزوجت يتيم أبي طالب، قالت: دخلت عليّ أربع نسوة سمر طوال كأنهنّ من نساء بني هاشم)^(١).

وفيما حدثت به تلك المعجزة التي رأت عليّ بن عبد الله بن عباس يطوف وقد فرغ الناس كأنه راكب وهم مشاة، فقالت: من هذا الذي فرغ الناس؟ فأعلمت، فقالت: لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسقاط أبيض^(٢). ويروى أن عليّاً كان إلى منكب عبد الله، وعبد الله إلى منكب العباس، والعباس إلى منكب عبد المطلب^(٣).

وقد ذكر المبرد جماعة كانوا من مقبلي الظعن لطولهم، فقد بذوا الناس طولاً وجمالاً، وكان أحدهم يسمه أن يقبل المرأة في هودجها لطلوله وعد منهم العباس وابنه عبد الله^(٤).

ووصفه عليّ بن أبي طلحة قال: ((كان عبد الله بن عباس مديد القامة، جيد الهامة، مستدير الوجه جميله أبيضه، وليس بالمفرط البياض سبط اللحية، في أنفه قنا، معتدل الجسم، وكان أحسن عينا قيل أن يكفّ بصره، وكفّ قبل موته بست سنين أو نحوها))^(٥).

(١) بحار الأنوار ٣/٤٣ ط الاسلامية أمالي الصدوق ٥٣٧ ط الحيدرية ومصباح الأنوار (مخطوط).

(٢) المعارف لأبن قتيبة ٢٨٩ ط لندن وزيغ الأبرار للزمخشري باب الخلق وصفاتها الرضوية ونسخة الأوقاف ببغداد وفي المطبوع ٨٤٨/١، وكامل المبرد ٩٣/١، والأملق النقيصة ٢٢٥، ولطائف المعارف ١١٢.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الكامل للمبرد ١١٧/٢.

(٥) انساب الأشراف (ترجمة ابن عباس) برقم ١٢٤ نسخة مخطوطة بقلم.

وكانت له عناية خاصة بمظهره، فهو في ترين جسمه يعنى بالخضاب حين تبدئى الشيب في كريمته، فكان يخضب بالسواد^(١)، وبالحناء^(٢)، وثالثة يصفر لحيته^(٣)، وأظنه إنما فعل ذلك لما أثر عنه في ذلك من الحديث: (من أن النبي ﷺ مرّ عليه رجل قد خضب بالحناء فقال: ما أحسن هذا. ثم مرّ عليه آخر وقد خضب بالحناء والكتم فقال: ما أحسن هذا. ثم مرّ عليه آخر وقد خضب بالصفرة فقال: هذا أحسن من هذا كله)^(٤).

ويعنى بالطيب حتى قال عكرمة مولاة: ((كان يطلي جسده بالمسك))^(٥)، حتى رآه بعضهم وقد أحرم والغالية على طلعت كأنها الربّ^(٦). وقالوا: أنه إذا مرّ في الطريق قلن النساء على الحيطان أمرّ ابن عباس أم مرّ المسك^(٧)، وفي لفظ: ((قال الناس: لطيمة مسك أو ابن عباس))^(٨).

وهو في ملبسه كان يُعنى ويتأق حتى كان يلبس الرداء وقيمته ألف^(٩)، وقالوا: كان يلبس المطرف الخز المنصوب الحوافي بمزالف^(١٠)، وبأخذه

(١) ذخائر العقبى / ٢٢٧.

(٢) سير اعلام النبلاء / ٤٤٢/٤.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي / ٢٧٥/١ ط المئبرية بمصر.

(٤) المعجم الكبير للطبراني / ٢٠/١١ برقم ١٠٩٢٢، وأبو داود في سننه برقم / ٤١٩٣، وابن ماجه في سننه برقم / ٣٦٢٧.

(٥) هيون الأخبار لأبن قتيبة / ٣٠٤/١.

(٦) نفس المصدر / ٣٠٣/١.

(٧) نفس المصدر / ٣٠٤/١ وسير اعلام النبلاء للذهبي / ٤٤٢/٤.

(٨) غرر الخصال للوطواط / ٤٠.

(٩) هيون الأخبار لأبن قتيبة / ٢٩٨/١ وسير اعلام النبلاء / ٤٤٤/٤.

(١٠) المزالف المراقى.

بألف^(١)، وستأتي شواهد على ذلك في مستقبل تاريخه، وكان يلبس الخز ويكره المصمت^(٢) وهو ضرب من الثياب والحرير الخالص، وكان يلبس الأستبرق، فدخل عليه المسور بن مخرمة يوماً فأنكر عليه فقال ابن عباس^(٣): «إنما كره ذلك لمن يتكبر فيه، فلما خرج المسور قال: انزعوا هذا الثوب عني»^(٤).

وقال: «لبست مرة حلة فنظر إليّ الناس فقلت: ما تعيون عليّ؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن ما يكون من الحلل، ورأيت مرة لابساً جبّة مبطنة ومرة جبّة رومية ضيقة الكمين»^(٥).

ولقد رآه أبو الجويرية وعليه إزار إلى نصف ساقه أو فوق ذلك، وعليه قطيفة رومية وهو يصلي^(٥).

وحدث كريب مولاة قال: «رأيت ابن عباس يعتم بعمامة سوداء فيرخي شبراً بين كتفيه ومن بين يديه»^(٦).

وقال رجل لعطية: ما أضيق كمك؟ قال: كلما كان كمّ ابن عباس وابن عمر^(٧).

ومهما يكن نصيب هذه الروايات من الصحة، فإنها قد لا تخلو من مبالغة في الوصف، خصوصاً في مسألة الطول وإلا فيلزم أن يكون عبد المطلب^(٨) يناطح سقف البيت الحرام برأسه، وهذا ما لم يحدث به أحد، نعم أنه كان طويلاً مفرطاً فيه.

(١) مستدرک الحاكم ٥٤٥/٣.

(٢) سير اعلام النبلاء ٤٥٤/٤. وثوب مصمت لا يخالفه لونه لئلا يتنجس من الأبريسم الضريف.

(٣) كشف الغمّة للشمراني ١٩٥/١ ط مصر.

(٤) نفس المصدر ١٩٦/١ ط مصر، باب ما يحل ويحرم من اللباس.

(٥) سير اعلام النبلاء ٤٥٤/٤.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

وما أبعد هذا كله مما رواه المقدسي في كتابه: «إن العباس كان قصيراً»^(١)، ولعل مراده: كان قصيراً بالنسبة إلى أبيه حيث كان إلى منكبهِ كما تقدم، وفات المقدسي التتية على ذلك.

وعلى أيّ فأن صفات الحبر ابن عباس ؓ الجسمية كانت موروثه عن آباءه فجلهم كان موصوفاً بالجمال والكمال لأنهم على حدّ ما جاء في الحديث الشريف المروي عن النبي ﷺ أنه قال: (من أتاه الله وجهاً حسناً، واسماً حسناً، وجعله في موضع غير شائن له من الحساب، فهو من من صفوة خلقه)^(٢)، ولا شك أن بني هاشم هم الصفوة كما مرت الإشارة إلى ذلك ويأتي فابن عباس ؓ من سادات بني هاشم وقد حاز تلك الصفات الثلاث على النحو التالي:

فأما الوجه الحسن: فقد كان جميلاً مشرقاً حتى قال عطاء بن يسار: «ما رأيت البدر إلا ذكرت وجه ابن عباس ؓ لحسنه وجماله وبهائه»^(٣).

وأما الأسم الحسن: فقد كان اسمه عبد الله، والذي سماه بذلك هو رسول الله ﷺ كما مرّ في حديث ولادته، والعبودية لله منتهى الفخر والشرف حتى قدّمت على الرسالة كما في ذكر التشهد في الصلاة وغيره.

وأما حسبه: فقد كان في موضع من الشرف لا يضاهيه فيه إلا من كان يماثله من أسرته. وناهيك به أنه من بني هاشم الذين اختارهم الله من خلقه كما قال رسول الله ﷺ: (خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد

(١) التبدء والتاريخ ١٠٥/٥ ط أوربا، وقد نسب إلى أبي سهل البلخي وهو للمقدسي.

(٢) ربيع الأبرار (مخطوط) باب الخلق وصفاتها نسخة الرضوية والأوقاف ببغداد ٨٥٠/١ ط بغداد.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/٣١، والبداية والنهاية ٨/٣٠٦، وخلاصة تهذيب الكمال ٢٠٢/٢٠٢، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي وغيرها.

مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب. والله ما أفرق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنتُ في خيرهما^(١)، إذن فهو من صفوة خيار خلق الله سبحانه.

ولنعم ما قال الشيخ شمس الدين الأندلسي:

لقريش على الأنام فخار وبنو هاشم فخار الفخار^(٢)

وزاد عليها غيره وأجاد وفيه لزوم ما لا يلزم:

فبالمصطفى قد علوا أحمدا فكان الفقار لأسنى الفخار

وبالمرتضى شيدوا فخرهم بصارمه ذي الفقار الفخار

وحاز الفخار لهم عصبة أئمة حق رؤوس الفخار

فمن ذا يوازي لهم أحمدا ومن ذا يسامي لهم بالفخار

ما عن بقية مكارم الأخلاق فهي كثيرة، ولكن أصولها عشرة جمعها الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام فيما نسب إليه من الشعر، فقال:

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها والوجود خامسها والفضل سادسها^(٣)

والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين باقياها^(٤)

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي ٩٣/١ تحدّد. محمد خليل هراس.

(٢) أنظر ذيل التبر المصبوك / ٢٥٠.

(٣) المراد سادسها، ولكن للضرورة الشعرية قال سادسها.

(٤) ديوان عمدة المطالب لدينا علي بن أبي طالب عليه السلام ص ١٢٨ ط بمبيد سنة ١٣٥٧. وأدب

الدين والدين / ١١ ط دار إحياء التراث العربي والمستطرف / ١٥/١. وجاء في تهذيب

تاريخ دمشق ٣٥٧/٤، ذكر ابن إسحاق صاحب المغازي أنه قال ذكر الزاهد هند أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والبر ثانيها

قال الحافظ. يعني ابن عساکر. فنكر لصيغة هند أبياتها لثان وسبعون بيتاً، وقال

ابن بدران مذهب التاريخ، لم يذكر منها في الأصل سوى هذا البيت.

وعلى ضوء هذه المكارم العشرة المطهرة إذا أردنا أن نبحث عن صفات الحبر ابن عباس رضي الله عنه ومكارم أخلاقه، فإننا نجد أن نصيبه منها هو الحظ الأوفر. ولما كان ذكر الشواهد عليها استباق لما يأتي في غضون سيرته، فسكنفي هنا بإيراد طائفة من أقواله، فهي تحكي عن غرّ أفعاله، فإن المرء مخبوءٌ تحت طيِّ لسانه لا طيلسانه، وكما قال الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنه (المرء مخبوءٌ تحت لسانه)^(١).

١- أما عن العقل: فقد قال رضي الله عنه: ((أساس الدين بني على العقل، وفرضت الفرائض على العقل، وربنا يُعرف بالعقل، ويتوسل إليه بالعقل، والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل، ولمثال ذرة من برّ العاقل أفضل من جهاد الجاهل ألف عام))^(٢).

وقال: ((مجالسة العقلاء تزيد الشرف))^(٣).

وقال: ((مجامعة العاقل في الغل والوثاق، خير من مجامعة الجاهل على السندس والاستيرق))^(٤).

٢- وأما عن الدين: فقد قال رضي الله عنه: ((ملك أمركم الدين، وزيتكم العلم، وحصون أراضكم الأدب، وعزكم الحلم، وحليتكم الوفاء))^(٥).

وقال وهو يوصي بعضهم: ((عليك بالفرائض وما وُظف الله تعالى عليك من حقه، وأستعن بالله على ذلك، فإنه لا يعلم من عبدٍ صدقٌ تيةً وحرصاً فيما عنده من حسن ثوابه إلا أخره عما يكره، وهو الملك يصنع ما يشاء))^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ١٨٩/٣ الحكمة ١٤٨.

(٢) روضة الواسطين / ٩.

(٣) سراج الملوك للطبرطوشي / ١٣٥.

(٤) حرر الخصائص الواضحة للوطواط / ٩٥ ط سنة ١٢٩٩ هـ بمصر، مشكاة الأدب ١/٩١٤.

(٥) مجمع الأمثال ٢/٤٥٥ تص. محي الدين ط دار الفكر، جمهرة خطب العرب ١/٣٧١.

(٦) حلية الأولياء ١/٣٣٦.

وقال: ((لا يقبل الله صلاة أمريء وفي جوفه حرام))^(١).

وقال: ((عهدت الناس وأهواءهم تبع لأديانهم، وإن الناس اليوم أديانهم تبع لأهوائهم))^(٢).

وقال: ((المروء أن تحقق التوحيد، وتركب المنهج السديد، وتستدعي من الله المزيد))^(٣).

وقال: ((لأن أرقع ثوباً فألبسه فيرفعني عند الخالق، أحب إلي من أن ألبس ثياباً تصعني عند الخالق وترفعني عند المخلوقين))^(٤).

وقال: ((وأعمل عمل من يعلم أنه مجزي بالحسنات مأخوذ بالسيئات))^(٥).

وستأتي شواهد كثيرة عن إيمانه وورعه وتقواه وزهده في فصول سيرته.

٣- وأما عن العلم: فقد قال رحمه الله: ((العلم كثير فأرعوا أحسنه أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ قَبَسْرُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾^(٦))^(٧).

وقال: ((العلم أكثر من أن يحاط به. وفي لفظ: يحصى، وفي ثالث: يؤتى على آخره، فخذوا من كل شيء أحسنه))^(٨).

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ٢٢/١، منهاج العابدين للغزالي ٣٥/ ط سنة ١٣٣٧ هـ بمصر.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري (مخطوط) باب الشر والفجور نسخة الرضوية ٤٩٤/٢ ط الأوقاف ببغداد، والمستطرف ١٥٥/١.

(٣) محاضرات الراقب ١٤٥/١.

(٤) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ١٨٧.

(٥) مجمع الأمثال ٤٥٥/٢.

(٦) الزمر ١٧-١٨.

(٧) محاضرات الراقب ٢٢/١.

(٨) الكهف ٦٦.

- وقال: «لو كان أحد مكثراً من العلم لأكفى منه موسى على نبيتنا وعليه السلام ولما قال: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾»^(١).
- وقال: «معلم الخير يستغفر له ويشفع له كل شيء حتى الحيتان في البحر»^(٢).
- وقال: «مثل علم لا يظهره صاحبه كمثل كتز لا ينفق منه صاحبه»^(٣).
- وقال: «ما أوتي عالم علماً إلا وهو شاب»^(٤).
- وقال: «العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام»^(٥).
- وقال: «ذلت طالباً فعزيزت مطلوباً»^(٦).
- وقال: «ما سألتني رجل إلا عرفت أفتيه هو أم غير فتيه»^(٧).
- وقال: «تذاكر العلم بعض ليلة أحب الي من إحيائها»^(٨).
- ٤- وأما عن المعلم: فقد قال رحمه الله: «ثلاث من كنّ فيه فقد استحق ولاية الله: حلم أصيل يدفع به سفه السفية، وورع يمنع عن المعاصي، وحسن خلق يداري به الناس»^(٩).

(١) البيان والتبيين ٤٠٤/١ تحه هرون، وجامع بيان العلم ١٠٦/١، وأدب الدنيا والدين ٣٢/، والموسى ٢/١، ورسالة الأمل ٦٥/٦.

(٢) أدب الدنيا والدين ٥٩/.

(٣) جامع بيان العلم ٣٨/١.

(٤) نفس المصنوع ١٢٢/١.

(٥) منية المرید ١٣٣/.

(٦) تذكرة السامع للكناني ٥/.

(٧) جامع بيان العلم ١١٧/١، عقد الفريد ٣٦٤/١، عيون الأخبار لأبن قتيبة ١٢٢/١، ربيع الأبرار باب العلم والحكمة (مخطوط) نسخة الرضوية، و ٣٨٨/٣ ط الأوقاف ببغداد، تذكرة السامع ٩١/، منية المرید.

(٨) جامع بيان العلم ١١٥/٢.

(٩) ربيع الأبرار باب العلم والحكمة نسخة الرضوية مخطوطه جامع بيان العلم ٢٤/١.

(١٠) نزهة المجالس ١٧٥/١.

وقال في وصيته لبعض أصحابه: ((وعزكم الحلم))^(١).

وسياتي ما يدل على ذلك في اللين.

٥- وأما عن الجرد: فقد قال رحمه الله: ((لسادات الناس في الدنيا الأسخياء

وفي الآخرة الاتقياء))^(٢).

(١) مر تمام الوصية في الكلام عن اللين نقلاً عن مجمع الأمثال ٤٥٥/٢ تح محمد محي

الدين عبد الحميد.

(٢) أدب الدنيا والدين / ١٦١.

القول: لقد روى ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/٣٣٤ ط دار الكتب وهو قصة رواها ابن الكلبي قال: أخبرني خير واحد من قريش قالوا أراد عبد الله وصبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة، فدُعي القاسم ليقسم فلما مد الحبل قال له عبد الله أقم المظمر. يعني الحبل الذي يمد. فقال له صبيد الله: يا أخي الدار دارك لا يمد والله فيها اليوم مظمر. فهذه القصة لا أكاد أصدق صحتها. لأن الراوي لم يذكر من أبناء العباس إلا عبد الله وصبيد الله هاتين بقية أولاده وبناته وكلهم كان لهم حق في ميراثهم من أبيهم العباس ؟ فهل كانت دار العباس لهما فحسب لأنه خصهما بها ؟ أو أنها كانت لهم جميعاً ثم خلصت لهما ببيع أو هبة ؟ فكل ذلك لم يشر إليه حديث الراوي في قصته ولو صحت أمكن تخريج القصة على وجه صحيح بأن ابن عباس حبر الأمة لم يكن ليتسامح من حقه بمقدار ما زلغ منه القاسم في إقامة الحبل فحرصه إنما كان لإقامة الحق ؟ لا عن سجية بخل لم يعرف لها شاهد في سلوكه ولنا فيما ذكره عنه من أحاديث السخاء الكثيرة ما يفني ويقتني وحسب القارئ ما رواه صاحب الأغانى ١٥٧/١٠ مع التنصيص بمصر من مروره بمعن بن أوس المزني وقد كلف بصبره وقال له يا معن كيف حالك ؟ فقال ضعفت بصري وكثر عيالي وغلبنى الدين قال: وكم دينك ؟ قال: عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه، ثم مر به من الفد فقال له كيف أصبحت يا معن ؟ فقال:

أخذت بعين المال لما نهكته وبالدن حتى ما أكاد ادان
وحتى سألت القرض منه ذوي ود فلان حاجتي وفلان

فقال له عبد الله: بالله المستعان، إننا بعثنا إليك بالأمس لثمة فما لكنتها حتى انتزعت من يدك، فأى شيء للأهل والقرابة والجهرة ؟ وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى فقال:

وقال: «ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر»^(١).

وقال: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعد حجة، وأطبق بدائق أهديه إلى أخ لي في الله ﷻ أحب إلي من دينار أنفقته في سبيل الله ﷻ»^(٢).

وقال: «العاقل الكريم صديق كل أحد إلا من ضره، والجاهل اللثيم عدو كل أحد إلا من نفعه»^(٣).

وقال: «شر ما في الكريم أن يمنك خيره، وخير ما في اللثيم أن يكف عنك شره»^(٤).

٦- وأما عن الفضل: فقد قال رحمه الله: «تمام المعروف تمجيله وتصغيره وستره»^(٥).

فإنك فرع قريش وإنما	تمجّ الندى منها البحور الفوارج
ثوبوا قادة للناس بطحاء مكة	لهم وسقايات الحجريج الدوافع
فلما دُهِوا للموت لم تبتك منهم	على حادثات الدهر الصيون الدوامع

وسياتي في سخائه حديث صنته مع أبي أيوب الأنصاري وقد وفد عليه وهو بالبصرة أيام ولايته، وهو حديث معجب مطرب يدل على سخائه وأريحيته كما ستأتي أحاديث عن جوده وأنه كان يسمي معلم الجود لسخائه وحته على ذلك قولاً وفعلًا كما في محاضرات الراغب ٢٧٨/١.

وأنه أول من وضع موائد الطعام في الطرقات للناس ولم يكن يعود إلى ربه كما عن مشكوة الأدب ص ٩١٥.

(١) إحياء العلوم ١٧٢/٤

(٢) حلية الأوتياء ٣٢٨/١، وصفوة الصفوة ٣١٨/١.

(٣) أدب الدنيا والدين ٣١٢/.

(٤) نفس المصنوع ٣١٢/.

(٥) البداية والنهاية ٣٠٤/٨.

وقال: ((لا يزهديك في المعروف كافر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه، وإنني والله ما رأيت أحداً أسعفته في حاجته إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت أحداً رددته عن حاجته إلا أظلم ما بيني وبينه))^(١).

وقال: ((من كرم الرجل سلامه على من عرفه ومن لم يعرفه))^(٢).

وقال: ((صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد له متكاً))^(٣).

٧- وأما عن البر: فقد مرّ قريباً في الجود قوله: ((لأن أحوال أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحبّ إليّ من حجة بعد حجة، ولطبق بدائق أهديه إلى أخ لي في الله ﷻ أحبّ إليّ من دينار أنفقته في سبيل ﷻ)).

٨- وأما عن الصبر: فقد قال: ((أفضل العدة الصبر على الشدة))^(٤).

وقال: ((أستعينوا بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة على تمحيص الذنوب))^(٥).

وتُعيت إليه إبتته وهو في السفر في طريق مكة، فتزل عن دابته فصلى ركعتين ثم رفع يديه وقال: ((عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله))^(٦).

٩- وأما عن الشكر: فقد قال: ((الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلاق في السر والعلانية))^(٧).

(١) صيون الأخبار لأبن قتيبة ١٧٨/٣، رغبة الأمل ١٢٢/٢، عين الأدب والسياسة بهامش شرح الخصائص / ٢٥٩، ربيع الأبرار ٣٦٢/١ نسخة السماوي، المخلاة ٣٨/.

(٢) نزهة المجالس ١٨٣/١.

(٣) صيون الأخبار ١٧٥/٣، ومجمع الأمثال ٤٥٥/٢، ومحاضرات الراضب ٣١٠/١.

(٤) أدب الدنيا والدين ٢٥٩، وسراج الملوك ١٨١، والخلق الكامل ٧٨٩/٤، والكنز المنفون ٢٥.

(٥) طهارة القلوب بهامش نزهة المجالس ٥/٢.

(٦) ربيع الأبرار للزمخشري، باب الموت وما يتصل به، نسخة الرضوية ونسخة السماوي والعقد الفريد ١٢٨/٢، ومحاضرات الراضب ٢٢٨/٢.

(٧) منهاج العابدين للقرظي / ٧٨ مصر سنة ١٣٢٧ هـ.

وقال: «أربع من كنّ فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر»^(١).

وقال: «لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه»^(٢).

وقال: «لو أن فرعون مصر أسدى إليّ يداً سالحة لشكرته عليها»^(٣).

١٠- وأما عن اللين: فقد قال: «لم يمل إلى الغضب إلا من أعياء سلطان الحجة»^(٤).

وقال: «من لم تكن فيه ثلاث خصال فلا توافه: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يطرده به فحشه، وخلق يعيش به»^(٥).

وقال: «من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان منجوسياً، إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾»^(٦).

ومهما بلغ صعصعة في صدق تصويره، فلا يبلغ معرفة بابن عباس معرفته هو بنفسه، وسنختار من كلماته مثلثات أخرى على نمط مثلثات صعصعة كشف فيها جوانب نفسية لا يمكن لصعصعة ولا لغيره الإطلاع عليها، اللهم إلا بمض آثارها الخارجية بقوة الملاحظة ودوام المعاشرة.

(١) المحجة البيضاء ٢١٣/٥، احياء العلوم ١٠٣/٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المقدم الفريد لأبن قتيبة ١٤٠/١.

(٤) نهاية الإرب للنويري ٩٥/٦.

(٥) المجتبي لأبن دريد / ٦٤ ط حيدرآباد.

(٦) النساء / ٨٦.

(٧) المحجة البيضاء ٢١٣/٥، احياء علوم الدين ١٠٣/٣.

قال ابن عباس رضي الله عنه لرجل شتمه: «إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به، ومالي بها سائمة ولا راعية، وإني لآتي على آية من كتاب الله فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم»^(١).

وقال: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل أضربت قدماءه في المشي إلي إرادة التسليم عليّ، أما الرابع فلا يكافئه إلا الله تعالى قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليته مفكراً بمن ينزله، ثم رأني أهلاً لحاجته فأنزلها بي»^(٢).

وقال: «من لم تكن فيه ثلاث خصال فلا توافه: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يطرد به فحشه، وخلق يعيش به»^(٣).

وقال أيضاً: «ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقني عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فارض الله واسعه»^(٤).

وهو القائل: «للجيسي على ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له إذا جلس، وأصفي إليه إذا تحدث»^(٥).

(١) البداية والنهاية ٨/٣٠٠، والمعروفة والتاريخ ١/٥٢٦، ومجمع الطبراني ١٠/٢٦٦، ط الثانية بالموصل، ومجمع الزوائد ٩/٢٨٤، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) عيون الأخبار لأبن قتيبة ٣/١٧٦.

(٣) المجتبي لأبن دريد / ٦٤.

(٤) صفة الصفوة ١/٧٥٤.

(٥) عيون الأخبار لأبن قتيبة ١/٣٠٦، رغبة الأمل ٢/٢٠٥، ربيع الأبرار ١/ورقة ٢٠٠ نسخة السماوي ١/٢٩٤ طبع بغداد.

وهو القائل: ((أكرم الناس عليّ جليسي، وإن الذهب يقع على جليسي فيؤذيني، وإنني لأستحي من الرجل يطأ بساطي ثلاثاً فلا يُرى عليه أثر من بري))^(١).

وبهذه المثلثات الثلاث نكتفي عن الإطناب في سرد ما ورد في وصف أخلاقه، وسوف يصادفنا فيما نقرأ من فصول سيرته شواهد على ذلك كثيرة. وكيف لا يكون في حسن أخلاقه مثلاً أعلى وهو القائل: ((إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخلل العسل))^(٢).

وعن طاووس قال: ((كنا عند ابن عباس، قال: وكان سعيد بن جبير يكتب، قال: فقيل لابن عباس: إنهم يكتبون، قال: يكتبون؟ ثم قام، وكان حسن الخلق، قال: ولولا حسن خلقه لغير بأشد من القيام))^(٣). وأنا مهما شككت في صحة هذا الخبر ودلالته على المنع من التدوين - لأن ابن عباس كان ممن يرى تدوين الحديث وهو نفسه قد كان يحمل معه ألواحه ويجلس على باب الأنصاري ليسمع منه ويكتب عنه. كما سيأتي توثيق ذلك في تاريخه العلمي - فلا اشك في دلالته على حسن خلقه، ولولا حسن خلقه لغير بأشد من القيام على حد تعبير طاووس.

قال الجاحظ في رسالة نفي التشبيه: ((ولو لم يعرف ذلك إلا بعبد الله بن العباس وحده كان ذلك كافياً، وبرهاناً شافياً، فإن الأصحوبة فيه أرث على كل

(١) ربيع الأبرار ١/٢٨٩.

(٢) ربيع الأبرار ١/ ورقة ١٥٠ نسخة السماوي ٤٩/١ ط بغداد.

(٣) المعرفة والتاريخ ١/٥٢٧.

عجب وقطعت كل سبب، وقد رأيتم حاجة عمر إليه، وإستشارته إياه، وتقويمه لعثمان وتغييره عليه، ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحقاً، وبها مخصوصاً ما خصه الرسول ﷺ بالدعوة المستجابة، ولما خصه بعلم الكتاب والسنة، وهما أرفع العلم، وأشرف الفكر، وبذلك على تقديمه للغاية، وإيثاره للتعلم والاستبانة، قوله حين قيل له في حدائته وقبل البلوغ في سنه: ما الذي آتاك هذا العلم وهذا البيان والفهم؟ قال: قلب عقول ولسان سؤل^(١).

والخلاصة، لقد كان مثلاً لمحاسن الأخلاق وجميل الصفات، مع ما له من مزايا الفضل الأخرى من نفاذ بصيرة قلّ مثلها حتى شهد بأعجاب مربيه ومعلمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (له در ابن عباس ان كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق)^(٢)، وقد رويت كلمة الإمام هذه فيه بألفاظ متفاوتة أحسبها من تساهل نقل الرواة بعد تسالمهم على المعنى فقد رواها ابن عبد ربّه مرة أخرى في كتابه بلفظ: (له بلاء ابن عباس)^(٣)، ورواها الديري في علم القلوب: (كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيقة)^(٤)، ورواها الكتاني نقلاً عن الدينوري: (لينظر الي الغيب خلف ستر رقيق لعقله وخطاته)^(٥).

ومهما يكن فليس ذلك بضائر بعد الدلالة فيها على جودة الرأي ونفاذ البصيرة وكثرة الإصابة فكان كما قال الشاعر:

بصير بأعقاب الأمور يرأيه كأن له في اليوم عيناً على غد

(١) رسائل الجاحظ ١/٣٠٠ تح عبد السلام محمد هارون.

(٢) المقدم الفريد ٢/١٢٨ تح أحمد أمين وهبي.

(٣) نفس المصدر ٢/٣٤٦.

(٤) علم القلوب / ٢٤.

(٥) التراقيب الادبية ٢/٤١٤.

نشأة حبر الأمة:

نشأ عبد الله بين أحضان الفضيلة وحجور الكرامة، تحت رعاية أبيه العباس الذي كان يتولى سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وكلاهما من المآثر التي ورثها عن آبائه.

ومن الطبيعي أن يكون ابنه عبد الله أدرك في أيام طفولته ما كان يقوم به أبوه في سبيل هاتين المكرمتين. كما أنه من الطبيعي أدرك ما كان يدور في بيوت أهله من حديث الإسلام والمسلمين، ومثابرة الرسول الكريم ﷺ في سبيل دعوته، ومناوأة قريش له، لأن تلك هي الظاهرة التي تلفت النظر، ويظهر من شعر أم الفضل حين كانت ترقصه، أنها كانت تعقد عليه أملاً كبيراً في المستقبل، وتتوسم فيه أن يكون سيداً كأبائه فهي تقول:

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد فهراً وغير فهر
بالحسب العذّ وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر^(١)

وليس ثمة من تفصيل حول نشأته الأولى في مكة، لكن الذي لا شك فيه أنه أدرك في صباه ما كان يجري بمكة من خلال أحاديث أهل بيته، وما يقال في الإسلام والمسلمين، ولئن شككنا في إدراكه خروج أبيه العباس مع ابن عمه النبي ﷺ ليلة العقبة (الثانية) لتوكيد العهد على الأنصار، لصغر سنّه يومئذ إذ لم يتجاوز الثالثة من عمره - وإن كان أبوه كان يحدث عن ذكريات طفولته وهو في مثل ذلك السن، كما سيأتي في ترجمة حديثه عن مولد الرسول ﷺ - لكن الذي لا شك فيه أنه وعى في طفولته ما كان عليه المسلمون بمكة. بعد الهجرة.

(١) محمد بن حبيب الهاشمي في المنطق ٤٣٢ ط حيدرآباد، والقائي في الامالي ١١٨/٢، وابن ظفر في انباء نجباء الأبناء / ٧٩ ط الأولى بالتقدم بمصر.

من إستضعاف قريش لهم، رجالاً ونساءً وولداناً، وكان هو من الولدان الذين لحقهم الأذى حتى روي عنه بعد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١).

قال الرازي: ((المراد بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قوم من المسلمين بقوا بمكة وعجزوا عن الهجرة إلى المدينة، وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديداً))^(٢).

قال ابن عباس: ((كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان))، ونقل ذلك عنه جملة من المفسرين كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن^(٣). والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما. ورواه البخاري في صحيحه^(٤)، وغير. وهذا يعني أنه كان يعاني ربما من أبناء المشركين في مثل سنه من مضايقات وربما من آباؤهم أيضاً ما خلف ذلك أثراً في نفسه فحدث عنه، وسيأتي في ترجمة أمه ما يتصل بهذا.

وأيضاً ممّا لا شك فيه أنه وعى إخراج قريش لأبيه ولأبناء عمومته طالب وعقيل ونوفل - كرهاً وذلك في حرب بدر. كما وعى ما حدث بعد ذلك من أخبار عن أنتصار النبي ﷺ على قريش وأسر أبيه وعودته إلى مكة بعد وصول خبر الحرب إليها - وسيأتي طرف منه في ترجمة أمه لبابة، ومن القريب جداً أنه

(١) النساء / ٧٥.

(٢) تفسير الرازي ١٨٢/١٠ ط البهية بمصر ١٣٥٧ هـ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٩/٥.

(٤) صحيح البخاري (كتاب التفسير، سورة النساء) ٤٩/٦.

قد عرف باستعداد قريش لمحاربة النبي ﷺ انتقاماً لما أصابهم بهدر من القتل والأسر، وعرف بما كتب به أبوه إلى النبي ﷺ يخبره بذلك.

ولا شك أنه رأى بعض مظاهر قريش عند خروجهم إلى محاربة النبي ﷺ، ولا شك أنه حزن لما رأى ذلك، كما أنه ازداد حزناً حين جاء الخبر بانتصارهم في موقعة أحد ومقتل عمه الحمزة أسد الله وأسود رسوله، ومن الطبيعي كلما ازداد منه ازداد وعيه بمجريات الأحداث، فهو يسمع ما تتناقله الأخبار عن النبي ﷺ وغزواته، ويزداد ابتهاجاً بانتصاراته. فمن غزوة بني النضير إلى ذات الرقاع إلى بني المصطلق إلى غزوة الخندق التي كان نصرها المؤزر على يد بطلها المظفر هو ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولولاه لما قام للإسلام عمود ولا اختصر له حود وحسبه ما بلغه من قول النبي ﷺ: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله)، وقوله ﷺ: (ضربة على يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين) إلى غزوة بني قريظة إلى غزوة الحديبية، وأظن أنه كان يحلم عند سماعه الخبر برؤية ابن عمه نبي الهدى ﷺ وهو يدخل مكة معتمراً وكاد أن يتحقق ذلك لولا مهادنة قريش له على العام القادم. ولئن اضم لذلك فقد جاءه ما زاد غمه وهو خبر الحجاج بن علاط السلمي - وهذا هو زوج خالته عزة - الذي دخل مكة بعد غزوة خيبر فأشاع انتصار اليهود على المسلمين واستحث قريشاً على جمع ديونهم ليرجع عاجلاً فيشتري بعض الغنائم من اليهود. وسمع العباس الخبر وساءه كذلك، فأراد أن يستوثق من الحجاج بنفسه فلقبه وسأله، فاستكتمه إن هو أخبره بالصحيح، فضمن له ذلك فقال له: فاني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم. يعني صفية بنت حي بن أخطب. ولقد افتتح خير وانتشل ما فيها - أي

استخرج - وصارت له ولأصحابه. فأكرم عني فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب، ووفى العباس بشرطه.

ولمّا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلّق وأخذ عصاه ثم خرج فأتى الكعبة فطاف بها، فلمّا رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحرّ المصيبة، قال: كلا والله الذي حلفتكم به لقد افتتح خير وتُرك حروساً على ابنة ملكهم واحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، وهكذا تبدل الغم في الهاشميين جميعاً بل والمسلمين إلى فرح.

ومن الطبيعي أن يشهد ذلك كله حبر الأمة عبد الله بن عباس ويشاركهم أفراحهم، ولعل هذا آخر حداث أدركه ووعاه بمكة قبل هجرته مع أبيه إلى المدينة وإلى هنا تنهي حديثنا عن نشأته في مكة.

ولنبداً معه مسيرتنا في الحديث عنه من هجرته مع أبيه وأهل بيته، وذلك عام الفتح في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة وسوف نقرأ عنه بعض مشاهداته.

ولكن لا بد لنا قبل ذلك معرفة شيء من تاريخ أبيه. ما دام الولد سر أبيه وفتيم أمه.

وعامل الوراثة له في تكوين الشخصية أبلغ الأثر، فهو يورث الولد الخصائص الروحية كما يورثه الصفات الجسمية، وابن عباس قد ورث من أبيه الخصائص والخصال، فإلى معرفة الأبوين:

أولاً: أبوه - العباس بن عبد المطلب

ولادة العباس:

ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، فكان أسنّ من النبي ﷺ بثلاث سنين، وسئل مرة أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: «هو أكبر مني وأنا ولدت قبله»^(١)، وهذا من كمال الأدب وجميل القول، وفي لفظ آخر: «هو أكبر مني وأنا أسنّ منه، وإنني لأعقل انه قيل لأمي: إن آمنة ولدت غلاماً فخرجت بي حين أصبحت آخذة بيدي حتى دخلنا عليها، فكأنني أنظر إليه يمصح^(٢) برجليه في عرصة، وجعل النساء يجيذنني عليه، ويقفن قبل أخاك».

(١) مستدرک الحاکم ٣/٣٢٠، والمعرفة والتاریخ ١/٥٠٤، و تاریخ الخمیس للديار بكري ١/١٦٥، وأنساب الأشراف ١/٨٩، والدرجات الرفیعة ٧٩، والمحاسن والأضداد ١٧، والخبر في سير أعلام النبلاء ٢/٧١-٧٢.

(٢) يمصح: أي يحرّكهما، من مصعت الدابة بنتيها حرّكتها (المنجد).

أمه: نثيلة^(١) بنت جناب بن كلاب، وهي أول عريية كست البيت الحرام الحرير والديباج وأصناف الكسوة، والسبب فيه: أنّ العباس ضاع وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت، فوجدته فقلمت^(٢).

وقيل: أنّ الذي ضاع من أولادها هو ضرار إنها^(٣) فكاد عقلها أن يذهب جزعاً وولعت ولهاً شديداً، وكانت ذات يسار فنذرت ووفت بندرها^(٤).

وجاءت يوماً بابنها العباس إلى أبيه عبد المطلب وقالت له: يا أبا الحارث قل في هذا الغلام مقالة، فأخذه وجعل يرقصه ويقول:

قال البلاذري: قال عبد المطلب في ابنه العباس وكان به معجباً:
ظني بعباس بُنيّ إن كبر أن يمنع القومَ إذا ضاع الدبر
وينزع السُّجْل^(٥) ذا اليوم اقمطرُ وسقي الحاج إذا الحاج كثر
وينحر الكوماء^(٦) في اليوم الخصرُ ويفصل الخطبة في اليوم الأمرُ

(١) كذا اسمها في جل المعاجم والتواريخ، إلا أن ابن ظفر المكي ذكر في كتابه أبناء نجباء الأبناء/٥١، أن اسمها (ثبيلة)، ولعل ذلك من تصحيف النسخ وهي التي قالت لزوجها عبد المطلب لما دخل عليها عند هودقه من اليمن وقد صبغ شعره بالوسمة فكان مثل حنك القراب. يا هيب ما أحسن هذا الصبغ لودام نعل، فقال عبد المطلب:
لودام لي هذا السواد حمدته فكان بديلاً من هباب قد الصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة ولا بدّ من موت نثيلة أو هرم
وماذا الذي يجدي على المرء خفضه ونعمته يوماً إلا عرشه انهدم

(٢) أنساب الأشراف/١/٦٦)

(٣) لطائف المعارف / ١١.

(٤) أنساب الأشراف/١/٨٩.

(٥) الاستيعاب/٢/٤٨٥، نكت الهميان/١٧٥، ١٧٦.

(٦) السجل، الدلو العظيمة فيها ماء قلّ أو كثر، ونزع الدلو جنبها أو استقى بها (المنجد).

(٦) الكوماء: الناقة الضخمة السنم.

ويكسو الریط اليماني والأزر ويكشف الكرب إذا ما اليوم هرّ
أكمل من عبد كلال^(١) وحجر^(٢) لو جمعا لم يلفغا منه العشر^(٣)

وكان الزبير بن عبد المطلب يزفن - يرقص - العباس أخاه:
إن أخي العباس عفاً ذو كرم فيه عن العوراء إن قلت صمم
يرتاح للمجد ويوفي بالدم وينحر الكوماء في اليوم الشم^(٤)
أكرم بأعراقك من خال وعم^(٥)

نشأة العباس ﷺ ومكانته:

نشأ العباس في حجر أبيه عبد المطلب - سيد البطحاء - وتحت رعاية
أخوته، وقد ساد وهو غلام، وذلك حين ولته قريش في أيام الفجار حلوان النفر،
فإنها لم تملك عليها في الجاهلية أحداً، فإذا كانت الحرب أقرعوا بين أهل
الرياسة، فإذا حضرت الحرب أجلسوه لا يبالون صغيراً كان أو كبيراً، تيمناً به،
فلما كان أيام الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس بن عبد المطلب
وهو غلام صغير فأجلسوه على ترس - المجن -^(٦) وفيه يقول ضرار:
فتى قريش وفي البيت الرفيع بها واري الزناد إذا ما أصلد الناس^(٧)

(١) عبد كلال، من ملوك القباضة يقال: إنه كان على دين المسيح ﷺ.

(٢) حجر، ملك من ملوك كندة وهو والد الشاعر الملك الضليل امرئ القيس.

(٣) أصاب الأشراف ٨٩/١، وابن ظفر المكي في أنباء نجباء الأبناء ٥١/ بتفاوت في بعض

الأنفاضة وأخرج محمد بن حبيب في كتابه المنمق ٤٢٧/ الشطر الأول والرابع وأخرج

الآبيات الاصدري البيت الثالث والرابع بين مساكير في تاريخه كما في تهذيبه ٣٣٠/٧.

(٤) الشم، كمنر، البارد والمراد الشتاء إذا قل الطعام.

(٥) المنمق ٤٣٦/ لمحمد بن حبيب ط حيدرآباد.

(٦) العقد الفريد ٣/٣١٥.

(٧) طراز المجانس للشهاب الخفاجي ٢٢٣.

ولمّا سرق كفار قريش غزال الكعبة الذي استخرجه عبد المطلب من زمزم
 لمّا حضرها فوجد فيها سيوفاً قديمة والغزال من ذهب وعيناه من ياقوت فجعل
 ذلك للكعبة، فكسره اولئك الكفار واقتسموه، وشروا كل خمر بالأبطح، وقرطوا
 الشنف والقرطين لقيتين لهم تغنيهما فمكثوا شهراً أو أكثر يشربون، وقريش
 تطلب السراق فلا يدرون من هم؟

إلى أن مرّ العباس بن عبد المطلب وهو غلام شاب آخر النهار في حاجة له
 بدور بني سهم وقد لفظ القوم وثلّموا وهم يرفعون أصواتهم، فأصغى لهم فسمع
 بعضهم ينشد شعراً فيه ذكر الغزال، وغنّت القيتان بذلك الشعر، فأقبل العباس إلى
 أبي طالب فأخبره فأقبل ومعه جماعة حتى وقفوا عليهم، وسببه وقعت المنافرة
 بين المطيبين والاحلاف^(١).

وفي حديث جواره لقيس بن نشفة قبل الإسلام ما ينهى عن مكائته، وقد
 ذكر ذلك في شعره فقال:

جنال حقه وذمامه وأسعطت فيه الرغم من كان راغما
 سأنصره ما كنت حياً وإن أمت أحضّ عليه للتناصر هاشما
 وقد أشار ابن قيس بن نشفة إلى ذلك في أبيات قالها في مدح عبد الله بن
 عباس في الإسلام فقال:

أحبكم في الجاهلية والذي وفا الدين كنتم عدتى ورجائيا
 فصرت بحبى منكم غير مبعد لديكم وأصبحت الصديق المصافيا
 وآليت لا أنفك أحدو قصيدة تدور بها بزل الجمال الهواديا^(٢)

(١) انظر تفصيل ذلك في المنطق لمحمد بن حبيب / ٥٤ - ٦٧.

(٢) المنطق لمحمد بن حبيب / ١٦٤ - ١٦٥، وبيع الأبرار للزمخشري باب الأنفة والحمية
 (مخطوطة الرضوية).

صفة العباس خلقاً وخلقاً:

وصفه مؤرخوه بأنه كان أبيض جميلاً بضاً طويلاً، له ظفيران، معتدل القامة، حسن الوجه، كاملاً جواداً مطعماً وصولاً للرحم، ذا رأي حسن ودعوة مرجوة^(١).

قال ابن الأثير: «ذو الرأي هو العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، كان يضرب به المثل في سداد الرأي»^(٢).

وقال الجاحظ: «ويقال انه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس»^(٣)، وذكر أيضاً نقلاً عن الكلبي انه قال: «كانت قريش تعد أهل الجزالة في الرأي العباس بن عبد المطلب»^(٤).

وكان يقال له: ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم، ومقطرة^(٥) لجاهلهم وفي ذلك يقول إبراهيم بن علي بن هرمة:

وكانت لعباس ثلاث نعلها إذا ما جناب الحي أصبح أشهباً
فلسلة تنهي الظلوم وجفنة تباح فيكسوها السنام المزهباً
وحلة عصب ما تزال معدة لعاري ضريك^(٦) ثوبه قد تهبياً^(٧)

(١) تهذيب التهذيب ١٣٣/٥، نكت الهميان ١٧٦، الاستيعاب ٤٨٦/٢.

(٢) المرصع ١٨٩ تح د إبراهيم السامرائي.

(٣) البيان والتبيين ٣٣١/١.

(٤) نفس المصدر ٢٦٣/٢.

(٥) المقطرة، خضبة فيها خروق، كل خرق على قدر سعة الساق، يدخل فيها أرجل المحبوسين.

(٦) الضريك، الضرير، وهو أيضاً الفقير الجائع. قال في لسان العرب الفقير اليابس الهالك سوء حال. ٣٤٨/١٢، ما أفست من بولاق.

(٧) ابن قتيبة عيون الأخبار ٣٤٢/١، تهذيب تاريخ ابن عساکر ٣٣١/٧.

فكان يمنع الجار، ويحمي الدمار، ويذل المال، ويعطي في النوائب.
وكانت قريش تعدّه من صبيتي العرب، كان ينادي غلمانه من سلح - جبل
وسط المدينة - وهم بالغابة - مكان على ثمانية أميال من المدينة - وذلك آخر
الليل فيسمعونه^(١) ولقد أتهم غارة فصاح: يا صباحاه، فأسقطت الحوامل لشدة
صوته^(٢).

قال الزمخشري وغيره: إنه كان أجهر الناس صوتاً، كان يزجر السباع عن
الغنم، فيفتق مرارة الأسد في جوفه، وفيه يقول النابغة الجعدي:
زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يخططن بالغنم^(٣)

وظائفه قبل الإسلام:

وكانت إليه عمارة المسجد الحرام - وهي أن لا يدع أحداً يستب في
المسجد الحرام ولا يقول فيه هجراً ويحمل الناس على عمارته بالخير، فلا

(١) ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/١٨٦، الزمخشري في ربيع الأبرار باب الأصوات والألحان
(مخطوط بمكتبة الإمام الرضا عليه السلام بخراسان برقم ٤٣٤٨) والدرجات الرهيمية / ٧٩،
ومعجم البلدان (سلح) وفيات الأعيان ٣/٢٧٧، والحازمي فيما اتفق لفظه واقترب مسماه
في أول حرف الغين في باب عانة وغابة.

(٢) ربيع الأبرار ٣/٥٧٣ ط الأوقاف ببغداد، وقاربع ابن خلكان ٣/٢٧٧ تح احسان عباس.
(٣) الدرجات الرهيمية / ٧٩، وكامل المبرد / ١٦٥، وريع الأبرار للزمخشري باب الأصوات
والألحان مخطوطة الرضوية وسلح بعضهم كيف لم تتفق مرائر الغنم ؟ فقال، لأنها
كانت الفت صوته. وبيت النابغة الجعدي من قصيدة موجودة في شعره / ١٤٨-١٥٩ جمع
عبد العزيز رباح ولم يذكر أنه قائمها في العباس، كما ان ما ذكره من مصادر تخريج أبيات
القصيدة خلو من ذلك، فعمل قول الزمخشري ومن تبعه، وفيه يقول النابغة ... يعني في
زجر السباع وتفتق مرائرهما. وقد قال ابن الأثير في المرصع / ٢٤١، أبو عروة السباع
جاهلي يضرب به المثل في شدة الصوت يزعمون أنه كان يصيح في السبع فيموت، فيشق
من فؤاده فيجدونه قد زال عن مكانه، وفيه يقول النابغة الجعدي، فنذكر البيت.

يستطيع أحدًا مخالفته، لأن قريشاً تعاقبوا على نصرته في ذلك، فكانوا له أحوالاً على وظيفته-^(١).

كما كانت إليه سقاية الحاج بعد أن كانت لأبي طالب.

وقد كانت السقاية قبل الإسلام وتشمل الرقادة أيضاً- وهي اطعام الحاج-

إلى هاشم بن عبد مناف، وفيه يقول الشاعر:

عمرو العلي هشم الشريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

وبعده صارت رقادة وسقاية الحاج أيام الموسم لشيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم، وبعده صارت بيد ابنه شيخ الأباطح أبي طالب، ومنه انتقلت لأخيه العباس، لسبب رواه البلاذري وابن سلام وغيرهما: وهو أن أبا طالب كان يستدين لسقاية الحاج متى أحوزه الحال، فقال لأخيه العباس - وكان امرؤاً تاجراً أيسر بني هاشم وأكثرهم مالاً-: قد رأيت ما دخل عليّ وقد حضر الموسم ولا بد لهذه السقاية من أن تقام للحاج فأسلمني عشرة آلاف درهم، فأسلمه العباس إياها، فقام أبو طالب تلکم السنة بها وبما كان عنده.

فلما كانت السنة الثانية ووافى الموسم قال لأخيه العباس: يا أخي إن الموسم قد حضر ولا بد للسقاية من أن تقام فأسلمني أربعة عشر الف درهم، فقال: اني اسلفتك عام أول عشرة آلاف درهم ورجوت أن لا يأتي عليك الموسم حتى تؤديها فعمجزت عنها وأنت تطلب العام أكثر منها وترجو أن لا يأتي عليك الموسم حتى تؤديها، فأنت عنها أصجز اليوم، ها هنا أمر لك فيه فرج، أدفع

(١) انظر الإصابة في ترجمته وتهذيب الأسماء للنووي وأسد الغابة ٣ / ١٠٩. وتكت الهميان ١٣٦/ وغيرها.

إليك هذه الأربعة عشر ألف درهم فإن جاء الموسم من قابل ولم توفِ حقي الأول وهذا، فأمر الرفادة والسقاية إليّ دونك فأقوم بها وأكفيك هذه المؤنة إذ عجزت عنها.

فأجابه أبو طالب إلى ذلك^(١).

وروى ابن سلام: أن العباس قال: ((ليحضر هذا الأمر بنو فاطمة^(٢) ... ولا أريد سائر بني هاشم))، ففعل أبو طالب، وأسلفه العباس المال بمحضر منهم ورضى.

فلما كان الموسم الثالث من قابل لم يكن بد من إقامة الرفادة والسقاية، إزداد أبو طالب عجزاً وضعفاً، ولم تمكنه النفقة وأعدم حتى أخذ كل رجل من بني هاشم ولداً من أولاده يحمل عنه مؤنته. فقال العباس لأخيه أبي طالب: قد أفد الحج وليس إلى دفع حقي من وجه، وانت لا تقدر أن تقيم^(٣).

قال البلاذري: ((فصارت الرفادة والسقاية إلى العباس، وأبرأ ابا طالب ممّا له عليه، وكان يأتيه الزبيب من كرم له بالطائف فينبذ في السقاية ... فقام بالرفادة والسقاية بعد العباس عبد الله بن عباس))^(٤).

وفي الدرجات الرفيعة: ((واليه - العباس - عمارة المسجد الحرام والسقاية بعد أبي طالب^(٥))).

(١) أنساب الأشراف / ١ / ٧٥.

(٢) يعني ولد الزبير وعبد الله فإنهما أهلكا أبي طالب لأمه وهي فاطمة بنت عمرو بن خالد المخزومية.

(٣) أنساب الأشراف / ١ / ٧٥.

(٤) نفس المصدر.

(٥) الدرجات الرفيعة / ٧٩.

وقال ابن سلام: «ولم تزل السقاية له ولأولاده إلى اليوم».

وفي حديث السقاية ما لا يخلو من نظر وذلك فيما رواه الأزرقى في أخبار مكة: قال: «فقام بأمر السقاية بعده - أي بعد عبد المطلب - العباس بن عبد المطلب فلم تزل في يده، وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زيبه إليها، وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب فيبذل ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم حتى ينقضي في الجاهلية وصدر الإسلام، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب والحجابه من عثمان بن طلحة، فقام العباس بن عبد المطلب فيسط يده وقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إجمع لنا الحجابه والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أعطيكُم ما فيه ولا ترزءون منه، فقام بين عضادتي باب الكعبة فقال: ألا إن كل دم أو مال أو مائة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة فإني قد أمضيتهما لأهلها على ما كانتا عليه في الجاهلية، فقبضها العباس فكانت في يده حتى توفي فولياها بعده عبد الله بن عباس رضي الله عنه فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبد المطلب، وكان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس: مالك ولها نحن أولى بها منك في الجاهلية والإسلام، وقد كان أبوك تكلم فيها فأقمت البيئته: طلحة بن عبيد الله وعامر بن ربيعة وأزهر بن عبد بن عوف ومحزمة بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها في الجاهلية بعد عبدالمطلب، وجدك أبو طالب في إبله في باديته بعرفة، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه العباس يوم الفتح دون بني عبد المطلب فعرف ذلك من حضر.

فكانت بيد عبد الله بن عباس بعد أبيه لا ينازعه فيها منازع، ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفي، فكانت بيد علي بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه وجده يأتيه الزبيب من ماله بالطائف، وينبذه حتى توفي، وكانت بيد ولده حتى الآن... اهـ))^(١).

فهذا الخبر ظاهر فيه الترفل للعباسيين، ولم أقف له عند خير الأزرقى، وسنده لا يخلو من نظر فإن فيه عثمان بن ساج وساج اسم جده فهو عثمان بن عمرو بن ساج، قال الأزدي: يتكلمون في حديثه، وقال العقيلي: ((لا يتابع في حديثه))^(٢). ورواية حديثه سعيد بن سالم ويكفي فيه قول البخاري: يرى الإرجاء، وقول القسوي: كان له رأي سوء وكان داعية يرضب عن حديثه، وقال المعجلي: كان يرى الإرجاء وليس بحجة. وعن ابن معين: كانوا يكرهونه إلى غير ذلك^(٣).

أقول: إن للمفسرين اختلاف في أن عمارة المسجد الحرام كانت وظيفة للعباس أو لا. وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿اجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤).

فقد روى الحاكم الحسكاني عن اسماعيل عن الشعبي قال: ((نزلت هذه الآية ... في علي والعباس))^(٥)، وكذلك السيوطي في تفسير الآية الكريمة^(٦)، وابن

(١) أخبار مكة ٦٥/١ ط. الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٢ هـ.

(٢) تهذيب التهذيب ١٤٥/٧.

(٣) نفس المصدر ٣٥/٤.

(٤) التوبة / ١٩.

(٥) شواهد التنزيل ٢٤٤/١.

(٦) الدر المنثور ٢١٨/٣، ولباب النقول / ١١٥.

المغازلي المالكي^(١)، وابن بطريق^(٢)، وابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق وابن جرير^(٣)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ وغيرهم رَوَوْا عن الشعبي وأنس والسدي ومحمد بن كعب القرظي قالوا: نزلت هذه الآية في العباس وعلي^{عليه السلام}.

وراجع أيضاً ابن كثير في تفسيره^(٤)، وابن الأثير في جامع الأصول^(٥)، والكنجي في كفاية الطالب^(٦)، وابن المغازلي في المناقب^(٧).

وثمة روايات تذكر أن الآية نزلت في العباس وشيبة وعلي^{عليه السلام} حيث اقتخر العباس بالسقاية وشيبة بن عثمان بحجابه البيت واحكما إلى علي^{عليه السلام} فقال: أنا هاجرت مع رسول الله ﷺ وجاهدت معه ... فأنزل الله تعالى الآية^(٨).

وحيث إن الآية صريحة في عمارة المسجد، ولم تكن لشيبة إنما كانت له حجابة البيت، فالظاهر أن ما سبق هو الأولى.

قال ابن رسته في كتابه: ((أول من سنَّ الطواف بالبيت سبعاً هو العباس ابن عبد المطلب ١٠ هـ))^(٩). ولم أقف على هذا عند غيره وهو أمر لا يخلو من نظر.

(١) مناقب المغازلي / ح ٣٢٤.

(٢) العمدة / ٩٨.

(٣) تفسير ابن جرير ١٠/٦٠.

(٤) نفس المصدر ٢/٢٤١.

(٥) جامع الأصول ٩/٤٧٧.

(٦) كفاية الطالب / ٣٣٧.

(٧) المناقب ٢/٣٢١ - ٣٢٢.

(٨) أنظر أسباب النزول للواحدي / ١٨٢، وتفسير الطبري والرازي.

(٩) الأعلام النفيسة / ١٩٨ لندن.

إسلام العباس:

اختلف المؤرخون في وقت إسلامه، فمن ابن عساكر عن عمرو بن عثمان أنه أسلم ليلة القار^(١).

وفي حديث الواقدي: أنه أسلم وأسلمت معه زوجته أم الفضل، وعلى هذا يكون إسلامه بمكة قبل الهجرة، لأن أم الفضل - زوجته - كانت أول امرأة أسلمت بعد السيدة خديجة أم المؤمنين، فهي ثانية المسلمات السابقات، وفي حديث أبي رافع مؤثر واضح على ذلك.

فإن أبا رافع كان مولى للعباس فوجهه للنبي ﷺ قال: «كنت غلاماً للعباس ابن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، فخرج معهم إلى بدر وهو على ذلك»^(٢).

وفي الاستيعاب: انه أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه^(٣).
وفي حديث الحجاج بن علاط^(٤) ما يشير بوضوح إلى أنه كان مسلماً يسره ما يفتح الله به على المسلمين، وأظهر إسلامه يوم فتح خيبر.

وقيل: إن إسلامه كان قبل بدر، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى النبي ﷺ وكان المسلمون يتقون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على النبي ﷺ،

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٧/٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٤ ق/٥، والمعرفة والتاريخ ٥١١/١.

(٣) الاستيعاب ٤٨٥/٢ ط حيدرآباد، وقارن أسد الغابة ٣/١١٠ ط أهدت الإسلامية.

(٤) حديث الحجاج بن علاط المذكور في كتب التاريخ والسيرة في واقعة خيبر راجع طبقات

ابن سعد ٤ ق/١٠ - ١١، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٤٥ - ٣٤٦، وتاريخ الطبري ٣/١٧.

١٩، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/٥٠٧، ٥٠٩.

فكتب النبي ﷺ إليه: إن مقامك بمكة خير^(١)، فلذلك قال النبي ﷺ يوم بدر فمن لقي منكم العباس فلا يقتله فإنما اخرج كارهاً.

وذكر ابن سعد في الطبقات: إن قريشاً لما نفروا إلى بدر، فكانوا بمر الظهران، هب أبو جهل من نومه فصاح فقال: يا معشر قريش ألا تبأ لرأيكم ماذا صنعتم، خلقتم بني هاشم وراءكم، فإن ظفر بكم محمد كانوا من ذلك بنجوة، وإن ظفرتم بمحمد أخذوا ثارهم منكم من قريب من أولادكم وأهلكم، فلا

(١) من الدس الرخيص ما قاله المستشرق جون باجوت فلوب في كتابه الفتوحات العربية الكبرى ١٤٣/ ط مكتبة المثنى ببغداد، ((وقد اختلف المؤرخون في سلوك العباس اختلافاً كبيراً، فادعى بعضهم انه كان قد أسلم منذ امدٍ طويل وأنه كان مخلصاً في إسلامه ولم يبق كل تلك المدة في مكة متظاهراً بالشرك إلا لخدمة مصالح ابن أخيه ورأى بعضهم انه كان صورة مبكرة لرامي أبرهية بري متظاهراً بالإخلاص لقريش ومتصلاً سراً بالمسلمين أقول: لقد حنّ قدحٌ ليس منها، اهنت الفصال حتى القرص، وقد هزلت الحياة العربية حتى صار يؤرخها ويكتب في فتوحاتها من الأخبار الأجانب عنها خلقاً وخلقاً ورأياً ومنطقاً، أمثال هذا المراءخ المخادع، ولو سأله القارئ أي فرق بين الرأيين اللذين زعم ألهما لقيرهما، فالرأي الأول في سلوك العباس كان مخلصاً في إسلامه، متظاهراً بالشرك لخدمة مصالح ابن أخيه. والرأي الثاني، كان متظاهراً بالإخلاص لقريش، ومتصلاً سراً بالمسلمين، فهو في الحقيقة على كلا الرأيين، كان يتظاهر بالشرك وليس بمشركه، ويتصل سراً بالمسلمين، بما ذلك إلا لخدمة مصالح ابن أخيه)) على حد تعبيره.

ولكن هذا الانسان الصليبي الحاقد أراد أن ينال من الإسلام والكيد ثنيبه، بالطبع في سلوك عمه فجعله مثلاً مبكراً لرامي أبرهية بري. وهذا كما صرفه هو بأنه كان راهباً لكنيسة بري في عهد هنري الثامن في انكلترا، وكان انتهازياً تقلب من الكتلة إلى البروتستانتية وبالعكس حسب رغبة الحكام. إلا مسائل هذا الصلِف أين وجه الشبه بينه وبين العباس في السلوك ١٩.

ولو قال انه أقام بمكة يرضى مصالح ابن أخيه بداعي التعصب للقرابة كما صنع ذلك يوم دخل معه الشعب في الحصار الذي فرضته عليه قريش، وقد مرّت الإشارة إليه فراجع، لكان لقوله نحو تخريج وان لم يكن مقبولاً. ولكنها الصليبية إلى الأبد.

تدروهم في بيضتكم وفنائكم، ولكن أخرجوهم معكم، وإن لم يكن عندهم غناء، فرجعوا إليهم، فأخرجوا العباس بن عبد المطلب ونوفلاً وطالباً وعقيلاً كرهاً^(١).

وذكر محمد بن حبيب في كتابه نقلاً عن محمد بن عمر المدني- الواقدي-: إن العباس نحر في بدر عشراً من الإبل، فلم تطعمها قريش وأكفأت قدوره لعلها بميله إلى رسول الله ﷺ^(٢).

وفي الدرجات الرفيعة قال السيد المدني: ((وكان العباس أحد العشرة الذين ضمنوا اطعام أهل بدر، قد نحر كل واحد يوم نوبته عشراً من الإبل، وكان حمل معه عشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، وكان يوم بدر في نوبته، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتلوا وبقيت العشرون أوقية فأخذت منه حين أخذ وأسرف في الحرب))^(٣).

ومهما كان من أمر الإطعام فلا شك في أنه كان في الأسرى يوم بدر، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، وكان أبو اليسر رجلاً صغير الجثة، وكان العباس رجلاً عظيماً قوياً، فقال النبي ﷺ لأبي اليسر: كيف أسرته؟ قال: أعانني رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، فقال: لقد أعانك عليه ملك كريم^(٤).

إلا أن ابن إسحاق لم يذكر اسمه مع الأسارى- كما في سيرة ابن هشام-

وابن اسحاق مؤرخ دولة رسمي للعباسيين!

(١) طبقات ابن سعد ٤ / ٤ / ١ - ٥.

(٢) المحبر / ١٦٢، والمنمق / ٤٨٩.

(٣) الدرجات الرفيعة / ٨١ ط الحيدرية ١٣٨٢ هـ.

(٤) طبقات ابن سعد ٤ / ٦ / ١، والدرجات الرفيعة / ٨٠.

وذكر ابن سعد أن قرشاً في يوم بدر جمعت بني هاشم وحلفاءهم في قبة وخافوهم فوكلوا بهم من يحفظهم ويشدد عليهم، ومنهم حكيم بن حزام^(١).

وذكر أيضاً: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: من لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله فإنهم أخرجوا كرهاً، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: والله لا ألقى رجلاً منهم إلا قتلته، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أنت القاتل كذا وكذا؟ قال: نعم يا رسول الله شق علي إذا رأيت أبي وعمي وأخي مقتلين فقلت الذي قلت، فقال له رسول الله ﷺ: إن أباك وعمك وأخاك أخرجوا جاذين في قتالنا طائعين غير مكرهين، وإن هؤلاء أخرجوا مكرهين غير طائعين لقتالنا^(٢).

وفي تاريخ الطبري قال أيضاً: فمن لقي منكم العباس فلا يقتله^(٣).

وأرق النبي ﷺ لأنين عمه العباس وحلم ذلك بعض أصحابه فأرخصي وثاقه فقال النبي ﷺ: ما بالي لا أسمع أنين العباس؟ فقال رجل: أرخيت من وثاقه شيئاً، قال: أفعل ذلك بالأسارى كلهم.

وقال ﷺ للعباس: أفد نفسك يا عباس وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم فإنك ذو مال، قال: يا رسول الله إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهني، قال: الله أعلم بإسلامك، إن بك ما تذكر حقاً فإله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك، وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، فقال العباس: يا رسول

(١) طبقات ابن سعد ٤ / ٦١٦.

(٢) نفس المصدر ٤ / ٦١٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٢.

الله أحسبها لي من فدائي، قال: لا ذلك شيء أعطناه الله منك، قال: فإنه ليس لي مال، قال: فأين المال الذي وضعت بمكة حين خرجت عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ثم قلت لها: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وكذا ولعبد الله كذا وكذا، قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، فقدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه^(١).

ثم رجعوا جميعاً إلى مكة ثم أقبلوا إلى المدينة مهاجرين^(٢).
وذكر أن العباس ونوفل وعقيل رجعوا إلى مكة أمروا بذلك ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السقاية والرفادة والرئاسة، وكانت السقاية والرفادة والرئاسة في الجاهلية في بني هاشم، ثم هاجروا بعد إلى المدينة^(٣).

وفي فداء العباس نفسه ومن كان معه روي شأن نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْثِلِ إِنْ يَتْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

ولما رجع العباس إلى مكة أقام بها عيناً للنبي ﷺ على قريش، حتى إذا عزم قريش على المسير إلى المدينة في وقعة أحد كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً وختمه وأستأجر رجلاً من بني غفار وشرط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله ﷺ يخبره أن قريشاً قد اجتمعت للمسير إليك فما كنت صانعاً إذا

(١) طبقات ابن سعد ٤ / ٦ / ١٧٠، ومسنده أحمد ١ / ٣٥٣.

(٢) نفس المصدر ١٤ / ٩.

(٣) نفس المصدر ١٤ / ١٠.

(٤) الأنفال / ٧٠.

دخلوا بك فاصنعه، وقد وجهوا وهم ثلاثة الاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير، وقد أوعبوا من السلاح فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله ﷺ بالمدينة وجده بقاء، فخرج حتى وجد رسول الله ﷺ على باب مسجد بقاء يركب حماره، فدفع إليه الكتاب فقرأ عليه أبي بن كعب ...^(١)

هجرة العباس:

قال البلاذري وغيره: وهاجر العباس إلى المدينة قبل فتح مكة، وبه انقطعت الهجرة، ولقي النبي ﷺ بالسقيا^(٢)، وقيل بالجحفة^(٣)، وقيل بذي الحليفة^(٤).

أقول: ويظهر من بعض الأخبار أن زوجته أم الفضل كانت تزور المدينة وتقيم فيها كما سيأتي في حديثها عن رضاها للإمام الحسين عليه السلام ولا يجد أن العباس كان معها زائراً وليس مهاجراً، والذي أراه أنه وصل المدينة قبل خروج النبي ﷺ إلى فتح مكة^(٥). لحديث ابن عباس قال: ((سافرت مع رسول الله ﷺ في رمضان فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا يثاء فشرب بها ليراه الناس ثم أفطر حتى دخل مكة وافتتح مكة في رمضان))^(٦)، وهذا الحديث أخرجه البخاري في

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/٣٦٠.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/٢٠٧، وإعيان الضيمة ٢/٣٣٦، والسقيا قرية من أعمال الفرع بينها وبين الجحفة ١٩ ميلاً معجم البلدان (السقيا).

(٣) البداية والنهاية ١/٢٩٦، وتاريخ ابن خلدون ٢ ق ٤٢/٧٢، والجحفة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة بينها وبين حدير خم ميلان.

(٤) البداية والنهاية ١/٢٩٦، وتاريخ ابن خلدون ٢ ق ٤٢/٧٢، والساب الأضراف ١/٣٥٥.

(٥) وذو الحليفة على خمسة أميال ونصف من المدينة المنورة (كتاب المناسك للحري/٤٢٢).

(٦) انساب الأضراف ١/٣٥٥.

(٦) نفس المصدر.

صحيحه^(١)، ومسلم^(٢)، وأبو داود في سننه^(٣)، والنسائي^(٤)، والطبراني في معجمه^(٥). وقد أقطع النبي ﷺ في هجرته هو ونوفل بن الحارث في موضع واحد وآخى بينهما فكانا متجاورين كما كانا في الجاهلية شريكين في المال متحابين متصافين.

وخرج العباس مع النبي ﷺ وشهد فتح مكة^(٦) وله قال النبي ﷺ عن أبي سفيان ابن حرب حين جاء مستسلماً: ((أحسبه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله، قال العباس: فخرجت حتى حسبه عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرّت عليه القبائل فيقول: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم، فتمرّ به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلم، وتمرّ جهينة فيقول: مالي ولجهينة، حتى مرّ رسول الله ﷺ في كنيته الخضراء من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، قال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقلت: ويحك إنها النبوة، قال: نعم إذا))^(٧).

وليس بعيد أن العباس أحسن من أبي سفيان في موقفه ذلك اليوم أنه لا يزال امرءاً تساوره نفسه بالملك، ولم يقتنع بالنبوة، لذلك قال للنبي ﷺ: يا رسول

(١) صحيح البخاري برقم / ١٩٤٨ و ٤٢٧٩.

(٢) صحيح مسلم برقم / ١١١٣.

(٣) سنن أبي داود برقم / ٣٣٧٨.

(٤) سنن النسائي ١٨٤/٤.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٣٦/١١.

(٦) قال ابن خلدون ثبت العباس. رحله إلى المدينة وانصرف معه هارياً، تاريخ ابن خلدون

٢ ٤٢/٢٣

(٧) أعيان الشيعة ٣٣٧/٢.

الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه، فقال ﷺ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أخلق عليه بابه فهو آمن)^(١).

ولما خطب ﷺ في يوم الفتح فقال: (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض وهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا يتفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد)^(٢).

قال العباس: ((يا رسول الله إلا الأذخر فإنه للقين والبيوت))، فقال النبي ﷺ: (إلا الأذخر فإنه حلال)^(٣).

وقال ﷺ في خطبته: (ألا وإن كل مائرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج)^(٤)، وتطلع العباس إليهما معاً، إلا أن الرسول الكريم ﷺ ردّ عليه السقاية، ولم يعطه السدانة، بل ردّ مفاتيح الكعبة إلى بني شيبه^(٥).

مشاهده في الإسلام:

وشهد مع النبي ﷺ وقعة حنين، وكان ممن ثبت معه إذ انهزم الجمع وولوا الدبر، وذلك اليوم أول يوم شهد فيه الحرب مع النبي ﷺ، وفيه أنزل الله السكينة على نبيه وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه، وذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ

(١) الاستنكار لابن عبد البر ١٥٢/٥ ط دار الكتب العلمية واللقاءات لابن حبان ٤٧/٢ ط دار

الفكر وتاريخ مدينة دمشق ٤٥٠/٢٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي ١٥٣/٥ ط بولاق.

(٣) الكافي (الفرج) ٢٢٨/١ ط الحجرية سنة ١٣١٢، ومصابيح السنة للبيهقي ١٥٤/١.

(٤) أعيان الشيعة ٣٤٣/٢.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢١٢/٤.

فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿١٦٦﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾.

قال الشيخ المفيد: «يعني بالمؤمنين علياً ومن ثبت معه من بني هاشم»^(١).
وقال الشيخ المفيد أيضاً: «ولمّا رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه - يوم حنين - قال للعباس - وكان رجلاً جهورياً صينياً - ناد بالقوم وذكّرهم العهد، فنادى العباس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرّون؟! اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله ﷺ، والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين.

قال العباس: فنادت فاقبلوا كأنهم الأبل إذا حنت إلى أولادها»^(٢).
قال جابر بن عبد الله الأنصاري: «بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت، فأنسيناها يوم حنين حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا»^(٣).

وإلى هذا الموقف المهزوز المهزوم، يشير القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿١٦٦﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

(١) التوبة / ٢٥، ٢٦.

(٢) الارهاق / ٧٤.

(٣) نفس المصدر / ٧٥.

(٤) شرح صحيح مسلم / ١٦٧/٥، وسنن النسائي / ٧/ ١٤٠.

المؤمنين^(١) ويعني بالمؤمنين: علياً ومن ثبت معه من بني هاشم، وهم يومئذ ثمانية نفر سواه فهو يضرب بين يديه ﷺ بالسيف حتى قتل أربعين رجلاً بيده^(٢) والعباس بن عبد المطلب عن يمينه أخذ بلجام البغلة والفضل بن العباس عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثغر بغلته، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابن أبي لهب حوله، ومعهم نفر واحد من غيرهم هو أيمن بن أم أيمن، وقد قُتل عنه^(٣) وفي ذلك يقول العباس بن عبد المطلب^(٤):

(١) التوبة / ٢٥-٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩٩/٨ ط دار احياء التراث العربي لبنان.

(٣) الارشاد للشيخ المفيد / ٧٤، قال أبو عمر في الاستيعاب ٤٨٥/٢ ط حيدرآباد بعد ذكره شعر العباس وفيه: (نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وثامننا) وقال ابن اسحاق: السبعة علي والعباس والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحارث وابنه جعفر وربيعة بن الحارث واسامة بن زيد والثامن أيمن بن صبيد، وجعل غير ابن اسحاق في موضع أبي سفيان عمر ابن الخطاب والصحيح ان أبا سفيان بن الحارث كان يومئذ معه لم يختلف فيه واختلف في عمر... أهـ. ويورد نحو ذلك في معارف ابن قتيبة / ١٦٤ من دون ذكر عمر.

(٤) ذكرت أبيات العباس في عدة مصادر مختلفة كما وكيفا، فنذكر المفيد في الارشاد ص ٧٤ ثلاثة أبيات منها، وفيها (نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وبعده وعاشرنا...) وذكر ابن قتيبة في المعارف / ١٦٤ ط دار الكتب ببيتين هما (نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وبعده وثامننا) ومثل ذلك ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ٢٨٥/٢ ط حيدرآباد (نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وبعده وثامننا...) وذكر الزرقاني في شرح المواهب ١٩/٣ ببيتين هما (نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وبعده وعاشرنا)، أما ابن رهبين القيرواني فقد ذكر في العمدة ٢٣/١ أربعة أبيات منها قوله: (نصرنا رسول الله في الحرب سبعة دون ما بعده) وقد علّق محقق الكتاب محمد محيي الدين عبد الحميد على قول العباس (سبعة) فقال: أثبت التاريخ أن المسلمين في غزوة حنين لما ألهموا أمام هوازن وثقيف ومن ثلّف نفهم من الأعراب بقي مع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ثمانية رجال وهم: أبو بكر وعمر وعلي والعباس والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة ابن الحارث ومعتب بن أبي لهب وكان رسول الله ركباً بغلته والعباس أخذاً بلجامها

وأبو سفيان أخذاً بالركاب أقول، من الغريب قوله هذا، فإنه تعوزه الدقة، لأن التاريخ لا يثبت باتفاق، اسم أبي بكر وصمر مع الذين ثبتوا مع النبي ﷺ، بل الذي أئتمته باتفاق أسماء الهاشميين وليس معهم من غيرهم إلا أيمن بن أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وهو معدود منهم.

أما أبو بكر وصمر فقد مر عن ابن عبد البر في الاستيعاب قوله، وجعل غير ابن اسحاق في موضع أبي سفيان عمر بن الخطاب والصحيح أن أبا سفيان بن الحارث كان يومئذ معهم لم يختلف فيه، واختلف في عمره، ويزيد ذلك بيانا قول ابن كثير في سيرته ٦١٨/٢ بعد ذكره لبني هاشم (ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وصمر) ولما كان معلوماً في التاريخ أن قثم كان يوم وفاته ﷺ سفيراً، علمنا أن ذلك المتزايد من الناس كان حاطب ليل في أسماء من زاهم. وعلى هذا فقول المعلق المحقق (أثبت التاريخ...) يعوزه الإثبات كما يعوزه هو نفسه التثبت مع أنه لم يذكر من ذكرهما أين كان مقامهما، بينما ذكر المؤرخون كما سبق عن الباقرين مكانهم. ولم يكن فرارهما في حنين بدءاً فقد فرأ يوم أحد ورجعا يوم خيبر منهزمين وذلك يكفيها حجة في دعوى زعمه، ثم اعتراف أبي بكر نفسه في أنه كان من الفارين يوم أحد ويكافؤ لذلك كما حدثت عنه ابنته عائشة فيما أخرجه منها بأسانيدهم كل من الطائفتين وابن سعد وابن المنني والشاهي والبزار والطبراني في الأوسط وابن حبان والدارقطني في الأفراد وأبو نعيم في المعرفة والضياء المقدسي، وذكر ذلك عن هؤلاء جميعاً المتقي في كنز العمال ٧٧٤/٥ قال: ((من عائشة قالت كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى - إلى أن قالت - ثم انشأ تعني يحدث قال، كنت أول من شاء يوم أحد الحديث...)).

أقول: الضمير الرجوع ومن المعلوم أنه لا رجوع إلا بعد الفرار. والفرار من الزحف من الذنوب التي لا كفارة لها على حد الشرك بالله وقتل النفس بغير حق كما في حديث أبي هريرة وأخرجه أحمد في مسنده وأبو الشيخ في التوبيق، ورواه السيوطي في الجامع الصغير، والمناوي في الفيض القدير ٤٥٨/٢، والديلمي في الفردوس وغيرهم ولعل ذلك كان سر يكاء أبي بكر.

وأما عن فرار عمر فسل عنه أم الحارث الأنصارية (رض) التي كانت استأذنت النبي ﷺ في قتل الفارين فهي التي اترضضت عمر بن الخطاب وهو فارٌّ فقالت له: ((يا عمر ما هذا ؟ فقال: يا أم الله)) المغازي للواقدي / ٩٠٤ ط أوربا - أي قضاء الله وقدره - . ولم يخف ذلك حتى نظمه الشعراء فقال بعضهم:

وما أنسى لا أنسى اللذين تقدماً وفرهما والفرُّ قد علما حوباً

(العلويات الصبيح لابن أبي الحديد الممتزلي ط حجرية).

الأهل أتى عرسي مكري ومقدمي
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة
كان السهام المرسلات كواكب
وما أمسك الموت الفظيخ بنفسه
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة
وعاشرنا لآقي الحمام بسيفه
ومنها: حنوت إليه حين لا يحثأ امرؤ
ومنها: وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه
بوادي حنين والأسنة تُشرع
وهامّ تدهدهُ والسواعد تقطع
بزوراء تعطي باليدين وتمنع
إذا أدبرت عن عجبها وهي تلمع
ولكنه ماضٍ على الهول أروع
وقد فرّ من قد فرّ عنه وأقشعوا
بما مسّه في الله لا يتوجّع
على بكره والموت في القوم منقع
على القوم أخرى يا بُني ليرجعوا

وشهد مع النبي ﷺ غزوة الطائف وغزوة تبوك وحمل فيها يومئذٍ من
المسلمين رجلين أمدهما بالزاد والراحلة كما تبرع بتسعين ألفاً من ماله إغاثة
لجيش المسلمين^(١) فلا بدع في قيامه بنصرة النبي ﷺ بعد أن كان نصره من يوم
حصار الشعب ولم يكن يومئذ مسلماً، فكيف لا ينصره بعد إسلامه، مضافاً إلى
أنه كان قد أوصاه بذلك أخوه أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كما أوصى أخاه
الحمزة وابنيه علياً وجعفر حيث قال:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده
وحمزة الأسد المحشي جاتبه
كونوا فديّ لكم أمي وما ولدت
في أبيات غيرها^(٢).
(علياً ابني وعم الخير عباساً)
وجعفرأ ان تذودا دونه الناسا
في نصر أحمد دون الناس أتراسا

(١) امتاع الاسماع للمقرئزي / ٤٤٦ - ٤٤٩.

(٢) يراجع عنها: مناقب آل أبي طالب للحافظ السروي / ١/ ٥٦، الدرجات الرفيعة / ٦١، أعيان
الشيعة / ٢/ ١٢٠ - ١٢١، وغيرها.

وذكر المؤرخون واصحاب السير: ان العباس هو الذي كان تولى تزويج النبي ﷺ من ميمونة بنت الحارث، وهي اخت زوجته أم الفضل، وأصدقها من ماله ٤٠٠ درهم وذلك في ذي القعدة عام سبع من الهجرة.

كما ذكروا أنه هو الذي قام بضيافة عبد الله بن جدعان بدلاً عن النبي ﷺ. وسيأتي في الحديث عن حبر الأمة في عهد النبي ﷺ أن أباه العباس كان يعثه إلى النبي ﷺ ليبيت عنده ولا ينام حتى يحفظ له صلاته ودعائه مما يشعروا بأن العباس أراد الأستان بسته ﷺ في أعماله العبادية ليلاً وهو في بيته.

مكانة العباس عند النبي ﷺ:

لقد ذكر الحافظ ابن البطريق (ت ٥٢٣) - وهو من عيون علماء الإمامية في القرن السادس - في مقدمة كتابه (عمدة عيون الأخبار) ما يدل على فضل العباس مستدلاً في ذلك بأي من القرآن الكريم كآية المودة في القربى^(١)، وآية الخمس^(٢)، وآية الفيه^(٣)، واستدل أيضاً بما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: ((قلت يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟ قال: فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكم الله ورسوله))^(٤).

قال الحافظ ابن البطريق: فأدخل العباس في جملة من لا يدخل قلب رجل الإيمان إلا بحبهم، وهذا أبلغ مما ذكره الثعلبي في المعنى، لأنه أدخله بكاف

(١) الشورى / ٣٣.

(٢) الأنفال / ٤١.

(٣) الحشر / ٧.

(٤) عمدة عيون الأخبار / ١ / ٤٧.

الجمع الشاملة، ثم ذكر خبراً عن الشيخ الطوسي في كتابه (انس الوحيد) وفيه أن جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد جئتك بكرامة أكرمك الله بها، سهم تجعله في قرابتك وأبدأ بعلمك العباس، وثلاث بخير ذكره الحلواني في كتابه^(١) في لمع كلام الإمام الزكي أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليهم السلام لما سأله المتوكل فقال له: ((ما يقول بنو أبيك في العباس؟ قال: ما يقولون في رجل فرض الله طاعته على الخلق وفرض طاعة العباس عليه)) وقال: يريد بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن العباس رضي الله عنه والد وطاعته له كطاعة الوالد...

ثم استشهد بشعر الكميث بن زيد الأسدي جاء فيه: (من قصيدة في الهاشميات لمن قلب متيم مستهام):

وأبو الفضل إن ذكرهم الحلو والشفا للنفوس من الأسقام

وقوله أيضاً في غيرها:

ولن أعزل العباس صنو نينا وصنواته فيمن أهد وأندب
ولا ابنه عبد الله والفضل إنني جنيب بحب الهاشميين مصحب

أقول: ولا شك فيما ذكره الحافظ ابن البطريق رحمه الله، وإن كان الرجل قد عاصر الخليفة الناصر لدين الله العباسي، واحتمال أنه إنما قدم ذلك في أول كتابه تقية منه، ولكن تشييع الناصر المعلوم يدفع هذا الاحتمال الموهوم.

ولا نمنع ما قاله الذهبي: ((وقد اعتنى الحفاظ بجمع فضائل العباس رعاية للخلفاء))^(٢).

(١) نزهة الناظر / ٧٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤١٣/٣ ط دار الفكر بيروت.

أقول: وهذا ممّا لا شك فيه، ولكن لا يعني أنّ كل ما جمعه كان من الموضوعات، كما لا نشك بأنه كانت له مكانة مرموقة وسجايا طيبة كما لا نشك بأن النبي ﷺ كان يحب عمه العباس وله عنده منزلة نوه عنها بقوله: (لا تؤذونني في عمي العباس، عم الرجل صنو أبيه، هذا عمي وصنو أبي).

ففي أمالي الشيخ الطوسي عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما عم الرجل صنو أبيه)^(١).

وأخرج البغوي عن عليّ رضي الله عنه (إن النبي ﷺ قال لعمر في عمه العباس: إن عم الرجل صنو أبيه)^(٢).

ولعل ما رواه البغوي مختصراً هو ما أخرجه ابن سعد في الطبقات، والفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ: ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعمل عمر بن الخطاب على السعاية، فأتى العباس يطلب صدقته، فأغظ له العباس، فأتى عمر عليّاً وذكر ذلك له ليذكره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتاه عليّ رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر: (ترمت يدك، أما علمت أنّ عم الرجل صنو أبيه، إن العباس أسلفنا زكاة العام عام الأول))^(٣). وقد رواه الفسوي بعد ذلك مرة أخرى بتفاوت في السند والمتن، فراجع^(٤).

(١) أمالي الطوسي ١/٢٨٠.

(٢) مصابيح السنة ٢/٢٠٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٤ ق ١٧/١، كتاب المعرفة والتاريخ ١/٥٠٠.

(٤) جاء في كنز العمال ١/٥٥٢ ط مؤسسة الرسالة بحلب: عن عليّ أن النبي ﷺ تصجل من العباس صدقة عامين - عن مصنف عبد الرزاق - وجاء فيه أيضاً عنه: أن العباس سأل النبي ﷺ في تصجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له في ذلك نقلًا عن أحمد والدارمي وأبي داود وابن ماجه والترمذي وابن جرير وصححه وابن خزيمة والحاكم في المستدرک وغيرهم.

ولعل ذلك القول من النبي ﷺ ترك أثراً بالغاً في نفس عمر بل وحتى في نفوس الصحابة فكانوا يحترمون العباس ويجلّونه، حتى روى ابن أبي الزناد عن أبيه: إن العباس بن عبد المطلب لم يمرّ قط بعمر ولا عثمان وهما راكبان إلا ترجلاً حتى يجوزهما إجلالاً له أن يمرّ وهما راكبان وهو يمشي^(١).
وقد ورد في مستدرك الحاكم عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يجلس العباس إجلال الوالد^(٢).

وأخرج الترمذي عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب: إن العباس دخل يوماً على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده فقال رسول الله ﷺ: ما أغضبك؟ فقال: يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرّ وجهه ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكمه الله ولرسوله، ثم قال أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه)^(٣)، وفي رواية ابن حجر (ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجال من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبه الله ولقرابتهم مني)^(٤).

ويجد الباحث في صور بعض عهود النبي ﷺ واقطاعاته شهادات للعباس، نحو: قسمة قمح خيبر وفيها شهد عباس بن عبد المطلب. وآخر^(٥) والاقطاع

(١) هيون الأخبار لأبن قتبية ٢٦٩/١ ط دار الكتب.

(٢) مستدرك الحاكم ٣٢٤/٣ وصححه وأقره الذهبي في التلخيص، كما رواه في سير أعلام النبلاء ٤١٤/٣ ط دار الفكر.

(٣) صحيح الترمذي ٦٥٢/٥ تح إبراهيم عمارة عوض ومستدرك الحاكم ٣٣٣/٣، والمعرفة والتاريخ ٤٩٩/١.

(٤) الصواعق المحرقة ٢٧٨/٢ تح عبد الوهاب عبد اللطيف.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية ٢٢/ رقم ١٨ ط مصر.

لدارين وهم من لخم وفيه شهد عباس بن عبد المطلب. وجماعة^(١) والاقطاع لبني جميل من قبيلة بلي وفيه شهد عباس بن عبد المطلب. وجماعة^(٢) والعهد الذي بين النبي ﷺ وبين النصاري وفيه شهد عباس بن عبد المطلب. وجماعة^(٣).

وقد أقطعه النبي ﷺ مواضع من الأرض لم تفتح بعد، وأوصى أن تدفع له بعد الفتح، وكتب له بذلك^(٤) كما أنه ﷺ حين أمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب علي رضي الله عنه فضل عمه العباس يجعل ميزاب له على المسجد، وقصة الميزاب مشهورة^(٥).

وله موقف بعد موت النبي ﷺ في نصرة ابن أخيه الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنه في مسألة الخلافة، سنأتي على تفصيله فيما يأتي.

أستسقاء عمر بالعباس:

وقد أستسقى به عمر عام الرمادة سنة ١٧ من الهجرة حين قحط الناس وقد ذكرها كثير من المؤرخين، وبأسانيد مختلفة:

منهم الحافظ ابن عساكر فقد ذكر روايات عديدة في ذلك، تقتصر على روايته عن محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري من طريق موسى بن جعفر

(١) نفس المصدر/ ٤٤ رقم ٤٣.

(٢) نفس المصدر/ ٤٨.

(٣) نفس المصدر/ ٩٥.

(٤) رياض الشهادة/ ٢٧٥ - ٢٧٨، الأنوار النعمانية/ ٤٩٦، بحار الأنوار/ ٢٤٦/٨ ط الكمباني، وفي طبقات ابن سعد ٤/ ١٤/ ١٣ حديث العباس مع عمر في إقطاعه البحرين وشهادة المغيرة له بذلك فلم يقبل عمر شهادته فأغلق العباس لعمرو، وذكر ذلك عمر بن شبة في أخبار البصرة أيضا كما في وفيات الأعيان/ ٣٦٧/٦.

(٥) وتقد حوزها النهمي في سير اعلام النبلاء ٧٠/٢ فراجع. والقصة المذكورة في بحار الأنوار/ ٢٤٤/٨، والأنوار النعمانية/ ٤٩٦، كما أخرجها الحاكم في المستدرک ٣/ ٣٣١، وأحمد في المسند ١/ ٢١٠، والفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٥١١.

عن أبيه عن أجداده عن جابر أن السنة لما أصابت أهل المدينة سنة الرمادة استسقوا ثلاث مرات فلم يسقوا فقال عمر بن الخطاب: لأستسقين غداً بمن يسقينا الله به، فأخذ الناس يقولون بعليّ بحسن بحسين، فلما أصبح غداً عند العباس وقال له: اخرج بنا حتى نستسقي الله بك، فقال العباس: يا عمر اقعد في بيتي، فأرسل - العباس - إلى بني هاشم أن تطهروا وألبسوا من صالح ثيابكم، فأتوه، فأخرج طيباً فطيّبهم، ثم خرج العباس وعليّ أمامه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبني هاشم خلف ظهره، وقال: يا عمر لا تخط بنا غيرنا، ثم أتوا المصلّى فوققوا، ثم اتّ العباس: حمد الله وأثنى عليه فقال: اللهم إنك خلقتنا وعلمت ما نحن عاملون به قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك بحالنا عن رزقنا، اللهم كما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره.

قال جابر - راوي الحديث - فما تمّ دعاؤه حتى سحّت السماء، فما وصلنا إلى منازلنا إلا بللنا من المطر، فقال العباس: أنا المسقي ابن المسقي ابن المسقي كرها خمس مرات، فقيل لموسى بن جعفر وكيف ذاك، فقال: استسقى فسقى عام الرمادة واستسقى عهد المطلب بسقي زمزم ... إلى أن قال: والخامسة: أسقى الله إسماعيل زمزم^(١).

وروى الشيخ الصدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه مجيء عمر إلى العباس طلباً للاستسقاء قال: ((فقام العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم ان عندك سحاباً وإن عندك مطراً، فاتشر السحاب وأنزل فيه الماء ثم أنزله علينا، واشدد به الأصل واطلع به القرع، وأحي به الضرع، اللهم إنا شفعاؤ إليك عمّن لا

(١) ينابيع المودة / ٢٠٦ هـ، اسلامبول سنة ١٣٠٢ هـ و ٣١٧ - ٣١٨ هـ الحيدرية وتهذيب تاريخ

ابن عساکر ٧ ص ٢٥٠ وهي: اختصار ابن بدران مهذب التاريخ خلال ظاهراً، ربّما كان عن شهر عمد والله العالم.

منطق له من بهائمنا وأنعامنا شفعتنا في أنفسنا وأهاليها، اللهم إنا لا ندعو إلا إياك، ولا نرغب إلا إليك، اللهم اسقنا سقياً وادعاً نافعاً طبقاً مجلبلاً، اللهم إنا نشكركم إليك جوع كل جائع، وهري كل عارٍ، وخوف كل خائف، وسغب كل ساغب يدعو الله^(١).

وقد ذكره الطبري الإمامي في كتابه المسترشد: ((إن العباس قال في ذلك الموقف: يستسقون بنا ويتقدمونا))^(٢).

وكان من دعاء العباس في ذلك الموقف: اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك (بالرغبة فاسقنا الغيث) بالذنوب ونواصينا بالتوبة، وانت الراعي لا تهمل الضالّة، ولا تدع الكسير بدار مضیعة، فقد ضرع الصغير، ورقّ الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السرّ وأخفى، اللهم فأغنهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا يأس من رحمتك إلا الكافرون.

فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال فنشأت السحاب وهطلت المطر، فطلق الناس بالعباس يمسحون أركانهم ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين والقصة مشهورة مذكورة في كتب السنّة والسيرة^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه ٣٤٠/١ ط النجف.

(٢) المسترشد ٢١١/ ط الحيدرية.

(٣) أخرجها البخاري في باب الاستسقاء من صحيحه، ومسلم في كتاب الصلاة من صحيحه، وابن حجر في فتح الباري ٣٩٨/٢، والعيبي في عمدة القاري ٤٣٨/٣، والحاكم في المستدرک ٣٣٤/٣، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٠٤/١، والزمخشري في ربيع الأبرار ١٣٤/١ ط بغداد، والماوردي في أعلام النبوة ٧٩ ط البهية بمصر سنة ١٣١٩، والخفاجي في شرح الشفاء ٣٣٣/٣، وابن عساکر كما في تهذيب تاريخه ٢٤٨/٧ - ٢٥١، والطبري في

وفيها يقول العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستقي بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجذب راغباً فما كَرَّ حتى جاء بالديمة المطر
ومنا رسول الله فينا ترائه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

وقال: الزبير بن بكار: قال شاعر بني هاشم:

رسول الله والشهداء منا وعباس الذي يعج الغماما

وقال الزبير: ويروى لأبن عفيف النصري في الاستسقاء بالعباس:

تاريخه حوادث سنة ١٧، وابن الأثير في الكامل حوادث سنة ١٧، وابن كثير في البداية والنهاية ٩٢/٧، والياقبي في مرآة الجنان ٧٢/١، والأصبهاني في الألفاظ ٨١/١٢، والمقدسي في البدء والتاريخ ١٨٧/٥، والبلوي في كتابه الألف باء ٣٦٦/١، والنهني في سير اعلام النبلاء ٦٨/٢، وثمة مصادر نسبت الأبيات إلى شهر العباس بن عتبة فصاحب الاستيعاب ونكت الهميان / ١٧٧ ذكرها في ترجمة العباس نسبة الأبيات إلى الفضل بن عباس بن عتبة وفي شواهد الكشاف / ٧٦ ذكر البيتين الأولين ونسبهما لعلي بن علي؟ وفي شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٣٤٩/١ ورهاد الساري للمصطلاني ١١٦/٦ نسبهما لعقيل والله أعلم.

ومن ملحق المعاني الغربية ما ورد أن العماد الأصفهاني الكاتب حبيب بعد وفاة الوزير عون الدين ابن هبيرة لأنه كان ينوب عنه في واسمه فكتب من الحبيب إلى استاذ الدار المستنجدة من قسيمة:

قل للامام: سلام حبيب وليكم
أولوا جميلكم جميل ولاله
أوليس لأ حبيب الغمام وليه
خلى أبوك سيوله بدعائه

قال ابن خلكان في الوفيات ١٥١/٥ بهذا معنى ملحق قريب وفيه إشارة إلى قضية العباس بن عبد المطلب عليه السلام مع عمر بن الخطاب وذكر قصة الاستسقاء المشار إليها. كما اشار أبو تمام إلى ذلك بقوله كما في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي ٦٤٦/٤ ط ذخائر العرب:

فكانما هي دعوة العباس في عام الرمادة وهو شهر مجود

ما زال عباس بن شيبه غاية للناس عند تنكّر الأيام
رجل تفتحت السماء لصوته لما دعا بدعوة الإسلام
فتحت له أبوابها لما دعا فيها بهجد مطعمين كرام^(١)

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت أيضاً:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا قسقي الغمام بفرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبيّ بذاك دون الناس
أحيا البلاد به الإله فأصبحت مهترّة الأجناب بعد اليأس

أدب العباس:

قال المرزباني: كان العباس من معدودي خطباء قریش وبلغائهم
وذوي الفضل منهم^(٢) وقال ابن رشيقي: أمّا العباس فكان شاعراً مقلناً حسن
التهدي^(٣).

وقد وقفت له على مقاطع من الشعر تدل على أدبه وفضله، كقوله يحرّض
أخاه أبا طالب على الطلب بدم عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف^(٤):

(١) تهذيب تاريخ ابن صساكر ٢٥٠/٧ ط الفتى دار الصيرة.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ١٠١/ تص. عبد الستار احمد فراج.

(٣) الممثلة ١/٣٣.

(٤) كان عمرو بن علقمة خرج مع خدش بن عبد الله العامري أجيراً له إلى الشام، ففقد خدش حبلاً، فضرب صمراً بعضى فنزى في ضريرته. أي نزل. فمرض منها فكتب إلى أبي طالب يخبره خبره، فمات منها، وفي ذلك يقول أبو طالب:

أهي فضل حبل لا أياك ضريرته بمنسأة قد جاء حبل بأحبل

فتحاكموا فيه إلى الوليد بن المغيرة فقضى أن يحلف خمسون رجلاً من بني عامر بن
لوي عند البيت أن خدشاً ما قتله، فحلفوا إلا حويطب بن عبد العزى، فإن أمه افتتت

لا ترجونا حاصنٌ عند طهرها
أبا طالب لا تقبل النصف منهم
أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت
تُورثن من آباء صدق تقدموا
إذا خالطت هام الرجال رأيتها
وزعناهم وزع الحوامس غدوة
تركناهم لا يستحلون بعدها
فسائل بني حسل وما الدهر فيهم
أغشماً أباعثمان أنتم قتلتم
ضربنا بها حتى أفاءت ظلماتها
ضربنا أبا عمرو خداشاً بعامر

لئن نحن لم نثار من القوم علقما
وان انصفوا حتى تُعقَ وتُظلمما
قواطع في أيماننا تقطر الدما
بهن إلى يوم الوغى متقدما
كبيض نعام في الوغى قد تقطما
بكل يمانيّ إذا عضَّ صمّما
لذي رحم يومأمن الناس محرما
ببقياً ولكن إن سألت ليعلما
ستعلم حسل أينما كان أغشما
علينا فلم يبق القتل المخدماً^(١)
وملنا على ركنيه حتى تهلماً^(٢)

يمينه، فقيل: انه ما حال عليهم الحول حتى ماتوا كلهم إلا حويطب. وهذه أول قسامة في الجاهلية. انظر لسب قريش لمصعب / ٤٢٤ - ٤٢٥، وجمهرة انساب العرب لابن حزم / ٧٤.

(١) اضافة في حماسة الظرفاء / ٣٤/١.

(٢) معجم الشعراء للمريثاني / ١٠١، وتهذيب ابن سناكر ٢٢٨/٧، والحماسة البصرية ٥٢/١، وصيون الاخبار لابن قتيبة ٧٨/١، ومحاضرات الراغب ٦٩/٢، وحماسة الظرفاء ٣٣/١، وكامل المبرد ٣٠٩/٣، ورفية الأمل للمرصفي وغيرها، ورسائل الجاحظ ٣٥٩/١، وبيع الابرار ٢ / ٦٩ ط بغداد.

وروي عن خُرَيْمِ بْنِ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ: هَاجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ مَنْصَرَفٌ مِنْ تَبُولٍ فَسَمِعْتُ الْعَبَّاسَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِّحَكَ فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَا يَفْضِضُ اللَّهُ فَانْكَ، فَقَالَ:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يُخَصَفُ الورق
ثم هبطت البلاد لا بشرٌ أنت ولا مضفة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرًا وأهله الفرق
وخضت نار الخليل مكتما تجول فيها وليس تحترق^(١)
تنقل من صالب إلى رَحْمِ إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأَرْضِ رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق^(٢)

(١) وهي حياة الحيوان للدميري ٣٥/٢ ورد البيت هكذا:

وردت نار الخليل مكتما في صلبه انت كيف يحترق

(٢) لقد أخرج الأبيات المذكورة منسوية للعباس جمع من المؤرخين وأصحاب السير وحتى أصحاب المعاجم اللغوية مستشهدين ببعض أبياتها وإلى القارئ أسماء بعض تلك المصادر: مستدرک الحاكم ٣٢٧/٣، وتلخيص المستدرک للذهبي ٣٢٧/٣، وحياة الحيوان ٢٥٠/٢، أمالي الزجاج ٤٤، و أمالي ابن الشجري ٣٣٧/٢، وتهذيب ابن هسكج ٣٤٩/١، والبدایة والنهاية ٢٥٨/٢ و ٢٧/٥، وسیر اعلام النبلاء ٧٥/٢، وأدب الکاتب / ٣٢٠، والفتى المسجم ٢٧٥/١، والمناقب لابن شهر اشوب / ١، والدرجات الرفیعة ٨٢، وانوار الربیع ١٩٣/٥، ولسان العرب (صلب طبق ظلل همن خصف) والقاموس وتاج العروس (ودع) وفي التاج أيضاً (صلب خصف) والفاائق ١٣٨/٢، ومجمع الزوائد ٢١٧/٨، والمقامة

وقد شرح الأبيات الزرقاني شرحاً موجزاً تحسن مراجعته وقد ذكر أنه قالها عند رجوع النبي صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك فراجع^(١).

وله في حديث قيس بن نشبة وقد أجاره وأخذ له بحقه وقال له: أنا لك جار وكلما دخلت مكة فما ذهب لك فهو عليّ. وقال العباس بن عبد المطلب في ذلك:

حفظت لقيس حقه وذمامه وأسعطت فيه الرغم من كان راغماً
سأنصره ما كان حياً وإن أمت أحضراً عليه للتناصر هاشماً
وحديث قيس بن نشبة ذكره محمد بن حبيب الهاشمي^(٢) فليراجعه من شاء.

السندسية للسيوطي / ٨٦ ط الجواليب / ١٢٩٨ هـ وتهذيب اللغة للأزهري / ٣٥٥/٥ و ٣٣/٦ و ١٢٩/٩ و ١٩٧ و ٣٣٥/١٤ و ٣٥٩. وغريب الحديث لابن قتيبة / ٣٦٥/٣٥٩/١ وتاويل مختلف الحديث له ص ٨٨ وغيرها، وغيرها وإنما أسهبت في ذكر المصادر لما اطّعت عليه مؤخرأ من نفي نسبة الأبيات إلى العباس مستبعداً نسبتها إليه، لأنها كما يقول الناهي (قاموس الرجال): لم ترد في كتاب آخر أو خبر آخر ومتى كان العباس يقول الأشعار التصوفية وينظم الأبيات الفلانية ؟ وليته حين حاول مصراً دفع النسبة عن العباس تمسك بما جاء في الحماسة البصرية / ١٩٣/١ من نسبتها لحرير بن أوس بن حارثة بن لام الطائي ؟ الذي لم يعرف من هو. وأرجع إلى اللثائي المصنوعة / ١٥٨ ط الهند حيث ذكر ان الجوزقاني أخرج في موضوعاته حديث كنت في صلب آدم في الجنة الخ وقال في ذلك يقول حسان بن ثابت، وذكر الأبيات. ثم تعقبه السيوطي إلى أن قال: والأبيات للعباس بلا خلاف.

ويعد ما تقدم من أطباق المصادر السابقة على نسبتها إلى العباس فلا عبرة بما قيل ويقال من الضلّ.

(١) أنظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني / ٣/ ٨٥. ٨٣ ط الأزهريّة سنة ١٣٣٦ هـ.

(٢) المنمق ١٦٤ - ١٦٥.

وله البيتان اللذان يحتج بهما عند الكلام على تبدل الأرض غير الأرض
وهما:

إذا مجلس الأنصار خفَّ بأهله وفارقها فيها غفار وأسلم
فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعلم^(١)

وله مما يستشهد به من شعره قوله:

ليسوا بهتئين في الحروب إذا تعقد فوق الحرافق التُّلُق^(٢)

ونسب إليه حسن الجلي في حواشي المطول البيت الآتي:

طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه يُسقى الغمام وتُسعد

والبيت هذا من قصيدة لأبي طالب عليه السلام قالها في مدح الذين قاموا بنقض
الصحيفة^(٣)، كما أن الخوارزمي نسب إليه في مناقبه^(٤) الايات المشهورة في مدح
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين بوع أبو بكر بالخلافة وهي:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم عنها عن أبي حسن
ليس أول من صلى لقبلكم واعلم الناس بالاثار والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن جبريل حون له في الفسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلهم وليس في الناس ما فيه من الحسن

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار ١/٥٦٢ ط بغداد والمقدمي، البدء والتاريخ ١٣٢/٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ٤/٤٤٤، الجوهرى الصحاح (هند) ومقاييس اللغة ٦/٧٦.

(٣) حسن فهمي، طلبة الطالب ٢/٤٣ ط اسلامبول، وديوان أبي طالب ٩٣/١٣ تحال يس، وسيرة
ابن هشام ١٧/٢ . ١٩٠.

(٤) الموفق بن أحمد الخوارزمي، المناقب ٣٣/ ط الحيدرية.

ماذا الذي ردكم عنه فعرفه ها إن بيعتكم من أول الفتن^(١)
ونسبت إليه في البحار^(٢) الأبيات التالية في زمان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ولست متأكداً من صحة النسبة والأبيات هي:

يا آل	فهر	وغالب	ابشروا	بالمواهب
واقفروا	يا قومنا	بالتنا	والرغائب	
شاع في الناس	فضلهم	وعلا	في المراتب	
قد فخرتم	بأحمد	زين	كل الأطائب	
فهو كالبدر	بينكم	نوره	مشرق خيرغائب	
قد ظفرت	خديجة	بجليل	المواهب	
بفتى	هاشم	الناس	ماله من مناسب	
جمع	الله	شملكم	فهو رب المطالب	
أحمد	سيد	الورى	خير ماش وراكب	

(١) نسبت هذه الأبيات إلى جماعة منهم، عتية بن أبي لهب بتفاوت في الالفاظ يسيرة كما في تاريخ اليعقوبي ١٠٣/٢ ط الحيدرية /١٣٥٨. ومنهم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كما في الفصول المختارة للشريف المرتضى ٦٨/٢ ط الأولى بالحيدرية ومنهم حسان ابن ثابت كما عن القاضي البيضاوي والنسابة في تفسيريهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ البقرة /٣٤. ومنهم: بعض ولد أبي لهب كما عن الزبير ابن بكار ومنهم الفضل بن العباس بن عتية قال ابن حجر في الإصابة ٦٣٢/٣ ط مصر في ترجمة العباس بن عتية، وله ولد اسمه الفضل شاعر مشهور، وهو صاحب الابيات المشهورة في مدح علي عليه السلام وذكر البيت الأول منها، وللقاضي المرتضى مناقشة مع ابن حجر في نسبة الابيات لا تخلو من وجهة فراجع كتابه احقاق الحق ومنهم خزيمه بن ثابت كما في روضة الواصلين /٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٦/ الط الحجريه.

فعلية الصلاة ما سار عيس براكب^(١)

وله كلمات حكمية منها ما عن ابن عباس قال: «كان العباس بن عبد المطلب كثيراً ما يقول: ما رأيت أحداً أحسنت إليه إلا أضاء ما بيني وبينه، وما رأيت أحداً أسأت إليه إلا أظلم ما بيني وبينه، فعليك بالإحسان واصطناع المعروف، فإن ذلك يقي مصارع السوء»^(٢).

وعن ابن عباس قال: «قال لي: يا بني إن الكذب ليس بأحد من هذه الأمة أقيح منه بي وبك وبأهل بيتك، يا بني لا يكونن شيء مما خلق الله أحب إليك من طاعته، ولا أكره إليك من محبته، فإن الله يتفمك بذلك في الدنيا والآخرة»^(٣).

وصية العباس لعثمان:

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبير، والطبري في تاريخه واللفظ له: «يسنده عن حمران بن أبان قال: أرسلني عثمان إلى العباس بعد ما بويع، فدعوته له، فقال: مالك تعبدتني؟ قال: لم أكن قط أحوج إليك مني اليوم. قال: الزم خمساً، لا تتازحك الأمة خزائمها ما لزمتهما، قال: وما هي؟ قال: الصبر عن القتل، والتحبب والصفح، والمداراة، وكتمان السر»^(٤).

ودخل عثمان على العباس في مرضه الذي مات فيه فقال: «أوصني بما ينفعني (الله، ظ) به وزودني فقال: إلزم ثلاث خصال تُعيب بها ثلاث عوام،

(١) بحار الأدوار ٦/ الط الحجرية.

(٢) كنز العمال ٥٧٨/٦ ط مؤسسة الرسالة بحلب.

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساکر ٢٥٣/٧ ط المكتبة دار المسيرة.

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٤٠٠ ط دار المسيرة.

فالأوصاف: ترك مصانعة الناس في الحق، وسلامة القلب وحفظ اللسان، تُعيب بها سرور الرعية، وسلامة الدين ورضى الرب^(١).

وقد نظم هذه الوصية جملة من العلماء ذكر منهم السخاوي في كتابه التبر المسبوك في ذيل السلوك، قول شيخه ابن حسان وقد كتبه عنه:

أصْفَحْ تَحَبُّبَ وَدَارِ اصْبِرْ تَجِدَ شَرْفًا
وَإِكْتَمَ لَسَرَ فَهَلْذِي الْخَمْسِ قَدْ أَوْصَى
بِهِنَّ عِثْمَانُ عَبَّاسٌ فَدَعَّ جَدَلًا
وَانظُرْ إِلَى قَدْرِ مَنْ أَوْصَى وَمَا الْمَوْصَى الْمَوْصَى

قال السخاوي: وقد أنشدنا شيخنا أبو النعيم العقبى في هذا المعنى قوله:

وَاطْبِ عَلَى الْخَمْسِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا الْعَبَّاسُ عَمَّ الْمُصْطَفَى عِثْمَانًا
اصْفَحْ وَدَارِ اِكْتَمِ تَحَبُّبَ وَاصْبِرْ تَزِدُّ بِهَا يَا مُؤْمِنًا إِيمَانًا
قال: وكذا أنشد البقاعي مما لم يعمل بمضمونه قوله:

إِنْ رَمَتْ عَيْشًا صَافِيًا أَزْمَانًا لَا تَتَّبَعُ فِي الرَّأْيِ مِنْ قَدَمَانَا
وَاصْفَحْ تَحَبُّبَ دَارِ وَاصْبِرْ وَاطْبِ عَلَى الْعَبَّاسِ قَدْ أَوْصَى بِهَا عِثْمَانًا
قال: وأنشدني المحيوي عبد القادر القرشي بعد دهر في ذلك:

احْفَظْ وَصَايَا قَالِهَا الْعَبَّاسُ إِذْ أَوْصَى بِهَا عِثْمَانُ ذَا التَّوْرِينِ
اصْفَحْ تَحَبُّبَ دَارِ اِكْتَمِ وَاصْطَبِرْ تَكْسَى إِلَيْهَا وَالْعَزَّ فِي الدَّارِينِ^(٢)

(١) أخبار الدولة العباسية ٢١/٢ من دار الطليعة بيروت.

(٢) التبر المسبوك في ذيل السلوك/٣٧٢.

وصية العباس للإمام:

لقد تقدم ذكر الوصية عند ذكر وفاة العباس إلا أن ثمة تفاوت وتعقيب وتذويب اقتضى أعادتها.

قال ابن أبي الحديد: «قرأت في كتاب صنفه أبو حيان التوحيدي في تفریط الجاحظ، قال: نقلت من خط الصولي: قال الجاحظ: إن العباس بن عبد المطلب أوصى علي بن أبي طالب عليه السلام في علته التي مات فيها فقال: أي بُنيّ إني مشفٍ على الظعن عن الدنيا إلى الله الذي فاقني إلى عفوه وتجاوزه أكثر من حاجتي إلى ما أنصحك فيه وأشير عليك به، ولكن العرق نبوض، والرحم عروض، وإذا قضيت حق العمومة فلا أبالي بعد، إن هذا الرجل - يعني عثمان - قد جاءني مراراً بحديثك، وناظرني ملايناً ومخاشناً في أمرك، ولم أجد عليك إلا مثل ما أجد منك عليه، ولا رأيت منه لك إلا مثل ما أجد منك له، ولست تؤتى من قلة علم ولكن من قلة قبول، ومع هذا كله فالرأي الذي أودّعك به أن تمسك عنه لسانك ويدك، وهمزك وضمزك، فإنه لا يدؤك ما لم تدؤه، ولا يجيبك عما لم يبلغه، وأنت المتجنّي وهو المتأنّي، وأنت العائب وهو الصامت فإن قلت كيف هذا وقد جلس مجلساً أنا أحق، فقد قاربت ولكن ذاك بما كسبت يداك، ونكص عنه عقبك، لأنك بالأمس الأذنى هرولت اليهم، تظن أنهم يُحلّون جيدك ويُختمون أصبعك، ويطؤون عقبك، ويرون الرشد بك، ويقولون لا بد لنا منك، ولا معدل لنا عنك، وكان هذا من هفواتك الكُبرى، وهناتك التي ليس لك منها عذر، والآن بعد ما ثلث عرشك بيدك، ونبتت رأي عمك في البيداء، يتدهده في السافياء، خلد بأحزم ممّا يتوضح به وجه الأمر، لا تشارَ هذا الرجل ولا تماره، ولا يبلغه عنك ما يحقّقه عليك، فإنه إن كاشفك أصاب أنصاراً، وإن كاشفته لم تر

إلا ضراباً، ولم تستلج إلا عثاراً، واعرف من هو بالشام له ومن ههنا حوله ومن يطيع أمره ويمتثل قوله، ولا تغترر بناس يطفون بك، ويدعون الحنو عليك والحب لك، فإنهم بين مولى جاهل، وصاحب متمن، وجليس يرعى العين ويبتدر المحضر، ولو ظن الناس بك ما تظن بنفسك لكان الأمر لك والزماء في يدك، ولكن هذا حديث يوم مرض رسول الله ﷺ، ثم حرم الكلام فيه حين مات، فعليك الآن بالمزوف عن شيء عرضك له رسول الله ﷺ فلم يتم، وتصديت له مرة بعد مرة فلم يستقم، ومن ساور الدهر خلب، ومن حرص على ممنوع تعب، فعلى ذلك فقد أوصيت عبد الله بطاعتك، وبمشته على متابعتك، وأوجرتك محبتك، ووجدت عنده من ذلك ظني به لك، لا توتر قوسك إلا بعد الثقة بها، وإذا أعجبتك فانظر إلى سيئتها، ثم لا تفوق إلا بعد العلم، ولا تفرق في النزاع إلا لتصيب، وانظر لا تطرف يمينك حينك، ولا تجز شمالك حينك، ودعني بآيات من آخر سورة الكهف^(١) وقم إذا بدا لك^(٢)».

تعقيب ابن أبي الحديد على الوصية:

قال ابن أبي الحديد بعد ذكره الوصية المقدمة: «قلت الناس يستحسنون رأي العباس لعلي^{عليه السلام} في أن لا يدخل في أصحاب الشورى، وأما أنا فإني أستحسنه إن قصد به معنى، ولا استحسنه إن قصد به معنى آخر، وذلك لأنه إن

(١) هي قوله تعالى: (ان الذين آمنوا وطمعوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً • خالدين فيها لا يغيغون عنها حولا • قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جفنا بمثله مددا • قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف/ ١٠٧ - ١١٠.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨٢/٣ ط مصر الأولى.

أجري بهذا الرأي إلى ترفعه عليهم وعلو قدره عن أن يكون مماثلاً لهم، أو أجري به إلى زهده في الامارة ورغبته عن الولاية، فكل هذا رأي حسن وصوابه، وإن كان متزعه في ذلك إلى أنك إن تركت الدخول معهم وانفردت بنفسك في دارك أو خرجت عن المدينة إلى بعض أموالك فإنهم يطلبونك ويضربون اليك آباط الإبل حتى يوكوك الخلافة، وهذا هو الظاهر من كلامه، فليس هذا الرأي عندي بمستحسن، لأنه لو فعل لوكوا عثمان أو واحداً منهم غيره، ولم يكن عندهم من الرغبة إليه ~~الكل~~ ما يعثهم على طلبه، بل كان تأخره عنهم قرّة أعينهم، وواقعاً يأتارهم فإن قريشاً كلها كانت تبغضه أشد البغض، ولو عمر عمر نوح وتوصل إلى الخلافة بجميع أنواع التوصل كالزهد فيها تارة، والمناشدة بفضائله تارة، وبما فعله في ابتداء الأمر من اخراج زوجته وأطفاله ليلاً إلى بيوت الأنصار، وبما اعتمده إذ ذاك من تخلفه في بيته وإظهار أنه قد عكف على جمع القرآن، وبسائر أنواع الحيل فيها لم تحصل له إلا بتجريد السيف كما فعله في آخر الأمر.

ولست ألوّم العرب لا سيما قريشاً في بغضها له وانحرافها عنه، فإنه وترها وسفك دماها، وكشف القناع في منابذتها، ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم، وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس، كما نشاهد اليوم عياناً، والناس كالناس الأول، والطباع واحدة، فاحسب أنك كنت من ستين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت، أكان إسلامك يذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشتانته، كلا إن ذلك لغير ذاهب، هذا إذا كان الإسلام صحيحاً والعقيدة محققة لا كإسلام كثير من العرب، فبعضهم تقليداً، وبعضهم للطمع والكسب، وبعضهم خوفاً من السيف،

وبعضهم على طريق الحمية والانتصار، أو لعداوة قوم آخرين من أصدقاء الإسلام وأعدائه.

واعلم أن كل دم أراقه رسول الله ﷺ بسيف عليّ ﷺ وسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته ﷺ عصبت تلك الدماء بعليّ بن أبي طالب ﷺ وحده، لأنه لم يكن في رهنه من يستحق في شرعهم وستهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعليّ وحده، وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعدرت عليها مطالبته طالبت بها أمثل الناس من أهله. لئلا قتل قوم من بني تميم أخاً لعمر بن هند، قال بعض أعدائه يحرض عمراً عليهم:

من مبلغ عمراً بأن المرء لم يخلق صباره

وحوادث الأيام لا يبقى لها إلا الحجارة

ها إن عجزة أمه بالسفح أسفل من أواره

تسفي الرياح خلاك كشيحه وقد سلبوا أزاره

فأمره أن يقتل زرارة بن عدس رئيس بني تميم، ولم يكن قاتلاً أخا الملك ولا حاضراً قتله. ومن نظر في أيام العرب ووقائعها ومقاتلتها عرف ما ذكرناه^(١).

راي على راي!

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨٣/٣ ط الأولى بمصر.

قال ابن أبي الحديد: ((سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد رحمه الله فقلت له: إني لأعجب من علي عليه السلام كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف ما قتل وقتك به في جوف منزله مع تلفي الأكباد عليه؟ فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب ووضع خده في حضيض الأرض لقتل، ولكنه أحمّل نفسه واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأول وذلك الشعار ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، ولما أطاع القوم الذين ولوا الأمر... تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطاة من متولي وباطن في السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله وقع الإمساك عنه، ولولا ذلك لقتله، ثم أجلّ بعد معقل حصين.

فقلت له: أحق ما يقال في حق خالد؟

فقال: إن قوماً من العلوية يذكرون ذلك، ثم قال: وقد روي أن رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة فسأله عما يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث، فقال: إنه جائز، قد قال أبو بكر في تشهده ما قال.

فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك، فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة، فقال: أخرجوه أخرجوه قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبي الخطاب.

قلت له: فما الذي تقوله أنت؟

قال: أنا أستبعد ذلك وإن روته الإمامية، ثم قال: أما خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه بشجاعته في نفسه ولبغضه إياه، ولكنني استبعده من أبي بكر فإنه كان

ذا ورع ولم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة ومنع فذك وإغضاب قاطمة وقتل علي عليه السلام حاشى الله من ذلك.

فقلت له: أكان خالد يقدر على قتله ؟

قال: نعم ولم لا يقدر على ذلك والسيف في عنقه وعلي أحزل غافل عما يراد به، قد قتله ابن ملجم غيلة وخالد أشجع من ابن ملجم.

فسألته عما ترويه الإمامية في ذلك كيف الفاظه؟ فضحك وقال: كم عالم بالشيء وهو يسائل، ثم قال: دعنا من هذا. ما الذي تحفظ في هذا المعنى؟ قلت قول أبي الطيب:

نحن أدري وقد سألتنا بنجد أطويل طريقنا أم يطول
وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

فاستحسن ذلك وقال: لمن عجز البيت الذي استشهدت به ؟ قلت لمحمد ابن هاتيم المغربي وأوله:

في كل يوم استريد تجارها كم عالم بالشيء وهو يسائل
فبارك علي مراراً ...^(١)

وللعباس عليه السلام كلام يجري مجرى الخطبة، منه ما قاله في ليلة بيعة العقبة الثانية حيث كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ذكر ابن سعد في الطبقات بسنده عن معاذ بن رفاعة قال: ((كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج. وكانت الأوس والخزرج

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/٧٨٢.

تدعى الخزرج - إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه والله من كان منا على قوله ومن لم يكن منا على قوله منعة للحسب والشرف، وقد أباي محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلدٌ وصرٌّ بالحرب، واستقلالٌ بمداوة العرب قاطبة فإنها سترميكم عن قوس واحدة، فارتووا رأيكم وأتمروا أمركم ولا تفرقوا إلا عن ملائمتكم واجتماع، فإن أحسن الحديث صدقة. وأخرى صفوا إلي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟

فأجابوه ووصفوا له ما أراد فقال: أنتم أصحاب حرب فهل فيكم دروع؟ قالوا نعم شاملة. وعند البيعة كان العباس آخذاً بيد رسول الله ﷺ يؤكد له البيعة تلك الليلة على الانصار^(١).

وقال البلاذري في أنساب الأشراف فتكلم العباس فقال: ((يا معشر الأوس والخزرج قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ونحن عشيرته ولنا بمسلميه، فإن كنتم قوماً تهضون بنصرته، وتقوون عليها، وإلا فلا تفروه وأصدقوه، فإن خير القول أصدقته^(٢))).

وقال ابن هشام في سيرته: ((كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجهما وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعنا من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أباي إلا الانحياز

(١) طبقات ابن سعد ٤ ق ٣/١٣.

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٥٤.

اليكم وللحق بكم، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه من مخالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده»^(١).

ومن كلام للعباس عليه السلام قاله لأبي بكر ومن معه حين أتوه يطعموه في أن يجعلوا له ولعقبه من بعده نصيباً ليقطعوه من جانب عليّ وذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسيأتي تفصيل ما قالوه له في ما يأتي من فصول الكتاب.

قال: فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله - كما زعمت - نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له ما عنده، فحلى على الناس أمرهم وليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق، لا مائلين عنه بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فحن منهم، متقدمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين، فأما ما بذلت لنا فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه، وإن يكن حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض، وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم، فإنه قد كان من شجرة نحن أخصانها وأنتم جيرانها^(٢).

قال ابن أبي الحديد: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله واشتغل علي عليه السلام بنفسه ودفنه، وبيع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة المهاجرين بعباس وعلي عليه السلام لإزالة الرأي وتكلموا بكلام يقتضي الاستهزاء والتهيج.

(١) بهامش الروض الأنف ١/٢٧٥.

(٢) الامامة والسياسة ١/١٦ ط مصر سنة ١٣٢٨ هـ.

فقال العباس عليه السلام: قد سمعنا قولكم فلا لقله نستعين بكم، ولا لقلته نترك آراءكم فامهلونا نراجع الفكر، فان يكن لنا من الإثم مخرج يصربنا وبهم الحق صرير الجدد، ونبسط إلى المجد أكفاً لا نقبضها أو نبليغ المدى، وان تكن الأخرى فلا لقله في العدد، ولا لوهم في الأيد، والله لولا أن الإسلام قيد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العلي عليه السلام ^(١).

وخلاصة القول في أبي الفضل العباس رحمه الله انه كان كما وصفه ابنه عبد الله وقد سأله معاوية عن ذلك فقال: رحم الله أبا الفضل، كان والله عم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرّة عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الاحمام والأخذان، جد الأجداد، وآباؤه الأجواد، واجداده الأنجاد، له علم بالأمور، قد زانه حلم وقد علاه فهم، كان يكسب حباله كل مهند، ويكسب لرايه كل مخالف رحديد، تلاشت الأخدان عند ذكر فضيلته، وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته، صاحب البيت والسقاية، والنسب والقراية، ولم لا يكون كذلك؟ وكيف لا يكون كذلك؟! ومدبر سياسته اكرم من ذبر، وأفهم من نشأ من قریش وركب ^(٢).

ومن كلام له يجري مجرى الوصية لابنه عبد الله وذلك في أيام عمر. قال له: ((أنت أعلم مني ولكني أشد تجربة للأمور منك، وان هذا الرجل - يعني عمر- قد قرئك وقدمك يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واني أوصيك بخلال أربع: فلا تفشين له سرأ، ولا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٢/٣ ط الاول بمصر.

(٢) مستشرق الحاكم ٣٢٩/٣.

يجرين عليك كذباً، ولا تغتابن عنده مسلماً، ولا تحدثه بشيء حتى يسألك عنه^(١).

قال الشعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، قال: أي والله ومن عشرة آلاف.

وقال له: «يا بني لا تعلم العلم ثلاث خصال: لا ترائي به، ولا تماري به، ولا تباهي به، ولا تدعه ثلاث خصال: رغبة في الجهل، وزيادة في العلم، واستحياء من التعلم^(٢)».

وفاة العباس:

ولقد أعتق من العيد عند موته سبعين عبداً في سبيل الله تعالى^(٣).
وله عند موته وصية أوصى بها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
قال له: «أي بُني إني مشرف على الظعن إلى الله الذي فاقني إلى عفوه وتجاوزه
أكثر من حاجتي إلى ما أنصحك فيه وأشير عليك به، ولكن العرق نبوض،
والرحم عروض، وإذا قضيت حق العمومة فلا تأل بي بعد، إن هذا الرجل - يعني

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ترجمة ابن عباس نسخة مخطوطة هندي ٥١/٣. وفتح الباري ٣٦٦/١٠ ط مصطفى محمد الباجي الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ. نقل عن مكارم الأخلاق للخراطي. وتاريخ ابن عساكر ٣٠٥/١٢. وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤٨/٤ ويوجد تفاوت في اللفظ وفي بعض المصادر: ولا يجرين عليك كتباً، وميون الأخبار لابن قتيبة ١٩/١ ط دار الكتب المصرية والعقد الفريد ٧/١. وأبناء نبياء الأبناء ص ٨١. والكامل للميرد ٣١٢/٢ والمستطرف ٨٩. وسراج الملوك للطرطوشي ٢٢٢. والأدب لجعفر بن همام الخلافة ٢٨ ط الخانجي سنة ١٣٤٩ هـ. والفتوحات الإسلامية لزين دحلان ٣٣٨/٢ وغيرها.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١٧٠/١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٠/٢. وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٧٦/٢٦ ط دار الفكر سنة ١٩٩٥ م.

عثمان- قد ناجاتي مراراً بحديثك وناظرني ملاييناً ومخاشناً في أمرك، ولم أجد منه عليك إلا مثل ما أجده منك عليه، ولا رأيت منه لك إلا مثل ما رأيت منك له، ولست توتي من قلة علم، ولكن من قلة قبول، ومع هذا كله فالرأي الذي أودعك به أن تمسك عنه لسانك ويدك، فإنه لا يبدأك ما لم تبدأه، ولا يجبك عما لم يبلغه، فإن قلت كيف هذا وقد جلس مجلساً أنا صاحبه، فقد قاربت، ولكن حديث يوم مرض رسول الله ﷺ فات^(١)، ثم حرم الكلام فيه حين مات، فعليك الآن بالعزوب عن شيء أرادك له رسول الله ﷺ فلم يتم، وتصديت له مرة بعد أخرى فلم يستقم، ومن ساور الدهر غلب، ومن حرص على ممنوع تعب، وعلى ذلك فقد أوصيت عبد الله بطاعتك، وبعثت على متابعتك، وأوجرتك محبتك، ووجدت عنده من ظني به لك، لا توتر قوسك إلا بعد الثقة بها، وإذا أعجبتك فانظر إلى سبتها^(٢) ثم لا تفوق^(٣) إلا بعد العلم، ولا تفرق في النزاع^(٤) إلا لتصيب الرمية. وأنظر لا بطرف يمينك عينك، ولا تجز شمالك شينك، ودعني بآيات من آخر سورة الكهف وقم إذا بدا لك^(٥).

ثم قال لأبته عبد الله لما حضر أجله: ((يا بني والله ما مت موتاً ولكني فنيت فناء، واني موصيك بحب الله وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا

(١) يشير إلى حديث الكتف والدواة الآتي تفصيله عند الحديث عن حياة جبر الأمة في عهد الرسول ﷺ.

(٢) سية القوس طرفها المنحني (المصباح المنيرسية).

(٣) فوق السهم وزان قفل موضع الوتر (المصباح المنيرفوق).

(٤) نزاع في القوس منها (المصباح المنيرنزاع).

(٥) الدرجات الرهيمة / ٩٨.

كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإنني استودعك الله يا بني، ثم استقبل القبرة فقال: لا إله إلا الله، ثم شخص ببصره فمات^(١).

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن مجاهد قال: «أعتق العباس بعض رقيقه في مرضه. فرد ابن عباس منهما اثنين كانوا يروون أنهما أولاد زنا»^(٢).

وتوفي في الثاني عشر من شهر رجب، وقيل من شهر رمضان، وقيل في أول سنة ٣٢ هـ، وقيل سنة ٣٤ هـ، في خلافة عثمان وهو ابن ثماني وثمانين سنة، وذكر ابن سعد في الطبقات وصف تشييعه العظيم ومن تولى غسله ودفنه^(٣) وصلى عليه أمير المؤمنين عليّ ومعه عثمان^(٤) ودفن بالبقيع في بقعة خاصة به، ودفن فيها بعده أربعة من أئمة المسلمين وسادة أهل البيت الطاهرين وهم الأئمة الحسن الزكي وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام. وبنى عليهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة ١١٠ هـ^(٥) قبة معظمة بقيت حتى هدمها الوهابيون في ٨ شوال سنة ١٣٤٤ هـ بفتوى أحد علمائهم، نسأل الله تعالى أن يهدينا وجميع المسلمين إلى سواء السبيل.

(١) تهذيب ابن صباكر ٢٥٣/٧ ط الاست دار الصبوة وقاربخ مدينة دمشق لابن صباكر ٢٦/٢٦١ ط دار الفكر.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٤ ق ٦٠/١، وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢/٩٤٥ الرقم ١٨٢٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٣: فرد منهم اثنين قال الراوي: فكانت ترى إماما ردهم أنهم كانوا أولاد زنا.

(٣) طبقات ابن سعد ٤ ق ٢١/١، وراجع سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٧٤ ط مصر، و ٣/٤١٣ ط دار الفكر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) لقد قال عنها الذهبي المتوفي ٧٤٨ في سير أعلام النبلاء ٢/٧١ ط مصر، و ٣/٤١٢ ط دار الفكر، وعلى قبره اليوم قبة معظمة من بناء خلفاء آل العباس وقيل في ص ٧٣: وله قبة شاهقة على قبره بالبقيع.

ولمّا مات العباس جلس ابنه الحر عبد الله للغزاء، ودخل عليه الناس يعزونه، وكان فيمن دخل عليه أعرابي وضع يده في يده وقال:

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الرأس
خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس
فقال ابن عباس: ما عزاني أحد أحسن من تعزيتي^(١).

قال ابن قيم الجوزية: «أحجم الناس عن تعزية ولده عبد الله إجلالاً له وتعظيماً، حتى قدم رجل من البادية فأنشده ... قال فسرى عنه واقبل الناس على تعزيتي»^(٢).

وذكر الكتاني في التراتيب الادارية نقلاً عن كتاب روتق التحبير في حكم السياسة والتدبير لمحمد بن أبي العلاء بن سماك، والفروق للقرافي: «روي أنّ العباس بن عبد المطلب لمّا مات عظم المصاب به على ابنه عبد الله، وكان عبد الله بن عباس عظيماً عند الناس في نفسه لأنه كان ترجمان القرآن وافر العقل جميل المحاسن والجلالة والأوصاف الحميدة فأعظمه الناس على التعزية إجلالاً له ومهابة بسبب عظمته في نفسه وعظمة من أصيب به، فإن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقي بعد وفاته مثل والده ... فلمّا مات عظم خطبه وجلت رزيتة في صدور الناس وفي صدر ولده عبد الله وأحجم الناس عن تعزيتة، فأقاموا على ذلك شهراً كما ذكره المؤرخون، فبعد الشهر قدم أعرابي من البادية فسأل عن عبد الله بن عباس فقال الناس ما تريد؟ قال أريد أن أعزي عبد

(١) احياء علوم الدين للغزالي ١١٣/٤.

(٢) بدائع الفوائد ٢١٧/٤.

الله بن عباس فقام الناس معه عساء أن يفتح لهم باب التعزية، فلما رأى عبد الله بن عباس قال له السلام عليك يا أبا الفضل فرد عليه عبد الله فأنشده:

اصبر نكن بك صابرين ... البيتين.

فلما سمع الشعر عبد الله زال ما كان به واسترسل الناس في تعزيتة ... اهـ^(١).
أقول: وأثر الصنعة في تفصيل هذا الخبر ظاهر غير أنه لم يكن ذلك من فراغ، والمقبول مجيب الأعرابي لتعزية ابن عباس وأنشاده شعره، وقول ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من تعزيتة.

أولاد العباس:

وخلف العباس من الأولاد: عشرة ذكور وأربع إناث وهم:
الفضل وهو أكبرهم وبه كان يكتى، وعبد الله - وهو الحبر صاحب كتابنا هذا - وعبيد الله، وقثم وكان من المشبهين بالنبي ﷺ وكان أبوه العباس يرقصه ويقول:

أيا بُنيَ يا قثم أبا شبيه ذي الكرم^(٢)

قال النووي: وكان أخا الحسين بن علي من الرضاعة^(٣).

(١) التراتيب الادارية ٤١٦/٢ طه اصبحت دار احياء التراث الإسلامي بيروت والغزوي للقراهي . ١٩٥/٢

(٢) المحبر/ ٤٦.

(٣) تهذيب الاسماء واللغات ٥٩/١.

وعبد الرحمن توفي بالشام ولم يعقب، ومعبد استشهد بافريقية، وأم حبيب أمهم جميعاً أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، وفي ولدها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجبية من فحل^(١) بجبل نعلمه أو سهل
كسنة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل^(٢)

وله أيضاً كثير^(٣) وتمام وكان من أشد قريش. كما يقول الذهبي. لأم ولد تسمى سباء وهي رومية وقيل حميرية، والحارث أمه من هذيل^(٤)، وعون، وأمينة، وأم كلثوم، وصفية لأمهات أولاد شتى، فهؤلاء عشرة ذكور وأربع إناث، وكان تمام أصغر بنيه الذكور، وفيه يقول أبوه العباس:

تموا بتمام فصاروا عشرة يارب فاجلهم كراماً بررة^(٥)

(١) كانت العرب لا تعد المرأة منجبة لها أقل من ثلاثة بنين أشرافه فأم الفضل لها أكثر من

ثلاثة لذلك قال الشاعر عنها أنها منجبة، لاحظ المحبر لمحمد بن حبيب / ٤٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للنهبي ٦٧/٢ ط مصر، و ٤٠٤/٣ ط دار الفكر، ومجمع الزوائد ٣٧١/٩.

والاستيعاب ٥٥٨/٢ ط حيدرآباد، و اسد الغابة ٥٣٩/٥.

(٣) وهو الذي فيما ذكر البلاذري في أنسابه ٤٠٢/١ فعل مثل ما فعلته فاطمة الزهراء عليها السلام

من الاشتغال عند حضور الموت واعداد الكفن وإله كتب على أطراف أكفانه: كثير بن

العباس يشهد أن لا إله إلا الله. قال النهبي، وكان فقهاً.

(٤) في سير أعلام النبلاء ٤٠٤/٣ ط دار الفكر: أمه حبيبة بنت جندب التميمية.

(٥) الدرجات الرفيعة / ١٥٣، ومجمع الزوائد ٣٧١/٩.

أحاديث العباس:

وقد روى الحديث عن النبي ﷺ، إلا أنه لم يكن مكثرًا من الرواية، فلم يخرج له أصحاب الصحاح والسنن كثيراً وأحاديثه لا تبلغ العشرين، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست في مؤلفات إبراهيم الحرابي المتوفى سنة ٢٨٥ (مسند العباس) ولما لم يصل إلينا لتعرف ما فيه فنكتفي بذكر ما روي عنه في كتب الحديث^(١) وإليك منها: ثلاثة عشر حديثاً على النحو التالي:

(١) لقد ورد له في المسند الجامع - المؤلف حديثاً - ٢١ حديثاً في ١٢٢/٨ - ١٣٧ بينها أحاديث موضوعة على لسانه كما في حديث أبي طالب في ضحضاح من نار المروي في صحيح مسلم ويكفي في سقوطه سنداً وجود عبد الملك بن عمير اللخمي الذي عاش فترة من حكم معاوية ثم ابنه يزيد ثم بني مروان وولي القضاء بالكوفة لهم، وهو الذي ذبح عبد الله بن يقطر رسول الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة فقبض عليه وأمر به ابن زياد أن يلقي من أعلى القصر فرمي وتكسرت عظامه وبقي به رمق، فأثناء عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه ولما عيب عليه قال أردت أن أريه ثم صار بعد ذلك يروي الحادثة ويكفي عن نفسه فيقول ذبحه رجل. وأخيراً فقد ساء حفظه فكان أبو حاتم وابن معين وأحمد يضمفونه - ميزان الامتثال وفيه كان شعبة لا يرضاه - هذا من ناحية سقوط السند.

وأما من جهة المتن فهو مخالف للكتاب حيث يقول عز من قائل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿فَمَا تَتَفَتَّهُمْ شِفَاةُ الشَّافِئِينَ﴾ المدرس ٢٨ - ٤٨. فلو قلنا بصحة الحديث لأن مسلماً رواه في صحيحه فلا شفاة للنبي بحق صمه لأنه مات مشركاً كما يزعم الزامون - ولو صدقت الأحلام للزمننا تزييف الحديث لمناقضته لحديث آخر رواه مسلم أيضاً في نفس الموضوع عن أبي سعيد الخدري حيث روى (لعله تنفخه شفاةتي يوم القيامة...) بينما في حديث العباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نفع صمه فألقنه بشفاةته (هو في ضحضاح من نار ولولا إذا لكان في الدرك الأسفل من النار) فالحديث كسائر الأحاديث المكتوبة على لسان العباس وفيه الموضوعة في العهد الأموي إيفالاً في بفض الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وإلا أبو طالب ما كان مشركاً بل كان موحداً حنيفاً مسلماً على ملة إبراهيم ولما أتى الإسلام آمن به وصار يكتف إيمانه حفاظاً على سلامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقاها عنه وشعره الطافح بإيمانه في سره وإعلانه يعني المرء عن بيانه فهو كؤمن آل فرعون كما ورد في

- ١- حديث: (كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم فمرت بهم صحابة) أخرجه أبو داود في كتاب السنة عن محمد بن الصباح البزاز، وأخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد، وأخرجه ابن ماجة في السنة عن محمد بن يحيى.
- ٢- حديث: (لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشبك النجوم) أخرجه ابن ماجة في الصلاة عن محمد بن يحيى.
- ٣- حديث: (إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه ...) أخرجه كل من مسلم وأبي داود والترمذي في الصلاة عن قتبية، وأخرجه النسائي في الصلاة عن قتبية وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وأخرجه ابن ماجة في الصلاة عن يعقوب بن حميد بن كاسب.
- ٤- حديث: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً) أخرجه مسلم في الإيمان عن محمد بن يحيى بن أبي عمر، وبشر بن الحكم، وأخرجه الترمذي في الإيمان أيضاً عن قتبية.
- ٥- حديث: (قلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله قال: سل الله العاقية) أخرجه الترمذي في الدعوات عن أحمد بن منيع.
- ٦- حديث: (قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتلذكروا أحسابهم) أخرجه الترمذي في المناقب عن يوسف بن موسى القطان البغدادي.
- ٧- حديث: (قال ابن عباس سمعت أبي يقول في الجاهلية: إسقنا كأساً دهاقاً) أخرجه البخاري في أيام الجاهلية عن إسحاق بن إبراهيم.

٨- حديث: (لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانَ، قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتَ وَاللَّهِ إِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَةَ عَنُوةً) أخرجه أبو داود في المخرّاج عن محمد بن عمرو الرازي زنيج.

٩- حديث: (أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ أُرِيدَ أَنْ نَكْسَ زَمْرًا وَإِنْ فِيهَا مِنْ هَدَاةِ الْجَنَانِ) أخرجه أبو داود في الأدب عن أحمد بن منيع.

١٠- حديث: (شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ حَنْيْنٍ فَلَزِمْتُهُ أَنَا وَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ فَلَمْ تَفَارِقَهُ) أخرجه مسلم في المغازي عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو ابن السرح.

١١- حديث: (كُنَّا نَلْقَى النَّفْرَ مِنْ قَرِيشٍ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فَيَقْطَعُونَ حَدِيثَهُمْ) أخرجه ابن ماجة في السنّة عن محمد بن طريف.

١٢- حديث: (سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ لِلزَّيْرِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَا هُنَا أَمْرُكَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَكْتَ الرَّايَةَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَةَ) أخرجه البخاري في الجهاد عن أبي كريب.

١٣- حديث: (لَا فُودَ فِي الْمَأْمُومَةِ وَلَا الْجَائِفَةِ وَلَا الْمُنْتَلَةِ) أخرجه ابن ماجة في الدييات عن أبي كريب.

وأخيراً فقد ذكر له رأي فقهي مع أنه لم يُعرف مع فقهاء الصحابة، إلا أن الشيخ الطوسي ذكر رأيه في كتابه الخلاف في مسألة عدم جواز استقبال القبلة واستدبارها بيول أو غائط. فقد قال: وقال الشافعي: لا يجوز ذلك في الصحاري دون البنيان، وبه قال العباس بن عبد المطلب.

أقول: وهذا نقله عنه أيضاً غير الطوسي^(١).

(١) انظر نيل الأوطار/١، ٩٤، وتحفة الأحويدي/١، ٥٦، وصمدة القاري/٢، ٣٧٨.

مسك الختام بالسلام عليه (عليه السلام):

روى المجلسي في زاد المعاد في أعمال اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول قال: قال الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس رحمهم الله إذا أردت زيارة النبي ﷺ في ما عدا المدينة الطيبة من البلاد فاغتسل ومثل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه الشريف ثم قف وتوجه بقلبك إليه ثم ذكروا زيارة طويلة جاء في بعض فقراتها: السلام على عمك حمزة سيد الشهداء السلام على عمك العباس السلام على عمك وكفيك أبي طالب... الخ.

كما ورد التنويه بذكره في زيارة يوم الغدير المروية عن الإمام الهادي عليه السلام بأسناد معتبر، حيث جاء قوله: ((وعمك العباس ينادي المنهزين يا أصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة حتى استجاب له قوم...)) إلى غير ذلك فسلام الله عليه ورحمة منه وبركاته.

ثانياً: أمه - لبابة بنت الحارث

هي لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزيم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش بن حمير. المعروفة بالعجوز الجرشية أكرم الناس أصهاراً^(١) وأكرم عجوز في الأرض أصهاراً. فقد كان لها ثمان أو تسع بنات تزوجهن الأشراف من الناس وهن:

١- ميمونة بنت الحارث، وهي أسعد أخواتها، فقد تزوجها رسول الله ﷺ. تزوج بها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها عنه، وبنى ﷺ بها بسرف^(٢) سنة سبع من الهجرة وبه توفيت أيضاً سنة ٥١، ٦٣، ٦٦ ودفنت هناك، وهذا من غريب المصادقات في حياتها، كما أنها آخر من تزوج بها النبي ﷺ وآخر أزواجه موتاً عند بعضهم.

(١) التنبيه والأشراف للمعمودي / ٢٢٨، والأصابة / ٢٧٧/٨، والاستيعاب / ٧٥٨/٢، وثمار القلوب للثعالبي / ٧٨.

(٢) بسرف: موضع على عشرة أميال من مكة، السمط الثمين للمحب الطبري / ١١٤ - ١١٥.

قال ابن قتيبة: وكانت قبله عليه السلام تحت أبي سبرة بن أبي رهم العامري.

٢- لبابة الكبرى - وهي أم زعيمنا حبر الأمة وصاحب الترجمة -.

٣- لبابة الصغرى، واسمها العصماء، وقد تزوجها الوليد بن المغيرة

المخزومي، فولدت له خالد بن الوليد.

وهذه الثلاث كلهن بنات الحارث بن حزن الهلالي. ولهن أخوات أيضاً

من أمها، وهن:

١- عزة: وكانت عند الحجاج بن علاط السلمي.

٢- سلمى: وقد تزوجها حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء عليه السلام فولدت

له: أمة الله، وقيل أمامة وقال ابن قتيبة: التي كانت تحته هي زينب بنت عميس،

وسلمى تحت شداد بن الهاد.

٣- أسماء: وقد تزوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام فولدت له: عبد الله وعوناً

ومحمداً، ثم خلف عليها أبو بكر بعد مقتل جعفر فولدت له محمداً، ثم خلف

عليها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد موت أبي بكر فولدت له يحيى وعوناً

ولا عقب لهما، ولسلمى وأسماء أخت ثالثة وهي سلامة وهن بنات عميس بن

معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة من خثعم

ابن أنمار.

ولبابة الكبرى من السابقات إلى الإسلام، وقالوا: إنها أول امرأة أسلمت بعد

خديجة أم المؤمنين كما ذكر ذلك جماعة من المؤرخين^(١)، وقد روى سفيان بن

(١) منهم ابن سعد في الطبقات ٢٠٣/٨، وحكاه عن الواقدي، وابن الأثير في أسد الغابة

٥٣٩/٥، وابن حجر في الإصابة ٢٧٦/٨، وابن عبد البر في الاستيعاب ٧٥٨/٢، والمقرئزي

في امتاع الاسماع ٥٢٤/، والمحب الطبري في ذخائر العقبى ٢٢٤/، والتقني الفاسي في

عينية عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: «سمعت ابن عباس يقول: كنت أنا وأمي من المستضعفين، كانت أمي من النساء وكنت أنا من الصبيان»^(١).

وقال ابن عباس: فعذر الله أهل العذر منهم، وأهلك من لا عذر، وقال: وكنت أنا وأمي ممن كان له عذر. وفيما يلي حديث فيه دلالة على جانب من الاستضعاف الذي كان يعانيه المسلمون ومنهم أم الفضل، كما فيه دلالة على قوة العقيدة والإيمان في نفوس المؤمنين ومنهم أم الفضل.

فقد أخرج الطبراني بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: «كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكنت قد أسلمت وأسلمت أم الفضل وأسلم العباس، وكان يكتنم إسلامه مخافة قومه وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام - وكان اخا أبي جهل وخال عمر بن الخطاب - وكان له عليه دين^(٢) فقال له: اكفني هذا الغزو وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر

العقد الثمين ٨ / ٣١٤، والعلاء السكتوري في محاضرة الأوائل ٣١/ وحكاية من السهولتي وغيرهم.

(١) أخبار الدولة العباسية ١٢١ بتحقيق الدوري والمطليبي، والحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره الآية ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ ورواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع والبيهقي في سننه ١٣/٩، والطبري في معجمه ٩٩/١١ و ٢١٧، ولكن ابن حزم في المحلى ١٥/٢ حاول - مكابراً - أن يجعل إسلام ابن عباس بعد فتح مكة قبل موت النبي ﷺ بإمامين ونصف فقط، وهذا محض هراء بلا امتراء، كيف يصدق على ذلك، والعباس هاجر قبل الفتح ومعه أهله وبنوه ومنهم عبد الله فالتقى الركب النبوي في الطريق كما مر.

(٢) روى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأثاني ١٧٤/٤ ط دار الكتب المصرية ومنه النويري في نهاية الأرب ١٣/١٧ ط دار الكتب المصرية واللفظ له، عن مصعب بن عبد الله قال: قام أبو لهب العاص بن هشام في عشرة من الأبل فقمره، ثم في عشرة فقمره، ثم في عشرة فقمره، إلى أن خلمه من ماله فلم يبق له شيئاً فقال: إني لرى القداح قد

وكتب الله أبا لهب، وكنت رجلاً ضعيفاً أنحت هذه الأقداح في حجرة، ومر بي، فوالله اني لجالس في الحجرة أنحت أقداحي وعندني أم الفضل، إذ الفاسق أبو لهب يجر رجله أراه قال: حتى جلس عند طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث، فقال أبو لهب: هلم الي يابن أخي، فجاء أبو سفيان حتى جلس عنده، فجاء الناس قماموا عليهما، فقال: يابن أخي كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله ما هو إلا أن لقيتاهم فمتحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا، وبأسرونا كيف شاؤا، وأيم الله لما لمت الناس، قال: ولم؟ فقال رأيت رجلاً بيضاً على خيل بلق، لا والله ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال: فرفعت طنب الحجرة فقلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فلطم وجهي، وثاورته فاحتلمني فضرب بي الأرض حتى نزل عليّ. برك ظ. فقامت أم الفضل فاحتجرت فأخذت عموداً من عمُد الحجرة ففرضته به، فقلقت في رأسه شجةً منكراً وقالت: أي عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائباً عنه، فقام ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعمدة فقتلته فلقد تركاه ابناه ليلتين أو ثلاث ما يدفناه حتى أتتن، فقال رجل من قريش لابنيه: ألا تستحيان؟ إن أباكما قد أتتن في بيته، فقالا: إنا نخشى هذه القرحة. وكانت قريش

حالفتك يابن عبد المطلب فهلم أقامرك يابن عبد المطلب هايناً هُكِب كان عبداً لصاحبه، قال الفعل ففعل ففعله أبو لهب ففكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم فمضى اليهم فقال افتدوه مني بمشرة من الأبل فقالوا: لا والله ولا بويرة فاسترقه فكان يرمى له إبلة إلى أن خرج المشركون إلى بدر. قال وقال غير مصعب فاسترقه واحتبسه حيناً يعمل الحديد فلما خرج المشركون إلى بدر، أخرجه أبو لهب عنه لأنه كان غليلاً، على إنه إن عاد اعتقه فقبل الماص.

يتقون العدسة كما يتقون الطاعون، فقال رجل: انطلقا فانا معكما، قال: فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد، ثم احتملوه فقذفوه في أعلام مكة إلى جدار وقذفوا عليه الحجارة»^(١).

أقول: ورواه الحاكم^(٢)، والهيثمى في المجمع^(٣)، وأحمد في مسنده^(٤)، والبزار^(٥)، والنويري^(٦)، وغيرهم.

ومن هذا الحديث يظهر إن استضعاف المشركين للمسلمين كان حتى بعد واقعة بدر وأن ابا رافع كان من المسلمين المستضعفين، كما يدل عليه قول أم الفضل لأبي لهب، كما أن ما فعلته بأبي لهب عدو الله وعدو رسوله ﷺ يدل على قوة إيمانها وصلابة عقيدتها ؟ كما يدل على قوة جنانها وشجاعتها. شكر الله تعالى لها ذلك الموقف البطولي الذي أودت فيه بحياة عدو من ألد أعداء الرسول ﷺ.

وقد ذكر المؤرخون: إن النبي ﷺ كان يزورها في بيتها، ويقبل - من القيلولة وهي نومة الضحى - عندها أيام كان بمكة^(٧).

وكانت من فواضل النساء، هاجرت إلى المدينة بهجرة زوجها، وقد روي في حقها وحق أخواتها شهادة من النبي الكريم ﷺ بإيمانهن.

(١) المجمع الكبير للطبراني ٣٠٨/١ ط الثانية.

(٢) مستدرک الحاكم ٣٢٢٢/٣.

(٣) مجمع الزوائد ٨٩/٦.

(٤) مسند أحمد ٩/٦.

(٥) مسند البزار ح/٧٧٨.

(٦) نهاية الأرب ٣١/١٧.

(٧) الاستيعاب ٧٥٨/٢، والعقد الثمين للفاسي ٣١٥/٨.

فقد أخرج ابن حجر في الإصابة عن الزبير بن بكار وغيره أنّ النبي ﷺ قال: «الأخوات الأربع مؤمنات: أم الفضل، وميمونة، وأسماء، وسلمى»^(١)، وفي رواية البلاذري: «قال ﷺ أحبهن لإيمانهن»^(٢).

وأخرج أيضاً عن الواقدي بسنده عن كريب: «ذكرت ميمونة وأم الفضل وأخواتها لبابة - وهي بكر - وعزة، وأسماء، وسلمى فقال رسول الله ﷺ إنّ الأخوات مؤمنات»^(٣).

وهذه الأخوات مع أخت سابعة لهن اسمها حميدة، هن اللواتي ترحم عليهن الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فيما أخرجه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه في كتابه الخصال بسنده عن أبي بصير - والسند صحيح - قال سمعته - يعني الباقر - يقول: رحم الله الأخوات من أهل الجنة، فسماهن: أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وسلمى بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب، وخمس من بني هلال: ميمونة بنت الحارث، كانت تحت النبي ﷺ، وأم الفضل عند العباس - وأمها هند - والعصماء أم خالد، وعزة كانت في تقيف عند الحجاج بن علاط، وحميدة لم يكن لها عقب^(٤). وكفى بشهادة النبي ﷺ وشهادة ابنه وحفيده الإمام الباقر عليه السلام في حق تلكم الأخوات دليلاً على حسن حالهن، وعلو مقامهن، فرحمهن الله تعالى برحمته.

(١) الإصابة ٣٧٦/٨.

(٢) النسب الأشرف (ترجمة أبي طالب) / ٤٤.

(٣) الإصابة لابن حجر ٣٧٦/٨، ومعجم الطبراني ٣٣٧/١١، ومعجم الزوائد ٣٦٠/٩، وقال: رواه

الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه الحاكم في المستدرک ٣٧٦/٤.

٣٣ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) الخصال (باب السبعة) ٣٣٢ - ط الحيدرية.

وقد روت أم الفضل عن النبي ﷺ الحديث، فقد أخرج لها البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك في الموطأ وأبو داود وابن ماجه كلهم في كتاب الصلاة عن أم الفضل انها سمعته - النبي ﷺ - وهو يقرأ والمرسلات عرفاً، وفيه: انها لآخر ما سمعت النبي ﷺ يقرأ بها في المغرب^(١).

وأخرج لها البخاري في الحج والصوم والاشربة، ومسلم في الصوم، وأبو داود في الصوم، ومالك في الموطأ في الحج حديث: ((إن الناس تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ فأرسلت إليه بقعب من لبن وهو واقف فشره))^(٢).

وأخرج لها مسلم في النكاح، والنسائي وابن ماجه فيه أيضاً حديث: ((لا تحرم الرضعة والرضعتان))^(٣).

وأخرج لها أبو داود في الطهارة، وابن ماجه فيه وفي الرؤيا حديث: ((كان الحسين بن علي في حجر النبي ﷺ فقال عليه))^(٤).

ولفظه لابن ماجه في الرؤيا: ((قالت أم الفضل: يا رسول الله رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضائك، قال: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فترضعه، فولدت حسيناً أو حسناً، فأرضعته بلبن قثم، قالت: فجئت به إلى النبي ﷺ فوضعت في حجره فيال، فضربت كفه، فقال النبي ﷺ: أوجعت ابني رحمك الله))^(٥).

وهذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک بلفظ أوفى ولفظه: ((بسند عن شداد بن عبد الله عن أم الفضل بنت الحارث انها دخلت على رسول الله ﷺ

(١) ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث للنايلسي ٢٨٦/٤.

(٢) نفس المصدر ٢٨٦/٤.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) سنن ابن ماجه ٣٧/٢ حد الأولى بمصر سنة ١٣١٣.

فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: وما هو؟ قالت: أنه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يوماً على رسول الله ﷺ فوضعت في حجره ثم حانت مني الصفات، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع، قالت: فقلت يا نبي الله، بأبي أنت وأمي مالك؟ قال: أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بترية من تربته حمراء قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^(١).

وأخرج أحمد في المسند^(٢)، وابن ماجه في السنن^(٣)، وابن سعد في الطبقات^(٤)، وابن عساکر كما في تهذيب تاريخه^(٥)، والتمتقي الهندي في كنز العمال هذا الحديث بالفاظ متقاربة^(٦). وعندهم: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً وترضعينه، فتكفيلته بلبن ابنك قثم. وكانت أم الفضل في مدة رضاعها الحسين عليه السلام ترقصه وهي تقول:

يا ابن رسول الله يا ابن كبير الجاه

(١) مستدرک الحاكم ١٧٦/٣ وأخرجه في ١٧٩ بصيغة أخسر، كما أخرج الحديث بصورته الأولى في مشكاة المصابيح كما في ينبوع المودة ٣٨٢/ ط الحيدرية وتهذيب ابن عساکر ٣١٣/٤ ولذاكرة الخواص ٣٣٦، وكفاية الطالب ٤١٨.

(٢) مسند أحمد ٦/٣٣٩.

(٣) سنن ابن ماجه / ح ٣٩٣٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/٣٠٤ ط بيروت.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٤/٣١٦.

(٦) كنز العمال / ح ٤١٦٥.

فرداً بلا اشباه أحاذه إلهي
من أمم الدواهي^(١)

وكانت هي مع النساء في بيت النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه. فقد روى الشيخ المفيد بسنده إلى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: ((وضع رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه رأسه في حجر أم الفضل وأغمي عليه فقطرت قطرة من دموعها على خده ففتح عينيه وقال: يا أم الفضل؟ قالت: نعمتَ ألينا نفسك وأخبرتنا أنك ميت، فإن يكن الأمر فينا فبشرنا، وإن يكن في غيرنا فأوص بنا قال فقال لها النبي ﷺ: أنتم المقهورون والمستضعفون من بعدي))^(٢). وروى نحو هذا مرة أخرى بسند آخر ينتهي إلى أم الفضل بن العباس قالت: ((لما نقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه أفاق إفاقة ونحن نبكي حوله فقال: ما الذي يبكيكم؟

قلنا: يا رسول الله نبكي لغير خصلة: نبكي لفراقك إيانا، ولانقطاع خبر السماء عنا، ونبكي للأمة من بعدك فقال ﷺ: أما إنكم المقهورون والمستضعفون من بعدي))^(٣).

وتوفيت أم الفضل بعد زوجها العباس^(٤). ومن الغريب أن الحصري القيرواني ذكر في كتابه زهر الآداب قال: يقال أن امرأة العباس عم النبي ﷺ قالت ترثي بنيتها:

(١) المناقب لابن شهر اشوب ١٥٩/٣ ط الحيدرية وكتاب مقام لفرهاد ميرزا ٣٠. ومر من النووي ان قثم بن العباس كان أبا للحسين من الرضاة.

(٢) أمالي المفيد ١١٢ ط الحيدرية سنة ١٣٦٧ هـ.

(٣) نفس المصدر ١٨٨.

(٤) هي كثير من المصادر أنها توفيت قبل زوجها العباس وذلك في زمن خلافة عثمان ولكن سيأتي في الحديث عن هان الناكثين لبهمة الإمام عليه السلام بعد مقتل عثمان وما اجتمع عليه

دعوا من المجد اكتافاً إلى أجل حتى إذا كملت انظماؤهم وردوا
ميت بمصر وميت بالعراق وميت بالحجاز منايا بينهم بدد
كانت لهم همم فرقن بينهم إذا القعايد عن امثالهم قعدوا
بث الجميل وتفريج الجليل واعطوا إعطاء الجزيل الذي لم يعطه أحد^(١)

أقول: من الغريب انه لم يعقب على ذلك بشيء، من حيث القبور. فان بني
العباس وإن كانوا كما قال أبو صالح صاحب التفسير: ما رأينا بني أم أبعده قبوراً
من بني العباس لأم الفضل^(٢).

إلا أن في البيت الثاني قوله: وميت بالعراق فمن هو يا ترى ذلك الميت؟
على أن الآيات المذكورة أوردها أبو علي القالي في أماليه منسوبة لأم
معدان الأنصارية بزيادة في أولها وهي:

لا يبعد الله فتياناً رزقتهم باتوا لوقت مناياهم فقد بعدوا

أضحت قبورهم شتى ويجمعهم زو المنون^(٣) ولم يجمعهم بلد

ثم الآيات الأربعة السابقة باختلاف في الترتيب^(٤).

فرحمة الله على أم الفضل وأخواتها المؤمنات.

عليه رأيهم بمكة من اعلان المصيان، ان أم الفضل كانت بمكة وعلمت بذلك فاستأجرت
رجلاً من جهينة اسمه ظفر وكتبت معه من نية القوم، وأمرته أن يسرع في ايصال كتابها
إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة. وعلى هذا فهي كانت باقية حية إلى زمن خلافة
الإمام عليه السلام.

(١) زهر الأداب ١٠٤/٤.

(٢) المعارف لابن قتيبة / ١٢٢، ووفيات الاعيان ٦٤/٣.

(٣) زو المنون، احدائها.

(٤) الأمالي للقالي ٩٦/٢.

الفصل الثاني:

فترة عهد النبي الأكرم ﷺ

في عهد النبي الأكرم ﷺ :

تبدأ شخصية حبر الأمة بالظهور المتكامل في عهد ابن عمه صاحب الرسالة ﷺ وتحل بفضل نبوغها المبكر مكائنها اللامعة بمثله، بفضل ما حصلت عليه، مما صار يغبطه عليها- بعد ذلك- كثير من أبناء الصحابة، بل وحتى من الصحابة الذين فاقهم بأستعداده الفطري، وحسن تلقيه، وشدة ذكائه، ما جعله متميزاً- بفضل ما لديه من الموروث والمكتسب - فكان حرياً بأن يوليه النبي ﷺ وهو مربيّه عنايته التامة، ويفدق عليه من فضل معارفه، ما أكسبه أن يكون بحق (حبر الأمة) بالرغم من قصر تلك الفترة التي حظي فيها بصحبته. وإن تكن الروايات التي تحدثت عن فترة صحبته للنبي ﷺ لم تخل من مزايدات مناقبية عباسية البصمات، كما لم تسلم من مفارقات أموية الطابع، فكانت مثار بعض الشبهات ولكن عكست آثارها على المروي عنه وفيه، وبالرغم من دس هذه وتلك، فإنه يسع الباحث أن يستخلص من بين أكداس الشوائب ما يصح له فيتحدث عنه. وذلك من خلال سلامة الرواية طريفاً واتفاق الأنصار والخصوم على روايته.

وإذا رجعنا إلى تاريخ بدء هجرته ونهاية صحبته فلا تتجاوز تلك الفترة أحوامها الثلاثة، فقد مرّ بنا أنه كان مع أبيه في هجرته في أواخر عام ثمان من

الهجرة والتقوا بالنبي ﷺ ومعه المسلمون في طريقهم إلى مكة وذلك في شهر رمضان فكانوا معه. وانتهت تلك الفترة بالتحاق النبي الكريم بالرفيق الأعلى في صفر أو ربيع الأول عام أحد عشر فهي لم تتجاوز الثلاثة أعوام. وإذا أردنا تحديدها بدقة فلنأخذ بما قاله الذهبي في كتابه: «صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحواً من ثلاثين شهراً وحدث عنه بجملةصالحة»^(١)، وهو تحديد قريب من الواقع. ومهما يكن عمر تلك الصحبة طولاً وقصراً فقد كانت غنية بالعتاء، مليئة بالبركات، فضلت صحبة كثير ممن طالت صحبتهم ولم ينتفعوا بها فلم تغن عنهم شيئاً.

وليس من شك كان له من العناية الإلهية التوفيق خير مساعد على درك ما اكتسب، حين توفرت له أسباب النجاح، فكان حفظه عن تعقل ويفضل ما عليه من استعداد في نفسه للتلقي وإعداد من ابن عمه في الإفاضة، فكان يرعاه ويوليه عنايته، فأصبح بفضل تلك المواهب والعناية (حبر هذه الأمة)، وما حفظه المحكم من القرآن وهو ابن عشر سنين - كما حدث بذلك - إلا دليل نبوذه المبكر وشدة ذكائه. وليس حفظ المحكم - وهو من سورة محمد إلى آخر القرآن - سهلاً على من كان في مثل سنه، ويل وحتى على من كان أكبر منه.

ألم نقرأ عن آخرين من الصحابة وفيهم من تيف على الأربعين وأكثر من عمره لم يستطع تعلم سورة من القرآن إلا بعد جهد، وكان بعضهم نحر جزوراً عندما ختم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة^(٢).

(١) سبر اعلام النبلاء ٤/٣٩٤.

(٢) لاحظ شرح الموطأ للزرقاني ١٩٤/٢ جاء فيه: وأخرج الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر قال: تعلم عمر في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً، وقارن ربيع الأبرار للزمخشري ٢/٧٧ ط الأوقاف ببغداد. ولاحظ أيضاً شرح الموطأ للزرقاني ١٩٤/٢، وذخائر

وسياتي في مستقبل تاريخه أنه صار يقريء جماعة من الصحابة، وجاء عند البخاري وغيره ذكر عبد الرحمن بن عوف منهم^(١) وعمر بن الخطاب^(٢)، فحفظه للمحكم في أوائل سني صحبته دليل على حسن تلقّيه ومدى استعداده. ولم يكن تلقّيه مجرد حفظ آيات وسور، بل لابد أن يكون قد تلقّى التأويل كما تلقّى التنزيل من أبن عمه صاحب الرسالة ومن فلقوا فيه ﷺ. وإذا صح ما يروى أن النبي ﷺ هو الذي لقبه بـ (ترجمان القرآن)^(٣) ففي ذلك دلالة على أنه وجد فيه ما يؤهله لأن يكون كذلك بفضل ما تعلّمه منه تنزيلاً وتأويلاً.

وزاد حرص حبر الأمة على طلب المزيد، كثرة متابعتها للرسول ﷺ، فكان ملازماً له ما وسعه، ذلك وساعده على استزادة فرص تلك الملازمة، وجود خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث عند النبي ﷺ، فكان يدخل بيتها ويبيت أحياناً عندها، ليتابع معرفة أحوال النبي ﷺ في بيته، وحاله في نومه ويقظته، وربما دعاه النبي ﷺ إلى المييت عند خالته كما سياتي.

ولتقرأ عن ذلك:

المواريث ١٠١/٢ من مالك في الموطأ . في الصلاة . قال مالك: بلغني أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها .

(١) المصنف لعبد الرزاق ٤٣٩/٥، صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١٢١/١٢ .

(٢) ذكر ذلك المحب الطبري في ذخائر العقبى / ٣٣٣ .

(٣) راجع ما مرّ في كنيته ولقبه .

هجرته وبيعته:

انتشر الإسلام وخفقت رايته على ربوع الحجاز، وظهر أمر الله وقريش له كارهون، وكثر المسلمون بعد هجرة النبي ﷺ، وقويت شوكتهم بعد موقعة بدر الكبرى، حيث نصر الله نبيه على قريش وأيده بجنود لم يروها، ومضت ستة أعوام على هجرته فيحمن الرسول الكريم ﷺ إلى أم القرى، لزيارة بيت ربه، ومقام أبيه إبراهيم عليه السلام، فيتهاً ويدعو المسلمين، ويخرج معه الف وستمائة رجل، فلذي ركاتهم تجوب البيداء القاحلة، وإذا هديهم معهم قد ساقوه حيث ساق الرسول ﷺ، وتخرج قريش عندما علمت بمقدمه فصنّته عن دخول مكة، فيقيم بالحديبية^(١) يبعث إليهم إنني ما خرجت أريد قتالاً، وإنما أردت زيارة هذا البيت، فلم يقبلوا منه، وواعدوه أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام يزور فيها البيت ويؤدي مناسكه، وتكتب بذلك وثيقة الصلح بين الفريقين، وفيها اشترطوا: أن لا تؤذي قريش أحداً من المسلمين- وان كان بمكة- ولا من حلفائهم، كما لا يؤذي المسلمون أحداً من قريش ولا من حلفائهم، واتفقوا أن تكون مدة الصلح عشر سنين وجرت من بعض رموز الصحابة مواقف غير مرضية بل مدخولة ومرضية^(٢).

(١) مكان على تسعة أميال من مكة ممّا يلي طرف الحرم.

(٢) قال عمر: ما زلت أصوم وأصدق وأصلي وأهتق من الذي صنعت يومئذ، مخالفة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً (تاريخ الطبري ٦٣٤/٢ ط دار المعارف).

فنحر فيها الرسول الكريم ﷺ هديه، وحلّ من احرامه، ورجع إلى يثرب دار هجرته، وبعد مضي عام على ذلك يخرج ﷺ إلى زيارة البيت ليعتمر عمرة القضاء، وتخلي له قريش مكة، ويبقى بها ثلاثاً، ثم يخرج وفاءً بالشرط. ولم تمض برهة طويلة حتى كان تجاوز بني بكر - وهم حلفاء قريش - على خزاعة - وهم حلفاء الرسول ﷺ - لثراث بينهما، ونصرت قريش بني بكر على خزاعة، وبذلك نقضوا ما اشترطوه في عقد الصلح مع النبي ﷺ، واستجدت خزاعة بالنبي ﷺ فأرسلت وفداً يضم أربعين راكباً بزعامه شاعرهم عمرو بن سالم، فدخلوا المسجد، ووقف شاعرهم على رأس النبي ﷺ ينشده:

يارب إنسي ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلتدا ^(١)
كنت لنا أباً وكننا ولداً	ثمة أسلمنا فلم ننزع يداً
فانصر رسول الله نصراً عتدا ^(٢)	وادع عباد الله يأتوا مدداً
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تردداً
في فيلق كالبحر يجري مزبداً	إن قريشا أخطفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكداً	وجعلوا لي في كداء ^(٣) رصداً
وزعموا أن لست أدعوا أحداً	وهم أذلّ وأقلّ عدداً

(١) الأتلتد: الأقدم.

(٢) العتد: من العتيد: بمعنى الحاضر المهيأ وفرس عتد بفتحتين معد للجرى والركوب.

(٣) كداء: بالفتح والمد، ثنية بأعلى مكة عند المحصب دار النبي ﷺ من ذي طوى إليها

(مراصد الاطلاع).

هم يبتونا بالوتير^(١) هَجَدًا وَقَتَلُونَا رَكْمًا وَمَسْجِدًا^(٢)

فقال الرسول ﷺ: (لا نصرتُ إن لم أنصر بني كعب)^(٣) - يعني خزاعة - وأحلَّ الله له نقض ما كان بينه وبين قريش، حيث بدأوا بالنكث، (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)^(٤).

ويخرج ﷺ لنصرة خزاعة، ومعه المسلمون وعدتهم يومئذ عشرة آلاف^(٥). ولَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ ومعه المسلمون إلى السقيا - قرية من أعمال الفرع - أو الجحفة - على بعد تسعة عشر ميلاً من السقيا وعلى ثلاث مراحل من مكة - أو ذي الحليفة - على خمسة أميال من المدينة - التقى - فيما يقول أصحاب السيرة - عمه العباس بن عبد المطلب ﷺ وقد جاء مهاجراً بأهله ورحله إلى المدينة دار الهجرة والإيمان.

(١) الوتير: بالفتح ثم الكسر، اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة نفس المصدر.

(٢) السيرة لإبن هشام ٢٢٧/٣ ط مصر سنة ١٣٢٩ بالمطبعة الخيرية، والسيرة الحلبية ٧١/٣ - ٧٨، والاستيعاب ٥٣٣/٢، والإصابة ٥٢٩/٢، وقد احتج سعيد بن المسيب في مسجد النبي ﷺ بهذه المناهدة حين قال له عمران بن أبي كثير: يا أبا أن قبيصة بن ذؤيب جاء برجل من أهل العراق فأدخله على عبد الملك بن مروان فحدثه عن أبيه عن المغيرة بن ضعبة أن النبي ﷺ قال: (الخلافة لا يناهد)، فرفع سعيد يده فضرب بها الأخرى فقال: قاتل الله قبيصة كيف باع دينه بدنياً ثانية؟ والله ما من امرأة من خزاعة قعدة في بيتها إلا وقد حفظت قول عمرو بن سالم الخزاعي لرسول الله ﷺ: أفيئناهد النبي ﷺ ولا يناهد الخلافة؟ قاتل الله قبيصة كيف باع دينه بدنياً ثانية؟ (كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي ٥٧٤/٢).

(٣) طبقات ابن سعد ٩٧/٢ ط لبنان، وتخريج الأحاديث والآثار للزويلي ٥٦/٢ ط دار خزيمة الرياض، وفي الاستيعاب (ترجمة عمرو بن سالم): (لا نصر في الله إن لم أنصر بني كعب)، وكذا في مجمع الزوائد ١٦١/٦، والمطالب العالية ٢٤١/٤.

(٤) الفتح / ١٠.

(٥) التنبيه والإشراف للمسمودي ٢٣١/٣ ط مصر .

وينزل الجميع ذلك المكان، ويفرح كلُّ بلقاء الآخر، ويعرف العباسية النبي ﷺ في وجهه ذلك، فيرسل بركائبه إلى المدينة وقد مرَّ منا أنه وصل إلى المدينة قبل خروج النبي ﷺ إلى فتح مكة اعتماداً على حديث ابن عباس في الصوم في السفر^(١) ومهما يكن فقد أنتظم هو وبعض بنيه في سلك النفر المجاهدين، ويعود إلى مكة مع ابن أخيه قاصداً حرب قريش الذين نكثوا العهد ونقضوا الأيمان، فانقطعت العصمة فحلَّ للرسول ﷺ أن يخرج إليهم بذلك الجيش.

وكان للعباس مقامه في جيش المسلمين، وإن ذكر الصفوري: إن النبي ﷺ عقد له راية سوداء كما أن راية الأنصار كانت في ذلك اليوم صفراء^(٢). ولا أكاد أصدقه في ذلك، نعم كان النبي ﷺ يشاور عمه مع المشيرين وكان عبد الله بن عباس زعيم هذه السيرة في المسيرة من بين أخوته الذين رجعوا مع أبيهم إلى مكة بصحبة الرسول ﷺ، وهو يومئذ بعد لم يبلغ الحلم، إذ كان له من العمر أحد عشرة سنة. كما أن يعته للنبي ﷺ كانت في ذلك السن، فقد ذكر أنه لم يبايع النبي ﷺ طفلاً غيره وغير الحسنين عليهما السلام وغير ابن جعفر^(٣).

وعلى هذا يمكننا أن نعتبر أن أولى صفحات تاريخ حياته ذات الدلالة تبدأ من هذا الحين، وإن سبق القول حكاية دخول الإسلام بيته بمكة، إلا أنه لم يكن قد رأى النبي ﷺ فأبتدأ يحضر عند الرسول ﷺ ويشاهد مجالسه، ومن ثمَّ يحدث

(١) سيأتي في شواهد ومضاهد برقم ١١.

(٢) نزعة المجانس للصفوري ١١٢/١.

(٣) عمدة الطالب / ٣٦ ط النجف في ذكر عبد الله بن جعفر وقد وهم ابن ظفر المكي في كتابه أنباء نجباء الأبناء / ٨١. فقد كان ابن جعفر عبد الله بن الزبير ولم أجد شيئا رأيت من المصادر فعلاً من ذكره والثابت المشهور ما ذكرناه.

عن مشاهدة، ولا شك إن لعنصر المشاهدة قيمة في تسجيل الوقائع يفقده السماع وتعتمد الرواة.

وهكذا كانت هجرة حبر الأمة وهجرة أبيه، تمت بملاقة النبي ﷺ سواء في الطريق كما يقول أصحاب السيرة أو بعد الوصول إلى المدينة دار الهجرة والإيمان كما قلنا^(١).

قال ابن كثير: «وهاجر مع أبيه قبل الفتح، فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجحفة، وهو ذاهب لفتح مكة، فشهد الفتح وحينئذ والطائف عام ثمان»^(٢). ولما عاد مع أبيه ليشهد فتح مكة، كان ذلك بداية ما كان يتحدث به بعد ذلك عن مشاهداته في ذلك الفتح. كما أنه شهد أيضاً وقعة حنين والطائف، ورويت عنه في ذلك بعض الأحاديث، وكان جميع ذلك عام ثمان للهجرة النبوية، وهو بداية حياته. شواهد ومشاهد:

لقد كان لدى حبر الأمة وهو في سنه تلك من قوة الحافظة ودقة الملاحظة ما جعلته يحفظ كل ما سمع وما رأى، فكان حريصاً على متابعة الرسول الكريم ﷺ في أقواله وأفعاله، حتى صار يحاكيه في شتى شؤونه الحياتية ففي العبادات مثلاً حين يصف وضوءه وصلاته وحتى قراءته وكيفية الركوع والسجود وأذكاره فيهما، ويقول هكذا كان يفعل وهذا فعله وهكذا رأيت، وحتى في سائر أوراده ونوافله وهو في بيته فلاحظ ما سيأتي عنه من وصفه الدقيق

(١) لا يعدم الباحث وجود روايات مناقبية تذكر أن الرسول ﷺ قال نعمه يا عم ختمت بي النبوة وختمت بك الهجرة وتكثرت على المحلّ وبين زيفها، وإنما ممّا وضعها الوضاهون تزلفاً إلى أبنائه في أيام خلافتهم وما أكثر ما تقرّبوا به إليهم من هذا القبيل حتى لم يسرأ حياً تخلص الحقائق من بين أكاديس الشواهب.

(٢) البداية وانتهاية ٢٩٩/٨.

لذلك، حين يصف غطيطه وصفيره في نومه ﷺ وكيفية لباسه وستأتي شواهد كثيرة في تاريخه العلمي حين نذكر (فقهه) أما الآن فنكتفي بذكر بعضها:

١- عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال: «ألا أخبركم بوضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغرف بيده اليمنى ثم صبَّ على اليسرى صبَّةً»^(١).

٢- عن عطاء بن يسار عن ابن عباس: أنه توضأ فغسل كلَّ عضو منه غسله واحدة ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعله^(٢).

٣- أخرج البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾^(٣) قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفثيه، فقال لي ابن عباس: أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركهما - فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما - ، ... قال - ابن عباس - فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه جبريل ﷺ استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أقرأه»^(٤).

٤- أخرج عبد الرزاق عن سليمان بن يسار: أنه سمع ابن عباس وأبا هريرة، ورأى أبا هريرة يتوضأ ثم قال يابن عباس أتدري من ماذا أتوضأ؟ قال: لا، قال توضأت من أتوار^(٥) أقط أكلتها. قال ابن عباس: ما أبالي ممَّا توضأت، أشهد

(١) المصنف لعبد الرزاق ١/٤٢١.

(٢) صحيح البخاري (باب الوضوء مرة مرة) ٤٣/١، المصنف لعبد الرزاق ١/٤١١، مسند أحمد ٣٦/٥.

(٣) القيامة ١٦.

(٤) صحيح البخاري ١٥٣/٩ ط يولاقي.

(٥) جمع نور وهي قطعة من الأقط وهو لبن جامد مستحجر.

لرأيت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أكل كنف لحم ثم قام إلى الصلاة وما توضأ^(١).

٥- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن محمد بن إسحاق عن خاله - موسى بن يسار- قال: ((كان ابن عباس يوم الجمعة يسط له في بيت ميمونة فيتحدث. فقال له رجل: أخبرني عما مسّت النار؟ فقال ابن عباس: لا أخبرك إلا ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، كان هو وأصحابه في بيته، فجاء المؤذن فقام إلى الصلاة حتى إذا كان بالباب أتني بصحفة فيها خبز ولحم، فرجع بأصحابه فأكل وأكلوا، ثم رجع إلى الصلاة ولم يتوضأ))^(٢).

٦- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إذا نظر في المرأة قال: (الحمد لله الذي حسن خلقي، وزان مني ما شان من غيري)، فإذا أكتحل جعل في كل عين تتين وواحدة بينهما، وكان إذا لبس بدأ باليمين، وإذا خلع خلع اليسرى، وكان إذا دخل المسجد أدخل رجله اليمنى، وكان يحب التيمّن في كل شيء إذا أخذ وإذا أعطى))^(٣).

٧- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يرفع يديه في كل ركعة))^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/١٥٧ عن ابن جريج وأحمد في المسند من طريق المصنف لعبد الرزاق ١/١٦٥.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠/٣١٠.

(٣) نفس المصدر ١٠/٣١٤.

(٤) المعجم الكبير ١١/٢٤، ورواه أبو داود في سننه برقم ٧٢٦، والنسائي في سننه ٢/٣٢٢.

٨- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن طاووس عن ابن عباس قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يصلي في خميصه))^(١).

٩- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن طاووس عن ابن عباس قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يصلي في جبة صوف وحدها))^(٢).

١٠- أخرج الطبراني في معجمه قال: ((سأل رجل ابن عباس أدركت النبي ﷺ؟ قال نعم أدركته وأنا غلام، وكان بغيته أن يحضر عيد، فخرج فأمر بعزّة فركزت له عند دار كثير بن الصلت فصلّى إليها، ثمّ ذكر الناس فوعظهم ثمّ أرتفع إلى النساء ليس معه ذكر غير بلال فدكرهن ووعظهن وحشهن على الصدقة فرأيتهن يهوين إلى آذانهن وحلقوهن ليدفن الصدقة))^(٣).

وفي حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((خرجت مع النبي ﷺ يوم الفطر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة: لا أذان ولا إقامة ثمّ ركب راحلة فخطب عليها ثمّ أتى النساء ... ثمّ رجع إلى أهله)).

١١- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن طاووس عن ابن عباس قال: ((سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثمّ دعا بإناء فشرب ليراه الناس ثمّ أفطر حين (حتى) دخل مكة وأفتح مكة في رمضان))^(٤).

(١) المعجم الكبير ١١/٣٣.

(٢) نفس المصدر ١١/٢٤.

(٣) نفس المصدر ١٢/١١٢.

(٤) المعجم الكبير ١١/٣٦، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم / ١٩٤٨ و ٢٧٩، ومسلم برقم /

١١١٣، والنسائي ٤/١٨٤، وأبو داود برقم ٢٣٧٨، وأحمد في مسنده برقم / ٣٥٠ - ٥١ - ٥٢

١٢- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في سفر وهو يقرأ سورة من فسجد فيها»^(١).

١٣- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ثابت بن يزيد الخولاني أنه قدم المدينة فلقى ابن عباس فسأله عن الخمر فقال: «سأخبرك عن الخمر، اني كنت عند رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في المسجد، فينما هو محتب حلّ حيوته ثم قال: (من كان عنده من الخمر شيء فليؤذني به) فجعل الناس يأتونه فيقول أحدهم: عندي راوية خمر، ويقول الآخر: عندي راوية ويقول الآخر: عندي زقاق وما شاء الله أن يكون عنده. فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم (اجمعوه يبيع كلنا وكلنا ثم اذنوني) ففعلوا ثم آذنوه، فقام وقمت معه، فمشيت عن يمينه وهو متكئ عليّ فلحقنا أبو بكر، فأخذني رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فجعلني عن يساره، وجعل أبا بكر مكاني، ثم لحقنا عمر بن الخطاب فأخذه فجعله عن يساره فمشى بينهما حتى إذا وقف على الخمر قال للناس: (أتعرفون هذه؟) قالوا: نعم يا رسول الله هذه الخمر قال: (صدقتم إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وأكل ثمنها) ثم دعا بسكين فقال: (أشطوها) ففعلوا، ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يخرق الأزقاق. فقال الناس: ان هذه الأزقاق منفعة فقال: (أجل، ولكني إنما أفعل ذلك غضباً لله لما فيها من سخطه))^(٢).

(١) المعجم الكبير ١١/٤٩.

(٢) نفس المصدر ١٢/١٨٠ برقم ١٢٩٧٧.

١٤- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس قال: «كنا في حلقة في المسجد نتذاكر فضائل الأنبياء أيهم أفضل؟ فذكرنا نوحاً وطول عبادته ربه، وذكرنا إبراهيم خليل الرحمن، وذكرنا موسى كليم الله، وذكرنا عيسى بن مريم، وذكرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (ما تذاكرون بينكم؟) قلنا: يا رسول الله تذاكرنا فضائل الأنبياء وأيهم أفضل؟ ذكرنا نوحاً وطول عبادته، وذكرنا إبراهيم خليل الرحمن، وذكرنا موسى كليم الله، وذكرنا عيسى بن مريم، وذكرناك يا رسول الله قال: (فمن فضلتم؟) قلنا: فضلناك يا رسول الله، بعثك الله إلى الناس كافة، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأنت خاتم الأنبياء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أما أنه لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يحيى وزكريا) قلنا: يا رسول الله ومن أين ذلك؟ قال: (أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن؟ فقال: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١) - فقرأ حتى بلغ - ﴿وَسَيِّدًا وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) لم يعمل سيئة قط ولم يهَمْ بها»^(٣).

١٥- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بعضادتي الباب ونحن في البيت فقال: (يا بني عبد المطلب هل فيكم أحد من غيركم؟) قالوا: ابن أخت لنا فقال: (ابن أخت القوم

(١) مريم / ١٢.

(٢) آل عمران / ٣٩.

(٣) المعجم الكبير ١٢/١٦٨ ط الموصل.

منهم)، ثم قال: (يا بني عبد المطلب إذا نزل بكرب أو حمة أو جهد أو لأواء فقولوا: الله الله ربنا لا شريك له))^(١).

١٦- أخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس قال: ((أهدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكارة^(٢) فاستصغرها، ثم قال لي: انطلق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بني فقل: إنا قوم نعمل فإن كان عندك أسنّ منها فابعث بها إلينا، فأتيت بها فقال: (ابن عمي وجهها إلى أهل الصدقة).

ثم أتته في المسجد فصليت معه العشاء فقال: (ما تريد أن تبيت عند خالتك الليلة قد أمسيت) فوافقت ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيتها فعشنتي ووطأت لي عبادة بأربعة فافترشيتها، فقلت لأعلمن ما يعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا ميمونة) قالت: لبيك يا رسول الله قال: (أفلا عشيتيه إن كان عندك شيء؟) قالت: قد فعلت، قال: (فوطئتِ له؟) قالت: نعم، فمال إلى فراشه فلم يضطجع عليه، وأضطجع حوله ووضع رأسه على الفراش، فمكث ساعة، فسمعتة قد نفخ في النوم، فقلت نام وليس بالمستيقظ وليس بقائم الليلة، ثم قام حيث قلت ذهب الربيع، الثلث من الليل، فأتى سواكاً له ومطهرة، فأستاك حتى سمعت صرير ثناباه تحت السواك وهو يتلو هذه الآيات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، ثم وضع السواك ثم قام إلى قربة فحلّ شناقها، فأردت أن أقوم

(١) نفس المصدر ١٢/١٣٢ ط الثانية.

(٢) البكارة: ولد الناقة والفتى منها أو الثني إلى أن يجدم أو ابن المخاض إلى أن يثني أو ابن اللبون كل ذلك يقال له بكارة (قطر المحيط بكر).

(٣) البقرة / ١٦٤.

فأصبأ عليه، فخشيت أن يندر شيئاً من عمله، فلما توضأ دخل مسجده فصلى أربع ركعات، فقرأ في كل ركعة مقدار خمسين آية، يطيل فيها الركوع والسجود، ثم جاء إلى مكانه الذي كان عليه، فاضطجع هويأ فنفخ وهو نائم - فقلت ليس بقائم الليلة حتى يصبح - فلما ذهب ثلثا الليل أو نصفه أو قدر ذلك، قام فصنع مثل ذلك، ثم دخل مسجده فصلى أربع ركعات على قدر ذلك، ثم جاء إلى مضجعه فأتكأ عليه فنفخ. فقلت ذهب به النوم ليس بقائم حتى يصبح - ثم قام حين بقي سدس الليل أو أقل فاستاك ثم توضأ ثم دخل مسجده فكبر فأفتح بفاتحة الكتاب ثم قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ثم ركع وسجد، ثم قام فقرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم ركع وسجد، ثم قام فقرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم قنت فركع وسجد، فلما فرغ قعد حتى إذا ما طلع الفجر ناداني قلت: ليك يا رسول الله قال: (قم) فوالله ما كنت بنائم فقامت فتوضأت وصليت خلفه فقرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم ركع وسجد، ثم قام في الثانية فقرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، فلما سلم سمعته يقول: (اللهم أجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ومن فوقي نوراً ومن تحتي نوراً وأعظم لي نوراً يا رب العالمين))^(١).

١٧- أخرج الطبراني في معجمه عن ابن عباس قال: ((رأيت النبي صلى الله عليه وآله) وسلم يأكل العنب خرطاً))^(٢).

(١) المعجم الكبير ١٢/١٠٢.

(٢) نفس المصدر ١٢/١١٥.

١٨- وأخرج الطبراني أيضاً بسنده عن أبي العالية عن ابن عباس قال: ((كان يعلمنا الركوع كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم ثم يستوي لنا راکعاً، حتى لو قطرت بين كتفيه قطرة من ماء ما تقدمت ولا تأخرت))^(١).

١٩- وأخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس قال: ((دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حائطاً لبعض الأنصار، فجعل يتناول من الرطب فيأكل وهو يمشي وأنا معه، فألتفت إليّ فقال: (يا ابن عباس لا تأكل بأصبعين، فإنها أكلة الشيطان، وكل بثلاثة أصابع))^(٢).

٢٠- وأخرج الطبراني في معجمه عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: دخلت بيت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت فيه ابن عباس، فتذاكرنا الوضوء مما مسّت النار، فقال ابن عباس: ((كان رسول الله ﷺ يأكل مما مسّت النار، ثم يصلي ولا يتوضأ، فقلنا: أنت رأيت؟ فأشار إلى عينيه فقال: بصر عيني))^(٣).

٢١- وأخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس قال: ((كنت نائماً فأتيت فقيل لي: أن الليلة ليلة القدر، فقم وأنا ناعس فتعلقت رجلي ببعض أطناب فسقط رسول الله ﷺ فأتيت النبي ﷺ وهو قائم يصلي، قال ابن عباس: فنظرت في الليلة فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين))^(٤).

٢٢- وأخرج الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس: ((أن النبي ﷺ كان يشرب في الإثاء ثلاثة أنفاس))^(٥).

(١) نفس المصدر ١٢/١٣٣.

(٢) نفس المصدر ١١/١٠٣.

(٣) نفس المصدر ١٠/٣٢٤.

(٤) نفس المصدر ١١/٣٣٣.

(٥) نفس المصدر ١١/٢٥٥.

٢٣- وأخرج أيضاً بسنده إلى ابن عباس: ((أن النبي ﷺ بعث إلى أبي طيبة ليلاً فحجمه وأعطاه أجره))^(١).

٢٤- وأخرج أيضاً بسنده إلى ابن عباس قال: ((خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط - أخطط - ثم قال: تدررون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم))^(٢).

٢٥- وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: ((كنا مع النبي ﷺ في سفر فحضر النحر فاشتركتنا في البقرة سبعة وفي البعير عشرة))^(٣).

٢٦- وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: ((أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث، كأنني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: يا عباس ألا تعجب من شدة حب مغيث بريرة ومن شدة بغض بريرة مغيثاً؟ فقال لها النبي ﷺ: لو راجعتيه فإنه أبو ولدك. قالت يا رسول الله أتأمرني؟ فقال: إنما أنا شافع، قالت: فلا حاجة لي فيه))^(٤).

٢٧- وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس: ((أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس للفضل: يا فضل اذهب إلى أمك فأنت رسول الله بشارب من عندها، فقال: (أسقني)، فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه،

(١) نفس المصدر ٢٥٩/١١.

(٢) نفس المصدر ٣٦٦/١١.

(٣) نفس المصدر ٣٦٦/١١.

(٤) المعجم الكبير ٢٧٣/١١، ورواه البخاري في صحيحه ٤٨/٧ ط بولاق.

فقال: (أسقني) فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال: (أعملوا فإنكم على عمل صالح ثم قال: لولا أن تغلبوا لتزلت حتى أضع على هذه، يعني عاتقه وأشار إلى عاتقه))^(١).

٢٨- وأخرج أحمد^(٢)، والطيالسي^(٣)، والبلاذري^(٤)، واللفظ له بأسناده عن أبي حمزة قال: سمعت ابن عباس يقول: ((مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فاخبت من خلف باب فدعاني فحطاني حطاً^(٥) ثم بعثني إلى معاوية، فرجعت إليه فقلت: هو يأكل، ثم بعثني إليه فقلت: هو يأكل بعد، فقال النبي صلى الله عليه وآله) وسلم: (لا أشبع الله بطنه))^(٦). قال أبو حمزة: فكان معاوية بعد ذلك لا يشبع^(٧).

(١) المعجم الكبير ١١/٣٧٣.

(٢) مسند أحمد ١/٢٤٠ و ٢٩١ و ٣٣٥ و ٣٣٨.

(٣) مسند الطيالسي ٢/٣٥٩.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٢٥ - ١٢٦.

(٥) الحطأ: التحريك مزعجاً، وحطاً فلانا ضرب ظهره بيده مبسوطة (الطر المحيد).

(٦) روى ذلك أيضاً ابن عبد البر في الأستيعاب وابن الأثير في أسد الغابة والنهبي في سير اعلام النبلاء كلهم في ترجمة معاوية ورواه غيرهم من المؤرخين كابن كثير، وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١/١٢١ عن طريق أبي داود الطيالسي في مسنده وقال: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات كلهم ثقات رجال مسلم، وفي أبي حمزة القصاب واسمه عمران بن أبي عطاء كلام من بعضهم لا يضروه فقد وثقه جماعة من الأئمة منهم أحمد وابن معين وغيرهما، ومن ضعفه لم يبين السبب فهو جرح مبهم غير معقول، وكأنه لذلك احتج به مسلم وأخرج له هذا الحديث في صحيحه ٨/٣٧ من طريق شعبة عن أبي حمزة القصاب به وأخرجه أحمد ١/٢٤٠ و ٢٩١ و ٣٣٥ و ٣٣٨ عن شعبة وأبي عوانة منه به دون قوله: (لا أشبع الله بطنه) وكأنه من اختصار أحمد أو بعض شيوخه وزاد في رواية (وكان كاتبه) وسندها صحيح. ثم قال: وقد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا موطناً في معاوية وليس فيه ما يسامدهم على ذلك كيف وفيه أنه كان كاتب

٢٩- وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن عباس قال: ((قرأ رسول الله ﷺ في صلوات، وسكت في صلوات فنحن نقرأ فيما قرأ فيه نبي الله ﷺ ونسكت فيما سكت فيه، فقيل له: فلعل نبي الله ﷺ قرأ في نفسه فغضب وقال: أو يتهم رسول الله ﷺ؟ أو يتهم رسول الله ﷺ؟))^(١)

النبي ﷺ ولذلك قال المحافظ ابن صاكر ٢/٢٤٩/١٦ إلى أنه أصح ما ورد في فضل معاوية فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود بل هو ما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية. أقول، واستمر في محاولة تبريره لجعل الدعاء لمعاوية لا عليه وإن أدى ذلك على حساب مقام النبوة فيقول، ويمكن أن يكون منه ﷺ بباض البشرية وساق بعض ما رواه مسلم في نفس الباب الذي منوله. باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجر ورحمة.

ثم حلل قوله النبوي في شرحه لمسلم: وأما دعاؤه على معاوية فضه جوابان، أحدهما: أنه جرى على اللسان بلا قصد.

والثاني: أنه عقوبة له لتأخره وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلماذا أدخله في هذا الباب وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاء له.

إلى آخر كلامه الذي جرى فيه على هواه في معاوية شأن غيره من علماء التبرير ولا يخفى ما في ذلك من اتباع الهوى على القارئ البصير.

ولهؤلاء من التنطع في المقام ما يبعث على القرف والأهملزاق بعد أن لم يسمهم الطعن في الأسناد، فجهدوا في تأويل المتن والاستفادة منه وجعلها فضيلة لمعاوية ولكن الذمبي وغيره لم يرضهم التأويل فقال الذمبي في سير أعلام النبلاء هذا. يعني الحديث. ما صح والتأويل ركيله راجع صحيح مسلم باب البر والصلة ستجد ما ينسب إليه ﷺ من قوله: (اللهم من سبته أو هتمته من الأمة فأجعلها له رحمة). سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤ ط دار الفكر.

(١) المعجم الكبير للطبراني ١١/٢٨٣.

وفي مسألة الجهر والإخفات اختلاف وقع بين الصحابة بعد موت النبي ﷺ فكان ابن عباس يعلن براهيه مستكراً على الجبهة المعارضة بقوله: ما جهر النبي ﷺ جهرنا وما سكت سكتنا. (أنظر المعجم الكبير للطبراني ١١/٢٧٤).

٣٠- وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ دخل على عائشة وحفصة وهما صائمتان، ثم خرج فرجع وهما تاكلان فقال: (ألم تكونا صائمتين؟) قالتا: بلى ولكن أهدي لنا هذا الطعام فأصحبنا فأكلنا منه قال: (صوموا يوماً مكانه)»^(١).

٣١- وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: ((ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ إلا بتكبيره))^{(٢) (٣)}.

٣٢- وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: ((أصبحنا يوماً ونساء النبي ﷺ يبيكين، عند كل امرأة منهن أهلها، فخرجت إلى المسجد فإذا هو ملأ من الناس، فجاء عمر فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة فسلم فلم يجبه فقال: أطلقت نساءك؟ قال: لا ولكني آليت. فمكث إلى تسع وعشرين ثم نزل إلى أهله))^(٤).

٣٣- وأخرج ابن سعد في طبقاته بسنده عن ابن عباس قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة))^(٥).

(١) نفس المصدر ٢٨٨/١١.

(٢) نفس المصدر ٣٣٥/١١.

(٣) وهذا ما عليه الشيعة اليوم إستناداً بسنة النبي ﷺ ويشهر بهم من لا حريجة له في الدين بأنهم يقولوا، خان الأمين.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٣٤٣/١١. ورواه البخاري في صحيحه ٢٨/٧ ط بولاق كتاب النكاح باب موضة الرجل ابنته لحال زوجها، والنمائي في سنته ١٦٦/٦. ١٦٧ بصورة أوسع فليراجع.

(٥) طبقات ابن سعد ٩٣/٢.

وصايا نبوية خاصة له:

فمن تلك الوصايا ما قال له وقد أردفه خلفه، وأخذ بيده فقال ﷺ له:
 (يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قال ابن عباس: بلى،
 فقال ﷺ: إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء
 يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا أستمعت فاستمع بالله، قد جفّ
 القلم بما هو كائن، فلو أنّ الخلق كلّهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه
 الله لم يقدرُوا، وإن أرادوا أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه،
 واعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج
 مع الكرب، وأن العسر يسراً^(١).

(١) أخرج هذه الوصية الثمينة والذرة اليتيمة كثير من الحفاظ، والمة الحديث كابن منده
 والترمذي وأبي نعيم في أخبار أصبهان ٢/٢٠٤، وفي الحلية ١/٣١٤، والطبراني في
 معجمه الكبير في عدة مواضع من أحاديث ابن عباس فراجع ١١٠/١٢ و ١٤٣ و
 ١٧٨ وغيرها، وأحمد في مسنده ١/٢٥، والنووي في أربعيته الحديث ١٩، وشرحها ابن
 دقيق العيد والغشني وابن حجر والفتاوالي في شروحه للأربعين النووية وشرحها
 شرحاً وافياً ابن رجب الحنبلي وسماء - نور الأقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن
 عباس. وقد طبع سنة ١٣٦٥ بمصر شركة مساهمة. كما أخرجها أيضاً الخطيب البغدادي
 في تاريخه ١٤/١٣٦، وابن تيمية في رسالة قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ٣٨ ط
 مصر سنة ١٣٧٣، وأخرجها الزمخشري ٣/٥٠٥ في ربيع الأبرار والسبكي في تفریح المهج
 بهامش حل العقال ١٣، والديري في طهارة القلوب بهامش نزهة المجلس ١/١٨٢،
 والسراج الطوسي في اللعق ١٤٣ وغيرهم وغيرهم، ودليل الفالحين لطرق رياض
 الصالحين ١/٢٨٤ - ٢٩١، وتاريخ جرجان للمهمي ٤٦. وإنما أطلقت بذكر المصادر لأنها
 كلّها مجمعة على أن الوصية صدرت من النبي ﷺ إلى عبد الله بن عباس، إلا أن هناك
 مصادر أخرى ذكرت أن الوصية بمضمونها كانت من النبي ﷺ إلى الفضل بن العباس وإن
 وجد في الفاظها بعض اختلافه واحتمال التعدد غير ممتنع لكنه بعيد، خصوصاً وإن
 في أوّل وصيته إلى الفضل مؤخر على أنه كان غلاماً ووضع يده في ظهر الغلام حين
 أردفه وذلك خشية سقوطه وإذا علمنا بأن الفضل أكبر من عبد الله وأنه جاوز البلوغ

فهذه الوصية الجليلة، كفيلة بتنمية الفضائل والكمالات، وجديرة بالعناية بها والالتزام بمضمونها للاستفادة منها، فلا يفوتن القارئ ما فيها من هدى ونور. ومن تلك الوصايا وصية أخرى أوصاه بها تير له السيل عندما تشعب السبل بعده، وتنهج له الطريق الواضح المعالم عندما يكثر العثار في المسالك، وتلزمه الصراط المستقيم الذي هو سبيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عليه السلام: (أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً وأعطى علياً خمساً:

١- أعطاني جوامع الكلم، وأعطى علياً جوامع العلم.

٢- وجملني نبياً، وجمله وصياً.

٣- وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسيل.

فبعيد أن يحافظ عليه من السقوط بوضع يده الكريمة خلف ظهره. وإن يقول أحملوا هذا الفلام خلفي.

واليكم الحديث بلفظ الشيخ الطوسي في أماليه ٢٨٧/٢ ط النجف بسنده عن أبي جعفر عليه السلام يقول: خرج رسول الله ﷺ يريد حاجة فإذا هو بالفضل بن العباس.

قال: فقال: احملوا هذا الفلام خلفي. قال: فاستنق رسول الله ﷺ بيده من خلفه على الفلام ثم قال: يا غلام خف الله تجده أمامك يا غلام خف الله يكفك ما سواه وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ولو أن جميع الخلائق اجتمعوا على أن يصرفوا عنك شيئاً قد قدر لك لم يستطيعوا، ولو أن جميع الخلائق اجتمعوا على أن يصرفوا اليك شيئاً لم يقدر لك ثم يستطيعوا. وأعلم أن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكربة وإن اليمر مع العسر، وكل ما هوات قريبه إن الله يقول: ولو أن قلوب عبادي اجتمعت على قلب اشقى عبد لي ما نقصني ذلك من سلطاني جناح بعوضة ولو أن قلوب عبادي اجتمعت على قلب أسعد عبد لي ما زاد ذلك إلا مثل ابرة جاء بها عبد من عبادي ففمسمها في بحر، وذلك إن عطالي كلام وصنتي كلام وإنما أقول للشبه كن فيكون.

وقد ذكر الشيخ الصدوق في الفقيه ٢٩٦/٤ هذه الوصية للفضل في النوادر وهو آخر أبواب الكتاب إلى قوله: إن مع العسر يسراً.

ووردت في بعض وصايا النبي لأبي ذر أيضاً كما في ١٤٩/٢ أمالي الطوسي ط النعمان فراجع.

٤- وأعطاني الوحي، وأعطاه الألهام.

٥- وأسري بي إليه، وفتح له أبواب السماء والحجب حتى نظر إليّ ونظرتُ إليه.

ثم بكى رسول الله ﷺ، فقالت: «ما يبكيك فداك أبي وأمي؟»، فقال: يا بن عباس إن أول ما كلمني به ربي أن قال: يا محمد انظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انحرفت وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى عليّ وهو رافع رأسه إليّ فكلمني وكلمته، وكلمني ربي ﷺ.

قال ابن عباس: «فقلت يا رسول الله بم كلمك ربك؟»

قال: قال لي يا محمد اتى جعلت علياً وصيِّك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأمر الله الملائكة أن تسلم عليه، ففعلت فرد عليهم السلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملاً منهم إلا هتأوني، وقالوا: يا محمد والذي بعثك بالحق لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله ﷺ لك ابن عمك، ورأيت حملة العرش وقد نكسوا رؤوسهم، فسألت جبرئيل ﷺ فقال: إنهم استأذنوا الله في النظر إليه فإذا الله.

فلما هبطت إلى الأرض جعلت أخيره بذلك وهو يخبرني، فعلمت أني لم أظأ موطئاً إلا وقد كشف لعلني عنه.

قال ابن عباس ﷺ: «فقلت يا رسول الله أوصني»، فقال: عليك بحب عليّ ابن أبي طالب.

قال ابن عباس ﷺ: «فقلت يا رسول الله أوصني»، فقال: عليك بمودة عليّ ابن أبي طالب، والذي بعثني بالحق نبياً أن الله لا يقبل من عبد حسنة حتى يسأله

عن حب علي بن أبي طالب، وهو تعالى أعلم. فان جاءه بولايته قبل عمله على ما كان فيه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء وأمر به إلى النار.

يا بن عباس والذي بعثني بالحق نبياً إن النار لأشدّ غضباً على مبغض عليّ منها على من زعم أن الله ولدأ.

يا بن عباس لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا. لعذبهم الله بالنار.

قال ابن عباس: ((قلت يا رسول الله وهل يبغضه أحد؟))

قال: يا بن عباس نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً.

يا بن عباس إن من علامة بغضهم له تفضيل من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق نبياً ما خلق الله نبياً أكرم عليه مني، ولا وصياً أكرم عليه من وصي عليّ.

قال ابن عباس: ((ثمّ مضى من الزمان ما مضى، وحضرت رسول الله ﷺ الوفاة، وحضرته فقلت له فذاك أبي وأمي يا رسول الله قد دنا أجلك فما تأمرني؟))

قال: يا بن عباس خالف من خالف عليّاً، ولا تكونن لهم ظهيراً ولا ولياً.

قلت: ((يا رسول الله فلم لا تأمر الناس بترك مخالفته))، قال: فبكي ﷺ حتى

أغمي عليه، ثمّ قال:

يا بن عباس سبق الكتاب فيهم وعلم ربي، والذي بعثني بالحق نبياً، لا يخرج

أحد ممن خالفه من الدنيا وأنكر حقه حتى يغير الله ما به من نعمة.

يا بن عباس إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راضٍ فاسلك طريقة علي بن أبي طالب، ومل معه حيث مال، وارض به إماماً، وعاد من عاداه، ووال من والاه. يا بن عباس احذر أن يدخلك شك فيه، فإن الشك في علي كفر بالله. هذه الوصية من أهم وصايا النبي ﷺ لحبب الأمة بعلي رضي الله عنه وأمره بسلوك سبيله إذا تشعبت بالناس السبل، وإنما ذكرناها بطولها لما فيها من فضائل للإمام رضي الله عنه لم ترد في حق غيره.

وقد أخرجها الشيخ الطوسي في أماليه^(١)، وابن شاذان في فضائله^(٢)، والإربلي في كشف الغمة^(٣)، ومحمد بن هاشم في مصباح الأنوار^(٤)، والعلامة الحلبي في كشف اليقين^(٥)، وغيرهم.

ولا غرابة في رواية ابن عباس رضي الله عنه ذلك على صغر سنه، فقد قلنا إنه كان الرسول ﷺ يوليه عناية خاصة ويرعاه ويحذب عليه لما يتوسم فيه من الخير وكان قريباً من نفسه، وكم من مرة حظي فيها بتكريم من النبي ﷺ خصه به. فقد روى ابن سعد في طبقاته، وإمام الحنابلة في مسنده، وأبو نعيم الأصبهاني في حليته، وغيرهم، عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ دخل على ميمونة بنت الحرث^(٦) - إحدى زوجاته - ومعه ابنا اختها عبد الله بن عباس وخالد بن

(١) الامالي ١٠٢/١.

(٢) فضائل ابن شاذان ٤/ و ١٦٠ - ١٦١.

(٣) كشف الغمة ١/ ٥٠٨.

(٤) مصباح الأنوار ١١/ الباب الثالث والرابع منه مخطوط.

(٥) كشف اليقين ٤٥٣/ طه محققه.

(٦) إحدى امهات المؤمنين التسع اللاتي مات هنن ﷺ، وأحدى الأخوات المؤمنات الثمان. وقد مر ذكرهن في ذكر لبابة أم ابن عباس. وهي آخر من تزوج بها ﷺ زوجه بها المباس عمه وأصدقها عنه اربعمائة درهم. كما أنها آخر من توفي من أزواجه عاشت نحواً من

الوليد، وكانت أم غفيق - عفيق - أهدت إلى ميمونة هدية كان منها قعب فيه لبن، فقدمته ميمونة إلى النبي ﷺ، وكان عن يمينه عبد الله بن عباس ؓ وعن شماله خالد بن الوليد، فشرب النبي ﷺ، ثم قال لعبد الله بن عباس: (إن الشربة لك - يريد بذلك شرفه لأنه عن يمينه - أفتأذن لي أن أعطي خالد بن الوليد؟) - يريد بذلك لسنه - فقال ابن عباس: والله لا أوتر بفضل رسول الله أحداً، وفي لفظ آخر: ما كنت لأوتر بسؤرك عليّ أحداً. ثم تناول القدح فشرب^(١).

ولا غرابة في رواية ابن عباس ذلك عنه ﷺ، بعد أن مرّ بنا. ويأتي ما يدل على عناية الرسول ﷺ به عناية خاصة فهو يوليه من رعايته ويحذب عليه ويقربه من نفسه لما يتوسم فيه من الخير لمخائل فطنته وذكائه. وإليك شاهداً على ما حظي به من تكريمه له.

فقد روى ابن سعد في طبقاته بسنده عنه قال: ((دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله) وأنا وخالد بن الوليد على ميمونة بنت الحارث^(٢) فقالت:

ثمانين سنة وقيل أكثر. وكانت في ولاتها لأهل البيت عليهم السلام كام سلمة ولا أدل على ذلك من جوابها الجري بن سمرة. من أهل الكوفة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال: يروي عن عليّ روى عنه ابن اسحاق السبيعي - قال: لما كان من أهل البصرة الذي كان بينهم وبين عليّ بن أبي طالب انطلقت حتى أتيت المدينة فأتيت ميمونة بنت الحارث. وهي من بني هلال. فسلمت عليها، فقالت: ممن الرجل؟ قلت من أهل العراق قالت: من أي أهل العراق؟ قلت من أهل الكوفة؟ قالت: من أي أهل الكوفة؟ قلت: من بني عمارة قالت: مرحباً، قُرب على قُربه ورحباً على رَحِبِ فمجيء ما جاء بك؟ قلت: كان بين عليّ وطلحة الذي كان فأقبلت فبايعت علياً. قالت: فالحق به فوالله ما ضلّ ولا ضلّ به حتى قالتها ثلاثاً. أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٩/٢٤ ط الثانية وأخرجه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٥/٩ وقال: رجاله رجال الصحيح غير جرير بن سمرة وهو

٢٢٥.

(١) طبقات ابن سعد ١/١١١/٢، مسند أحمد ١/٢٢٠ و ٢٢٥، حلية الأولياء ١/٣١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١/٢٢٠ و ٢٢٥، وأبو نعيم في الحلية ١/٣١٤ وغيرهما بتفاوت يسير في اللفظ.

الأطعمكم من هدية أهدتها لنا أم عقيق؟ فقال: بلى فجيء بضئين مشويين فتبزق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له خالد بن الوليد: كأنك تقدره؟ قال: أجل، قالت: ألا أسقيكم من لبن أهدته لنا؟ قال: بلى، فجيء بأناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا عن يمينه وأنا عن شماله، فقال لي: إشرب هو لك، وإن شئت آثرت به خالداً. فعلمت ما كنت لأوتر بسؤرك عليّ أحداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أطعمه الله طعاماً فليقل: (اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه)، ومن سقاه الله لبناً فليقل: (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه)، فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللبن^(١).

ولو تدبرنا هذا الخبر، ونظرنا إلى ما تضمنته بعين البصيرة لا البصر، لرأينا مدى فضل ابن عباس على خالد بن الوليد، مع فارق السنّ بينهما، فابن عباس يومئذ ولا زال في سنّ الصبا، وخالد كان في سنّ الرجولة حتى قال ابن حجر في ترجمته: ((وشهد خالد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية))^(٢).

أقول: لو نظرنا إلى الحبر المشار إليه مع ملاحظة فارق السنّ، لعرفنا كيف فاقت شجاعة ابن عباس الأدبية. وهو صبي. شجاعة خالد. وهو رجل شهد الحروب. فإنّ جوابه الدال على أعتازه بشرفه مع قوة عارضته في حسن بيانه لشرف الغاية، وهي الحظوة بفضل السور النبوي الشريف، ما تضاءلت معها شجاعة خالد، وتصاغرت نفسه فسكت ولم يقل شيئاً يرد به عليه.

ومن اللافت للنظر أنني قرأت عن ابن عباس رضي الله عنه مكرراً زيارته للرسول الكريم ﷺ في بيت أم المؤمنين ميمونة، ولم أقف على خبر آخر فيه دخول

(١) طبقات ابن سعد ١/١١١/٢.

(٢) الاصابة ١/٤١٣.

خالد إلى ذلك البيت الرفيع سوى تلك المرة، مع أن أم المؤمنين ميمونة كانت خالتهما معاً.

بل كان ابن عباس ربما بات عندها ليلاً، ممّا يدل على أنه كان أكثر إماماً، وأشدّ لصوقاً، والشواهد على ذلك كثيرة.

فمنها ما أخرجه الحفاظ والمؤرخون بأسانيدهم عن ابن عباس ؓ قال: «كنت في بيت ميمونة بنت الحارث فوضعتُ للنبي ﷺ وضوءه، فقال النبي ﷺ من وضع هذا؟ فقالت ميمونة: وضعه عبد الله، فقال: اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين»^(١).

ومنها ما أخرجه أيضاً بأسانيدهم عنه ؓ قال: «بتّ في بيت خالتي ميمونة، فقام رسول الله ﷺ يصلي في الليل فجثت فقامت عن يساره، فأقامني عن يمينه فصلى»^(٢).

رؤيته الروح الأمين:

ومنها ما ورد من رؤيته جبرئيل مرتين في بيت خالته ميمونة، فقد أخرج الحفاظ والمؤرخون عنه ؓ قال: «كنت مع أبي عند النبي ﷺ ومع النبي ﷺ رجل ينجيه، وكان كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده، فقال: ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ قلت له: يا أبا كان عنده رجل ينجيه قال: وكان عنده أحد؟ قلت: نعم.

(١) انظر المعرفة والتاريخ للقسوي ١/٤٩٤، وطبقات ابن سعد ٢/١١٩، ومستدرک الحاكم ٣/٥٣٤، والممجم الكبير للطبراني في مواضع متعددة في أحاديث ابن عباس وأنساب الأشراف للبلاذري (ترجمة ابن عباس).

(٢) راجع المعرفة والتاريخ للقسوي ١/٥٢٠، وطبقات ابن سعد ٢/١٢٠، والممجم الكبير للطبراني في مواضع متعددة في أحاديث ابن عباس.

فرجعنا، فقال: يا رسول الله إنني قلت لعبد الله كذا وكذا، فقال: لي كذا وكذا، وهل كان عندك أحد؟ قال: ورأيت يا عبد الله؟ قلت: نعم، قال: ذاك جبريل هو الذي شغلني عنك»^(١).

تلکم هي المرة الأولى، والمرة الثانية، بعثه أبوه العباس إلى النبي ﷺ فدخل عليه وعنده رجل فقام وراءه، فالتفت إليه ﷺ فقال: «متى جئت يا حبيبي؟ قال: منذ ساعة، قال: هل رأيت عندي أحداً؟ قال: نعم رأيت رجلاً. قال: ذاك جبرئيل عليه الصلاة والسلام ولم يره خلق إلا أن يكون نبياً، ولكن أسأل الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك، ثم قال: اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين، وأجمله من أهل الأيمان»^(٢).

ونحن أزاء هذين الحديثين مهما تكن درجة تصديقنا بهما تفصيلاً، فلا شك بأنهما من جملة الشواهد على كثرة زيارته لبيت النبي ﷺ. ولكن لنا تحفظ عليهما لما سيأتي.

رؤيته لجبرئيل:

مسألة رؤيته لجبرئيل ﷺ لا يكاد يخلو مصدر من مصادر ترجمته من ذكرها فراجع مسند أحمد^(٣)، والمعجم الكبير للطبراني^(٤)، وتهذيب الآثار

(١) راجع المعرفة والتاريخ للفسوي ٥٢١/٢، وطبقات ابن سعد ١٣٣/٢٣٧، والمعجم الكبير للطبراني في مواضع متعددة في أحاديث ابن عباس منها ١٤٣/١٢ ط الثانية بالموصل وأنساب الأشراف للبلاذري في ترجمة ابن عباس.

(٢) مستدرك الحاكم ٥٣١/٣، وتلخيصه للذهبي بهامشه وأنساب الأشراف (ترجمة ابن عباس).

(٣) مسند أحمد ٣١٧٩/١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٠٥٨٤/١ و١٠٥٨٦ و١٢٨٣٦.

للطبري^(١)، ومجمع الزوائد للهيتمي^(٢)، والاصابة لابن حجر^(٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي^(٤)، وغيرها.

ولمّا كان جبرئيل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ أحياناً بصورة دحية الكلبي فربّما كان الذي رآه ابن عباس هو ذلك ولم يكن قد عرف يومئذ دحية أو رآه بغير صورته. ومهما تكن الصورة التي رآها فهي لا تخلو من دلالة منافية، ولكنه لا مانع من صحتها بعد أن قرأناها وفي مصادر كثيرة وقرأنا مثلها لغيره كما سيأتي لكن التصديق بأن هذه الرؤية كما قالوا كانت سبب عماء في آخر عمره فيما روى بعضهم^(٥)، وعزاء للطبراني في الأوسط بأسانيد ورجاله ثقات، فهذا سبب لا نكاد نؤمن بصحته لأنّه سبب ما أنزل الله به وحياً ولا جاء به من سلطان فأبي علاقة طبيعية أو غير طبيعية - بين رؤيته المَلَك وبين فقدانه البصر؟! فهل ثمة علاقة بين الرؤية وفقدان البصر؟ فلنقرأ ولو استطراداً شيئاً عن ذلك.

هل رؤية المَلَك تسبب العمى؟

لابدّ لنا قبل الإجابة على ذلك من الجواب على سؤال يفرض نفسه قبل ذلك وهو هل يمكن للناس - عدا الأنبياء رؤية الملائكة؟ ومن ثمّ إذا أمكن ذلك يأتي الجواب على السؤال المذكور هل الرؤية تسبب العمى؟
أما الجواب على السؤال الأوّل فلا شك بأنّ الرؤية غير ممتنعة بل ممكنة بل وحاصلة الوقوع، وقد ورد في:

(١) تهذيب الآثار ١٧١/١ (مصنّد ابن عباس).

(٢) مجمع الزوائد ١٥٥١٨/٩ و١٥٥١٩.

(٣) الاصابة ١٤١/٤ (ترجمة ابن عباس) تحقيق البجاوي.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٤٤/٤ - ٤٤٥، مدّ دار الفكر.

(٥) أنظر مجمع الزوائد للهيتمي ١٥٥٢٠/٩.

١- القرآن المجيد ما يؤكد ذلك كما في قصة مريم عليها السلام وذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

وكذلك في حديث ضيف إبراهيم المكرمين وقولهم لزوجته: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وأوضح من ذلك ما جاء في سورة هود حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا رآَ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لَوْ لَأَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿١٤﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَهَرَّتَآهَا يُسْحَقٌ وَمِنْ وَّرَاءِ يُسْحَقٍ يَعْقُوبُ ﴿١٥﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَطْلًا شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ غَرِيبٌ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَحْمَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٢).

فإمرأة إبراهيم - سارة - رأت الملائكة وضحكت وقالت لهم وقالوا لها، فرؤية الملائكة والحديث معهم أمر ممكن وواقع، كما أنه ليس مختصاً بالأنبياء وأهل الأنبياء كما قد يتوهم. فإن الملائكة الذين رأتهم سارة زوجة إبراهيم

(١) مريم / ١٧ - ١٩.

(٢) الذاريات / ٣٠.

(٣) هود / ٦٩ - ٧٣.

وسمعت كلامهم فقالت لهم وقالوا لها. هم الذين رأوهم قوم لوط ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(١). إلى آخر ما ورد في القرآن في ذلك.

٢- وجاء في السنة النبوية ما يدل على الإمكان ففي حديث حنظلة بن الربيع الكاتب الأسدي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: (يا حنظلة لو كنتم عند أهلِكُم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق) وفي لفظ (لصافحتكم الملائكة بأكفها ولزارتكم في بيوتكم) وفي ثالث (لأظلتكم بأجنحتها)^(٢).

٣- كما ورد في السيرة النبوية في قصة بدر. ونصرة الملائكة: وجاءت ریح لم يروا مثلها شدة، ثم ذهبت فجاءت ریح أخرى، فكانت الأولى جبريل ﷺ في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثانية ميكائيل ﷺ في ألف من الملائكة عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثالثة اسرافيل ﷺ في ألف من الملائكة عن يسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكان سيما الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحممر من نور والصفوف في نواصي خيولهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه إن الملائكة قد سَوَّمت فسوِّموا فأعلموا بالصفوف في مغافرهم وقلانسهم، وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بلق^(٣).

(١) هود / ٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب ٣، والترمذي في سننه برقم ٢٥١٦، وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم ٤٢٣٩ والاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ / ٢٤٠، ٢٤١، والطيالسي في مسنده / ١٩١ و ٣٣٧، والبيهقي في هجر السنة ١٦٧ / ١، وأحمد في مسنده ٣٠٥ / ٢ و ١٧٥ / ٣ و ١٧٨ / ٤ و ٣٤٦، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٠٦ / ٤ وغيرهم.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢ ق ١ / ٩ السيرة النبوية.

ولعل هناك من يقول إن المذكور في قصة بدر إنما كان من إخبار النبي ﷺ للصحابة بذلك. فنقول له: إن في أسر العباس صراحة قول أبي اليسر، وكان دحداً قصيراً مدملاً ذا بطن^(١)، وكان العباس طويلاً، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف أسرته؟ فقال لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد هيته كذا. قال: (لقد أعانك عليه ملك كريم)^(٢). وفي خصوص رؤية جبرئيل عليه السلام ذكر أصحاب السير جملة من الصحابة رأوه وعدوا منهم:

١- حارثة بن النعمان رأى جبرئيل مرتين.

٢- تميم بن سلمة.

٣- محمد بن مسلمة.

٤- حمزة بن عبد المطلب فان كان هو الذي طلب من النبي ﷺ أن يريه جبرئيل في صورته فأراه، فالذين ذكرناهم آنفاً رأوه من دون طلب^(٣).

وخل ما ورد في مزايدات المناقب كحديث رؤية عائشة قالت: «لقد رأيت جبرئيل واقفاً في حجرتي هذه على فرس ورسول الله يناجيه، فلما دخلت قلت: يا رسول الله من هذا الذي رأيتك تناجيه، قال: وهل رأيته؟ قلت: نعم، قال: فبمن شبّهته؟ قلت: بدحية الكلبي، قال: لقد رأيت خيراً كثيراً ذاك جبرئيل^(٤)»، ورواه أحمد في مسنده، وفيه قال: «وهو يقرئك السلام قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، جزاه الله من زائر ودخيل، فنعمة الصاحب ونعم الدخيل^(٥)».

(١) سير أعلام النبلاء ٤/١٤٧ ط دار الفكر.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٤٠١ ط دار الفكر، ومختصر تاريخ دمشق ١١/٣٢٩.

(٣) انظر تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك للمسيوطي ضمن كتابه الحاوي ٢/٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٨.

(٤) انظر الطبقات لابن سعد ٨/٦٧ - ٦٨.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٦/٧٤ - ٧٥/١٤٦.

أما الذين رأوا الملائكة ولم يعينوهم من هم فهم:

١- أسيد بن حضير.

٢- عبد الرحمن بن عوف.

٣- أبو أسيد الساعدي.

٤- أبو بردة تيار.

فهؤلاء ممن رأوا الملائكة في يوم بدر^(١).

وأخيراً فقد روى السيوطي في كتابه: «أن أبا بكر كان يسمع مناجاة جبريل للنبي ﷺ»^(٢)، وزاد في مكان آخر: «أن جبريل سعطه سعطة فبريء من مرضه»^(٣).

وهناك أسماء آخرين ذكروا لهم الرؤية والسماع والتسليم والمصافحة وغير ذلك. فمن شاء المزيد فليرجع إلى كتاب السيوطي المذكور.

وإلى هنا نكتفي في الجواب على السؤال الأول وهو: هل يمكن للناس رؤية الملائكة؟ فكان الجواب: نعم يمكن ذلك وقد جاوز مرحلة الإمكان إلى الوقوع لكثرة الشواهد على ذلك.

بقي علينا أن نبحث الجواب عن السؤال الثاني: هل رؤية الملك - أو خصوص رؤية جبريل ﷺ - تسبب العمى؟

ومن خلال ما مرّ بنا وقرأنا أسماء بعض من رأى الملائكة ومن رأى جبريل ﷺ خاصة، فوجدناهم لم يصابوا بالعمى، إذن فنفس الرؤية لا تسبب

(١) أنظر تنوير الحلك للسيوطي في كتابه الحاوي في الفتاوى ٤٥٧/٢ . ٤٥٨ .

(٢) نفس المصدر ٤٥٦/٢ .

(٣) نفس المصدر ٤٦٠/٢ .

العمى، ولا يقال تلك خصوصية لرؤية ابن عباس لجبرئيل عليه السلام حتى تكون رؤيته
نسب له العمى، فرؤيته كرؤية غيره، إن صحت أحاديث الرؤية وإلا
فالجميع هباء.

وأما الحديث عن عماء فسيأتي في مكانه عند البحث عن تاريخه في عهد
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

عودة إلى الشواهد

ومن جملة نمط ما مرّ من الشواهد الدالة على عناية الرسول الكريم ﷺ بابن عمه ما رواه السيد ابن طاووس عن عبد الله بن عباس أنه قال: ((يا رسول الله طوبى لمن رأى ليلة القدر فقال له: يا بن عباس ألا أعلمك صلاة إذا صليتها رأيت بها ليلة القدر كل ليلة عشرين مرة وأفضل؟ قال: علمني صلى الله عليك. فقال له: تصلي أربع ركعات في تسليمه واحدة ويكون من بعد العشاء الأول وتكون قبل الوتر، في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات وقل هو الله أحد ثلاث مرات، وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات وقل هو الله أحد ثلاث مرات، وفي الثالثة والرابعة مثل ذلك فإذا سلّمت تقول ثلاث عشرة مرة أستغفر الله، فوحق من بعثني بالحق نبياً أنه من صلّى هذه الصلاة وسبّح في آخرها ثلاث عشرة مرة وأستغفر الله فإنّه يرى ليلة القدر كلّما يصلي هذه الصلاة، ويوم القيامة يشفع في سبعمائة ألف من أمّتي وغفر الله له ولوالديه إن شاء الله تعالى))^(١).

وأحسب أنّه صلّى ما علمه رسول الله ﷺ فرأى انها ليلة ثلاث وعشرين فقد روى البلاذري في ترجمته من الأنساب بسنده عنه قال: ((أتيت في منامي فقيل لي هذه ليلة القدر فقمّت وأنا ناعس فتعلقت ببعض أطناب فسطاط رسول الله ﷺ فنظرت فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين))^(٢).

(١) الإقبال / ٦٥ ط الثانية نشر دار الكتب الإسلامية سنة ١٣٩٠ هـ.

(٢) أنساب الأشراف برقم ٧٥/ نسخة مخطوطة بقلمه.

ومن الشواهد أيضاً ما أخرجه الحاكم في المستدرک والذهبي في تلخيصه وغيرهما بأسانيدهم عنه قال: ((أمرني العباس قال: بت بآل رسول الله ﷺ ليلة، فانطلقت إلى المسجد فصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة، حتى لم يبق في المسجد أحد غيره، قال: فمرّ بي فقال: من هذا؟ فقلت: عبد الله، قال: فمه؟ قلت: أمرني أبي أن أبيت بكم الليلة، قال: فالحق فلماً دخل، قال: افرشوا لعبد الله، قال: فأتيت بوسادة من مسوح^(١) قال: وتقدم إليّ العباس أن لا تنامن حتى تحفظ صلاته، قال: فقدم رسول الله ﷺ فنام حتى سمعت غطيته، قال: ثم أستوى على فراشه فرفع رأسه إلى السماء فقال: سبحان الملك القدوس - ثلاث مرات - ثم تلا هذه الآية من آخر سورة آل عمران حتى ختمها ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ثم قام فبال، ثم استنّ بسواكه، ثم توضأ، ثم دخل مصلاه فصلى ركعتين ليستا بقصيرتين ولا طويلتين، قال: فصلى ثم أوتر، فلما قضى صلاته سمعته يقول: اللهم اجعل في بصري نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في لساني نوراً، واجعل في قلبي نوراً، واجعل عن يميني نوراً، واجعل عن شمالي نوراً، واجعل لي يوم لقائك نوراً، واعظم لي نوراً^(٣)).

وفي حديث عند الطبراني بسنده عن ابن عباس قال: ((بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ، فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة فقام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فلما صلى الركعتين قبل الفجر قال: (اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلمّ بها شعبي، وتردّ بها إفتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وترزّقي بها عملي، وتبيّض

(١) المسوح: جمع مسح الثوب من شعر.

(٢) البقرة / ١٦٤، آل عمران / ١٩٠.

(٣) مستدرک الحاكم ٣/ ٥٣٥ وتلخيصه للذهبي بهامشه والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٧٥.

بها وجهي، وتلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيماناً صادقاً، وقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة.

اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء، وتزك الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء.

اللهم أنزلت بك حاجتي، وإن قصر رأيي، وضعف عملي، وافضرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور، أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثيور، ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأيي، وضعف عنه عملي، ولم تبلغه أمنيته، من خير وعدته أحداً من عبادك، أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك، فإني أرغب اليك فيه، وأسألك يا رب العالمين، اللهم أجعلنا هادين مهدين غير ضالين ولا مضلين، حرباً لأعدائك، وسلماً لأولياتك، نحب بحبك الناس، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك.

اللهم هذا الدعاء وعليك الاستجابة، اللهم وهذا الجهد وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقرئين الشهداء، والركع السجود، والموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد.

سبحان الذي تعطف العز وقال به، سبحان الذي لا ينفي الحمد إلا له، سبحان ذي العرش والبهاء، سبحان ذي المقدرة والكرم، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه.

اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قهري، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي،

ونوراً في عظامي، ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، اللهم زدني نوراً، وأعظم لي نوراً، وأجعل لي نوراً»^(١).

إلى غير ذلك من الشواهد التي تميّز فيها الحبر ابن عباس على جميع اخوانه وجميع أبناء خالاته وهم أبناء أخوات أم المؤمنين ميمونة بما فيهم خالد بن الوليد. فقد حظي بالمعطف النبوي، وحصل على ما لم يحصل عليه أولئك على كثرتهم، فظهرت آثار ذلك في تكوين شخصيته التي فصلت جميع اخوانه وأبناء خالاته، مضافاً إلى استعداده في نبوغه وألمعيته منذ نعومة أظفاره، فهو يحفظ المحكم وهو ابن عشر سنين، بينما كان ابن خالته خالد بن الوليد لم يتعلم من القرآن كثيراً باعترافه^(٢)، بل نقل عنه ابن أبي شيبة في مصنفه: «أنه أم مرة الناس بالحرّة قرأ من سور شتى ثم ألقت إليهم حين أنصرف فقال: شغلني الجهاد عن تعلم القرآن»^(٣). وأحسب أن ما رواه ابن أبي شيبة هو الذي رواه ابن حجر في الأصابة إلا أن ابن حجر اختصر، حفاظاً على مكانة خالد.

شواهد الألمعية:

لقد مرّت بنا شواهد ومشاهد وفيها ما يدلّ على ألمعيته - ما دام معنى الألمعية هو الذكاء المتوقع كما يقول أهل اللغة - فكان يحدث بما رآه وما سمعه مع حفظ خصوصيات ذلك زماناً ومكاناً، كما دلت على مدى اختصاص حبر الأمة بالرسول الكريم ﷺ حتى خصّه بوصايا أخلاقية ذكرنا بعضها، ولكننا

(١) المعجم الكبير ٢٨٣/١٠ ط الموصول ورواه الترمذي برقم ٣٤٧٩، والبيهقي في الدعوات

الكبير/٦٩، وقارن تهذيب ابن عساکر ٢٠٧/٥.

(٢) الأصابة ٤١٤/١ ترجمة خالد بن الوليد.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٥٣٧/٢ ٥٥٢/١٠.

الآن نذكر شواهد أخرى على مدى أستعداده الفطري حتى كان شعلة ذكاء تتقد، ندر أن نجد نظيره فيمن هو في سنه - بل وحتى أكبر منه - من كان يسأل مثل مسائله وهي شواهد على ألمعيته حيث يتناول في مسائله ما كان للنبي ﷺ من مقام قبل خلق المخلوق، وآدم - أبو البشر - بعد في الجنة، وكيف تاب الله عليه؟ وماذا أقسم فأبرّ قسمه، وفي فطنة غلام لم يتجاوز الحلم ويتسع فكره لأن يسأل عن مثل ذلك للدليل على ألمعيته.

وإلى القارئ بعض الشواهد:

١- أخرج السيوطي الشافعي في الدر المنثور^(١)، وابن المغازلي المالكي في المناقب^(٢)، والقندوزي الحنفي في يتايغ المودة^(٣) واللفظ للأول: قال ابن عباس: «قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: سألت بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه».

٢- أخرج ابن عساکر في تاريخه كما في تهذيبه: «قال ابن عباس: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: فتبسم حتى بدت ثناياه ثم قال: (كنت في صلبه وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي قط على سفاح، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة، مهذبًا لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، وبشر بي، وفي التوراة

(١) الدر المنثور ٦٠/١ نقلًا عن ابن النجار.

(٢) مناقب ابن المغازلي / ٦٣.

(٣) يتايغ المودة / ٩٧ و ٢٢٨ ط اسلامبول سنة ١٣٠٢.

والإنجيل ذكري، وبين كل نبي صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام بوجهي، وعلمني كتابه في صحابة، واشتق لي اسماً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدني أن يجبوني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي، وهم الحمادون يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر»^(١).

فهذان السؤالان منه وهو بتلك السنّ يكشفان عن المعية نادرة ميّزته عن كثير من الصحابة ومرّ بنا نحو ذلك.

والآن لتأخذ من صحيح مروياته التي تميّزت بدقة الملاحظة وحضور الذاتية. فمن ذلك ما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد تحقيق أحمد أمين ورفيقه عنه فقال:

«وقال عبد الله بن عباس: أنشدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم آياتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر فيها حملة العرش وهي:

رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد
والشمس تطلع كلّ آخر ليلة فجرأً ويصبح لونها يتوقّد
تبدو فما تبدو لهم في وقتها إلا معدّبة وإلا تجلد

فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالمصدق له»^(٢).

(١) تهذيب تاريخ ابن عسّاكر ١/٣٤٩.

(٢) قال الجاحظ في كتاب الحيوان ١/١٦٨، وقد جاء في الخبر إن من الملائكة من هو في صورة الرجال ومنهم من هو في صورة الثيران ومنهم من هو في صورة النسور ويبدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمية بن أبي الصلت. ثم ذكر البيت. وأنظر الأغانى ٤/١٤٨ ط دار الكتب المصرية.

(٣) العقد الفريد ٥/٣٧٧.

فهذا الخبر كما يكشف عن المعية ابن عباس دلنا على حفظه للشعر مبكراً، واستحضاره له منشداً ومستفهماً، وبالتالي حصل على ما يتغيه من إنشاده للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من تسمه أنه كالمصدق له. وهذا غاية في الاحتياط في الرواية، إذ لم يزد على ما روى ورأى وفهم. وله سماعات نبوية فيما يخص فضائل أهل البيت مجتمعين ومنفردين نسوق طائفة منها:

١- أخرج الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرجت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه (وآله) وسلم وعلي رضي الله عنه في حُشَّان المدينة، فمررنا بحديقة فقال علي رضي الله عنه: ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله، فقال: (حديقتك في الجنة أحسن منها) ثم أوما بيده إلى رأسه ولحيته ثم بكى حتى علا بكأؤه قيل: ما يبكيك؟ قال: (صفائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني)»^(١). فهذا الحديث حفظ فيه ابن عباس - وهو ابن ثلاث عشرة سنة أو دونها - خصوصيات المكان والزمان والسبب والمسبب والصفة والموصوف.

٢- أخرج ابن مردويه في المناقب وعنه السيوطي في الدر المشثور في تفسير آية التطهير وغيرهما قال ابن عباس: «شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت) **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**^(٢) الصلاة رحمكم الله) كل يوم خمس مرات».

(١) المعجم الكبير ١١/٦٠ ط الموصل.

(٢) الأحزاب / ٣٣.

ففي هذا الحديث نجد حبر الأمة ضبط في الحدّث مدة الزمان والمكان بدقة مع توفر عنصر المشاهدة وهذا ما يعني قوة الملاحظة عنده، ولقد روي أيضاً عنه حديث نزول هذه الآية في أهل البيت خاصة بلفظ أوفى ممّا مرّ، فيما أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل^(١)، والحكيم الترمذي، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي وأبو نعيم في كتابيهما (دلائل النبوة)، وعنهم السيوطي في الدر المنثور^(٢)، ولعله لا يقل دلالة عما سبق في دقة الملاحظة وقوة الحافظة التي تميّز بها في حفظ الحديث في مروياته، ورواية الحدّث بتمام خصوصياته. ما يخصّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وإلى القارئ نبذة منه:

١- فمن ذلك ما أخرجه أحمد في المناقب عن ابن عباس قال: ((بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ بن أبي طالب فقال له: أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبّيك حبّبي وحبّبي حبّبي الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك))^(٣).

٢- ومن ذلك ما أخرجه الخطيب في تاريخه، وأخرجه أبو الخير الحاکمي وعنه المحب الطبري في الرياض النضرة^(٤)، وابن حجر في الصواعق^(٥)، الحديث

(١) شواهد التنزيل ٢٩/٢.

(٢) الدر المنثور ٥/١٩٩.

(٣) أنظر الرياض النضرة ٢/١٦٦ نقلاً عن أحمد.

أقول، ورواه الحاكم في المستدرک ٣/١٢٧ بتفاوت بسيط وقال: صحيح على شرط الشيخين كما رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٤/٤١ بعدة طرق وغيرهم.

(٤) الرياض النضرة ٢/١٦٨.

(٥) الصواعق المحرقة ٩٣/٩٣.

بلفظ الأوّل بسنده إلى عبد الله بن عباس قال: «كنت أنا وأبي العباس بن عبد المطلب جالسَيْن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ دخل عليّ بن أبي طالب فسَلَّمَ فردّ عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ السلام وبشّر به وقام إليه واعتقه وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه. فقال العباس: يا رسول الله أتحبّ هذا؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يا عم رسول الله والله أشدّ حباً له مني. إن الله جعل ذرية كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا)»^(١).

وزاد ابن حجر نقلاً عن كنوز المطالب في روايته لما سبق: «أنّه إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسماء أمهاتهم سترأ عليهم إلا هذا وذريته فإنهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم».

ومما رواه وفيه ذاتية الحضور ممّا يتعلق بالسيدة فاطمة الزهراء وأمها خديجة ومريم وآسية (عليهن السلام):

١- أخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس قال: «خطّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أربعة خطوط ثمّ قال: (أتدرون ما هذا؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إن أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم)».

قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد^(٢).

ومما رواه ورآه ممّا يتعلق بالسيدة الزهراء عليها السلام وولديها الحسن والحسين عليهما السلام:

(١) تاريخ بغداد ١/٣١٦.

(٢) مستدرک الحاكم ٢/١٩٧، ورواه أحمد في مسنده ١/٢٩٣ و ٢١٦ و ٣٢٢، وابن حجر في الإصابة ٨/١٥٨، وابن عبد البر في الاستيعاب ١/٧٥٠، والهيتمي في مجمع الزوائد ٩/٢٣٣، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح.

١- ما أخرجه الملا في سيرته وغيره، وعنهم المحب الطبري قال: وعن ابن عباس قال: ((بينما نحن ذات يوم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبلت فاطمة سلام الله عليها تبكي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فذاك أبوك ما يبكيك؟)) قالت: إن الحسن والحسين خرجا ولا أدري أين باتا؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تبكي فإن خالقتما أطف بهما مني ومنك)، ثم رفع يديه فقال: (اللهم أحفظهما وسلمهما)، فهبط جبريل وقال: يا محمد لا تحزن فإنهما في حظيرة بني النجار نائمين وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أصحابه حتى أتى الحظيرة فإذا الحسن والحسين معتقين نائمين، وإذا الملك الموكل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتها والآخر فوقهما يظللهما، فأكب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهما يقبلهما حتى أنتبها من نومهما، ثم جعل الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر، فلتقاها أبو بكر وقال: يا رسول الله ناولني أحد الصبيّين أحمله عنك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (نعم المظي مطيها ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما)، حتى أتى المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهما وسلم على قدميه وهما على عاتقيه ثم قال: (معاشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (الحسن والحسين جدهما رسول الله خاتم المرسلين وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة، ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب، أيها الناس: ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟)

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله)، ثم قال: (اللهم إنك تعلم أنّ الحسن والحسين في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة ومن أبغضهما في النار))^(١).

أقول: لقد أخرج الطبراني هذا الحديث في معجمه الكبير والأوسط وعنه الهيثمي في مجمع الزوائد^(٢)، والتمحي في كنز العمال^(٣)، وفيهما زيادة قوله ﷺ: (ألا أخبركم بخير الناس أباً وأماً؟ أمهما فاطمة بنت رسول الله وأبوهما علي بن أبي طالب). وهذا يدل على سقط في نسخة الذخائر.

وهكذا نجد من الشواهد على حضوره المشاهد التي حفظها ودلت على دقة الملاحظة وقوة المحافظة حتى رواها كما رأها.

وقد جمع محمد بن عابد بن أحمد الأنصاري السندي^(٤) كتابه (كشف البأس عمّا رواه ابن عباس مشافهة عن سيد الناس) ونسخته مخطوطة في الخزانة التيمورية بمصر. لم يتيسر لي الإطلاع عليهما ربّما يجد فيه الباحث كثيراً من تلك الشواهد، ولإبراهيم الحربي (مسند عبد الله بن عباس)^(٥)، وسيأتي مزيد إيضاح حول مروياته في تاريخه العلمي.

ولمّا كانت بعض المشاهد النبوية وقعت فيها أحداث ذات دلالات خاصة مميزة وقد تأثر بها حبر الأمة حتى وضحت معالمها في تاريخه، من خلال تبين

(١) ذخائر العقبى / ١٣٠.

(٢) مجمع الزوائد / ١٨٤/٩.

(٣) كنز العمال / ٢٢١/٦ ط الأولى / ١٠٣/١٣ ط الثانية حيدرآباد.

(٤) انظر الأعلام للزركلي / ٤٩/٧.

(٥) انظر الفهرست لابن النديم / ٢٨٧ ط محققة.

آثارها في نفسه، فكان له من التعقيب عليها بعد روايتها ما يدل على مدى تأثيرها فيه تأثيراً بالغاً ولا بد لنا ونحن نتلمس تاريخ حبر الأمة عبد الله بن عباس في تلك الفترة من الوقوف عند محطات ثلاث عايش فيها أحداثاً متتابعة طفحت بطابعها المميّز أكثر من غيرها، لذلك فهي لا تنسى ولن تنسى مهما طال الزمن، كما كان لبعضها من بالغ الأثر ما غيرت أحداثها صفحات من تاريخ المسلمين.

وتلك المحطات الثلاث هي:

- ١- حجة الوداع: وهي حجة الإسلام كما كان يسميها ابن عباس ؓ.
 - ٢- بيعة الغدير: وهي التي يقول عنها ابن عباس: وجهت والله في أعناق القوم.
 - ٣- مرض الرسول ﷺ وحديث الكتف والدواة: وهو الذي يقول عنه ابن عباس ؓ الرزية كل الرزية.
- فعلينا أن نقرأها بروايته، دون أن نستجوب غيره من رواة الحديث والسيرة، ففيما يرويه كفاية عن غيره.

أولاً: حجة الوداع ((حجة الإسلام))

والى القارئ ما ورد عنه في تلك الحجة بدءاً من تسميتها، ومروراً بالمشاعر وأحكامها، وانتهاءً برجوع الرسول ﷺ إلى المدينة بعد انقضائها، ويصح منا تسمية ذلك بمنسك ابن عباس كما رواه عنه أصحاب المصادر التالية:

١- أخرج ابن سعد بسنده عن طاووس عن ابن عباس أنه كره أن يقول حجة الوداع، قال: فقلت: حجة الإسلام؟ قال: نعم حجة الإسلام^(١).

٢- أخرج ابن كثير في السيرة النبوية نقلاً عن أحمد بسنده عن سعيد بن جبيرة قال: ((قلت لعبد الله بن عباس: يا أبا العباس عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إهلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أوجب؟ فقال: إني لأعلم الناس بذلك، إنما كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة واحدة، فمن هناك اختلفوا.

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجاً، فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه، أوجب في مجلسه، فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه، فسمع ذلك منه قوم، فحفظوا عنه، ثم ركب، فلما استقلت به ناقته أهل، وأدرك ذلك منه أقوام، وذلك إن الناس إنما كانوا يأتون إرسالاً، فسمعه حين استقلت به ناقته يهل، فقالوا: إنما أهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استقلت

(١) طبقات ابن سعد ١/١٣٥.

ناقته. ثم مضى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فلما علا شرف البيداء^(١) أهل، وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا: إنما أهل رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم حين علا شرف البيداء. وأيم الله لقد أوجب في مصلاه، وأهل حين علا شرف البيداء))^(٢).

٣- أخرج ابن سعد بسنده عن ابن عباس قال: ((إن النبي ﷺ قال: (ليتك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك))^(٣).

٤- أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: ((انطلق النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم من المدينة بعد ما ترجل وادهن وليس إزاره ورداء، هو وأصحابه ولم ينه عن شيء من الأردية والأزر تلبس، إلا المزعفرة التي تردع على الجلد، فأصبح بذئ الحليفة، ركب راحته حتى أستوى على البيداء أهل هو وأصحابه، وقلد بدنه، وذلك لخمسة بقين من ذي القعدة. فقدم مكة لأربع خلون من ذي الحجة، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل من أجل بدنه لأنه قلدها، ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون، وهو مهل بالحج، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت، وبين الصفا والمروة، ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يحلوا، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها، ومن كانت معه أمراته فهي له حلال، والطيب والثياب))^(٤).

(١) البيداء، موضع امام ذي الحليفة سمي بذلك لأنه ليس فيه بناء ولا أثر.

(٢) السيرة النبوية ٤/٣٣٠. ٣٣١.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/١٢٧.

(٤) صحيح البخاري ١/١٩٧، حد بولاقي باب ما لا يلبيح المحرم من الثياب والأردية والأزر.

٥- أخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن جابر وابن عباس قالاً: ((قدمنا مع النبي ﷺ ولا نريد إلا الحج، فأهلنا بالحج، وطاف رسول الله ﷺ على راحلته يستلم الركن بمحجن كان معه، ثم عدل إلى السقاية، فقال: (اسقوني منها)، فقال العباس: يا رسول الله ألا نسقيك من شراب قد مسته الأيدي، قال: (لا اسقوني منها)، ثم شرب، ثم عدل إلى زمزم فقال: (انزعوا لي منها)، فزعوا له دلواً، فأخذ حسوة فمضمض ثم مجّه في الدلو، ثم قال: (أعيذوه فيها)، فقال: (يا بني هاشم إنكم على عمل صالح، لولا أن تغلبوا أو تُتخذ سنة لأخذت معكم)، ثم أتى منزله فخطب أصحابه وقال: (إن العمرة دخلت في حجكم فحلّوا، إلا من كان معه هدي)، وقال: (لولا أن معي هدياً لكثرتكم)، فقام سراقه بن مالك فقال: يا رسول الله ألعاننا أم للأبد؟ قال: (لا بل للأبد)، وكان يعجبهم ما وافق صنيعهم صنيع أهل الجاهلية. وكان أهل الجاهلية يقولون: إذا تسلخ صفر، وعفا الوبر، ويرأ الدبر، فقد حلت العمرة لمن أعتمر^(١).

٦- أخرج ابن كثير في السيرة النبوية نقلاً عن البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: ((طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، فلما أتى الركن أشار إليه - وفي حديث آخر - أسلمه بمحجن، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين^(٢))).

٧- أخرج ابن كثير نقلاً عن مسلم وأبي داود، والطبراني في معجمه^(٣)، وغيرهم عن أبي الطفيل قال: ((قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمّل بالبيت وإن ذلك من سنته؟ قال: صدقوا وكذبوا، فقلت: ما صدقوا وما

(١) المعجم الكبير ١١/٣٣ ط الموصل.

(٢) السيرة النبوية ٤/٣١٦. ٣١٧.

(٣) المعجم الكبير ١٠/٣٦٨ ط الموصل.

كذبوا؟ قال: صدقوا رَمَلَ رسول الله ﷺ وكذبوا ليس بسنة، إن قریشاً قالت زمن الحديبية، دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النعف^(١) فلما صالحوه على أن يحجوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قيقان^(٢) فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أرملوا بالبيت ثلاثاً. وليس بسنة.

قلت: يزعم قومك إن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير، وأن ذلك سنة؟

قال: صدقوا وكذبوا. قلت: ما صدقوا وما كذبوا؟

قال: صدقوا قد طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا ليس بسنة، كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ﷺ ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه، ولا تتاله أيديهم.

قلت: أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة.

قال: إن رسول الله ﷺ كثر عليه الناس يقولون هذا محمداً هذا محمداً، حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله ﷺ لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس ركب.

قال ابن عباس: والمشى والسعي أفضل^(٣).

(١) النعف: الدود، وهو مثل يضرب للمستحقر.

(٢) قيقان: جبل مشرف على مكة من جهة الثنية السفلى التي بني عليها باب مكة المعروف بباب الشبيكة وهو ممتد من حارة الباب إلى الشامية (شفاء الخرام للفاسي ٣٧٧/ متناً وهامشاً) ط سنة ١٩٥٦ بمصر.

(٣) المسيرة النبوية ٤/ ٣٢٤-٣٢٥.

- ٨- أخرج ابن كثير نقلاً عن البخاري بسنده عن عطاء عن جابر وعن طاووس عن ابن عباس قالاً: ((قدم النبي ﷺ وأصحابه صُبح رابعة من ذي الحجة يهلون بالحج لا يخلطه بشيء، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرة، وأن نحل إلى نساتنا، ففشت في ذلك المقالة))^(١).
- ٩- أخرج ابن كثير نقلاً عن الترمذي بسنده عن ابن عباس قال: ((صلّى بنا رسول الله ﷺ بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم غدا إلى عرفات))^(٢).
- ١٠- أخرج ابن كثير نقلاً عن الصحيحين عن ابن عباس قال: ((سمعت رسول الله ﷺ يخطب بعرفات: (من لم يجد نعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للمحرم))^(٣).
- ١١- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد بسنده عن عطاء قال: ((دعا عبد الله بن عباس الفضل بن عباس إلى الطعام يوم عرفة، فقال: إني صائم، فقال عبد الله: لا تصم فإن رسول الله ﷺ قُرب إليه حِلَابٌ^(٤) فيه لبن يوم عرفة فشرب منه، فلا تصم فإن الناس يستنون بكم))^(٥).
- ١٢- أخرج الطبراني بسنده عن ابن عباس: ((إن أم الفضل أرسلت إلى النبي ﷺ بلبن فشرب وهو يخطب بعرفة))^(٦).

(١) نفس المصدر ٤/٣٣٢.

(٢) نفس المصدر ٤/٣٣٩.

(٣) نفس المصدر ٤/٣٤٢.

(٤) الحِلَاب: القصب الذي يحلب فيه اللبن.

(٥) السيرة النبوية ٤/٣٤٥.

(٦) المعجم الكبير ١٠/٣٣٦ مذهب الموصل.

١٣- أخرج ابن كثير نقلاً عن البخاري بسنده عن ابن عباس قال: «بينما رجل واقف مع النبي ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته^(١) فقال النبي ﷺ: (اغسلوه بماء وسدر، وكفّوه في ثوبين، ولا تُمسّوه طيباً، ولا تخمّروا رأسه، ولا تحنطوه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملياً)»^(٢).

١٤- أخرج ابن كثير نقلاً عن الطبراني في مناسكه بسنده عن ابن عباس قال: «كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سرّي وعلاتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجع المشفق، المقرّ المعترف بذنبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال اللدليل، وأدعوك دعاء الخائف الضريع، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذلّ لك جسده، ورضم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك ربّ شقياً، وكن بي رؤفاً رحيماً يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين)»^(٣).

١٥- أخرج ابن كثير نقلاً عن البيهقي بسنده عن ابن عباس قال: «رأيت رسول الله ﷺ يدعو بعرفة، يده إلى صدره كاستطعام المسكين»^(٤).

١٦- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال: «لما أفاض رسول الله ﷺ من عرفات أوضّح الناس^(٥) فأمر رسول الله ﷺ متنادياً يتنادي: (أيها

(١) الوقص: وقصت الناقة براكبها ركمت به فدقّت عنقه (المصباح المنير).

(٢) السيرة النبوية ٤/٤٤٦.

(٣) السيرة النبوية ٤/٣٥١، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٥٢ نقلاً عن الطبراني في الكبير والصغير.

(٤) السيرة النبوية ٤/٣٥٠.

(٥) الإيضاح: أوضّح البعير أسرع في سيره (المنجد).

الناس ليس البرّ بإيضاع الخيل ولا الركاب)، قال: فما رأيت من رافعة يديها غادية حتى نزل جمعاً. وقال: لم ينزل رسول الله ﷺ من عرفات وجمع إلا أريق الماء^(١).

١٧- أخرج ابن كثير في السيرة النبوية، والبلاذري نقلاً عن البخاري بسنده عن ابن عباس قال: «أنا ممن قدّم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضمّة أهله»^(٢).

١٨- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال: «قدّمنا رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على خمراتنا فجعل يلطخ - يضرب بطن كفه - أفخاذنا بيده ويقول: أهنّي لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس، قال ابن عباس ما أخال أحداً يرمي الجمرة حتى تطلع الشمس»^(٣).

١٩- أخرج ابن سعد بسنده عن ابن عباس قال: «قال لي رسول الله ﷺ: غداة العقبة (إلقت لي)^(٤) فلقت له حصي الحذف، فلما وضعتنّ في يده قال: (نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوّ إنّما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين)^(٥)».

(١) السيرة النبوية ٣٥٨/٤.

(٢) السيرة النبوية ٣٦٢/٤، وانصاب الاشراف (ترجمة ابن عباس).

(٣) السيرة النبوية ٣٦٢/٤.

(٤) لقد مرّ أن ابن عباس (حبر الأمة) ممن قدّمه النبي ﷺ ليلة العقبة مع أغيلمة بني عبد المطلب وضمّة أهله إلى منى وأوصاهم أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس، فكيف يصح ما رواه ابن سعد عنه أن النبي ﷺ قال له غداة العقبة القلت لي - يعني حصي الحذف - والالتقاط إنّما يستحب أن يكون من المزدلفة؟ فربّما كان المراد بابن عباس في هذا الحديث هو الفضل بن العباس الذي سيأتي ما يدل على أنه بقي مع النبي ﷺ وروى عنه ما قاله ﷺ للناس حين ذهبوا من المزدلفة وروى ذلك عنه أخوه حبر الأمة. أو ان الالتقاط كان بمنى، والأول هو الأقرب.

(٥) طبقات ابن سعد ١٣٠/١٣٢.

٢٠- أخرج ابن سعد بسنده عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ لبي حتى رمى الجمرة يوم النحر»^(١).

٢١- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال: «أهدى رسول الله في حجة الوداع مائة بلنة، نحر منها ثلاثين بلنة بيده، ثم أمر علياً فنحر ما بقي منها، وقال: أقسم لحرمها وجلودها وجلالها بين الناس، ولا تعطين جزراً منها شيئاً، وخذ لنا من كلٍ بغير حذية - أي قطعة - من لحم، واجعلها في قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحسوا من مرقها. ففعل»^(٢).

٢٢- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال: «رمى رسول الله ﷺ جمره العقبة ثم ذبح ثم حلق»^(٣).

٢٣- أخرج ابن كثير نقلاً عن سفيان الثوري بسنده عن ابن عباس قال: «إذا رميت الجمره فقد حللت من كل شيء كان عليكم حراماً إلا النساء، حتى تطوفوا بالبيت، فقال رجل: والطيب يا أبا العباس؟ فقال له: إني رأيت رسول الله ﷺ يضمخ رأسه بالمسك، أقطيب هو أم لا»^(٤).

٢٤- أخرج ابن كثير نقلاً عن البخاري في صحيحه في باب الخطبة أيام منى بسنده عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: (فأي بلد هذا؟) قالوا: بلد حرام، قال: (فأي شهر هذا؟) قالوا: شهر حرام قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم

(١) نفس المصدر ٢٢١/١، ١٣٥.

(٢) المبصرة النبوية ٤/٣٧٦.

(٣) نفس المصدر ٤/٣٧٧.

(٤) نفس المصدر ٤/٣٧٩.

عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) قال: فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه، فقال: (اللهم هل بلغت؟ اللهم قد بلغت؟) - قال ابن عباس: فولدني نفسي بيده إنها لو صيبت إلى أمته - فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض^(١).

٢٥- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد وأبي داود بسنديهما عن ابن عباس: ((إن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو على بعير واستلم الحجر بمحجن كان معه، قال: وأتى السقاية فقال: (اسقوني)، فقالوا: إن هذا يخوضه الناس ولكننا نأتيك به من البيت، فقال: (لا حاجة لي فيه، اسقوني مما يشرب الناس))^(٢).

٢٦- أخرج ابن كثير نقلاً عن أحمد بسنده عن ابن عباس أنه قال: ((جاء النبي ﷺ إلى زمزم فترعنا له دلواً فشرب ثم مَجَّ فيها، ثم أفرغناها في زمزم، ثم قال: (لولا أن تغلبوا عليها لتزعتُ يدي))^(٣).

٢٧- أخرج المحدث الثقة علي بن إبراهيم القمي عن عبد الله بن عباس قال: ((حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فأخذ بحطقة باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه فقال: (ألا أخبركم بأشراط الساعة؟) وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه فقال: بلى يا رسول الله فقال ﷺ: (إن أشراط القيامة اضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل إلى الأهواء، وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره).

(١) نفس المصدر ٤/٢٨٨.

(٢) نفس المصدر ٤/٢٨٥.

(٣) نفس المصدر ٤/٢٨٦.

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان عندها تليهم أمراء جوررة، ووزراء فسقة، ووزراء ظلمة، وأمناء خونة).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان إن عندها يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ويؤمن الخائن ويخون الأمين، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان فعندها تكون إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طرفاً، والزكاة مغرماً، والقيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبر صديقه، ويطلع الكوكب المذنب).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، ويغيظ الكرام غيظاً، ويحقر الرجل المعسر فعندها تقارب الأسواق، إذا قال هذا لم أبع شيئاً وقال هذا لم أربح شيئاً فلا ترى إلا ذاماً لله).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قطوهم، وإن سكتوا استباحوهم، ليستأثرون بفيثهم، وليطون حرمتهم، وليسفكن دماءهم، وتملأن قلوبهم دخلاً ورعباً، فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان إن عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون أمتي،

فالويل لضعفاء أمتي منهم والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، ولا يتجاوزون عن مسيء، جثتهم جثث الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين).
قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها تكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج فعليهن من أمتي لعنة الله).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان إن عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة).
قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها تحلى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والدياج، ويتخذون جلود النمر صفاقاً).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها يظهر الزنا، ويتعاملون بالغيبة (بالعينه خ ل) والرشاء، ويوضع الدين وترتفع الدنيا).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها تظهر القينات والمعازف ويلبهم شرار أمتي).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها تحج أغنياء أمتي للتزهة، وتحج أوساطها للتجارة، وتحج فقراؤهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه

مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنا، ويتفتنون بالقرآن ويتهافتون بالدنيا).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده يا سلمان، ذاك إذا انتهكت المحارم، وأكسبت المآثم، وسلطت الأشرار على الأخيار، ويفشوا الكذب، وتظهر اللجاجة وتفشوا الحاجة، ويتباهون في اللباس، ويمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكلبة والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة، ويظهر قراؤهم وعبادتهم فيما بينهم التلاوم، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات الأرجاس الأنجاس).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان عندها لا يخشى الغني إلا الفقر، حتى أن السائل ليسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في كفه شيئاً).

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إي والذي نفسي بيده، يا سلمان عندها يتكلم الرويضة).

فقال سلمان: وما الرويضة يا رسول الله فذاك أبي وأمي؟ قال ﷺ: (يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورة فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم، فيمكثون ما شاء الله ثم يمكثون في مكنتهم، فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها، قال ذهب وفضة - ثم أومي بيده إلى الأساطين - فقال: مثل هذا، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة)).

قال علي بن إبراهيم: «فهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾»^(١).
 وإلى هنا نوقف متابعة أحاديث ابن عباس عن رحلة العودة من حجة
 الوداع (حجة الإسلام)^(٢)، حيث ستقرأ شيئاً منها في حديثه عن بيعة الغدير.
 والذي ذكرناه منها يصلح أن نسميه منسكاً يكاد أن يكون متكاملًا لأهم أعمال
 الحج من فروض وسنن، ولا يعني ذلك أنا نلتزم بصحة جميع معانيه، بل عهدة ما
 ورد فيه على راويه، على أننا نشك في سلامة بعض مما وصل إلينا من الأحاديث
 المروية عن ابن عباس في هذا المقام وفي غيره، وسيأتي مزيد بيان عن ذلك في
 حياته العلمية، حيث سنذكر ما طالت عليه الأيدي الأئمة وتناولته بالحذف
 والإضمار.

ومن اللافت للنظر حقاً فيما ذكرناه في هذا المقام، خطؤه عن ذكر خطبتي
 الرسول الكريم ﷺ في عرفة وفي ثاني أيام التشريق. إذ لا يعقل إهمال ابن عباس
 لهما، وهو الحريص على متابعة جميع ما كان يصدر عن النبي ﷺ في حجة تلك
 من أقوال وأفعال، حتى ورد عنه روايته عن أخيه الفضل بن العباس ما قاله
 النبي ﷺ للناس حين دفعوا من المزدلفة، إذ لم يكن هو حاضراً، بل لأنه قلّمه ﷺ
 مع أغيلمة بني عبد المطلب وضجفة أهله فدفعوا ليليل وأوصاهم أن لا يرموا
 الجمرة حتى تطلع الشمس. فروى عن أخيه الفضل أن النبي ﷺ قال للناس:
 عليكم بالسكينة، وهو كاف ناقته حتى دخل محسراً - وهو من منى - قال:
 عليكم بحصى الحذف الذي يرمى به الجمرة، قال: ولم يزل رسول الله ﷺ يلتي
 حتى رمى الجمرة.

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي (تفسير سورة محمد) حديث خطبة النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم.

(٢) السيرة النبوية ٤/٣٧٦.

فمن كان بهذه المثابة من الحرص على أن لا يفوته شيء من أقوال النبي ﷺ وأفعاله، كيف يفوته سماع الخطبتين وروايتهما بتامهما ولو عن غيره. ليس هو القائل لسعيد بن جبير وقد سأله عن اختلاف قومه - قريش - في مناسك حجة ﷺ فقال ابن عباس: إني لأعلم الناس بذلك. ولا مسارة في ذلك حتى شهدت له بذلك بعض أمهات المؤمنين فقالت أم سلمة: هو أعلم بالمناسك، وقالت عائشة: هو أعلم بالسنة، هو أعلم بالمناسك^(١).

ثم إن ما روي عنه من خطبة يوم النحر هو الآخر لم يسلم من مس اليد الأئيمة، فلم يصل إلينا بتامه، والفجوات فيه يئنة ولا نحتاج في إثباتها إلى يئنة. الا يكفيننا مؤشراً واضحاً قوله المعترض في وسط الخطبة: ((فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته)).

ومن أراد أن يعرف مقدار ما لعبت به رواية السوء من تغيير أو حذف أو إضمار، فليقارن بين ما روي عنه وبين ما رواه غيره من الصحابة الذين شهدوا الخطبة فرووها، ليدرك مدى التفاوت، وإلى القارئ إشارة عابرة إلى جانب من ذلك.

خذ مثلاً حديث الثقلين المستفيض استفاضه تكاد تبلغ حد التواتر، فإن من موارد ذكره كان في خطبة يوم النحر. وقد روى الإمام أمير المؤمنين ﷺ خطبة النبي ﷺ في ذلك اليوم وفيها قوله ﷺ: (يا أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: الأكبر منهما كتاب الله، والأصغر حترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين - أشار

(١) البداية والنهاية ٣٠١/٨.

بالسبائتين - ولا أن أحدهما أقدم من الآخر، فتمسكوا بهما، لن تضلوا، ولا تقدّموا منهم، ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم^(١).

وابن عباس من رواية الحديث المذكور في موارد الأخرى، كيف يعقل أن يروي الخطبة وهو من شهودها، ثم يفغل رواية الحديث المذكور. وهكذا تبقى في دوامة الشك والريبة، من مدوّتي السيرة والحديث، وفي قنواتهم المتصلة بابن عباس، وغفلوا عن أنّ حبل الكذب قصير، والناقد بصير، وفاتهم أنّ قول ابن عباس: ((فوالذي نفسي بيده إنها لو صيته إلى أمته)) إنّما يناسب حديث الثقلين شكلاً ومضموناً دون باقي فقرات الخطبة النبوية، لكن رواية السوء كتبوا ما لم يرق لهم ولأولياهم روايته، ودوّتوا لهم ما شاؤا، وبذلك ضيّعوا الأمانة، فأستحقّوا الإدانة.

وزيدنا بصيرةً بمراد ابن عباس ؓ في قوله: ((فوالذي نفسي بيده إنّها لو صيته إلى أمته)) ما رواه ؓ عن النبي ﷺ قال قال: (من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلّفوا من طيبتي، ورزقوا فهماً وعلماً، ويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلّتي، لا أنالهم الله شفاعتي)^(٢).

(١) النظرينابيع المودة / ٣٤ ط استانبول.

(٢) حلية الأولياء / ٨٦/١، فرائد السمطين / ١/٥٣.

ثانياً: بيعة الخديرة

قال ابن عباس: ((لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُومَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَقَامَ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: رَأَيْتَ النَّاسَ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَمَتَى أَفْعَلْ هُنَا بِهِ، يَقُولُوا صَنَعَ هُنَا بِابْنِ عَمِّهِ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى قَفَى حِجَةَ الْوُدَاعِ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِخَدِيرِ خَمٍ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿رَبِّ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ كُنْ تَقْتُلُ فَمَا بَلَغْتَ رَسُولَاتِ اللَّهِ يَخْبِرُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) الْآيَةَ.

فَقَامَ مَنَادٍ فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً، ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ﷺ فَقَالَ: (مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِيَةِ وَعَادٍ مِنَ عَادَاتِهَا)^(٢).

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: ((لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِجَةَ الْوُدَاعِ، نَزَلَ بِالْجَحْفَةِ فَأَتَاهُ جِبْرِئِيلُ ﷺ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُومَ بِعَلِيِّ فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِيَةِ وَعَادٍ مِنَ عَادَاتِهَا، وَأَحِبُّ مِنَ أَحِبِّهِ، وَأَبْغَضُ مِنَ أَبْغَضِهِ، وَأَنْصِرُ مَنْ أَنْصَرَهُ، وَأُحِزُّ مَنْ أَحَزَّهُ، وَأُحِنُّ مَنْ أَحَانَهُ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَجِبَتْ وَاللَّهِ فِي أَحْنَاقِ الْقَوْمِ)^(٣).

(١) المائدة/٦٧.

(٢) أمالي الحافظ المحاملي ومنه الوصافي الشافعي في كتابه الاكثفاء بفضائل الخلفاء.

كما في الخديرة/٥٢/١.

(٣) كتاب الولاية للحافظ السجستاني كما في الخديرة/٥٢/١.

وعنه قال: ((لَمَّا كَانَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيْبًا، ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَأَخَذَ بِضَمِيهِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَى بِيَاضَ إِبْطَيْهِمَا وَقَالَ لِلنَّاسِ: (أَلَمْ أَبْلَغْكُمْ الرِّسَالَةَ؟ أَلَمْ أَنْصَحْ لَكُمْ؟) قَالُوا: أَلَلَّهِم نَعَمْ، قَالَ: (فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ، أَلَلَّهِم وَالِ مِنْ وَالِيهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ)، قَالَ: فَفَشَتْ هَذِهِ فِي النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَرِثُ بْنُ النُّعْمَانِ الْفَهْرِيُّ فَرَحَّلَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَيْهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَاكَ بِالْأَبْطَحِ فَأَنَاحَ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّكَ دَعَوْتَنَا إِلَى أَنْ نَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَعَلْنَا وَالْقَلْبَ فِيهِ مَا فِيهِ، ثُمَّ دَعَوْتَنَا إِلَى أَنْ نَقُولَ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلْنَا، ثُمَّ قُلْتَ لَنَا صَلُّوا فَصَلَّيْنَا، ثُمَّ قُلْتَ صُومُوا فَصَمْنَا، ثُمَّ قُلْتَ حُجُّوا فَحُجَّجْنَا، ثُمَّ قُلْتَ لَنَا مِنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ أَلَلَّهِم وَالِ مِنْ وَالِيهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ، فَهَذَا عَنْكَ أَمْ عَنِ اللَّهِ؟

فقال له: (بل عن الله)، فقالها ثلاثاً، فنهض وإنه لغضيب وانه ليقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء تكون نعمة في أولنا وآية في آخرنا، وإن كان ما يقوله محمد كذباً فأنزل به نعمتك، ثم أثار ناقته واستوى عليها، فرماه - الله - بحجر على رأسه فسقط ميتاً، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿١﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾﴾^(١)،^(٢)

وينحو ما مرّ وردت عنه أحاديث أخر تلتقي مع ما مرّ مضموناً، فلا نطيل بذكرها، ويكفيها ممّا ذكرناه تعقيبه على بعض ما رواه وحدّث به بقوله: ((وجبت والله في أحناق القوم))^(٣) يعني يعة الإمام أمير المؤمنين ﷺ.

(١) المعارج/١-٣.

(٢) تفسير محمد بن العباس بن مهابار كما في غاية المرام/٩٢ ط الحجيرية وفي تفسير الشرييني ٣٦٤/٤ قال اختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس هو النضر بن الحرث وقيل هو الحرث بن النعمان.

(٣) كتاب الولاية للحافظ السجستاني كما في الغدير/١/٥٢.

ولا يقل عن ذلك أهمية في روايته ما حدث به عن مشهد آخر شهده مع النبي الكريم ﷺ بعد رجوعه من حجة الوداع فقال: ((لَمَّا رَجَعْنَا مِنْ حُجَّةِ الْوُدَاعِ جَلَسْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِهِ، قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ؟) قَالُوا الْمُسْلِمُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ﷻ مِنْ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ إِذْ هَدَاهُمْ بِي، وَأَنَا أَمِنْ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ إِذْ أَهْدَيْتُهُمْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ابْنِ عَمِي وَأَبِي ذَرِيَّتِي، أَلَا وَمَنْ أَهْتَدَى بِهِمْ نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ ضَلَّ وَغَوَى. أَيُّهَا النَّاسُ اللَّهُ اللَّهُ فِي عَتْرَتِي وَأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَوَلَدَاهَا عَضْدَائِي، وَأَنَا وَبِعَلَّهَا كَالضُّوءِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ مَنْ رَحِمْتَهُمْ، وَلَا تَغْفِرْ لِمَنْ ظَلَمْتَهُمْ، ثُمَّ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْحَالِ))^(١).

وأهم مشهده شهده ابن عباس بعد ذلك من النبي ﷺ كان مشهد يوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس، فكان إذا ذكره قال: ((الرزية كل الرزية)).

ولنقرأ حديث الرزية ففيه كل الرزية، فهو حديث ذو شجون، ملؤه أسى ومرارة، يبعث التحدث عنه في النفس الشجن، ويترك العين ترمض بالقذى.

(١) بحار الأنوار ٧ / ٤٣ ط حجر بتبريز نقلاً عن روضة الكافي وفضائل ابن هاذان.

ثالثاً: حديث الرزية

حديث وأي حديث ١٩ حديث ترك الأمة تخبط في عشواء إلى يوم القيامة.
حديث وأي حديث ١٩ حديث فتح باب الفرقة والاختلاف بين الأمة
والنبي ﷺ بعدئذ بين ظهرائهم، يدعوهما لما يحييهم فلم يستجيبوا له، بل كابدوه
وعاندوه حتى أغمي عليه.

حديث وأي حديث بعده يؤمنون ١٩ حديث ما ذكره حبر الأمة عبد الله بن
عباس ؓ إلا وبكى، بكاءً وأي بكاءً ١٩ بكاءً يبلى دمه الحصى، بكاءً كأن دموعه
حين تسيل نظام اللؤلؤ.

هكذا يصفه الرواة فلنقرأ ولنك مع حبر الأمة، ولتندب حظ الأمة العائر
حيث أضاعت تلك الفرصة الثمينة، فرفضت ذلك العرض السخي المؤمن من
الضلالة أبدأ.

فلنقرأ ما يرويه ابن عباس ؓ:

قال: ((يوم الخميس وما يوم الخميس ١٩ يوم أشد برسول الله وجهه فقال:
(إتوني بدواة وياض اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً). فتنازعوا - ولا
ينبغي عند نبي تنازع - فقال عمر: إن النبي يهجر - وفي حديث آخر: ((إنه
ليهجر))، وفي ثالث: ((إنه هجر)) - ثم قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله،
فاختلف من في البيت، وأختصموا فمن قاتل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ،

ومن قائل يقول: القول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغظ واللغو، وتمادى القوم في نزاعهم، غضب رسول الله ﷺ فقال: (قوموا عني، لا ينبغي عند نبيّ تنازع)، فقاموا. قال ابن عباس: فجتناه بعد ذلك بصحيفة ودواة، فأبى أن يكتبه لنا، ثم سمعناه يقول: (بعد ما قال قائلكم: عدى القلوي وسينكت البكري)، ثم قال: (ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه)، ثم أوصى بثلاث فقال: أحفظوني في أهل بيتي، وأخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به^(١))).

فكان ابن عباس ؓ بعد ذلك يقول: ((الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لولا مقالته - يعني مقالة عمر - لكتب لنا كتاباً لم تختلف أمته بعده ولم تفرق)).

هذه إحدى صور الحديث الآتية، واعتقد أن القارئ يستغزه مثل هذا الحديث ويتسرع إلى الحكم بوضعه، لشدة صدمته، وقد تذهب به المذاهب في الحكم على أولئك الصحابة الذين شاقوا الله ورسوله، فنسبوا الهجر إلى نبيّ اصطفاه الله لأداء رسالته إلى الناس كافة، فكان سفيره في خلقه، وأمينه على وحيه، ورسوله المسند ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

لكنني أعتقد أيضاً أن القارئ سيظهر له من متابعة صور الحديث الآتية، وما يتبعها من أقوال العلماء في توجيهه، اعتذاراً عن المعارضة، أن الحديث صحيح وأنه حديث رزية وأي رزية، ولم يكن ابن عباس ؓ مبالغاً حين قال ذلك فيه،

(١) تلفت نظر القارئ إلى أن في الفقرات الثلاث اختلاف في النقل، كما سيجده واضحاً فيما يأتي من ذكر صور الحديث فليلاحظ.

(٢) النجم ٣/ ٤.

لأن فيه الردّ على الرسول ﷺ وهو عين الرد على الله تعالى، وأليس الردّ على الله وعلى الرسول من موجبات الكفر فالله سبحانه يقول: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

والمعارضة تردّ على الرسول ما طلب، وتصرّ على الامتناع من تلبية طلبه. والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢). والمعارضة تقول: إنّه يهجر.

والله سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٣).

والمعارضة: تأتي ذلك وترد عليه بعنف وقسوة.

والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٤). والمعارضة تأتي ذلك.

والله سبحانه يقول لنيّه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾^(٥).

والمعارضة تشاكسه في التبليغ، وتردّ عليه بعنف وسوء أدب، وكانهم لم يسمعوا جميع تلكم الآيات الكريمة ولم يسمعوا الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٦).

أليس هذا هو الضلال البعيد؟ أليس هذا هو الخسران الممين؟

(١) الحشر/٧.

(٢) النجم/٣ - ٤.

(٣) الأنفال/٢٤.

(٤) الأحزاب/٣٦.

(٥) المائدة/٦٧.

(٦) الأنفال/١٣.

أليس هذا هو الظلم والجفاء؟ أليس هذا هو الغباء والشقاء؟
أي غباء فوق هذا يتركون طريق التأمين على السلامة إلى الأبد، ويرتطمون
أحوال الجهالة؟!

يا لله لقد سبق أن آذوا رسول الله ﷺ في نفسه وآله، حتى ويخهم القرآن
الكريم في آية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾^(١)، وآذوه الآن في قدسه
وعصمته، متتهكين بذلك حرمة في أداء رسالته.
وهل يعني ذلك غير ردهم: إنه يهجر؟.

هذه نبذة عن حديث الرزية، بل نفثة حرى جاش بها الصدر فباحا، وما
قدمتها إلا لتبني القارئ على استعداده لقراءة ما سيقراه من حديث الرزية
وملابساته، وما تبعه من أعدار واهية، لا تريد علماً ولا تغني عملاً سوى كشف
صفحات - لولا حديث الرزية - لسنا بصدد الكشف عنها، ولكنها جناية
السلف، وخيانة الخلف، أودت بأمة محمد ﷺ إلى حافة الهاوية والتلف. ولثلا
يصدمه عنف الرد كما صدم الرسول الكريم ﷺ حتى أغمي عليه، فليستمد
ويتدرع بالصبر من الآن.

لنقرأ (أولاً) صور الحديث في الصحاح والسنن والمسانيد وكتب التاريخ
واللغة والأدب، من ثم نتابع معه قراءتا (ثانياً) في مصادر الحديث، و(ثالثاً) مع
العلماء في آرائهم حول الحديث.

وليقرأ القارئ كل ذلك بروح موضوعية مع التجرد عن الماطفة والأبتعاد عن التعصب، وترك له الحكم في تلك القضية وبالأصح الرزية، فعلى من تقع المسؤولية؟

ولا نريد أن نستيق الحكم في ذلك بل له ما سيؤديه نظره إليه من رأي حول رموز المعارضة أيًا كانوا ومهما كانوا، فهم أولاً وأخيراً إنما نكن لهم الاحترام، ما داموا في طاعة النبي وخدمة الإسلام. أما وقد نهذوا أمر الرسول ﷺ ولم يكفوا بذلك حتى نسبوا إليه الهجر «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا»^(١)، فنحن في حلٍ من حسابهم، وهم كساتر الناس في خطاهم وصوابهم. فهم غير معصومين، ولا نحن في حسابهم بملومين.

صور الحديث:

لقد ورد الحديث بصور متعددة تبلغ الثلاثين أو تزيد، وهذا رقم قد يبحث على الدهشة! حديث واحد عن واقعة واحدة، يرويها أربعة من شهودها وهم:

١- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- الخليفة عمر بن الخطاب بطل المعارضة.

٣- جابر بن عبد الله الأنصاري.

٤- عبد الله بن عباس.

كيف يبلغ اختلاف الصور في رواياتهم إلى ذلك العدد !!

ولو كان العدد يتساوى فيه الشهود لهان الأمر ولا غرابة، ولكن الغرابة أننا سنقرأ الحديث عن كل من الإمام علي عليه السلام وعن الخليفة عمر ورد بصورتين، وعن جابر بصورتين.

وباقى الصور كلها تروى عن ابن عباس لماذا ذلك؟

سؤال يفرض نفسه، ولا بد من تلمس الجواب عليه، وهذا ما سنجد عند الوقوف على قائمة الرواة عنه، ثم في باقى الطبقات من رجال الأسانيد بعدهم، حتى نصل إلى مدوئيه من أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن والتاريخ وغيرهم.

وهؤلاء بذلوا جهداً كبيراً في التعيم على رموز المعارضة، فأحاطوه بهالة من التضييب الكثيف، تكاد أن تخفي معالمه، حفاظاً على حق الصحة، وإن تم ذلك على حساب قدس صاحب الرسالة، فانظر - أيها القارئ - تلكم الصور كما وردت في مصادرها الموثوقة عن أعيان شهودها.

ولنبداً بما روي عن الإمام علي عليه السلام ثم بما روي عن الخليفة عمر، ثم بما روي عن جابر، وأخيراً بما روي عن ابن عباس. وهو المعنى به في هذا التحقيق وهو صاحب الكتاب:

الصورة الأولى:

ما روي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخرج ابن سعد في طبقاته قال: ((أخبرنا حفص بن عمر الحوضي عن عمر بن الفضل العبدي عن نعيم بن يزيد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ لما ثقل قال: (يا علي إئتني بطبق أكتب فيه ما لا تفضل أمتي بعدي)، قال: فخشيت أن تسبقني نفسه، فقلت: إني أحفظ ذراعاً من الصحيفة. قال: فكان رأسه بين ذراعي وعضدي، فجعل يوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم.

قال: كذلك حتى فاضت نفسه، وأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حتى فاضت نفسه، من شهد بهما حرّم على النار^(١).
أقول: أخرج هذه الصورة أحمد في مسنده: ((عن بكر بن عيسى الراسبي عن عمر بن الفضل وإلى قوله: وما ملكت أيمانكم^(٢)). ورواها البخاري في الأدب المفرد^(٣). وهذه الصورة كما تراها مهلهلة الجوانب، تخفق فيها رياح الأهواء، فرسول الله ﷺ يأمر علياً باحضار طبق ليكتب فيه ما لا تفضل أمته بعده، وعلي عليه السلام لا يمثل خشية أن تسبقه نفس النبي ﷺ ١٩ وجعل رسول الله ﷺ يوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم، حتى فاضت نفسه ١٩

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٦/٢.

(٢) مسند أحمد ١/٩٠.

(٣) الأدب المفرد ٩/.

وأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حتى فاضت نفسه؟^(١)

أي نفس هذه بعد أن سبق وأن فاضت نفسه أول مرة - كما مر - فهل عادت إليه ثانياً فجعل يأمر بالشهادتين حتى فاضت نفسه ثانياً؟
الجواب عن ذلك عند الرواة. غير إني أتبه القارئ إلى أن مارواه الإمام عليه السلام ليس هذا، بل هو عين ما رواه عبد الله بن عباس كما صرح بذلك الحسن البصري وهو من سادة التابعين فأقرأ ما يأتي:

الصورة الثانية:

أخرج أبو محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي في كتابه سير الصحابة والزهاد والعلماء العبّاد فقال: ((حدثني محمد بن عليّ قال سمعت أبا إسحاق يزيد الفراء عن الصباح المزني عن أبان بن أبي عياش قال سمعت الحسن بن أبي الحسن قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام - ثم سمعته بعينه من عبد الله بن عباس بالبصرة وهو عامل عليها، فكأنما ينطلقان بقم واحد، وكأنما يقرآن من نسخة واحدة، والذي عقلته قول ابن عباس، والمعنى واحد غير أن حديث ابن عباس أحفظه - قال: سمعته يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي قبض فيه: (إيتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً). فقام بعضهم ليأتي به، فمنعه رجل من قريش (٩) وقال: إن رسول الله يهجر.

(١) أخرجه المتقي الهندي في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٣/١١٤.

فسمعه رسول الله ﷺ فغضب وقال: (إنكم تختلفون وأنا حي! لقد أعلمت أهل بي تي بما أخبرني به جبرئيل عن رب العالمين، إنكم ستعملون بهم من بعدي، وأوصيتهم كما أوصاني ربي، فأصبر صبراً جميلاً)).
فبكى ابن عباس حتى بلّ لحيته. ثم قال: ((لولا مقالته لكتب لنا كتاباً لم تختلف أمته بعده ولم تفترق... اه))^(١).

الصورة الثالثة:

ما روي عن عمر بن الخطاب:

أخرج ابن سعد في طبقاته قال: ((أخبرنا محمد بن عمر حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: (أغسلوني بسبع قرب، واتنوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)).

فقال النسوة: إئتوا رسول الله ﷺ بحاجته. قال عمر: فقلت: اسكنن فإنكن صواحبه، إذا مرضن أعينكن، وإذا صحن أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ: ((من خير منكم))^(٢).

وأخرجه عنه المتقي الهندي في منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد عن ابن أبي شيبه بتفاوت يسير^(٣).

(١) قال كاتب جلبي في كشف الظنون ١٠١٣/٢ ط المعارف التركية سير الصحابة والزهاد والعلماء العباد، لأبي محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي الأندلسي المتوفى سنة ... أخذه من مائة مجلد، ووردت ترجمته في هدية المارفين ١/٥٦٩. (أقول) وطريفنا إليه (غاية المرام في حجة الخصام عن طريق الخاص والعام) للسيد هاهم البحراني طبعة حجرية سنة ١٢٧٢ هـ والحديث المشار إليه أصلاه في ص ٥٩٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢٧/٢.

(٣) كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد ١٧٣/٢. ١١٤/٣.

الصورة الرابعة:

ما روي عن عمر بن الخطاب، وهي تقرب من الثالثة إلا أنها أتم ولفظها كما يلي:

أخرج النسائي في السنن الكبرى والهيثمي في مجمع الزوائد قال: ((وعن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي ﷺ قال: (ادعوا لي - اتوني - بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي)، فكرهنا ذلك أشد الكراهية ثم قال: (ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً)، فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ قلت: إنكن صواحب (صواحب) يوسف إذا مرض رسول الله ﷺ عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن عنقه، فقال رسول الله ﷺ: ((دعوهن فإنهن خير منكم))^(١).

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن جعفر بن إبراهيم الجعفري، قال العقيلي: في حديثه نظر، وبقيه رجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف... أهـ

أقول: لا يهمني قول العقيلي في محمد بن جعفر بن إبراهيم الجعفري - وهذا منتظر منه في الرجل وأمثاله - ما دام الحديث رواه أصحاب الصحاح ومنهم البخاري، ولا كلام للعقيلي في رجاله.

لكن الذي يهمني تبييه القارئ على ما مرّ في الصورة الثالثة من حذف قول عمر: ((فكرهنا ذلك أشد الكراهية)) لماذا كرهوا ذلك أشد الكراهية؟

(١) السنن الكبرى ٤٣٣/٣ ط العلمية ومجمع الزوائد ٢٤/٩.

والجواب: سيأتيك بالأخبار من لم تزود. فانتظر ما سوف يأتي من تعقيب على الصور والأسانيد من أقوال علماء التبرير، فستجد هناك من التحوير والتزوير، وعجائب بل وغرائب من التفكير والتصوير.

ثم إن قول النبي ﷺ: (أدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً). فقال النسوة ... قد حذف وهذا يكشف عن التواطؤ العملي بين الرواة على تعمية الصورة، بكل ما أمكنهم من حول وطول.

فقد حذفوا دعوة النبي ﷺ ثانياً بإحضار الصحيفة، مما يدل على تصميم النبي ﷺ على تنفيذ أمره، كما يدل على إصرار المعارضة على رفضه. وسيأتي في حديث جابر ما يدل عليه.

وقد شوشوا على تدخل العنصر النسوي في تلك المعركة الكلامية الحادة بعد دعوة النبي ﷺ ثانية لهم بإحضار الكتاب. مما يدل على مدى الصخب والجدال حتى كانت المرأة كالرجل في ذلك اليوم. وسيأتي مزيد إيضاح عن ذلك في حديث طاووس عن ابن عباس (الصورة ١٤، ١٥) وحديث حكيم عن ابن عباس (الصورة ١٧).

الصورة الخامسة:

ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري:

أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمد بن عبد الأنصاري عن قرّة بن خالد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمت كتاباً لا يضلون

ولا يُضِلُّون، قال: فكان في البيت لفظ وكلام وتكلم عمر بن الخطاب. قال: فرفضه النبي ﷺ^(١).

وبهذا النص ورد في نهاية الإرب للنويري^(٢)، ورواه البيهقي في سننه باب كتابة العلم في الصحف وبتره عند قوله: وتكلم عمر فتركه^(٣).

وأخرج ابن سعد أيضاً بسنده عن محمد بن عمر عن إبراهيم بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال: ((دعا النبي ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لأمت لا يَفْبِلُوا ولا يُضَلُّوا فلغَطُوا عنده حتى رفضها النبي ﷺ^(٤))).

أقول: وأخرج هاتين الروایتين الهشيمي في مجمع الزوائد إلا أنه قال في آخر الأولى: ((فرفضها رسول الله ﷺ. وقال: رواه أبو يعلى. وعنده في رواية: يكتب فيها كتاباً لأمته قال: لا يَظْلَمُونَ ولا يُظْلَمُونَ. ثم قال: ورجال الجميع رجال الصحيح^(٥))). ثم أخرجها ثانياً وقال: ((رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه خلاف^(٦))).

أقول: وسند أحمد كما في مسنده عن موسى بن داود عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر^(٧)، ونحن لا يهمننا الخلاف في ابن لهيعة بعد ما مرَّ عن ابن سعد بإسنادين ليس فيهما ابن لهيعة ويأتي عن ابن حبان كذلك، لكن الذي يهمننا هو التحريف عنده في آخر الرواية الأولى!

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٦/٢.

(٢) نهاية الإرب ١٨/٣٧٥.

(٣) سنن البيهقي ٤٣٥/٣ ط بيروت سنة ١٤١١.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٧/٢.

(٥) مجمع الزوائد ٤/٢١٤.

(٦) نفس المصدر ٩/٣٣.

(٧) مسند أحمد ١/٣٢٤.

فمن ابن سعد والنويري: «وتكلم عمر بن الخطاب فرفضه النبي ﷺ»،
بينما في روايته الثانية: «فتكلم عمر بن الخطاب، فرفضها رسول الله ﷺ»، وفي
تغيير الضمير في الرفض ما يستحق التأمل فيه.

أما عن ابن لهيعة فليس يهمننا فعلاً الدفاع عنه بعد ما روي الحديث بأسانيد
ليس فيها ابن لهيعة كما مرّ عن ابن سعد، ورواه أيضاً ابن حبان في كتابه الثقات
بسند ليس فيه ابن لهيعة، فقد روى عن إبراهيم بن خريم عن عبد بن حميد عن
عثمان بن عمر عن قرّة بن خالد السدوسي عن أبي الزبير عن جابر: «إن النبي ﷺ
دعا بصحيفة عند موته فكتب لهم فيها شيئاً لا يضلّون ولا يضلّون، وكان في
البيت لفظ، وتكلم عمر فرفضها ... اهـ»^(١).

وبالمقارنة بين رواية ابن حبان وما سبقها، يدرك القارئ مدى التحريف
المتعمد كما هو عند الهيثمي، إلا أن الجديد في رواية ابن حبان هي قوله:
(فكتب لهم فيها شيئاً ...)، فما هو الشيء الذي كتب لهم؟ ثم لماذا كان
اللفظ؟ وممن كان؟ وأخيراً لماذا تكلم عمر؟ ثم من ذا رفضها؟ أهو عمر؟
أم النبي؟

كلّ هذا يجد القارئ الإجابة عليه في قول عمر لابن عباس: «أراده - يعني
عليّاً - للأمر فمنعت من ذلك»، وقوله الآخر وقد مرّ «فكرهنا ذلك أشد
كراهية» (راجع الصورة ٤).

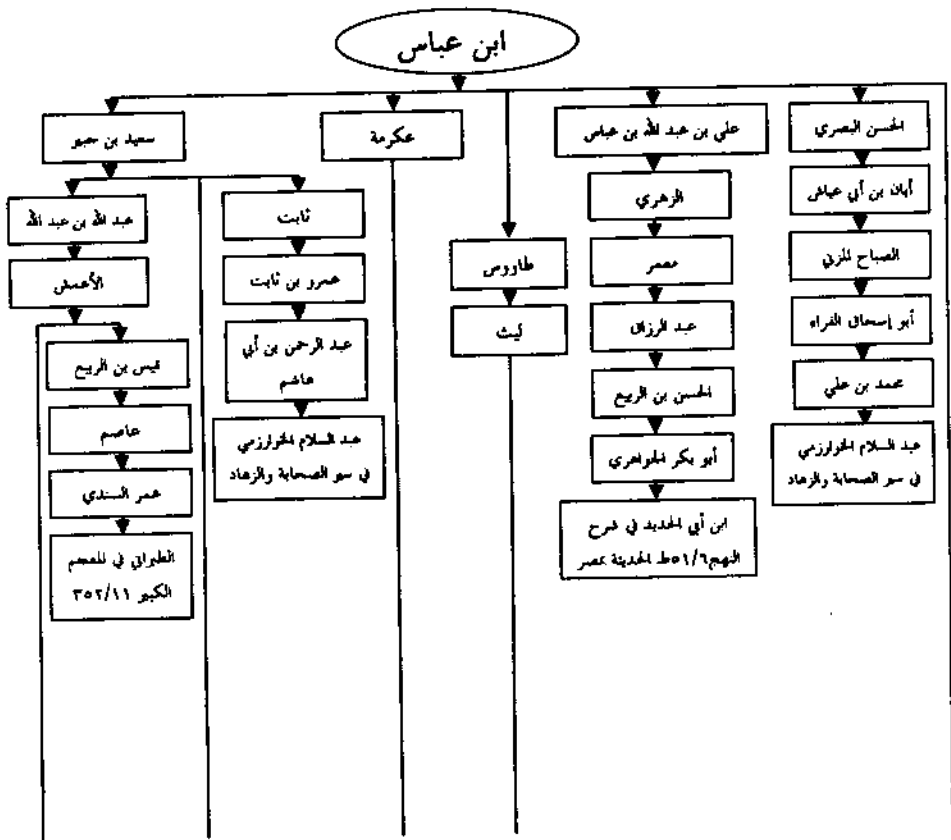
ولم يكن ما تقدم من اختلاف في صورة حديث جابر مقتصراً على ما مرّ،
بل له صورة أخرى أخرجه البلاذري في جمل أنساب الأشراف من حديث

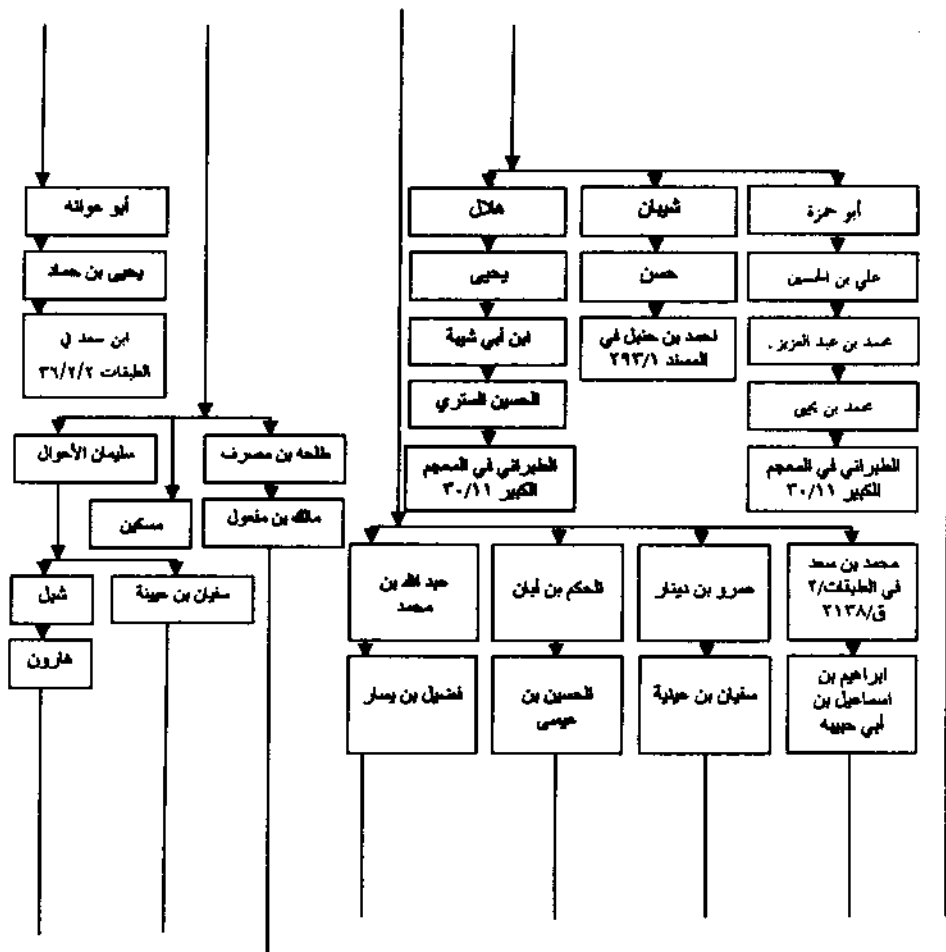
(١) الثقات ٢١٢/٤ مد دار الكتب العلمية.

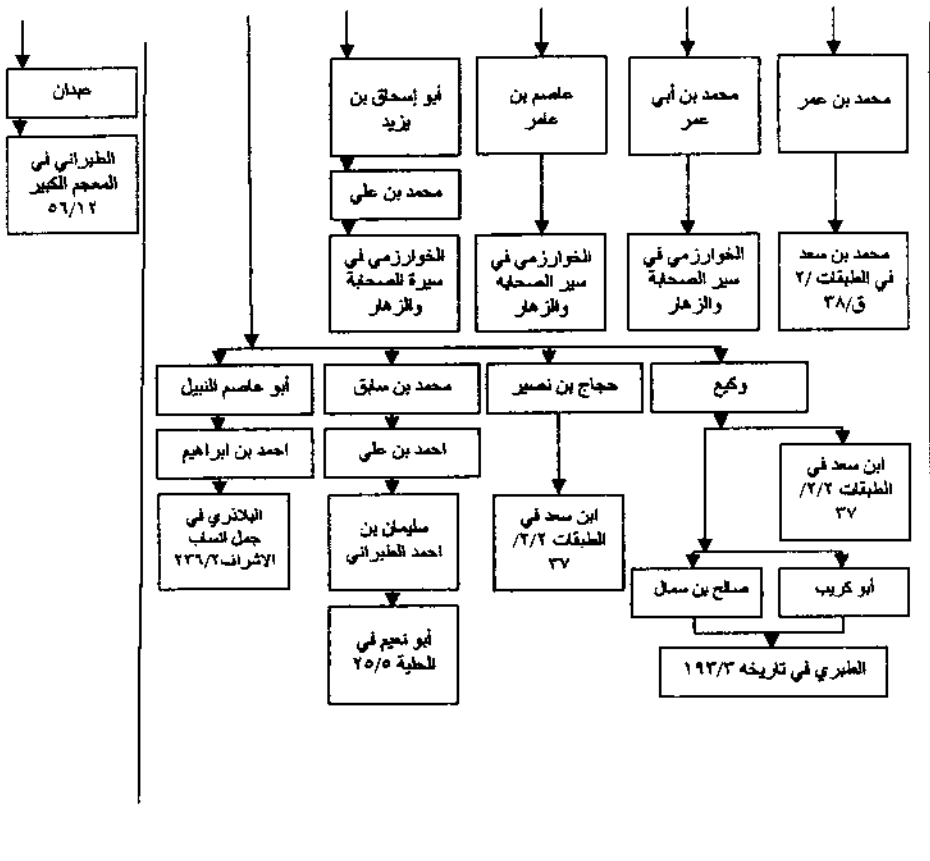
جابر، فقال: ((حدثني روح ثنا الحجاج بن نصير عن قررة بن خالد عن أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ دعا بصحيفة أراد أن يكتب فيها كتاباً لأُمَّته فكان في البيت لفظ فرقتها))^(١).

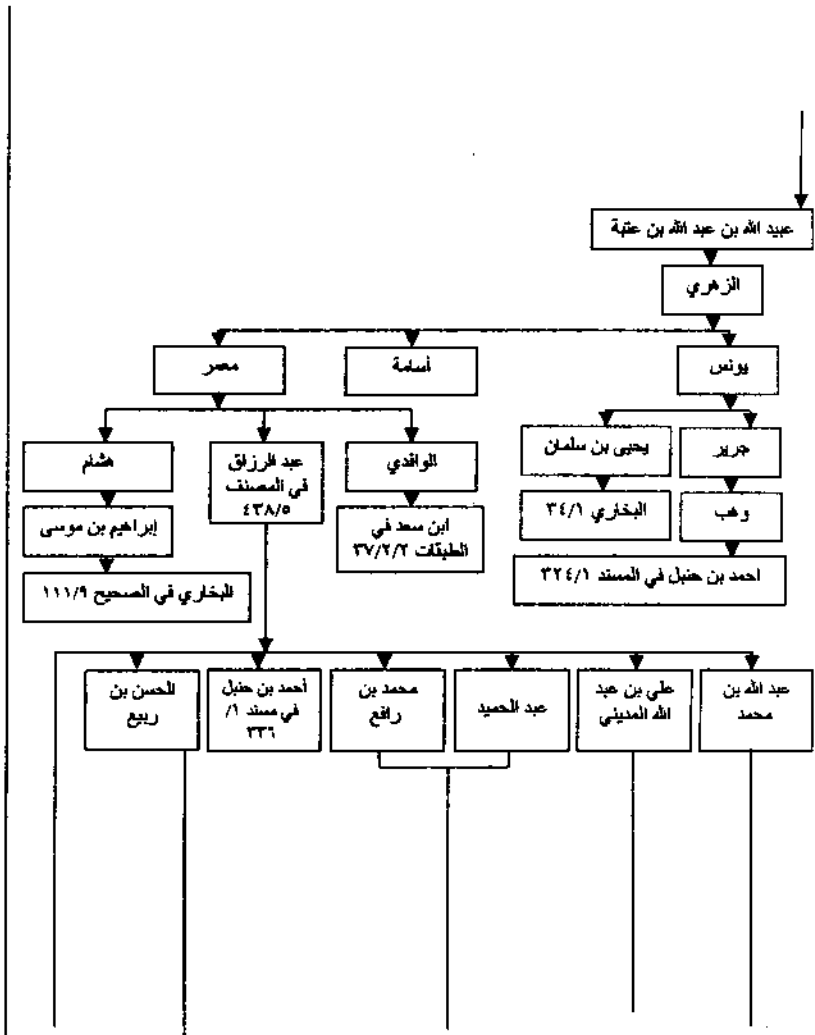
والآن وقد انتهينا من عرض خمس صور للحديث بروايتها عن الإمام أمير المؤمنين وعن الخليفة عمر وعن جابر بن عبد الله، فلنعد نقرأ باقي الصور بكل أشكالها واختلاف رجالها برواياتهم عن ابن عباس.

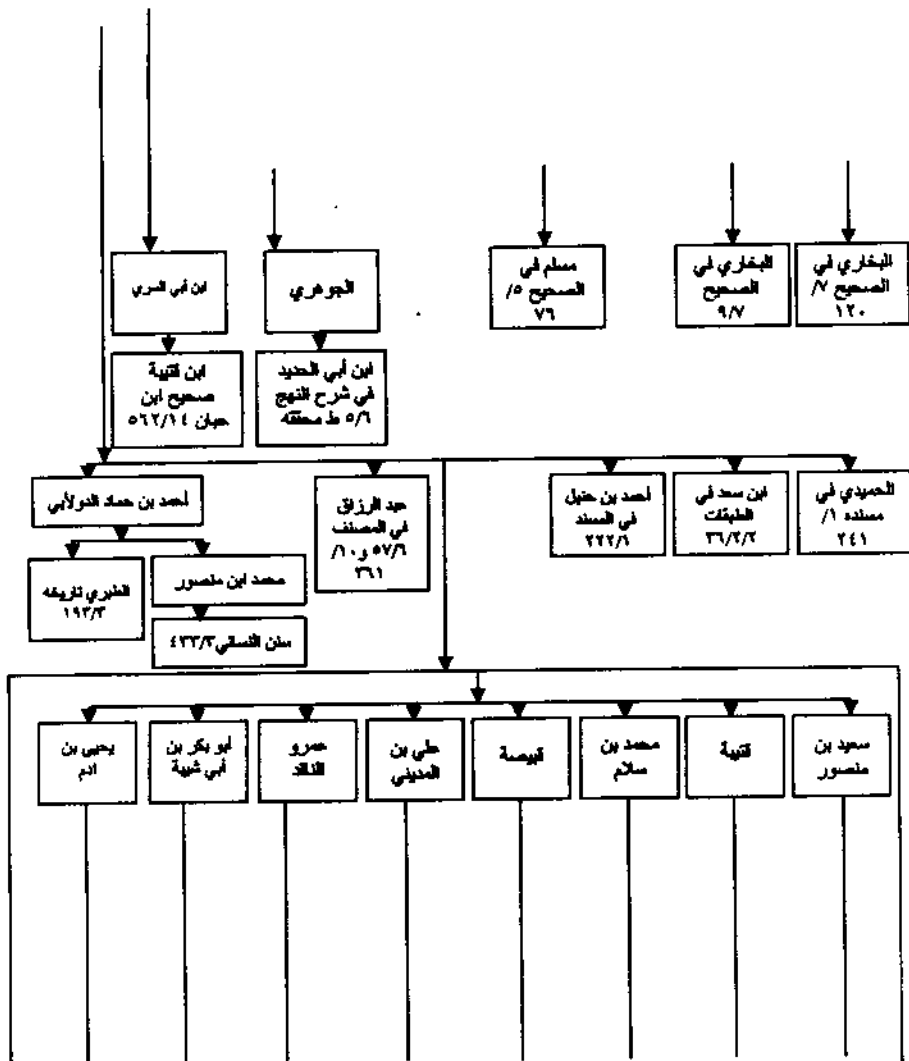
ولإيضاح العرض، ووضوح المقارنة بين الصور، نقدم
جدولاً يتضمن أسماء الرواة عن ابن عباس ومن روى عنهم
حتى آخر المصادر التي ذكرت الحديث، ليعرف القارئ
مدى التلاعب في هذا المضمار:

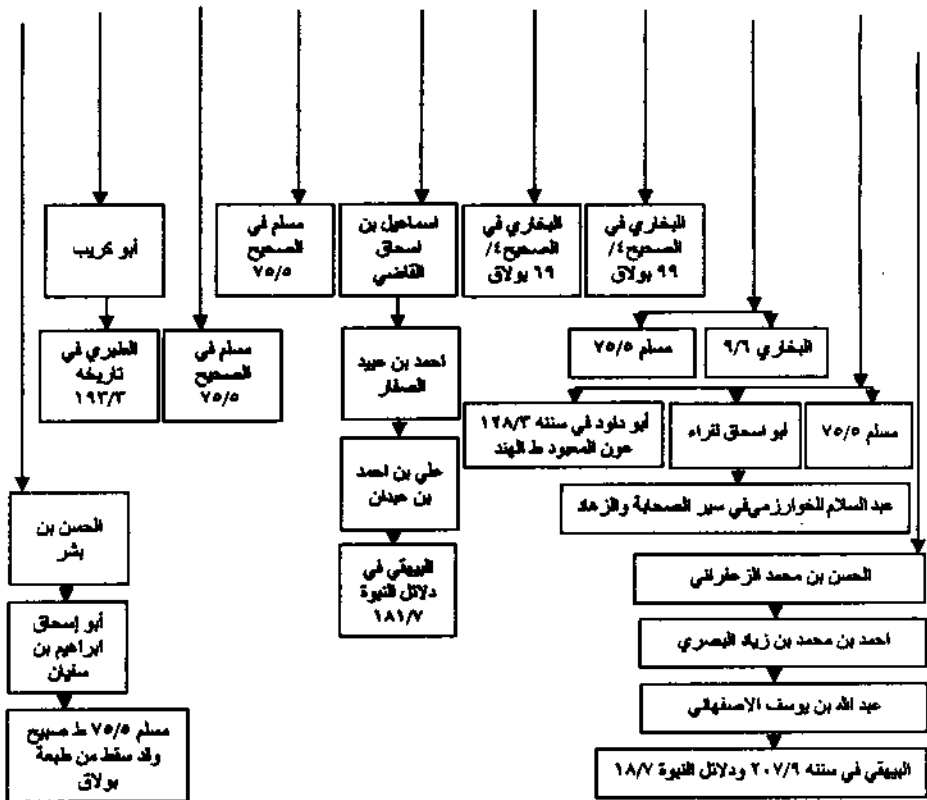












الصورة السادسة:

ما رواه علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه:
 قال: ((لَمَّا حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: (إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده). فقال عمر: كلمة معناها إنَّ الوجد قد غلب على رسول الله ﷺ، ثم قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف من في البيت وأختصموا، فمن قائل يقول القول ما قال رسول الله ﷺ ومن قائل يقول: القول ما قال عمر، فلَمَّا كثر اللَّفْظُ وَاللَّغْوُ والاختلاف، غضب رسول الله ﷺ فقال: (قوموا إِنَّه لا ينبغي لنبى أن يختلف عنده هكذا)، فقاموا. فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم.

فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ)) يعني الاختلاف واللفظ.

أخرج هذه الصورة أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه (السقيفة) عن الحسن بن الربيع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن عبد الله بن العباس. ورواها عن كتاب الجوهري ابن أبي الحديد في شرح النهج.

ثم قال ابن أبي الحديد: ((قلت: هذا الحديث قد خرَّجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما، واتفق المحدثون كافة على روايته))^(١).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥١/٦ ط دار احياء الكتب العربية تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

أقول: كلام ابن الحديد في هذا المقام تعوزه الدقة. فإن هذه الصورة من الحديث سنداً ومتناً لم ترد في الصحيحين، ولم يتفق المحدثون كافةً على روايتها بألفاظها. نعم اتفق المحدثون كافة على رواية مضمونها بألفاظ متفاوتة وأسانيد مختلفة، كما سنقرؤها في الصور الآتية.

الصورة السابعة:

ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أخرجه أبو محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي في كتابه سير الصحابة والزهاد بسنده عن عبد الرحمن بن أبي هاشم عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال: ((كان ابن عباس إذا ذكر ليلة الخميس بكى، فقيل له: يا ابن عباس ما يبكيك؟ قال: أن رسول الله ﷺ قال: (يا بني عبد المطلب اجلسوني وسندوني أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً)، فقال بعض أصحابه: أنه يهجر - قال: وأبى أن يسمي الرجل - فجتنا بعد ذلك، فأبى رسول الله ﷺ أن يكتبه لنا، ثم سمعناه يقول: (عدى العدوي وسينكث البكري))^(١).

الصورة الثامنة:

ما رواه أيضاً سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أخرجه عنه ابن سعد في الطبقات بسنده عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن الأعمش عن عبيد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل - ابن عباس - يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ أشتدَّ

(١) انظر غاية المرام / ٥٩٨ ط حجرية سنة ١٣٧٢.

برسول الله ﷺ وجهه فقال: (إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً؟) قال: فقال بعض من كان عنده: إن النبي ﷺ ليهجر. فقال: فقيل له ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: (أو بعد ماذا؟)، قال: فلم يدع به^(١).

أقول: أخرج هذه الصورة الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن عمر بن حفص السدوسي عن عاصم بن عليّ عن قيس بن الربيع عن الأعمش إلى آخر السند كما مرّ عن ابن سعد، ومن دون تفاوت. لكن في المتن إثم واختلاف كبير إذ قال: ((لما كان يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ ثم بكى فقال: قال رسول الله ﷺ: (إيتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً)، فقالوا: يا رسول الله ألا نأتيك بعد؟ قال: (بعد ما ... اه))^(٢).

أقول: فلاحظ حذف جملة: (فقال بعض من كان عنده ان نبيّ الله ليهجر)، فمن ابتلعها من رواية السوء حين خصّ بذكرها اودع عنك من تفاوت دون ذلك.

الصورة التاسعة:

مارواه سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. ويكاد ينعدم وضوح الرؤية في هذه الصورة، إذ تبحث منها عدة صور متشابهة مضموناً، متفاوتة سنداً ومتناً، وما ذلك إلا لأرتعاش أيادي المصورين ودمدمة المتتمتين - وهم المحدثون والرواة طبعاً -.

فقد روى الحديث عن ابن عيينة خمسة عشر علماً من أعلام المحدثين - فيما أحصيت - وربما كانوا أكثر، ولكن لم نجد رواياتهم كلها متفقة تماماً.

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٦/٢.

(٢) المعجم الكبير ١١/٣٥٢ ط الثانية بالموصل.

وحبذا لو كان الخلاف يسيراً لهان الأمر، ولكن بين مروياتهم من التفاوت ما يبعث على الشك والريبة.

والآن لنمر عابرين على أسمائهم لنقارن بين مروياتهم، ولنذكر كم جنى التالون على ما رواه الأولون، وهم:

- ١- يحيى بن آدم المتوفى في سنة ٢٠٣ هـ.
- ٢- عبد الرزاق بن همام المتوفى سنة ٢١١ هـ.
- ٣- قبيصة بن عقبة المتوفى سنة ٢١٥ هـ.
- ٤- عبد الله بن الزبير الحميدي المتوفى سنة ٢١٩ هـ.
- ٥- الحسن بن بشر المتوفى سنة ٢٢١ هـ^(١).
- ٦- محمد بن سلام المتوفى سنة ٢٢٥ هـ.
- ٧- سعيد بن منصور المتوفى سنة ٢٢٧ هـ.
- ٨- محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ.
- ٩- عمرو الناقد المتوفى سنة ٢٣٢ هـ.
- ١٠- علي بن عبد الله المدني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ.
- ١١- قتيبة بن سعيد المتوفى سنة ٢٤٠ هـ.
- ١٢- أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ.
- ١٣- أبو بكر بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥ هـ.
- ١٤- الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني سنة ٢٥٩ أو سنة ٢٦٠ هـ.
- ١٥- أحمد بن حماد الدولابي المتوفى سنة ٢٦٩ هـ.

(١) كما في صحيح مسلم بشرح النووي ومد صحيح دون ط بولاق فليراجع بدقة.

وإلى القارئ استعراض رواياتهم:

أما رواية يحيى بن آدم - أول القائمة - فهي تتفق مع رواية أحمد بن حماد الدولابي - الخامس عشر من القائمة - كما أخرجها الطبري، وإليك لفظه: «حدثنا أبو كريب قال حدثنا يحيى بن آدم ... قال - ابن عباس - : يوم الخميس» قال الطبري - ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد الدولابي، والحديث المشار إليه كان قد ذكره قبل هذا ولفظه - «قال- ابن عباس - يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: أشد برسول الله ﷺ وجمعه فقال: (إيتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً)، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر استفهموه؟ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: (دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه)، وأوصى بثلاث قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة عمداً)، أو قال فنسيتها. قال الطبري: في رواية يحيى بن آدم غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع ... اهـ»^(١).

فهذه رواية الطبري كفتنا مؤنة البحث عن مقارنة حديثين لراويين عن سفيان وهما يحيى بن آدم وأحمد بن حماد، وهما أول القائمة وآخرها.

وأما رواية عبد الرزاق - الثاني من القائمة - فقد أخرجها في كتابه المصنف عن ابن عيينة بلا واسطة بينهما وهو لا يختلف في حديثه كثيراً عما أخرج به البخاري عن شيخه قبيصة، إلا فيما جاء في آخره قال: «فأما أن يكون

(١) تاريخ الطبري ١٩٣/٢ ط الحسبية بمصر.

سعيد سكت عن الثالثة عمداً، وأما أن يكون قالها فَنسيتها^(١). وهذا مرّ علينا نحوه في حديث البخاري عن شيخه محمد بن سلام.

وأما رواية قبيصة - وهو الثالث من القائمة - فقد رواها عنه البخاري في كتاب الجهاد والسير، في باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم^(٢).

قال: حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى خضب دمعاً الحصباء فقال: أشد برسول الله ﷺ وجمعه يوم الخميس فقال: أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)، فتنازعوا ولا ينغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: (دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه)، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة^(٣).

ثم حكى البخاري تحديد جزيرة العرب، وليس ذلك جزءاً من الحديث! واعلم بأن البخاري لم تقتصر روايته لحديث سفيان على شيخه قبيصة عن سفيان، بل رواه أيضاً عن شيخه الآخر محمد بن سلام - وهو السادس في القائمة - في كتاب الجزية في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب، ولدى المقارنة بين الروایتين نجد تفاوتاً في اللفظ وزيادة في رواية محمد بن سلام لم ترد في رواية قبيصة.

(١) المصنف ٥٧/٦ و ٣٦١/١٠ ط المکتب الإسلامي.

(٢) عنوان الباب لا يدل عليه حديث الباب الذي لم يذكر البخاري فيه غيره وقد أريك شرح صحيحه في توجيه ذلك وأكثرهم جهداً ابن حجر في فتح الباري ٥١٠/٦ ط البابي الحلبي، فراجع.

(٣) صحيح البخاري ٦٩/٤ ط بولاق.

وإليك اللفظ برواية محمد بن سلام قال - بعد ذكر السند إلى سعيد بن جبير:- ((سمع ابن عباس رضي الله عنه يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى، قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: أشد برسول الله ﷺ وجهه فقال: (اتوني بكف لكم كتاباً لا تفلوا بعده أبداً)، فتنازحوا، ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: ما له أهجر، استفهموه، فقال: (ذروني فألدي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه)، فأمرهم بثلاث: قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، والثالثة خير، إمّا أن سكت عنها، وأمّا أن قالها فنسيها))^(١).

قال سفيان: هنا من قول سليمان.

وثمة رواية ثالثة للبخاري لحديث سفيان عن شيخه قتيبة - وهو الحادي عشر في القائمة - ذكرها في كتاب المغازي في باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وهي تتفاوت مع ما مرّ من روايتي قيصة ومحمد بن سلام تفاوتاً جزئياً، وفيها: ((فقالوا: ما شأنه أهجر استفهموه فذهبوا يردون عليه))^(٢).

أقول: ومع ذلك فيبقى المصعب من البخاري، إذ هو يروي الحديث عن سفيان برواية ثلاثة من شيوخه وهم سمعوه من شيخهم سفيان، ومع ذلك لم تتفق رواياتهم على نحو الدقة، بل أنّ في بعضها زيادة على الأخرى كما مرّ في رواية محمد بن سلام فراجع.

وفوق ذلك أنّ البخاري لم يعقب على الاختلاف بشيء ممّا يوهم أنّ ذلك من الرواة، مع أنّ المتبع لأحاديث صحيح البخاري يجد كثيراً من نحو هذا،

(١) نفس المصدر/١/٩٩.

(٢) نفس المصدر/٩/٩٦.

فمثلاً يحسن الباحث مراجعة فتح الباري في شرح أول حديث للبخاري ليقف على بلبلة العلماء في أول حديث في صحيح البخاري وهو (إنما الأعمال بالنيات) وما فيه من خرم حتى قال ابن العربي: «لا عذر للبخاري في إسقاطه، لأن الحميدي شيخه فيه قد رواه في مسنده على التمام ... وقال الداودي الشارح: الإسقاط فيه من البخاري، فوجوده في رواية شيخه وشيخ شيخه يدل على ذلك»^(١).

وقال ابن حجر: «ولا يوجد فيه - في الصحيح - حديث واحد مذكور بتمامه سنداً وامتتاً في موضعين أو أكثر إلا نادراً»، فقد عني بعض من لقيته بتتبع ذلك فحصل منه نحو عشرين موضعاً. وقال: «فلا يوجد في كتابه حديث على صورة واحدة في موضعين فصاعداً»^(٢).

فبعد شهادة هؤلاء لا يسعنا إدانة وسائط النقل بين البخاري وبين ابن عينة، بل التبعة يتحملها البخاري إذ لم يؤد ما حُمِّل من الحديث كما هو. ثم أعلم أن الحديث برواية قتيبة رواه عنه أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب الوصية في باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه فقال: «عن سعيد بن منصور وقتيبة وأبي بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد ثم قال: واللفظ لسعيد. وفي قوله هذا إيماء إلى أن في رواياتهم اختلاف فاختر رواية سعيد، وما ذكره يتفق مع ما مرّ عند البخاري عن محمد بن سلام، ثم رواه عن أبي إسحاق إبراهيم عن الحسن بن بشر عن ابن عينة»^(٣).

(١) فتح الباري ١٧/١ - ١٨.

(٢) نفس المصدر ٩١/١.

(٣) صحيح مسلم ٧٥/٥ ط صبيح بمصر.

وأما رواية عبد الله بن الزبير الحميدي - الرابع من القائمة - فقد أخرجها في مسنده^(١) عن ابن عيينة بلا واسطة، ولفظه مقارب لما مرّ عن عبد الرزاق. وأما رواية الحسن بن بشر - الخامس في القائمة - فقد أخرجها مسلم في صحيحه^(٢)، وهي نحو ما مرّ من رواية قتيبة. وكذلك رواية محمد بن سلام وهو السادس في القائمة.

وأما رواية سعيد بن منصور - السابع من القائمة - فقد أخرجها في سنته، وقد مرّ عن مسلم روايته عنه في صحيحه، كما أخرجها عنه عبد السلام بن محمد الخوارزمي في سير الصحابة عن أبي إسحاق عنه^(٣)، وأخرجها عنه أيضاً أبو داود في سنته مع شرحه عون المعبود في كتاب الخراج والقيء والإمارة في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب. إلا أنه طوى أول الحديث جملة وتفصيلاً فقال: «حدثنا سعيد بن منصور نا سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ أوصى بثلاثة فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، قال ابن عباس: وسكت عن الثالثة أو قال: فأنسيتها».

(وقال الحميدي عن سفيان قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها)»^(٤).

(١) مسند الحميدي ٢٤١/١ ط بيروت.

(٢) صحيح مسلم ٧٥/٥ ط محمد علي صبيح وط شرح النووي أيضاً (وهي ممّا سقط من ط بولاق).

(٣) أنظر نهاية المرام ٥٩٨/ ط حجرية.

(٤) سنن أبي داود ١٢٨/٣ ط الهند.

أقول: ما علمت عليه بين قوسين وضع عليه رمز نسخة، يعني لم يرد في جميع نسخ سنن أبي داود.

ونعود إلى ما رواه أبو داود عن سعيد بن منصور، لماذا قطع من الحديث رأسه فلم يذكر أوله، بل لم يذكر منه إلا الوصية مع أنّ حديث سعيد بن منصور أخرجه مسلم في صحيحه والخوارزمي في سير الصحابة ولفظهما متقارب، وقد مرّ برواية مسلم في هذه الصورة عند ذكر تبية شيخ البخاري، فراجع وقارن لتعرف مدى أمانة أبي داود ولعله هو الآخر يفترى على سعيد بن منصور بأنه لم يذكر أول الحديث، أو ذكره فنسبه هو الآخر، كما في الوصية الثالثة - وسيأتي مزيد بيان عنها - فقال عنها سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسبتها أو سكت عنها. لكن أبا داود أفترى على ابن عباس فنسب إليه أنه قال: «وسكت عن الثالثة، أو قال: فأنسيتها».

وأما رواية محمد بن سعد - الثامن في القائمة - فقد أخرجه في كتابه، ولفظه كما مرّ إلا في قوله: (أتتوني بدواة وصحيفة)، وفي آخر الحديث: «أو سكت عنها عمداً»^(١).

وأما رواية عليّ المدني - العاشر في القائمة - فقد أخرجه البيهقي^(٢) عن عليّ بن أحمد بن عبدان عن أحمد بن عبيد الصفار عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عنه عن سفیان، وفي روايته زيادة لم يشاركه فيها أحد ممن روى عن سفیان سنأتي على ذكرها عند نقل ما قاله البيهقي ضمن علماء التبرير.

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٦/٢ ط لندن من سفیان بلا واسطة.

(٢) دلائل النبوة ١٨١/٧.

وأما رواية أحمد بن حنبل - الثاني عشر في القائمة - فقد أخرجها في مسنده^(١) عن ابن عيينة بلا واسطة ويبدو أنه سمع الحديث من سفيان بن عيينة أكثر من مرة لقوله: «قال مرة كذا». فحدث تفاوت لفظي لتكرر سماعه، وهذا يسوّغ لنا تحميل سفيان عبء الاختلاف إلا فيما لا يسع تحميله، نحو صنيع أبي داود الذي أشرنا إليه.

وأما رواية أبي بكر بن أبي شيبة - وهو الثالث عشر في القائمة - فقد أخرجها عنها مسلم^(٢) نحو روايته عن سعيد بن منصور.

وأما رواية الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني - الرابع عشر من القائمة - فقد أخرجها البيهقي في سننه وهذا لفظه: «حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني املاء، أنبا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا سفيان بن عيينة ... سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى، ثم قال: أشدت وجع رسول الله ﷺ فقال: (أتوني أكتب لكم كتاباً لا تفضلوا بعده أبداً)، فتنازعوا ولا ينفي عند نبيّ تنازع، فقال: (ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه)، وأمرهم بثلاث: فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، والثالثة نسيها»^(٣) ثم قال البيهقي عقب ذلك: رواه البخاري في الصحيح عن قتبية وغيره عن سفيان، ورواه مسلم عن سعيد بن منصور وقتبية وغيرهما عن سفيان.

(١) مسند أحمد ١/٢٢٢.

(٢) صحيح مسلم ٥/٧٥.

(٣) السنن الكبرى ٩/٢٠٧.

وأما رواية أحمد بن حماد الدولابي - الخامس عشر في القائمة - فقد أخرجها الطبري في تاريخه^(١) وقد مرّت الإشارة إليها في رواية يحيى بن آدم - أول القائمة - .

أقول: وعلى القارئ أن يقارن بين ما رواه وبين روايات من أشار إليهم البيهقي وقد مرّت ليرى مدى التفاوت من حذف وتغيير، وأربأ بنفسه معه عن سوء التعبير والتقدير.

والآن ونحن قد طالت مسيرتنا مع الصورة التاسعة التي رواها خمسة عشر من أعلام الحفاظ وأئمة الحديث كلهم عن سفيان بن عيينة، فقد رأينا الاختلاف بين رواياتهم، ممّا يجعلنا نشك في دقة سلامتها اللفظية وإذا تجاوزنا لهم الحمل على الصحة فنقول: إنهم تجاوزوا النقل بالمعنى، ولكن ليس هذا بجائر دائماً، خصوصاً ما دام يغيّر من بنية الحديث المعنوية.

ومهما كان الاعتذار عنهم، فكيف الاعتذار عن حديث راو شارك سفيان ابن عيينة في سماعه الحديث من سليمان الأحول، وهو شبل بن عباد، فقد روى هذا الشبل عن الأحول الحديث، وأخرجه الطبراني في معجمه بسنده عن عبدان عن هارون عن أبيه زيد بن أبي الزرقاء عن شبل عن سليمان الأحول عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: ((يوم الخميس وما يوم الخميس، يوم أشد فيه وجع النبي ﷺ وذكر الحديث))، هكذا ذكره الطبراني^(٢).

أقول: وإذا لم يسبق من الطبراني أن ذكر قبله حديثاً مشابهاً، فكيف جاز له أن يقول: وذكر الحديث، أي حديث يشير إليه كما تقتضيه الدلالة العهدية. فمن ذا يا ترى هو الذي بتر الحديث وأبلس من ذكره.

(١) تاريخ الطبري ١٩٣/٣ .

(٢) المعجم الكبير ٥٦/١٢ ط الثانية.

هل هو شبل؟ أم هم بقية الرواة؟ أم هو الطبراني؟ وهو الأقرب لما سيأتي عنه من شاهد آخر يدل على ذلك.

ثم أخيراً ما بال محقق معجم الطبراني مرّ على الحديث عابراً، فلم يعلق عليه بشيء، لا تحقيقاً ولا تخريجاً كما هي عادته في سائر أحاديث الكتاب؟

الصورة العاشرة:

ما رواه مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد أخرج حديثه ابن سعد في الطبقات بسنده عن حجاج بن نصير عن مالك بن مغول إلى آخر السند عن ابن عباس قال: ((كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ قال - سعيد - وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام اللؤلؤ، قال قال رسول الله ﷺ: (أستوني بالكف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً) قال: فقالوا: إنما يهجر رسول الله ﷺ)).^(١)

وأخرج هذه الصورة أيضاً أحمد في مسنده^(٢) عن وكيع عن مالك بن مغول بتفاوت يسير.

وأخرجها الطبري في تاريخه^(٣) عن أبي كريب وصالح بن سمال عن وكيع عن مالك بن مغول بتفاوت يسير.

وأخرجها مسلم في صحيحه^(٤) عن اسحاق بن إبراهيم عن وكيع عن مالك بن مغول بتفاوت يسير.

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٧/٢ ط ليدن.

(٢) مسند أحمد ١/٣٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٩٣ ط الحسينية.

(٤) صحيح مسلم ٥/٧٥.

وأخرجها أبو بكر الخلال في كتاب السنّة^(١).

وأخرجها أبو نعيم في حلية الأولياء عن الطبراني عن أحمد بن عليّ البربهاري^(٢) عن محمّد بن سابق عن مالك بن مغول إلى آخر السند عن ابن عباس ولفظه: قال: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: (إيتوني بكتف ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً). صحيح ثابت من حديث ابن عباس ... (أه)»^(٣).

فانظر إلى ما رواه أبو نعيم بسنده عن مالك بن مغول وقارن ما مرّ من حديثه في المصادر السابقة لترى كم هو الحذف الذي طرأ على الحديث، أليس هو جملة: «(فقالوا: إنّما يهجر رسول الله ﷺ)» كما في طبقات ابن سعد، أو «(رسول الله ﷺ يهجر)» كما في مسند أحمد، أو «(إن رسول الله ﷺ يهجر)» كما في صحيح مسلم وتاريخ الطبري.

وكان هذا هو المقصود من قولنا بتفاوت في مرويات أولئك الثلاثة: أحمد ومسلم والطبري فهل لنا الآن أن نسأل أبا نعيم عن قوله في تعقيبه: صحيح ثابت من حديث ابن عباس.

فإذا كان صحيحاً ثابتاً فلماذا لم يذكره بتمامه؟ وإذا لم يكن صحيحاً وثابتاً لديه فلماذا ذكره في كتابه؟

ولعل الرجل إنّما جاءته الآفة من شيخه سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - الذي سبق أن عرفنا فيه تلك الآفة كما مرّت الإشارة في نهاية الصورة التاسعة،

(١) كتاب السنّة ٣٧١/١ ط دار الرابية الرياض سنة ١٤١٠ هـ.

(٢) كذا في المطبوع من الحلية ٢٥/٥، ولكن ورد في المصمّم الصغير للطبراني ٣٣/١: (البريهان) وتعلّه الصواب.

(٣) حلية الأولياء ١٩٣/٣.

فرواه أبو نعيم عن شيخه الطبراني كما سمعه مبتوراً. ولعل في تعقيه إشارة تنبيه إلى ما في رواية شيخه من خلل.

ثم إن هذا الحديث أخرجه النويري في نهاية الأرب^(١) بلفظ ابن سعد فراجع. كما رواه البلاذري في جمل أنساب الأشراف، قال: ((حدثني أحمد بن إبراهيم ثنا أبو عاصم النبيل ثنا مالك بن مغول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس؟ أشد فيه وجع رسول الله ﷺ وكى ابن عباس طويلاً ثم قال: فلما أشد وجهه قال: (أتوني بالدواة والكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلون معه بعدي أبداً)، فقالوا: أترأه يهجر وتكلموا ولخطوا، فغم ذلك رسول الله ﷺ وأضجره وقال: (إيكم عني ولم يكتب شيئاً))^(٢).

الصورة الحادية عشرة:

ما رواه الأعمش عن عبيد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد أخرجها ابن سعد في طبقاته بسنده عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن الأعمش إلى آخر السند عن ابن عباس قال: ((اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس، فجعل - ابن عباس - يكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس أشد بالنبي ﷺ وجهه فقال: (أتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً)، قال فقال بعض من كان عنده: أن نبي الله يهجر، قال: فقيل له: ألا تأتيك بما طلبت؟ قال: (أو بعد ماذا)، قال: فلم يدع به))^(٣).

(١) نهاية الأرب ١٨/٣٧٤.

(٢) أنساب الأشراف ٢/٣٣٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢/٣٦.

إلى هنا تنتهي صور الحديث التي تنتهي أسانيدُها إلى سعيد بن جبير، وهي خمس صور، وقد رأينا بينها من التباين ما رأينا. فهل يعقل أن يكون سعيد بن جبير هو مصدر ذلك كله؟ بعد ما قد مرّ بنا من تعمد التعيم من أمثال الطبراني والبخاري وغيرهما.

الصورة الثانية عشرة:

ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس.

وقد روى الحديث عن الزهري ثلاثة وهم: يونس، وأسامة ومعمر.

١- أما رواية يونس فقد رواها عنه جرير وعنه ابنه وهب، وعنه أحمد بن حنبل وحديثه في المسند وهذا لفظه بعد ذكر سنده عن ابن عباس قال: ((لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال: (هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده)، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: أن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسينا كتاب الله قال: فاختلف أهل البيت فاخصموا فمنهم من يقول يكتب لكم رسول الله ﷺ أو قال: قرّوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغظ والأختلاف وعَمَّ رسول الله ﷺ قال: (قوموا عني)، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من أختلافهم ولغظهم...))^(١).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن يونس إلى آخر السند ولفظه قال: ((لما أشدّ بالنبي ﷺ وجهه قال: (أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده)، قال عمر: أن النبي ﷺ غلبه الوجع

(١) مسند أحمد ١/٣٢٤ ط مصر الأولى.

وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغظ قال: (قوموا عني ولا ينهني عندي التنازع)، فخرج ابن عباس يقول: أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه... (١).

فقارن بين ما أخرجه أحمد في مسنده من رواية يونس، وبين ما أخرجه البخاري في صحيحه من رواية يونس أيضاً لتدرك التفاوت بين الروایتين في الكتابين.

٢- وأما رواية أسامة - بن زيد الليثي - عن الزهري فقد رواها الواقدي عنه، وأخرجها عنه ابن سعد في الطبقات قال: ((لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: (هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده)، فقال عمر: أن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرأوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما كثر اللغظ والاختلاف، وغموا رسول الله ﷺ فقال: (قوموا عني)) (٢).

فقال عبيد الله بن عبد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

٣- وأما رواية معمر عن الزهري فقد رواها عنه عبد الرزاق في كتابه المصنف (٣)، بنحو ما مر من حديث يونس برواية أحمد، وحديث أسامة برواية ابن سعد، إلا أن المطبوع من كتاب المصنف وردت جملة: (هل أكتب لكم

(١) صحيح البخاري ٣٤/١.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٧/٢.

(٣) المصنف ٤٣٨/٥.

كتاباً)، بينما مرّت في روايتي يونس وأسامة: (هلمّ أكتب لكم كتاباً)، فهذا التفاوت سواء كان من غلط النسخة أو من الرواة، فهو غير مغتفر، لأنّه مغتبر للمعنى كثيراً، فبعد أن كانت جملة (هلمّ) من أدوات النداء والدعوة وتحمل على الأمر، تغيّرت إلى (هل) وهي أداة استفهام، وعليها لا ضير ولا وزر على من امتنع وأبى من الصحابة لأنّه ﷺ استفهم منهم، فأبى بعضهم حسب رأيه فلا مؤاخذه عليه إذن.

والذي يلفت النظر أنّ رواية عبد الرزاق هذه رواها عنه أحمد في مسنده^(١) من دون حرف الاستفهام (هل) فصارت تقرأ (أكتب لكم كتاباً) وهي تقرأ إمّا على نحو الجملة الخبرية وليس لها معنى في المقام، فلا بدّ إذن تقرأ على نحو الاستفهام وهذا هو المطلوب لستر العيوب.

وثمة آخرون غير أحمد رووا ذلك عن عبد الرزاق كالبخاري ومسلم وابن حبان في صحيحه^(٢) وابن أبي الحديد وابن كثير، وربّما غيرهم. وأخيراً فقد حذف في المصنّف قول ابن عباس: ((وعمّ رسول الله ﷺ)) كما مرّ في حديث يونس فراجع.

وهذه الرواية عن طريق عبد الرزاق عن معمر رواها كلّ من البخاري وابن حبان ومسلم في صحاحهم وأحمد في مسنده وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن كثير وربّما غيرهم، ولدى المقارنة بين المصادر المشار إليها نجد التفاوت كبيراً في اللفظ والمعنى، وأكثرها تعميماً على الحقائق ما كان من البخاري الذي روى ذلك^(٣) بسنده عن عليّ بن عبد الله عن عبد الرزاق فحذف اسم عمر من

(١) مسند أحمد ١/٣٣٦.

(٢) صحيح ابن حبان ١٤/٥٦٢.

(٣) أنظر صحيح البخاري ٦/٩٠.

المواضع الثلاثة التي ورد ذكره فيها، ففي الموضع الأول قال: «وفي البيت رجال» من دون (فيهم عمر بن الخطاب)، وفي الموضع الثاني: «فقال بعضهم قد غلبه الوجع» بدل «فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع»، وفي الموضع الثالث: «(ومنهم من يقول غير ذلك)» بدل «(ومنهم يقول ما قال عمر)».

ثم إنه روى الحديث ثانياً بطريقتين: أحدهما عن إبراهيم بن موسى عن هشام بن معمر^(١)، وثانيهما عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر، وفي هذا المقام لم يحذف اسم عمر، لكنه لم يسلم من الاختلاف في النقل بل فيه تفاوت في اللفظ كثير.

وقد روى ابن كثير في تاريخه^(٢) هذا الحديث فاختر رواية البخاري التي حذف منها اسم عمر في المواضع الثلاثة فذكرها، وأشار عابراً إلى بقية روايات البخاري، ولعله إنما اختار ذلك تعميماً على اسم عمر، بينما ورد في الباقيات، ولنا في الباقيات الصالحات خير عملاً وأبقى.

أما رواية مسلم في صحيحه^(٣): فقد رواها عن عبد بن حميد ومحمد بن رافع عن عبد الرزاق، فهي أقرب إلى ما مرّ عن عبد الرزاق.

وأما رواية ابن كثير وابن أبي الحديد فقد أعتدما رواية الشيخين البخاري ومسلم، وقد مرّت الإشارة إلى اختيار ابن كثير قريباً، ورواية ابن أبي الحديد^(٤) فراجع.

(١) نفس المصدر ١٢٠/٧، وكذا في ١١١/٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٣٧/٥.

(٣) صحيح مسلم ٧٦/٥ ط صبيح.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥١/٦ ط محققة.

هذه بعض نقاط التفاوت بين الروايات في المصادر الأصلية والفرعية، فمن أين جاء الاختلاف؟ نعم إنه الستر على رموز الخلاف. ومن راجع شروح الصحيحين يجد الفرائب والمعائب في التحوير والتطوير وفي بعضها التزوير، مما لا يترك مجالاً للتشكيك في أن كلَّ شرح من شروح الصحيح - أيَّ صحيح كان - فيه ثعلبة يصيح: لكلِّ منا وجهة هو مولياها، وعلى أساس الشيوخ يعليها. فلتتركهم الآن وتركاضهم، ولا تسلني إجهاضهم.

الصورة الثالثة عشرة:

وهي ما رواه الحسن بن أبي الحسن البصري عن ابن عباس وقد مرَّ ذكرها - راجع الصورة الثانية - حيث رواها الحسن البصري عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «سمعت علي بن أبي طالب ثم سمعته بعينه من عبد الله بن عباس بالبصرة، وهو عامل عليها، فكأنما ينطقان بضم واحد، وكأنما يقرآنه من نسخة واحدة. والذي عقلته قول ابن عباس، والمعنى واحد غير أن حديث ابن عباس أحفظه»، قال: ثم ذكر الحديث كما مرَّ.

الصورة الرابعة عشرة:

وهي ما رواه طاووس عن ابن عباس، ورواها عنه ليث، وعن ليث ثلاثة وهم: شيان وأبو حمزة وهلال بن مقلاص، ولكلِّ منه رواية هي صورة بحد ذاتها. وإليك ما رواه شيان:

أخرج حديثه أحمد في مسنده عن حسن عن شيان عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال: «لما حضر رسول الله ﷺ قال: (أتوني بكشف أكتف لكم فيه

كتاباً لا يختلف منكم رجلاًن بعدي)، قال: فأقبل القوم في لفظهم، فقالت المرأة: ويحكم عهد رسول الله ﷺ ... (١ هـ) (١).

والفجوات في هذه الصورة بيّنة، ولا تحتاج في إثباتها إلى بيّنة، فبعد طي كثير من الكلام في الكتمان، نقرأ لأول مرة قول المرأة ويحكم عهد رسول الله ﷺ. فيا ترى من هي هذه التي أنكرت على القوم لفظهم؟ ويكفينا من هذه الصورة معرفة عظم الرزية - كما يقول ابن عباس - حتى تدخل العنصر النسوي في المعركة الكلامية. وسيأتي ما يوضح المستبهم فيها.

الصورة الخامسة عشرة:

ما رواه أبو حمزة عن ليث عن طاووس، أخرج حديثه الطبراني في معجمه الكبير بسنده فقال: ((حدثنا محمد بن يحيى بن مالك الضبي الأصبهاني، ثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، ثنا علي بن الحسن بن شقيق عن أبي حمزة عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ بكف فقال: (أئتوني بكف أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعدي أبداً)، فأخذ من عنده من الناس في لفظ، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم عهد رسول الله ﷺ إليكم، فقال بعض القوم: اسكتي فإنه لا عقل لك، فقال النبي ﷺ: (أنتم لا أحلام لكم) ... (١ هـ) (٢)).

أقول: وأخرج هذا الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد وعقب عليه بقوله: ((قلت: في الصحيح طرف من أوله، رواه الطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات)) (٣).

(١) مسند أحمد ١/٢٩٣.

(٢) المعجم الكبير ١١/٣٠.

(٣) مجمع الزوائد ٤/٢١٥.

الصورة السادسة عشرة:

ما رواه هلال بن مقلص عن ليث عن طاووس أخرج حديثه الطبراني في معجمه الكبير بسنده فقال: ((حدثنا الحسين بن اسحاق التستري، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا يحيى بن زكريا بن إبراهيم بن سويد النخعي، ثنا هلال بن مقلص عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: (أتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا يختلف فيه رجلان)، قال: فأبطأوا بالكتف والدواة، فقبضه الله))^(١).

الصورة السابعة عشرة:

ما رواه داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج حديثه ابن سعد في الطبقات بسنده فقال: ((أخبرنا محمد بن عمر، حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: إن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: (أتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً). فقال عمر بن الخطاب: من لفلاة وفلاة - مدائن الروم - إن رسول الله ﷺ ليس بميت حتى نفتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى، فقالت زينب زوجة ﷺ ألا تسمعون النبي ﷺ يعهد إليكم فلغلطوا، فقال: (قوموا)، فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه ... اهـ))^(٢).

في هذه الصورة جديد من الكشف لم يسبق إليه تشويه الرواة، وذلك هو مقالة عمر وهي نحو التي قالها بعد وفاة النبي ﷺ فأرعد وتوعد متظراً مجيء

(١) المعجم الكبير ١١/٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢٨/٢.

أبي بكر من السنح. كما فيها جديد من الكشف هو تعيين اسم المرأة التي أنكرت على القوم اختلافهم ولغظهم، فلم تعينها الصور السابقة التي وردت الإشارة إليها، بينما عرفنا الآن اسمها من هذه الصورة وأنها زينب زوج الرسول ﷺ وهي إحدى أمهات المؤمنين.

الصورة الثامنة عشرة:

ما رواه عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج حديثه أبو محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي في كتابه سير الصحابة والزهاد، عند استعراضه لموارد خلاف الصحابة فقال: ((والخلف الثاني في بيت النبي ﷺ فيما أخبر به محمد بن أبي عمر قال حدثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: يوم الاثنين وما يوم الاثنين وهملت عيناه، فقيل له يا بن عباس وما يوم الاثنين؟ قال: كان رسول الله ﷺ في غمرات الموت فقال: (أتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً)، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ولم يجز عنده التنازع، وقال رجل من القوم: إن الرجل ليهجر، فغضب رسول الله ﷺ وأمر بإخراجه وإخراج صاحبه، ثم أتوه بالصحيفة والدواة، فقال: (بعد ما قال قائلكم ما قال، ثم قال: ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه) ... (١)).

أقول: وفي هذه الصورة أيضاً كشف جديد أتانا من عكرمة. هو تألم ابن عباس من يوم الاثنين وأنه اليوم الذي دعا فيه ﷺ بالدواة والصحيفة، بينما في كثير من الصور وما سيأتي ذكر فيه يوم الخميس، أوليس ترى أن دعوة

النبي ﷺ بالدواة والصحيفة كانت مرتين؟ في يوم الخميس ويوم الاثنين؟ وفي كلا اليومين خالف عليه عمر فيكون خلافه أيضاً مرتين؟ وهذا ليس بممتع عقلاً وقد صح نقلاً كما دلت عليه بعض الأحاديث السابقة واللاحقة . وسيأتي مزيد بيان لذلك.

الصورة التاسعة عشرة:

ما رواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج حديثه أبو محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي في سير الصحابة والزهاد بسنده فقال: ((حدثنا عاصم بن عامر عن الحسين بن عيسى عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه: (أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)، فقال المعدول: أن النبي ﷺ يهجر كما يهجر المريض، فغضب النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: (أنتم لا أحلام لكم)، قال: إنما قلت من الورم، قال: (أنكم قوم تجهلون بهذا أخبرني أخي جبرئيل عن ربي ﷺ فأخرجوه) فأخرجناه والله لقد مضى في الحال إلى أبي بكر فأخرججه إلى السقيفة وجمع فيها من جمع، وبايع على ما بايع))^(١).

وفي هذه الصورة أيضاً كشف جديد هو أعتدار المعدول - كما سمته الرواية وهو من العتلك بمعنى اللوم والتأنيب - بأنه إنما قال الذي قاله من الورم؟ ولا ندري أي ورم ذلك، هل كان النبي ﷺ متورماً في بدنه؟ وهذا لم ينتقله أحد من الرواة، وإذا كان فهل ثمة ملازمة بين الورم وبين ما قاله المعدول؟ ولعل الورم الذي يعنيه فدفعه إلى القول هو ما كان في نفسه هو من غضب، من قولهم: فلان ورم أنفه إذا غضب وحق.

كما أن هذه الصورة تؤيد ما قبلها من أن الحديث والحادثة كان في يوم وفاة النبي ﷺ، وسيأتي ما يؤيد ذلك أيضاً.

الصورة العشرون:

ما رواه عبد الله بن محمد عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج حديثه أبو محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي في سير الصحابة والزهاد بسنده فقال: ((حدثنا محمد بن علي، قال حدثني أبو اسحاق بن يزيد عن فضل بن يسار عن عبد الله بن محمد قال: سمعت عكرمة يقول عن ابن عباس قال: إن النبي ﷺ قال: (إتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تفلون بعدي)، فمنعه رجل، فقلت لعكرمة من الرجل؟ فقال: أنكم لتعرفونه مثلي، هو والله المعدول))^(١).

وفي هذه الرواية لم يشأ عكرمة أن يحرم القراء لحديثه من فائدة، كما هو ديدنه في أحاديثه في الصور الثلاث السابقة، أما في هذه الصورة فقد أفادنا أنه كان ممن يرى التقية وقد استعملها فعلاً في جواب سائله عن الرجل الذي منع النبي ﷺ عن موافاته بالكتف والدواة، فقال: إنكم لتعرفونه مثلي، هو والله المعدول. ويعني به عمر فإنه صاحب المقولة الثانية.

الصورة الحادية والعشرون:

ما رواه أبان بن عثمان عن بعض أصحابه، وقد أخرج حديثه أبو محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي في سير الصحابة والزهاد بسنده فقال: وحدثني محمد بن مروان قال: ((حدثنا زيد بن معدل عن أبان بن عثمان عن بعض

أصحابه: إن النبي ﷺ قال في المرض الذي قبض فيه: (أيتوني بصحيفة ودواة لأكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي)، فدعا العباس بصحيفة ودواة، فقال بعض من حضر: إن النبي يهجر، ثم أفاق النبي ﷺ فقال له العباس: هذه صحيفة ودواة قد أتينا بها يا رسول الله فقال: (بعد ما قال قائلكم ما قال)، ثم أقبل عليهم وقال: (احفظوني في أهل بيتي، واستوصوا بأهل الذمة خيراً، وأطعموا المساكين وأكثروا من الصلاة، واستوصوا بما ملكت أيما نكم)، وجعل يردد ذلك ﷺ وإني لأعلم أن منكم ناقض عهدي والباغي على أهل بيتي^(١).

أقول: قد يزعم متطعم أن في نهاية السند إرسال أو انقطاع وبالتالي ضعف السند (لجهالة بعض أصحابه) ولكن ذلك ليس بضائر بعد أن عرفنا وألفنا الكتمان في أسماء رموز المعارضة في هذا الحديث، ولتكن هذه الصورة من المؤيدات لما سبقها من الصور، على نحو ما يأتي من مراسلات، تأتي على ذكر بعضها.

الصورة الثانية والعشرون:

أخرجها أبو عبيد البكري في كتابه فصل المقال في شرح كتاب الأمثال بلفظ: ((وقال ابن عباس: اشتد برسول الله عليه الصلاة والسلام وجهه فقال: (إتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي)، فقالوا: ما شأنه أهجر؟...ها))^(٢).
أقول: من المضحك - وشرّ البلية ما يضحك - أن تطبع الكتاب دار الأمانة، ومؤلف الكتاب في روايته الحديث تعوزه الأمانة.

(١) نفس المصدر / ٥٩٨.

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال / ٢٨ ط بيروت دار الأمانة.

الصورة الثالثة والعشرون:

أخرجها الذهبي في المنتقى من أخبار المصطفى قال: ((عن ابن عباس قال: اشتد برسول الله ﷺ وجهه يوم الخميس، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة...ها))^(١) فعقب الذهبي عليه بقوله: متفق عليه، والشك من سليمان الأحول.

أقول: وأخرج هذه الصورة أيضاً الشوكاني في نيل الأوطار^(٢)، الذي هو شرح لكتاب المنتقى المتقدم ذكره.. ومن الطبيعي أن لا يزيد شيئاً في حيثيات الحديث، ولا في ذكر ما تعمد الذهبي إغفاله من فقرات الحديث فمر عليه عابراً، ولم يعبه من أمره إلا شرح جزيرة العرب، وقال في شرح (ونسيت الثالثة) قيل هي تجهيز أسامة، وقيل يحتمل أنها قوله ﷺ لا تتخذوا قهري وثناً. وفي الموطأ ما يشير إلى ذلك...ها.

الصورة الرابعة والعشرون:

أخرجها ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام قال: ((بعد أن أخرج الحديث الذي الذي أخرجه البخاري على نحو ما مر في الصورة الثانية عشرة، وحدثاه عبد الله بن ربيع ثنا محمد بن معاوية ثنا أحمد بن شعيب ثنا محمد بن منصور عن سفيان الثوري سمعت سليمان - هو الأحول - عن سعيد

(١) المنتقى من أخبار المصطفى / ٣٠٤ ط الهند سنة ١٢٩٦ هـ.

(٢) نيل الأوطار / ٦٤/٨.

ابن جبير عن ابن عباس، فذكر هذا الحديث وفيه: (أن قوماً قالوا عن النبي ﷺ في ذلك اليوم ما شأنه؟ هجر!) ... اهـ^(١).

أقول: حيث سبق لابن حزم أن ذكر حديث البخاري المروي في صحيحه في كتاب العلم باب كتابة العلم^(٢) - قد مرّ في الصورة الثانية عشرة كما أشرنا آنفاً - فهو الآن يشير إليه بقوله: وحدّثناه عبد الله بن ربيع إلى آخر السند ... عن سفيان الثوري، وما ذكره بهذا السند يختلف متناً عما مرّ ولا مؤاخذه عليه لأنه بسند آخر. ولكن المؤاخذه فيما وقع في السند من وهم خفيّ - لم يتبّه له حتى محقق الكتاب - الشيخ أحمد محمد شاكر - وذلك أن سند ابن حزم هذا ينتهي إلى سفيان الثوري، ولم يذكر أحد غيره ذلك، بل إن الأسانيد المنتهية إلى سفيان كلّها تنتهي إلى سفيان بن عيينة - كما مرّت في الصورة التاسعة، ولم نقف على رواية سفيان الثوري للحديث إلا عند ابن حزم في هذا المقام، كما لم نقف على راو عن الثوري أو ابن عيينة اسمه محمد بن منصور، نعم ذكر ابن حجر في التقريب رجلين بهذا الاسم توفي أحدهما سنة ٢٥٢ والثاني سنة ٤ - ٢٥٦. ولم يذكر أنهما من الرواة عن أحد السفيانيين. لكن الذهبي ذكرهما في الكاشف^(٣) فلمله أحدهما أو كلاهما يروي عن ابن عيينة فيما ذكر. ثم لا يعد - والله العالم - وقوع التصحيف في اسم هذا الراوي، وإن الصحيح في اسمه هو سعيد بن منصور وهو صاحب السنن، وقد مرّ في الصورة التاسعة أنه أحد رواة الحديث عن سفيان ابن عيينة. وعلى ذلك يكون احتمال تصحيف اسم (سعيد) بـ (محمد) من سهو

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١٢٢/٧ تح. أحمد محمد شاكر.

(٢) صحيح البخاري ٣٩/١ ط. بولاق.

(٣) الكاشف ٩/٣ - ١٠٠.

القلم، كما يحتمل ذلك أيضاً في تعيين نسبة سفيان، لإشتراك السفيانيين في العَلَمِيَّة والشهرة.

الصورة الخامسة والعشرون:

أخرجها المقرئ في كتابه إمتاع الأسماع قال: «وأشدُّ به ﷺ وجهه يوم الخميس فقال: (إتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تفلوا بعده أبداً)، فتنازعا فقال بعضهم: ما له؟ أهجر؟ أستميدوه! وقالت زينب بنت جحش وصواحبها: إتوا رسول الله ﷺ بحاجته، فقال عمر: وقد غلبه الوجع وعندكم القرآن! حسبنا كتاب الله، من لفلاة وفلاة؟ - يعني مدائن الروم - إن النبي ﷺ ليس بميت حتى يفتحها، ولو مات لانتظرت كما انتظرت بنو إسرائيل موسى!! فلما لفظوا عنده قال: (دعوني فما أنا فيه خير مما تسألوني) ثم أوصاهم بثلاث: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كتتم تروني أجيزهم، وأنفذوا جيش أسامة)، قوموا»^(١).

تعقيب عرض الصور وحصيلة ذلك:

هذه هي الصور التي وقفت عليها، ولا شك أنه فاتني كثيرٌ غيرها، ومهما يكن ما فات فإنه لا يعدو حصيلة الحاصل مما ذكرت. وهي تكفي في إعطاء الصورة القريبة من الصدق أو هي الصدق بعينه، لكنه منبثٌ في سطور الصور المتفرقة، تلك الحصيلة - تلميحية وتصريحية - تكاد تسمعها تجار بلوغة الرزية كل الرزية، التي كان ابن عباس حبر الأمة يكي منها لشدة وقعها حتى يبل دمه

(١) إمتاع الأسماع / ٥٤٥، تم محمود محمد شاكر.

الحصى ويقول: الرزية كل الرزية - وهي فعلاً الرزية وكل الرزية - ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

كما تقرأ في حروف تلك الحصىلة حقيقة حية حسية ليست قابلة للإتكار، وهي أن رسول الله ﷺ أراد الخير لأمته بأن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، وأن عمر لم يرد ذلك فمنع منه.

ولا تفسير لذلك الحدث المشؤم في ذلك اليوم الكالغ العبوس، غير ما رسمته تلكم الروايات بشتى صورها، وتعدد روايتها، واختلاف أصحابها وكتابها. وإن كان ما أحيط بها من ضباب كثيف في التضليل على واقع الحدث والحديث شخصاً، وزماناً ومكاناً، شوش على السذج من القرآء، فساءت عندهم الرؤية لبعدهم عنها زماناً ومكاناً أيضاً. فكادت غياهب المتاهات تلفهم، وشكوك الإرتياب تتقاذفهم. لكن من أوتي حظاً من النباهة والفطنة، لا يشوشه ذلك بل يدهشه، ويبقى خائراً خائراً بين عظمة الرسول ﷺ وعصمته، وبين مجابهة عمر وشدته.

وبالتالي يبقى مفكراً في اختلاف مواقف الحضور من أهل البيت ومن الصحابة، كيف انقسموا على أنفسهم، ونبههم بعدئذ بين ظهراتهم، فمنهم أنصار ومنهم معارضة؟

مع شدة الجراءة على النبي ﷺ بإعلان رد أمره وهو في تلك الحال التي سيفارقهم عليها عما قريب.

أما كانت اللياقة تقضي أن يمثل أمره ويسارع في تنفيذه لكنهم - المعارضة - أكثروا اللغظ والاختلاف، فطردهم من بيته ساخطاً عليهم.

ولا خلاف بين المسلمين أن من ردّ عليه قوله بعد موته كان مرتدّاً، فكيف الحال بمن ردّ عليه في حياته!

ولا خلاف بين المسلمين أن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

ولا خلاف بين المسلمين أن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢) وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

ومهما كان حسن النية وسلامة الطوية عند بعضهم، فهو ما دام ضالماً مع المعارضة، يعني أنه رادّ على رسول الله ﷺ أمره، ومشاقق له في دعوته عن سبق إصرار وعمد، فهل ذلك إلا التردّي في ضلالة الهوى، ومردّ لغيره فيها أيضاً. ويبقى العجب أخذاً بالألّباب كيف يكون عمر هو رأس المعارضة، ومنه تندر جفوة الكلمة، ويبقى هو المسيطر على الموقف المعلن؟! وهو هو في صحبته وسابقتها، وهو هو الذي كان إلى الأمس القريب يقول للنبي ﷺ: «رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً»^(٤).

فقد أخرج أبويعلى وغيره عن عمر وغيره: «قال عمر: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم - جلد - فقال لي رسول الله ﷺ:

(١) الحجرات / ٢.

(٢) الأنفال / ٢٤، ٢٥.

(٣) مجمع الزوائد / ١، ١٧٣، وستأتي مصادر أخرى.

(ما هذا الذي في يدك يا عمر؟) قال قلت: كتاب نسخته لترداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرت وجتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار: أغضب نبيكم السلاح السلاح، فجاؤا حتى أحذقوا بمنير رسول الله ﷺ فقال: (يا أيها الناس إنني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي إختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا، ولا يفرنكم المتهوكون^(١)).

قال عمر: فقلت فقلت: رضيت بالله رياً، وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ^(٢).

ثم العجب كل العجب من عمر وهو الذي كان يقول نادماً على ما بدر منه يوم صلح الحديبية: ((ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً - أنظرا فستجد أنه لم يبدر منه سوى أنه لم يرض بالصلح حمية لدينه حيث أتى رسول الله ﷺ - فقال: يا رسول الله أأنت برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدية في ديننا؟ فقال: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيئني)، قال عمر: فما زلت

(١) المتهوكون، المتحيرون والتهوك أيضاً مثل التهون وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة قاله الجوهري.

(٢) كذا في مجمع الزوائد للهيتمي ١٧٣/١ و ١٨١، وراجع أيضاً جمع الفوائد ٣٠/١، والمصنف لابن أبي شيبة ٣١٣/١٠ و ١١٥/١١، والمعجم الكبير للطبراني برقم ١٠٦٣، ١٠٦٥، والأسماء المبهمة للخطيب البغدادي ١٨٨، ١٨٩. فستجد عدة محاولات بذلت لتضيق اسم عمر من صحيفته التي أتى بها، على نحو ما بذل من تعميم وتضبيب حول تضيق اسمه من منعه صحيفة النبي ﷺ.

أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً»^(١).

فمن كان بهذه المثابة من الخوف والوجل من كلمة صدرت منه ظاهرها حميئة للدين، كيف غاب عنه ذلك الشعور بالخوف حتى قال كلمة غمّ على رسول الله ﷺ منها لشدة وقعها على قلبه؟

فما بال أبي حفص تتباين مواقفه من أوامر الرسول ﷺ فيناقض نفسه بنفسه؟ فأين الرضا؟ وأين التسليم؟ الذي قاله يوم جاء هو بالصحيفة، من هذا العناد والاصرار على الخلاف يوم دعا النبي ﷺ بالدواة والصحيفة، ولماذا ذهب به الأشتطاط فلم يخش ما خشيه من كلمته يوم صلح الحديبية؟ وهي التي كانت أخف لهجة وأهون وقعاً، وأقل تأثيراً. مواقف ما كانت لتأخذ الأبواب بالحيرة لو صدرت عن غير عمر، من غير أولي السابقة والصحة والمصاهرة من الأعراب أولي الضرر، أو البداية من أهل الشعر والوبر.

يقول الدكتور صبحي الصالح - أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية - : «(وتحليلاً لهذه الحادثة التاريخية الخطيرة، لا بد لنا من رجع النظر فيها لنستقي منها بعض العبر، ولا بد لنا من الاعتراف بأنه لم يكن من المستظر أن يقف من بين الصحابة مثل عمر ليقول ما قال، حتى أكبر عبد الله ابن عباس، وهو حبر الأمة الإسلامية هذا الأمر، وعده أكبر رزية أصابت المؤمنين، ولم يكن من المتوقع إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يختار المؤمنون غير

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٢٨٠ ط الاستقامة بمصر، وسيرة ابن هشام ٣/٣٣١ ط الحلبي بمصر.

ما يختاره لهم المعصوم، والرسول ﷺ كثيراً ما ألقى على مسامع المسلمين أنه تركهم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها !
ومع ذلك يطلب منهم دواة وقرطاساً ليملي عليهم كتاباً لن يفلأوا بعده، فكان المفروض أن يستتجوا من ذكره هذا الكتاب أشياء غير الجوانب التشريعية والمقدية التي ما أنفك القرآن ينزل بها حتى آخر لحظة من حياة النبي ﷺ، وأن يرجحوا أن هذا الكتاب سيحتوي مسائل حساسة تتعلق بتصرفهم الاجتماعي. لقد رأى الرسول ﷺ أن ميته قد دنت، فأراد ألا يفسح أمام المسلمين مجالاً كي يتنازعوا بالقرآن على القرآن، وبالسنة على السنة، وبالتشريع على التشريع، وبالقانون على القانون.

لذلك وذل لو يضع لهم الخطبة الدائمة ليمسكوا بأمر الله لأنه أمر الله ! ولولا هذا لما قال رجل كاهن عباس: «ان هذه كانت أكبر رزية حاقت بالمسلمين»^(١)

رواة الحديث ومصادره:

إن استقصاء جميع ما ورد في كتب الحديث والسنة، والتاريخ والسيرة، واللغة والأدب، مما يتعلق بالحديث لأمر شاق، يصعب معه على الباحث المجتهد في تحقيقه، والوقوف عليه باستقراء واستيعاب، غير أن ما وقفت عليه - ولا شك - قد فاتني الكثير الكثير - يكفي في التدليل على صحة الحديث وتواتره، بالرغم من محاولات بائسة يائسة في الترمويه عليه، حرصاً على رموز المعارضة كما سيأتي في كلام أعلام المحدثين في ذلك.

(١) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها / ٧٨ - ٧٩ تأليف الدكتور صبحي الصالح أستاذ الدراسات الإسلامية وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية ط دار المعلم للملايين ببيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ سنة ١٩٦٥ م.

أما البحث في مصادر الحديث كمأ وكيفاً - وهي فيما اطلمت عليه كثيرة - فهو بحث شاق شائك، إذ يجد القارئ فيها أمهات المراجع في السنة والحديث، وعيون كتب التاريخ والسيرة، وجوامع اللغة والأدب. ومع ذلك نجدتها تختلف اختلافاً شائناً في أدائه - كما مرّ في صوره - وسواء كان ذلك من الرواة في الأسانيد - وما آفة الأخبار إلا روايتها - أو رجال المسانيد - وهم حفاظها وحمايتها - فهو يبقى مادة للنقاش والإدانة، لتحمل أصحابه عبء الأمانة، فلم تصل إلينا إلا وقد لفتها براقع الخيانة. فرغمت حمتها إلى كثير من النقد والتجريح، سواء منهم الصحيح وغير الصحيح.

ولا نستبق رجال الصحاح وغيرهم في الخوض حول الكيفية وما لها وما عليها، إذ سيأتي ذلك مفصلاً ولكننا سنعرض أمام القارئ جانباً من أسماء الرواة بدءاً من يوم الحديث، وانتهاء بمن أودع الحديث كتابه. ليكون على بينة من أمره أزاء ما ألمّ بالمسلمين من شرذم، سببه ذلك الحديث في ذلك الحديث.

القرن الأول:

١- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام روى الحديث عنه الحسن بن أبي الحسن البصري، وأخرجه أبو محمد عبد السلام الخوارزمي في سير الصحابة والزهاد راجع (الصورة ٢)، وروى عنه أيضاً نعيم بن يزيد بصورة مهلهلة وحديثه في مسند أحمد^(١)، وطبقات ابن سعد كما مرّ في (الصورة ١).

٢- الخليفة عمر بن الخطاب، روى الحديث بنفسه، وعنه أسلم وغيره (راجع الصورة ٣ و٤)، كما اعترف به أيضاً بعد ذلك في حديث له مع ابن عباس، وهو من جملة احتجاج ابن عباس عليه كما سيأتي.

(١) مسند أحمد ١/٩٠.

٣- الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، روى الحديث عنه ابنه علي بن عبد الله كما في (الصورة ٦)، وسعيد بن جبير كما في (الصورة ٧ - ١١)، ورواه أيضاً عنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة كما في (الصورة ١٢)، ورواه عنه الحسن بن أبي الحسن البصري كما في (الصورة ١٣)، ورواه عنه طاووس كما في (الصورة ١٤ و ١٥ و ١٦)، ورواه أيضاً عنه حكيم بن حكيم كما في (الصور ١٨ - ٢٠) ... إلى غير ذلك مما أرسل عنه إرسال المسلمات.

٤- الصحابي الجليل جابر بن عبد الله روى الحديث عنه أبو الزبير كما في (الصورة ٥).

٥- التابعي الجليل سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس وقائده قتلته الحجاج ظملاً وعدواناً سنة ٩٥، روى الحديث عن ابن عباس وعنه ثابت كما في (الصورة ٧)، وعبيد الله بن عبد الله كما في (الصورة ٨)، وسليمان الأحول كما في (الصورة ٩)، وطلحة بن مصرف كما في (الصورة ١٠)، وقد مرّت أحاديثهم عنه في الصور المشار إليها مع مصادرها، فراجع.

٦- التابعي الجليل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أحد الفقهاء السبعة، وكان أعمى وهو معلم عمر بن عبد العزيز توفي سنة ٤ - ٥ - ٨ - ٩٩، روى الحديث عن ابن عباس، وعنه محمد بن مسلم الزهري كما في (الصورة ١٢).

٧- التابعي أسلم العدوي مولاهم أبو زيد مولى عمر بن الخطاب مات سنة ٧٠هـ أو ٨٠هـ عنه الذهبي من كبار التابعين روى الحديث عن عمر، وعنه ابنه زيد ابن أسلم كما في (الصورة ٣).

٨- التابعي الجليل نعيم بن يزيد روى الحديث عن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وعنه عمر بن الفضل العبدي، كما في (الصورة ١).

القرن الثاني:

١- عكرمة مولى ابن عباس توفي سنة ١٠٥هـ روى الحديث عن مولاة، وعنه داود بن الحصين كما في (الصورة ١٧) وعمرو بن دينار كما في (الصورة ١٨) والحكم بن أبان كما في (الصورة ١٩) وعبد الله بن محمد كما في (الصورة ٢٠).

٢- طاووس اليماني توفي سنة ١٠٦هـ روى الحديث عن ابن عباس، وعنه الليث بن سعد كما في (الصور ١٤ و ١٥ و ١٦).

٣- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود توفي سنة ١٠٨هـ روى الحديث عن ابن عباس، وعنه الزهري كما في (الصورة ١٢).

٤- الحسن البصري توفي سنة ١١٠هـ روى الحديث عن الإمام علي وعن عبد الله بن عباس، وعنه أبان بن أبي عياش كما في (الصورتين ٢ و ١٣).

٥- طلحة بن مصرف اليمامي توفي سنة ١١٢هـ روى الحديث عن سعيد بن جبير، وعنه مالك بن مغول كما في (الصورة ١٠).

٦- علي بن عبد الله بن عباس المتوفى سنة ١١٨هـ روى الحديث عن أبيه وعنه الزهري كما في (الصورة ٦).

٧- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ روى الحديث عن علي بن عبد الله بن عباس كما في (الصورة ٦) وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة كما في (الصورة ١٢).

- ٨- أبان بن عثمان بن عفان الأموي توفي سنة ١٠٥هـ روى الحديث عن بعض أصحابه، وعنه زيد بن معدل كما في (الصورة ٢١).
- ٩- عمرو بن دينار المتوفى سنة ١٢٦هـ روى الحديث عن عكرمة وعنه سفيان بن عيينة كما في (الصورة ١٨).
- ١٠- سليمان الأحول من صغار التابعين روى الحديث عن سعيد بن جبير وعنه سفيان بن عيينة وشبل كما في (الصورة ٩).
- ١١- أبو الزبير المكي المتوفى سنة ١٢٨هـ روى الحديث عن جابر وعنه إبراهيم بن يزيد وابن لهيعة وقره بن خالد كما في (الصورة ٥).
- ١٢- داود بن الحصين الأموي مولا هم توفي سنة ١٣٥هـ روى الحديث عن عكرمة، وعنه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حنيفة كما في (الصورة ١٧).
- ١٣- زيد بن أسلم توفي سنة ١٣٦هـ روى الحديث عن أبيه أسلم، وعنه هشام بن سعد كما في (الصورة ٣).
- ١٤- يحيى بن سليمان توفي سنة ٧ - ٨ - ١٣٩، روى الحديث عن ابن وهب وعنه البخاري في صحيحه كما في (الصورة ١٢).
- ١٥- أبان بن أبي عياش توفي بعد سنة ١٤٠هـ روى الحديث عن الحسن البصري وعنه الصباح المزني كما في (الصورة ٢).
- ١٦- الفضيل بن يسار توفي قبل سنة ١٤٨هـ روى الحديث عن عبد الله بن محمد، وعنه أبو إسحاق بن يزيد كما في (الصورة ٢٠).
- ١٧- سليمان بن مهران الأعمش الثقة الحافظ الورع مات سنة ٧ - ١٤٨هـ روى الحديث عن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة، وعنه أبو عوانة الوضاح اليشكري كما في (الصورة ١١).

- ١٨- شبل بن عباد توفي سنة ١٤٨هـ روى الحديث عن سليمان الأحول،
وعنه زيد بن أبي الزرقاء كما في (الصورة ٩).
- ١٩- الليث بن أبي سليم المتوفى سنة ١٤٨هـ أو ١٤٣هـ روى الحديث عن
طاووس، وعنه شيان وأبو حمزة وهلال بن مقلص كما في (الصورة ١٣ و ١٤
و ١٥).
- ٢٠- إبراهيم بن يزيد مولى عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٥١هـ روى
الحديث عن أبي الزبير المكي وعنه الواقدي كما في (الصورة ٥).
- ٢١- معمر بن راشد الصنعائي توفي سنة ٣ - ١٥٤هـ روى الحديث عن
الزهري، وعنه عبد الرزاق والواقدي كما في (الصورة ٦ و ١٢).
- ٢٢- أسامة بن زيد الليثي توفي سنة ١٥٣هـ روى الحديث عن الزهري،
وعنه الواقدي كما في (الصورة ١٢).
- ٢٣- الحكم بن أبان العدني المتوفى سنة ١٥٤هـ روى الحديث عن عكرمة،
وعنه الحسين بن عيسى كما في (الصورة ١٩).
- ٢٤- قرّة بن خالد السدوسي توفي سنة ١٥٤هـ روى الحديث عن أبي الزبير
المكي، وعنه محمد بن عبد الله الأنصاري وعثمان بن عمر كما في (الصورة ٥).
- ٢٥- مالك بن مغول توفي سنة ١٥٩هـ روى الحديث عن طلحة بن مصرف،
وعنه وكيع وحجاج بن نصير ومحمد بن سابق كما في (الصورة ١٠).
- ٢٦- يونس بن يزيد بن مشكان مولى معاوية بن أبي سفيان توفي سنة
١٥٩هـ بمصر، روى الحديث عن الزهري، وعنه جرير بن حازم كما في
(الصورة ١٢).

٢٧- هشام بن سعد يقال له يتيم زيد بن أسلم صحبه وأكثر عنه توفي سنة ١٦٠ أو قبلها، روى الحديث عن زيد بن أسلم، وعنه الواقدي كما في (الصورة ٣).

٢٨- شيان بن عبد الرحمن النحوي المؤدب توفي سنة ١٦٤هـ روى الحديث عن الليث، وعنه الحسن بن موسى كما في (الصورة ١٤).

٢٩- إبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة توفي سنة ١٦٥هـ روى الحديث عن داود بن الحصين، وعنه الواقدي كما في (الصورة ١٧).

٣٠- جرير بن حازم بن زيد الأزدي توفي سنة ١٧٠هـ أو قبل سنة ١٧٥هـ روى الحديث عن يونس بن يزيد، وعنه ابنه وهب كما في (الصورة ١٢).

٣١- ابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة الفقيه توفي سنة ٣ - ١٧٤هـ روى الحديث عن أبي الزبير، وعنه موسى بن داود كما في (الصورة ٥).

٣٢- الوضاح بن عبد الله الشكري الحافظ أبو حوثة توفي سنة ١٧٦هـ روى الحديث عن الأعمش، وعنه ختته يحيى بن حماد القراء كما في (الصورة ١١).

٣٣- زيد بن أبي الزرقاء يزيد الثعلبي الموصلبي توفي سنة ١٩٤هـ روى الحديث عن شبل بن عباد، وعنه ابنه هارون كما في (الصورة ٩).

٣٤- هشام بن يوسف الصنعائي المتوفى سنة ١٩٧هـ روى الحديث عن معمر، وعنه إبراهيم بن موسى كما في (الصورة ١٢).

٣٥- وكيع بن الجراح الرواسي توفي سنة ١٩٢هـ أو سنة ١٩٧هـ روى الحديث عن مالك بن مغول، وعنه إسحاق بن إبراهيم أبو كريب، وصالح بن

سمال، وأحمد بن حنبل كما في (الصورة ١٠).

- ٣٦- عبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧هـ روى الحديث عن يونس بن شهاب، وعنه يحيى بن سليمان كما في (الصورة ١٢).
- ٣٧- سفيان بن عيينة توفي سنة ١٩٨هـ روى الحديث عن سليمان الأحول، وعنه ثلاثة عشر راوياً مرّ ذكرهم كما في (الصورة ٩).
- ٣٨- عمرو بن الفضل العبدي السلمي من صفار التابعين روى الحديث عن نعيم بن يزيد، وعنه حفص بن عمر الحوضي كما في (الصورة ١).
- ٣٩- محمّد بن عبد الله الأنصاري قال ابن حجر من الطبقة الثامنة. أي مات بعد المائة. جاوز سنة المائة روى الحديث عن قرّة بن خالد، وعنه ابن سعد كما في (الصورة ٥).
- ٤٠- ثابت بن هرمز - أبو المقدم - من صفار التابعين روى الحديث عن سعيد بن جبير، وعنه أنه عمرو بن ثابت كما في (الصورة ٧).
- ٤١- عمرو بن ثابت المتوفى سنة ١٧٢هـ روى الحديث عن أبيه، وعنه عبد الرحمن بن أبي هاشم كما في (الصورة ٧).
- ٤٢- عبد الله بن عبد الله الهاشمي الرازي قاضي الري قال ابن حجر في التقريب من الرابعة، روى الحديث عن سعيد بن جبير، وعنه الأعمش كما في (الصورة ١١).
- ٤٣- أبو إسحاق بن يزيد روى الحديث عن الفضيل بن يسار المتوفى قبل سنة ١٤٨هـ وعنه محمّد بن عليّ كما في (الصورة ٢٠).
- ٤٤- قيس بن الربيع المتوفى سنة بضع وستين ومائة روى الحديث عن الأعمش، وعنه عاصم بن عليّ كما في (الصورة ٨).
- إلى غير هؤلاء.

القرن الثالث:

١- يحيى بن آدم القرشي توفي سنة ٢٠٣هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه أبو كريب كما في (الصورة ٩).

٢- بكر بن عيسى الراسبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ روى الحديث عن عمر بن الفضل، وعنه أحمد في مسنده كما في (الصورة ١).

٣- وهب بن جرير توفي سنة ٢٠٦هـ روى الحديث عن أبيه عن جرير بن حازم، وعنه أحمد بن حنبل كما في (الصورة ١٢).

٤- يحيى بن حماد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ روى الحديث عن أبي عوانة وهو ختنه، وعنه ابن سعد كما في (الصورة ٨ و ١١).

٥- محمد بن عمرو الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ روى الحديث عن أسامة ابن زيد، وإبراهيم بن يزيد، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، ومعر بن راشد، وهشام بن سعد، وعنه روى ذلك كاتبه محمد بن سعد في الطبقات الكبير كما مر في (الصور ٣ و ٥ و ١٢ و ١٧).

ومما ينبغي التنبيه عليه في المقام، أن كتاب المغازي - المطبوع في أوربا طبع جامعة أكسفورد، وكذلك طبعة مصر سنة ١٣٦٧ هـ - خلو من هذا الحديث مع ذكره بعث أسامة ومرض النبي ﷺ: ٢١١.

٦- عثمان بن عمر المتوفى سنة ٢٠٩هـ روى الحديث عن قرّة بن خالد، وعنه عبد بن حميد كما في (الصورة ٥).

٧- عبد الرزاق بن همام الصنعائي المتوفى سنة ٢١١هـ روى الحديث عن معمر، وعنه الحسن بن الربيع كما في (الصورة ٦) وعن سفيان بن عيينة وأخرجه

في مصنفه كما في (الصورة ٩) وروى الحديث أيضاً عن معمر، وعنه عبد الله بن محمد وعلي بن عبد الله كما في (الصورة ١٢).

٨- علي بن الحسن بن شقيق العبدي المتوفى سنة ٢١٥هـ روى الحديث عن أبي حمزة السكري، وعنه محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة كما في (الصورة ١٥).

٩- قبيصة بن عقبة السوائي توفي سنة ٢١٥هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه البخاري في الصحيح كما في (الصورة ٩).

١٠- يحيى بن حماد الشيباني المتوفى سنة ٢١٥هـ روى الحديث عن أبي عوانة، وعنه ابن سعد كما في (الصورة ١١).

١١- الحجاج بن نصير توفي سنة ٢١٤هـ روى الحديث عن مالك بن مغول، وعنه ابن سعد في الطبقات كما في (الصورة ١٠).

١٢- موسى بن داود الضبي المتوفى ١٤ - ٢١٧هـ روى الحديث عن ابن لهيعة، وعنه أحمد في مسنده كما في (الصورة ٥).

١٣- أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المتوفى سنة ٢١٩هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وأخرج الحديث في مسنده كما في (الصورة ٩).

١٤- الحسن بن بشر البجلي توفي سنة ٢٢١هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه أبو إسحاق وإبراهيم بن يزيد كما في (الصورة ٩).

١٥- الحسن بن الربيع البوراتي مولى خالد القسري المتوفى سنة ٢٢١هـ روى الحديث عن الحافظ عبد الرزاق، وعنه الجوهري في السقيقة كما في (الصورة ٦).

- ١٦- عاصم بن عليّ الواسطي المتوفى سنة ٢٢١هـ روى الحديث عن قيس ابن الربيع، وعنه عمر بن حفص السدوسي كما في (الصورة ٨).
- ١٧- محمد بن سلام المتوفى سنة ٢٢٥هـ من شيوخ البخاري روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه البخاري في صحيحه كما في (الصورة ٩).
- ١٨- حفص بن عمر الحوضي المتوفى سنة ٢٢٥هـ روى الحديث عن عمرو بن الفضل وعنه ابن سعد في طبقاته كما في (الصورة ١).
- ١٩- سعيد بن منصور صاحب السنن المتوفى سنة ٢٢٧هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه مسلم في صحيحه كما في (الصورة ٩).
- ٢٠- عبد الله بن محمد الجعفي المتوفى سنة ٢٢٩هـ روى الحديث عن عبد الرزاق، وعنه البخاري في صحيحه كما في (الصورة ١٢).
- ٢١- محمد بن سعد كاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠هـ روى الحديث عن ابن عيينة والواقدي ويحيى بن حماد ومحمد بن عبد الله الأنصاري وحجاج بن نصير وحفص بن عمر الحوضي وأخرج أحاديثهم في طبقاته كما في (الصور ١ و ٣ و ٥ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١).
- ٢٢- عمرو بن محمد الناقد المتوفى سنة ٢٣٢هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه مسلم في صحيحه كما في (الصورة ٩).
- ٢٣- عليّ بن عبد الله المدني المتوفى سنة ٢٣٤هـ روى الحديث عن عبد الرزاق، وعنه البخاري في صحيحه كما في (الصورة ١٢).
- ٢٤- أبو بكر بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ روى الحديث عن ابن عيينة وأخرجه في مصنفه، ورواه عنه مسلم في صحيحه كما في (الصورة ٩).

٢٥- يحيى بن سليمان الجعفي المتوفى سنة ٢٣٧هـ روى الحديث عن ابن وهب، وعنه البخاري كما في (الصورة ١٢).

٢٦- إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨هـ من شيوخ البخاري ومسلم، روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه مسلم في صحيحه كما في (الصورة ١٠).

٢٧- عثمان بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٩هـ روى الحديث عن يحيى بن زكريا النخعي، وعنه الحسين بن اسحاق التستري كما في (الصورة ١٦).

٢٨- قتيبة بن سعيد توفي سنة ٢٤٠هـ من شيوخ البخاري ومسلم، روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه البخاري ومسلم في صحيحهما كما في (الصورة ٩).

٢٩- أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤١هـ روى الحديث عن وهب والحسن ويكر بن عيسى الراسبي وعبد الرزاق ووكيع وابن عيينة، وعنه ابنه عبد الله وأخرج أحاديثهم في مسنده كما في (الصور ١ و ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٤).

٣٠- قتيبة بن سعيد توفي سنة ٢٤٠هـ من شيوخ البخاري ومسلم، روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه البخاري ومسلم في صحيحهما كما في (الصورة ٩).

٣١- محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة المتوفى سنة ٢٤١هـ روى الحديث عن علي بن الحسن بن شقيق، وعنه محمد بن يحيى بن مالك الضبي الاصبهاني كما في (الصورة ١٥).

٣٢- محمد بن رافع توفي سنة ٢٤٥هـ روى الحديث عن عبد الرزاق، وعنه مسلم في صحيحه كما في (الصورة ١٢).

٣٣- محمد بن العلاء أبو كريب الهمداني توفي سنة ٢٤٨هـ روى الحديث عن وكيع ويحيى بن آدم، وعنه الطبري في تاريخه وغيره كما في (الصورة ٩ و١٠).

٣٤- عبد بن حميد توفي سنة ٢٤٩هـ روى الحديث عن عبد الرزاق وعثمان بن عمر، وعنه مسلم في صحيحه وإبراهيم بن خزيمة كما في (الصورتين ١٢ و٥).

٣٥- محمد بن منصور توفي سنة ٤ - ٢٥٦هـ روى الحديث عن سفیان الثوري، وعنه النسائي كما في (الصورة ٢٤).

٣٦- محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح توفي سنة ٢٥٦هـ روى الحديث عن عبد الله بن محمد وعلي بن عبد الله ويحيى بن سليمان وقتيبة وإبراهيم بن موسى وقبيصة ومحمد بن سلام، وأخرج أحاديثهم في سبعة مواضع من صحيحه كما في (الصور ٩ و١٢).

٣٧- الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني المتوفى سنة ٢٥٩هـ أو سنة ٢٦٠هـ أخرج حديثه البيهقي في سننه عن أحمد بن محمد بن زياد البصري كما في (الصورة ٩).

٣٨- هارون بن زيد بن أبي الزرقاء المتوفى بعد سنة ٢٥٠هـ روى الحديث عن أبيه، وعنه عبدان كما في (الصورة ٩).

٣٩- مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح توفي سنة ٢٦١هـ روى الحديث عن عبد بن حميد ومحمد بن رافع وقتيبة وعمرو الناقد وسعيد بن منصور، وأخرج أحاديثهم في صحيحه كما في (الصور ٩ و١٢).

٤٠- أحمد بن حماد الدولابي توفي سنة ٢٦٩هـ روى الحديث عن ابن عيينة، وعنه الطبري في تاريخه كما في (الصورة ٩).

٤١- أبو داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن توفي سنة ٢٧٥هـ روى الحديث عن سعيد بن منصور كما في (الصورة ٩).

٤٢- حماد بن شاكر النسوي المتوفى حدود سنة ٢٩٠هـ من رواة صحيح البخاري^(١).

٤٣- إبراهيم بن معقل النسفي المتوفى سنة ٢٩٤هـ من رواة صحيح البخاري فاته من الجامع أوراق رواها بالإجازة عن البخاري^(٢).

٤٤- عبدان بن محمد المروزي سمع منه الطبراني بمكة سنة ٢٨٧هـ^(٣) روى الحديث عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، وعنه الطبراني في معجمه الكبير كما في (الصورة ٩).

إلى غير هؤلاء، وكان حسبنا أن نكتفي بذكر البخاري الذي أخرج الحديث في صحيحه في سبعة مواضع وقد سمعنا منه تسعون ألفاً، فيما ذكره القرطبي وأنه لم يبق من يرويه غيره^(٤) غير أننا ذكرنا غيره ممن روى ذلك سواء من شراح صحيحه ومن غيرهم لنخرج الحديث من حيز الأحاد إلى حظيرة التواتر. وسأقتصر في رواية القرون التالية بما يغني ويقني، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر فتح الباري ٥/١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ١/٣٣٤.

(٤) لقد ناقش ابن حجر المستقلا في ذلك فقال، وأطلق ذلك بناء على ما في علمه وقد تأخر بعده بتمسح سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قريبة البزدوي، وكانت وفاته سنة تسع ومضربين وثلاثمائة ذكر ذلك من كونه روى الجامع الصحيح عن البخاري أبو نصر بن ماکولا وغيره.

القرن الرابع:

- ١- أحمد بن شعيب الحافظ النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ روى الحديث عن محمد بن منصور، وعنه محمد بن معاوية كما في (الصورة ٢٤).
- ٢- محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ روى الحديث عن صالح ابن سمال وأبي كريب وأحمد بن حماد الدولابي، وأخرج أحاديثهم في تاريخه كما في (الصورة ٩ و ١٠).
- ٣- أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد أبو بكر الخلال المتوفى سنة ٣١١هـ في كتاب السنة^(١) ولفظه كما في (الصورة ١٠).
- ٤- محمد بن يوسف الفريري المتوفى سنة ٣٢٠هـ من رواة صحيح البخاري، وتفضل روايته على غيره بالقبض لسماحه الصحيح من مؤلفه مرتين، مرة بفربر سنة ٢٤٨هـ ومرة ببخارى سنة ٢٥٢هـ وسيأتي ما يشير إلى ذلك.
- ٥- أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة البزدوي المتوفى سنة ٣٢٩هـ وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه كما جزم به ابن ماكولا وغيره^(٢).
- ٦- أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري شيخ الحرم المعروف بابن الأحرابي المتوفى سنة ٣٤٠هـ روى الحديث عن الحسن بن محمد الزعفراني، وعنه عبد الله بن يوسف الاصبهاني^(٣).
- ٧- سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ أخرج الحديث بأسانيد في معجمه الأوسط كما في كثر العمال^(٤) ومرت بعض الصور عنه وما فيها من تلاعب وسيأتي مزيد في ذلك.

(١) كتاب السنة ٢٧١/١ طبع أخيراً طبعته دارالراية الرياض سنة ١٤١٠ هـ.

(٢) فتح الباري ٥/١.

(٣) سنن البيهقي ٢٠٧/٩.

(٤) كثر العمال ١٣٨ / ٣، والمعجم الكبير ٣٠/١١ و ٣٥٢ و ٥٦/١٢.

٨- عبد بن أحمد بن حمويه السرخسي المتوفى سنة ٣٨١هـ راوي صحيح البخاري، وكان مسند خراسان.

٩- عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة المكبري الحنبلي المتوفى سنة ٣٨٧هـ، أخرج الحديث عنه ابن شهر آشوب في المناقب.

١٠- محمد بن مكي بن ذراع الكشميهني المروزي أبو الهيثم المتوفى سنة ٣٨٩هـ يوم عرفة راوية الصحيح عن البخاري.

١١- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ روى الحديث في كتاب الثقات^(١).

إلى غير هؤلاء.

القرن الخامس:

١- أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني الصوفي مسند خراسان مات سنة ٤٠٩هـ روى الحديث عن أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة، وعنه البيهقي في السنن الكبرى.

٢- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ أخرج الحديث في كتاب الحلية عن شيخه الطبراني بسنده عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: (أيتوني بكتب ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) ثم قال صحيح ثابت من حديث سعيد عن ابن عباس، غريب من حديث طلحة رواه ادريس الأودي عن طلحة نحوه))^(٢).

(١) كتاب الثقات ٢١٢/٤ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) حلية الأولياء ٢٥/٥.

- ٣- أبو ذر الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ روى الحديث عن محمد بن حمويه السرخسي، وعنه أبو الوليد الباجي^(١).
- ٤- أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٨هـ أخرج الحديث في كتابه السنن^(٢) وقد مرّ ذكره في الصورة التاسعة.
- ٥- أبو حفص الأشيبي الهوزني ٤٦٠هـ روى الحديث في شرحه.
- ٦- أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف المتوفى سنة ٤٧٤هـ روى الحديث عن أبي ذر الهروي وعنه أبو عليّ بن سكرة كما في الشفاء للقاضي عياض^(٣) وهو صاحب التجريح لرجال الصحيح.
- ٧- أبو الاصبغ الكواكبي المتوفى سنة ٤٨٦هـ روى الحديث في شرحه على الصحيح.
- إلى غير هؤلاء.

القرن السادس:

- ١- أبو عليّ بن سكرة الصدفي الأندلسي المتوفى سنة ٥١٤هـ روى الحديث عن أبي الوليد الباجي وعنه القاضي عياض كما في الشفاء.
- ٢- القاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ أخرج الحديث في كتابه الشفاء^(٤) بروايته عن أبي عليّ بن سكرة.

(١) شرح الشفاء (تسيم الرياض) ٣٧٦/٤.

(٢) السنن الكبرى ٢٠٧/٩.

(٣) الشفاء ١٨٥/٢ حد اسلامبول سنة ١٣٠٤ هـ.

(٤) نفس المصدر ١٨٥/٢ - ١٨٦.

- ٣- أبو عبد الله محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري المرّي -
نسبة إلى المرية. المتوفى سنة ٥٨٢هـ أخرج في كتابه (الجمع بين الصحيحين).
٤- أبو محمد عبد الحقّ الاشيلي المتوفى سنة ٥٨٢هـ صاحب كتاب
(الأحكام الشرعية الكبرى) أخرج في كتابه (الجمع بين الصحيحين).
إلى غير هؤلاء

القرن السابع:

- ١- الحافظ أبو العباس الاشيلي المعروف بابن الرومية المتوفى سنة ٦٣٧هـ
روى الحديث في كتابه المعلم بما رواه البخاري على شرط مسلم.
٢- ابن أبي حجة الأندلسي المالكي سنة ٦٤٢هـ روى الحديث في كتابه
الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم.
٣- الحافظ شرف الدين أبو الحسن عليّ بن تقي الدين اليونيني الحنبلي
المتوفى سنة ٦٥٨هـ فقد روى الحديث ضمن روايته لصحيح البخاري التي
ضبطها وقابل أصله على أصل مسموع على أبي ذر الهروي وعلى الاصيلي وابن
عساكر وأبي الوقت وتمتدّ نسخته من ضبط النسخ^(١).
٤- القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد المالكي المعروف بابن المنير
الاسكندراني المتوفى سنة ٦٨٣هـ روى الحديث في كتابه مناسبات تراجم
البخاري.
إلى غير هؤلاء

(١) أنظر نيل الأمان في توضيح مقدمة القسطلاني للأبياري / ٢٠٧ ط دار الكتب العلمية.

القرن الثامن:

- ١- ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ ذكر الحديث في منهاج السنة^(١)، وسيأتي كلامه في ذلك مع علماء التبرير.
- ٢- شهاب الدين النويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ ذكر الحديث في نهاية الارب كما في الصورة الخامسة.
- ٣- جمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي المتوفى سنة ٧٦٢هـ أخرج الحديث في كتابه وقال: أخرجه البخاري في الجزية، ومسلم في آخر الوصايا كلاهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعَهُ، قَالَ: (إِنِّي أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدِي فَتَنَازَعُوا) وَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهْجَرُ؟ اسْتَفْهَمُوهُ، فَقَالَ: دَعَوْنِي أَوْصِيَكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أَجِيزُهُمْ، قَالَ: وَسَكَتَ عَنِ الثَّلَاثِ))^(٢)، أنتهى.
- ٤- القريشي المعروف بقاضي قرم المتوفى سنة ٧٨٣هـ في شرحه لصحيح البخاري.
- ٥- محمد بن يوسف بن علي الكرماني المتوفى سنة ٧٨٦هـ له الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري وهو مطبوع.
- ٦- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الفرناطي المالكي المتوفى سنة ٧٩٠هـ أخرج الحديث في كتابه^(٣).

(١) منهاج السنة ٢١٥/٦، ٣١٦، محمد رشاد سالم ط مؤسسة قرطبة سنة ١٤٠٦.

(٢) نصب الراية لأحاديث الهداية ٤٥٥/٣ ط المجلس العلمي سنة ١٣٥٧.

(٣) الاعتصام ١٢/٣.

٧- الحافظ علاء الدين مغلطاي الحنفي المتوفى سنة ٧٩٢هـ في شرحه التلويح.

إلى غير هؤلاء.

القرن التاسع:

١- سراج الدين عمر بن عليّ المعروف بابن الملقّن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤هـ في شرحه لصحيح البخاري.

٢- المجد الفيروز أبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ صاحب القاموس في اللغة وله كتاب سفر السعادة وهو كتاب قيم في خاتمه وله مصنّفات عديدة منها (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) كما في التاج المكلّل لهنديق حسن خان^(١).

٣- شمس الدين البرماوي الشافعي المتوفى سنة ٨٢٦هـ في شرحه للامع الصبيح.

٤- محمود بن أحمد الحنفي العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ له عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري وهو كتاب مطبوع متداول.

٥- شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن حجر الشافعي المسقلاني في فتح الباري المتوفى سنة ٨٥٢هـ وهو من خيرة شروح صحيح البخاري في نظري.

٦- شهاب الدين أحمد بن أحمد الشرجي اليمني الحنفي سنة ٨٩٣هـ في كتابه التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح البخاري.

إلى غير هؤلاء.

القرن العاشر:

- ١- جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ في الديناج على صحيح مسلم بن الحجاج^(١).
- ٢- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ في ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري^(٢).
إلى غير هؤلاء.

لماذا الإطالة مع الإسناد؟

لم تكن إطالة البحث عن الإسناد مجرد صيغة أدبية، وترف ولهو يرتاح إليها الباحث في ثبوت الحدّث، بل هي كصمّام أمان يقي الباحث من إصر المسؤولية عن الأمانة التي يحملها، فهو حين يذكر الإسناد برواته ومصادره يلقي - معذوراً - بثقل المسؤولية على الرواة. وهو بقدر ما يبذل من تحقيق في التماس حقيقة الواقع يدفع عنه ذلك الإصر.

لذلك كلما قرب العهد بالحدّث كان العناية أقل، وكانت التبعة أخفّ لقصر الإسناد أولاً، وعدم أو قلة تدخّل الشيع والأهواء في رجاله ثانياً. وتعدد الإسناد كما يكون مدعاة لقوة الإعتماد حيناً ما. كذلك يكون أيضاً مدعاة لزيادة العناية أحياناً كثيرة. لكنه يبقى تعدد الإسناد في الروايات، وتتنوع مصادرها مادة غنيّة للباحث يستجلي من خلاله واقع الحدّث باطمئنان، بشرط أن يكون موضوعياً ودقيقاً في الملاحظة، خصوصاً في مذاهب الرواة وميولهم، ليميز الغثّ من

(١) طبع أخيراً في دار ابن عثان الخبر المصنوية سنة ١٤١٦هـ.

(٢) وهو كتاب مطبوع متداول.

السمين، والثافه من الثمين، وإن استوجب ذلك منه الأناة، بل البطء في المسيرة. حتى يتوصل إلى النتائج المرجوة القريبة من تصوير واقع الحَدَث إن لم تكن هي الواقع بعينه، وعلى ضوء تلك النتائج سيعلم فلسفة كثير من الأحداث التاريخية التي توالى بعد ذلك الحَدَث.

والآن هلم بنا لننظر إلى حديث الرزية كل الرزية، هل يستحق منا أن نقف عنده هكذا طويلاً، ونقرأه ملياً، ونستجلي فيه ما تضمنه الكلمات، دون أسراف في التفسير، أو تحميل اللفظ ما لا يعنيه في التعبير؟ أو نمرّ عليه كحَدَث عابر، حدث في الغابر، ورواه لنا الرواة، وفيه أسراف وفيه مغالاة؟

لا أظن إنساناً واعياً لديه مسكة من دين، وأثارة من علم يرضى بأن تمرّ روايات هذا الحديث كما تمر روايات العاشين، في أقاصيص الأخاني وحكايات ألف ليلة وليلة، وحتى تلكم فقد أوليت من العناية قدر ما تستحق.

وقفة عند الحديث:

لا بد لنا من وقفة عند ذلك الحَدَث والحديث، لأنه كان بداية تحول في تاريخ المسلمين، أسهم صنّاعه في زرع الفتنة والشقاق، فكان بمثابة رأس الحربة في إعلان تمرد من بعض المسلمين على الإسلام ونيته. ولا زالت الأمة تعاني من آثار ذلك التمرد، وتكتوي بناره، وحتى في تمحيص أخباره.

فبدلاً من أن تكون سيرة الرسول ﷺ هي المثلّى يهتدي بها المسلمون، ولهم في سنته قولاً وعملاً وتقريراً خير معين لكن بعضهم وللأسف تغلّب عليهم رواسب جُبلوا عليها، ولم يقووا على التخلي عنها، حتى كانوا يقولون

لرسول بألستهم ما ليس في قلوبهم، كما جاء التنزيل مندداً بهم، ثم طفت تلك الرواسب فصاروا يفصحون عنها حين يلقون إليه بقوارص الكلم.

فبدلاً من «أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١). فإذا هم يردون عليه بوقاحة «وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيَّا بِالسِّيْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَكُوْنُ أَنْهَمُ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ»^(٢).

والآن وقد سبق السيف العذل، فما هو حقيقة موقف أولئك السادة القادة، هل كان ما صدر منهم عفواً؟ أم عن سابق عنادٍ وتديير؟ أم كان حدثاً عابراً فتزيد فيه الرواة؟ أم كان عظيماً فلفه الضباب فلم يستبين منه إلا وجهه الباهت؟ وذلك ما أجرى دموع ابن عباس حتى بل الحصباء.

ولكي نلمس الإجابة الصحيحة على تلك التساؤلات (بنعم، أو لا) لابد من عرض شامل لمواقف فقهاء الحديث عن حديث الرزية، خاصة منهم علماء التبرير، بدقة في الاستقراء، وأناة في الروية للمدارسة، ويمتهى التجرد والموضوعية، وبالتالي نعرف الجواب (بنعم، أو لا) فإن تلك اللفظتين المختصرتين تقتضيان كثيراً من البحث والتفكير قبل الإجابة لتلمس الحقيقة الثابتة التي لا لبس عليها ولا ضار، وعلى ضوءها توزن القيم والأقدار.

فلنقرأ ما قاله العلماء في ذلك الحديث:

(١) النور/٥١.

(٢) النساء/٤٦.

مع علماء القبرير وقراءة بين السطور:

أقضى حديث الرزية مضاجع العلماء بدءاً منذ عهد الرواة، وانتهاءً بأصحاب الصحاح والسنن وسائر المصنفات، وإذا كان ابن عباس قال عنه الرزية كلّ الرزية، فإنّ كلمته تركت العلماء يخوضون كلّ مخاضة في سبيل تبرير ما صدر من بعض الصحابة، الذين جعلوا لهم من الحصانة ما يرفعهم عن الإدانة، فنسج كلّ على نوله بقوله: وأتى بما عنده مكابرةً بخوله وطوله.

ولابدّ لنا من وقفة مع أولئك الذين اشتدوا مكابرة ومصادرة ليعرف القارئ مبلغ جهاد ابن عباس، وهو أشدّ الرواة أمراً، وأكثرهم ذكراً لحديث الرزية، نصرة لرسول الله ﷺ كما ينبغي به أن يعرف من هم أولئك النمط الذين جاهدوه في الطريق المعاكس، فناصروا من عارض النبي ﷺ ولو على حسابه برد أمره في كتابه.

من هم علماء القبرير؟

أنهم كثيرون جداً، ولا يسع المقام استيفاء جميع ما قالوه، لكننا سنختار الواحد والاثنين نماذج من كلّ قرن، بدءاً من القرن الرابع ثمّ القرون التي بعده حتى القرن العاشر. ونترك الباقي وتركاضهم فهم من عاقلتهم، وعلى شاكلتهم، وفي سابلتهم.

فمن القرن الرابع: أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ وهو من ذرية زيد بن الخطاب - فيما يزعمون - وزيد هذا أخ لعمر بن الخطاب رجل المعارضة ولا تخفى حمية النسب في أقواله، له

تصانيف منها اعلام السنن في شرح صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود وكتب أخرى.

ومن القرن الخامس: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ صاحب التصانيف الكثيرة كالمعطي والإحكام والفصل في الممل والنحل، ولسانه الجارح على حد سيف الحجاج كما وصفوه: يقال أن جده يزيد كان من موالي يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي وأيضاً: أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ صاحب السنن الثلاث ودلائل النبوة وغير ذلك.

ومن القرن السادس: محمد بن عليّ بن عمر المالكي المازري المتوفى سنة ٥٣٦ هـ له عدة كتب منها المعلم بفوائد كتاب مسلم. وأيضاً: القاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ مؤلف كتاب الشفاء وغيره.

ومن القرن السابع: ابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث وغيره.

وأيضاً: محي الدين النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٧ هـ صاحب المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج وكتاب الأذكار والأربعين حديثاً وغيرها. ومن القرن الثامن: ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ محبوباً بقلعة دمشق بأمر من علماء وحكام الوقت.

وأيضاً: إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ له كتاب الإحكام والمواقفات والإعتصام.

ومن القرن التاسع: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ له فتح الباري في شرح صحيح البخاري وغيره.
ومن القرن العاشر: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ له إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري وغيره. وأخيراً من القرون المتأخرة نذكر ما قاله الدهلوي واللاهوري ومن المعاصرين العقاد والرئيس.

ماذا قال علماء التبرير؟

أولاً: الخطابي

قال: إنما ذهب عمر إلى أنه لو نصر بما يزيل الخلاف لبطلت فضيلة العلماء وعدم الاجتهاد، حكاة عنه ابن حجر في فتح الباري^(١).
وقال أيضاً: ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أو ظن له غير ذلك مما لا يليق به بحال. لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من الوجع وقرب الوفاة مع ما اعتراه من الكرب، خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه، فتجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدين.
كذا حكاة النووي عنه في شرح صحيح مسلم^(٢)، وحكاة بلفظ آخر وتفاوت يسير في فتح الباري^(٣)، فراجع.

(١) فتح الباري ٢١٩/١ ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٩١/١١ ط مصطفى الحلبي.

(٣) فتح الباري ١٩٨/٩ - ١٩٩.

مع الخطابي:

من المؤسف حقاً تضييع الوقت في رد مزاعمه في الدفاع عن عمه. وما ذكره من الاحتمالات الواهية فهي على عروشها خاوية. فما ذكره أولاً من أن لو نص النبي ﷺ بما يزيل الخلاف يطل فضيلة العلماء ويعدم الاجتهاد، فليته أوضح مراده من فائدة بقاء الخلاف؟ وما قيمة فضيلة العلماء إذا هي لم ترفع الخلاف من بين الأمة؟

وليه استدلال لنا على ترجيح الاجتهاد على النص النبوي؟

ما باله يعتذر برمه وطمه، ويجعل من منعه فضيلة تفوق أمر النبي ﷺ -
الذي لا ينطق عن الهوى - والذي يضمن لأمته عدم الضلالة أبداً. فهل بعد هذا
أعظم فائدة وعائدة؟

ما أدري بماذا يجيب الخطابي وأنصاره عن المسائل الآتية:

١- أليس كتاب النبي ﷺ بما يزيل الخلاف أولى بالأعتبار من عدمه وبقاء
الخلاف بين الأمة يخوضون في الجهالة وحيرة الضلالة؟

ماذا ينتهي الخطابي وابن الخطاب من بقاء فضيلة العلماء؟ أليس فضيلتهم
لهداية الأمة؟ فإذا كان كذلك فكتابه ﷺ يعني وهو أولى بالأتباع فلماذا منع
منه عمر؟

ثم هل كان الخطابي يرى في عمه أنه أعلم من النبي ﷺ بما يصلح الأمة؟
ولا أظن مسلماً يقول بذلك، فالتنبي ﷺ حين أمر بالكتاب هل كان يعلم بذهاب
فضيلة العلماء أولاً؟ والثاني باطل ومستنزم للكفر، وعلى الأول فلا بد من علمه

يرجحان مصلحة الكتابة على فضيلة العلماء دون العكس، لأنه يستلزم أمر النبي ﷺ بالمرجوح وترك الراجح، وهذا ممنوع من النبي لعصمته وتسديده بالوحي وطلبه الأصلح للأمة.

ثم هل كان أمر النبي ﷺ من عند نفسه أو من عند ربه، والأول مدفوع بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، والثاني مسموع لقوله تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا وَخْيَ يُوحَىٰ﴾^(٢)، و﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٣)، و﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾^(٤).

وبعد هذا كله لو سلمنا جدلاً أن الخطابي علم بمراد عمه عمر من منعه كتاب النبي ﷺ لأنه يلغي فضيلة العلماء ويعدم الاجتهاد، فمن أين له أن كتابه ﷺ سوف يشمل جميع الحوادث والأحكام. لأن نص الرسول ﷺ على شيء أو أشياء مخصوصة لا يبطل فضيلة العلماء ولا يعدم الاجتهاد، لأن الحوادث لا يمكن حصرها، فليعدم الاجتهاد فيما نص عليه خاصة، ويبقى لأجتهادهم سائر المجالات الأخرى. وبهذا كان تعقب ابن الجوزي للخطابي فيما حكاه عنه ابن حجر حيث قال: وتعقبه ابن الجوزي: بأنه لو نص على شيء وأشياء لم يبطل الاجتهاد، لأن الحوادث لا يمكن حصرها.

هذا كله فيما ذكره أولاً.

وأما ما ذكره ثانياً:

(١) النجم / ٣.

(٢) النجم / ٤.

(٣) الكهف / ١١٠، فصلت / ٤١.

(٤) الأعراف / ٢٠٣.

١- لماذا لا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط الخ.؟ وقوله هَجَرَ أهجر، يهجر إلى غير ذلك من ألفاظ الهجر التي فاه بها عمر، كلها أو بعضها تدل على أن مراده ذلك.

٢- وما المراد من قوله: ((لَمَّا رَأَى مَا غَلَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ))؟ فهل مراده أن الوجع غلب عليه حتى سلبه اختياره - والعياذ بالله - فإن كان ذلك فهذا ما فرّ منه واعتذر عنه لكنه وقع فيه. وإن أراد غلبته على جسمه كاصفراره ونحو ذلك ممّا يورثه المرض في بدن صاحبه، فليس في ذلك شيء يخشى منه ممّا خاف منه الخطابي وعمه. وليس ذلك بمانع من إجراء أيّ حكم من الأحكام، والذي يبدو لي أن مراد الخطابي هو الأوّل وشاهد ذلك قوله: ((خاف أن يكون ذلك القول ممّا يقوله المريض ممّا لا عزيمة له فيه)) وهل معنى (ما لا عزيمة له فيه) سوى الهجر والهذيان ويعني صدور ما لم يرد فعله ويعزم عليه. هذا هو المعنى الحرفي والعرفي للعزيمة، وهو نفس المعنى اللغوي الذي يعني لم تكن له الإرادة المؤكدة المتقدمة لتوطين النفس على ما يرى فعله أو المجد في الأمر. وهذا الوجه يدفعه ظاهر الأمر في الإلزام، وما أمره باحضار الدواة والكتف إلا كسائر أوامره الوجوبية، خصوصاً بعد بيان النفع المترتب عليه، وهو عصمة الأمة من الضلالة إلى الأبد.

٣- ما معنى قوله: ((فيجد المنافقون بذلك سيلاً ... الخ)) إذ ليس الموجب لكلام المنافقين هو قرب الوفاة منه ﷺ ولا ما أعتراه من الكرب كما يقول الخطابي، بل إن حال المنافقين كانت معلومة لديه أيام حياته، ومعرفته بالكثير منهم وقد نزل القرآن في التحذير منهم. وقد آذوه يوم رجع من غزوة تبوك

فآذوه في نفسه وآذوه في أهله، وتقاعدوا عنه، وتقاعدوا متخاذلين ومخذلين كلما أراد الغزو. فهل كان يومئذ قرب وفاة؟ وهل كان مرض؟ أو هل كان اهتراه كرب؟

٤- ولو سلمنا أن المناققين كانوا يجدون سيلاً، فمن أين للخطابي وأضرابه إثبات علم عمر بذلك، وإذا قالوا أدركه بفطنته فقي بقية الصحابة الحاضرين يومئذ من فاقه فطنة وعلماً وحكماً وفهماً، لماذا يدرك أولئك ما أدركه عمر؟ فإن هم سكتوا لعلمهم أنه ليس لهم حق الاعتراض فكان على عمر مثل ذلك.

٥- ثم يا ترى ما هو موقف الخطابي من اعتراف عمر بمراده، وهو يدفع ما قاله هو وغيره من علماء التبرير فانتظر، وسنوافيك به، حينئذٍ ستجده يعترف بأن النبي ﷺ إنما أراد علياً للأمر فمنعه هو من ذلك.

ثانياً: ابن حزم الظاهري

ذكر ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام في جملة كلامه في إبطال القياس في أحكام الدين قارب في بعضه وسدد، وشدّ في بعضه وأبعد، ومهما يكن فقد ذكر حديث الرزية وعقبه بقوله: «هذه زلة العالم التي حذر منها الناس قديماً، وقد كان في سابق علم الله تعالى أن يكون بيننا الاختلاف، وتفضل طائفة وتهتدي بهدي الله أخرى، فلذلك نطق عمر ومن وافقه بما نطقوا به، مما كان سبباً إلى حرمان الخير بالكتاب الذي لو كتبه لم يُفضل بعده. ولم يزل أمر هذا الحديث مهماً لنا، وشجياً في نفوسنا، وغصة نتألم لها وكنا على يقين من أن الله تعالى لا يدع الكتاب الذي أراد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتبه فلن

يفضل من بعده دون بيان، فيحيا - كذا - من حي عن يئنه، إلى أن من الله تعالى بأن أوجدناه فأنجلت الكربة، والله المحمود.

وهو ما حدثناه عبد الله بن يوسف ثنا أحمد بن فضح ثنا عبد الوهاب بن عيسى ثنا أحمد بن محمد ثنا أحمد بن علي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبيد الله بن سعيد ثنا يزيد بن هرون ثنا إبراهيم بن سعد ثنا صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه: ادعي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر».

قال أبو محمد - هو ابن حزم - هكذا في كتابي عن عبد الله بن يوسف، وفي أم أخرى (ويأبى الله والمؤمنون).

وهكذا حدثناه عبد الله بن ربيع ثنا محمد بن معاوية ثنا أحمد بن شعيب ثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلام الطرطوسي ثنا يزيد بن هارون - إلى آخر السند المتقدم - بمثله وفيه: «إن ذلك كان في اليوم الذي بدئ فيه ﷺ بوجعه الذي مات فيه» بأبي هو وأمي.

قال أبو محمد - هو ابن حزم - فعلمنا أن الكتاب المراد يوم الخميس قبل موته صلى الله عليه وآله وسلم بأربعة أيام - كما روينا عن ابن عباس يوم قال عمر ما ذكرنا - إنما كان في معنى الكتاب الذي أراد ﷺ أن يكتبه في أول مرضه قبل يوم الخميس المذكور بسبع ليال، لأنه ﷺ ابتداء وجعه يوم الخميس في بيت ميمونة أم المؤمنين، وأراد الكتاب الذي قال فيه عمر ما قال يوم الخميس بعد أن اشتد به المرض، ومات ﷺ يوم الاثنين، وكانت مدة

عنه صلى الله عليه (وآله) وسلم اثني عشر يوماً، فصح أن ذلك الكتاب كان في
استخلاف أبي بكر لثلاثين يوماً في الأمة بعده عليه السلام.

فإن ذكر ذاكر معنى ما روي عن عائشة إذ سئلت من كان رسول الله
مستخلفاً لو استخلف؟ فإنما معناه: لو كتب الكتاب في ذلك^(١).

أقول: إلى هنا انتهت الحاجة من نقل كلامه الطويل العريض الذي نفي
فيه تقديم أبي بكر للخلافة قياساً على تقديمه للصلاة - كما يروي القياسيون -
وقالوا به. حتى قال: فيأبى الله ذلك، وما قاله أحد قط يومئذ، وإنما تشبث بهذا
القول الساقط المتأخرون من أصحاب القياس، الذين لا يزالون بما نصرروا به
أقوالهم، مع أنه أيضاً في القياس فاسد - لو كان القياس حقاً - لما بينا قبل،
ولأن الخلافة ليست علتها علة الصلاة، لأن الصلاة جاز أن يليها العربي
والمولى والعبد والذي لا يحسن سياسة الجيوش والأموال والأحكام والسير
الفاصلة.

وأما الخلافة فلا يجوز أن يتولاها إلا قرشي صلبيّة عالم بالسياسة
ووجهها، وإن لم يكن محكماً للقراءة (٢) وإنما الصلاة تبع للإمامة، وليست
الإمامة تبعاً للصلاة فكيف يجوز عند أحد من أصحاب القياس أن تقاس
الإمامة التي هي أصل على الصلاة التي هي فرع من فروع الإمامة؟ هذا ما لا
يجوز عند أحد من القائلين بالقياس.

وسياتي عن ابن حزم أيضاً مثل ما تقدم من الكلام، وهناك يحاول اثباته
بالقسم والأيمان وهذا من الطرافة بمكان.

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١٢٢/٧ ط السعادة بمصر.

وقفة مع ابن حزم:

من المضحك - وشر البلية ما يضحك - أن يكون مثل ابن حزم المتحرر من كثير الرواسب المقيتة عند قومه، وهو يعنى عليهم التقليد، ويعترف صريحاً بما هو الصحيح في أن قول عمر إنما هو زلة العالم التي حُدِّر الناس منها قديماً، ثم هو يكبو كهوة يقع فيها لوجهه حين يحسب أنه زالت عنه دياجي الظلماء أن كشف له الغطاء بوجدانه حديث عائشة المزعوم، ولقد أغرب كثيراً حين زعم أن ذلك نص على خلافة أبي بكر، فقد قال في كتابه **الفصل**: «فهذا نص جلّي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده»^(١). وكأنه نسي أو تناسى بأن أبا بكر وقومه، ومن أتى بعده كلهم لم يقولوا بالنص في أمر الخلافة، وإنما قالوا بالاختيار، وما دعاهم إلى ذلك إلا الإضطرار، حيث لا نص ثابت عندهم.

وربما يفاجأ القارئ إذا وجد ابن حزم في كتابه جوامع السيرة يدين عملية المنع من إحضار الدواة والكتف فيقول: «فلما كان يوم الخميس - قبل موته ﷺ بأربع ليالٍ - اجتمع عنده جمع من الصحابة فقال ﷺ: (أتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي)، فقال عمر بن الخطاب ﷺ كلمة أراد بها الخير، فكانت سبباً لإمتناعه من ذلك الكتاب فقال: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندنا كتاب الله، وحسينا كتاب الله. وساعده قوم حتى قالوا: أهدر رسول الله ﷺ، وقال آخرون: أجيئوا بالكتف والدواة يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لا تضلون بعده، فساء ذلك رسول الله ﷺ وأمرهم بالخروج من عنده؟ فالرزية كل الرزية ما حال بينه وبين ذلك الكتاب، إلا أنه لا شك لو كان من

واجبات الدين ولوازم الشريعة لم يشته عنه كلام عمر ولا غيره ... ا هـ). هذا ما ذكره ابن حزم في جوامع السيرة^(١)، ومرّ عنه ما ذكره في كتابيه الأحكام والفصل فبأيهما يأخذ القارئ؟ وأيها هو الصحيح؟ وهل ذلك منه إلا استفقال لعقول الناس؟! فالحديث الذي زعم أنه وجده فانتجبت به الكربة فكأنه عمي أو تعامى أن الحديث صورة ممسوخة لحديث الرزية، وليته كان كحديث الرزية في تظافر نقله لتكافأ الكفتان، وينظر عند التعارض لأيهما الرجحان، وليختر هو معنى ذلك المزعوم، ثم كيف يخفى هذا على من سبقه ممن خرّج الحديثين مثل مسلم وغيره؟ وسيأتي الكلام في ذلك مفصلاً عند حديثنا عن عملية التزوير والمسخ، وسيقف القارئ على قول ابن أبي الحديد المعتزلي وضعوه - البكرية - في مقابلة الحديث المروي عنه عليه السلام في مرضه: (إتوني بدواة وياض أكتب لكم ما لا تفلون بعده أبداً)، فاختلفوا عنده وقال قوم منهم: لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله، وسيعود ابن حزم مرة أخرى إلى الحديث المزعوم يحاول اثباته بالأيمان؟

ويكفي في تزيفه أنه لم يظهر يوم السقيفة حين كان أبو بكر أخرج إليه من كل ما احتج به، فأين كانت عائشة عن رواية ذلك؟ ولماذا لم تناصر أباهما به في أخرج وقت كان محتاجاً لنصرتها بمثله؟

مضافاً إلى ما سيأتي من كشف حال رجاله فانتظر.

ثالثاً: البيهقي

في أواخر كتابه دلائل النبوة بعد ذكره لحديث الرزية بأساتيده إلى عليّ ابن المديني والحسن بن محمد الزعفراني عن سفيان بن عيينة عن سليمان عن

سعيد بن جبير قال قال ابن عباس: ((يوم الخميس وذكر الحديث إلى قوله وسكت عن الثالثة أو قالها فنسيتها)) ثم قال البيهقي: هذا لفظ حديث علي بن المديني وهو أتم، زاد علي قال سفيان: إنما زعموا أراد أن يكتب فيها استخلاف أبي بكر. ثم قال البيهقي رواه البخاري ومسلم في الصحيح^(١) ... ثم ذكر الحديث بسند آخر وصورة ثانية وفيه قال - ابن عباس - : ((لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم لن تضلوا بعده أبداً) فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرئوا يكتب لكم رسول الله ومنهم يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: (قوموا).

قال عبد الله فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم)). ثم ذكر رواية البخاري له في الصحيح عن علي بن المديني وغيره. ورواية مسلم عن محمد بن رافع وغيره عن عبد الرزاق. ثم قال: وإنما قصد عمر بن الخطاب بما قال التخفيف على رسول الله ﷺ حين رآه قد غلب عليه الوجع، ولو كان ما يريد النبي ﷺ أن يكتب لهم شيئاً مفروضاً لا يستغنون عنه لم يتركهم لاختلافهم ولغظهم لقوله تعالى: ﴿تَلْعَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾^(٢) كما لم يترك تبليغ غيره بمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وإنما أراد ما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أن يكتب استخلاف أبي بكر ثم ترك

(١) دلائل النبوة ١٨١/٧ - ١٨٢ ط بيروت بتحقيق د عبد المعطي قلعجي.

(٢) المائدة / ٦٧.

كتبته اعتماداً على ما علم من تقدير الله تعالى ذلك، كما همّ به في ابتداء مرضه حين قال: وارساه، ثمّ بدا له أن لا يكتب وقال: يابى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، ثمّ تبّه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها... إلى آخر ما قال^(١)، وكله من الدفع بالصدر.

وقد روى نفسه في سننه الكبرى في كتابة العلم في الصحف، حديث جابر: ((إن رسول الله ﷺ دعا بصحيفة في مرضه ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلون بعده ولا يضلون، وكان في البيت لقط وتكلم عمر فتركه))^(٢). وهذا الذي رواه بتر من آخره ما يدين عمر، ثمّ ذكر بعده في كتابة العلم في الألواح والأكتاف بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((يوم الخميس وما يوم الخميس قال رسول الله ﷺ: (إئتوني باللوح والدواة والكف والدواة لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً) قالوا: رسول الله ﷺ يهجر))^(٣).

مع البيهقي في دعاواه:

وتتلخص دعاواه في الأمور التالية:

- ١- زعمه أن حديث علي بن المديني أتم لأنه زاد قول سفيان إنما زعموا أراد أن يكتب فيها استخلاف أبي بكر.
- ٢- زعمه أن قصد عمر هو التخفيف على رسول الله ﷺ فقال الذي قال.
- ٣- زعمه أن النبي ﷺ أراد أن يكتب لهم ما هم مستغنون عنه.

(١) دلائل النبوة ٧ / ١٨٣ .

(٢) السنن الكبرى ٤٣٥/٣ مط بيروت سنة ١٤١١هـ .

(٣) نفس المصدر.

٤- زعمه بل كذبه على سفيان في حكايته قوله.
٥- زعمه تنبيه النبي ﷺ لأُمَّته على خلافة أبي بكر استخلافه إياه في الصلاة.

أما زعمه الأول أن حديث علي بن المديني أتم وقال: زاد علي قال سفيان: إنما زعموا... الخ فهذا كذب وهراء ومحض افتراء، فحديث سفيان لقد رواه عنه خمسة عشر إنساناً كما مرّ في الصورة التاسعة، وكلهم من الحفاظ وأئمة الحديث، وكان علي بن المديني واحداً منهم. وحديثه لم يقتصر على رواية البيهقي بأسانيد فقط، بل رواه عنه البخاري أيضاً وليس فيه هذه الزيادة^(١)، كما لم ترد في أحاديث الرواة الآخرين عن سفيان فمن أين ألصق البيهقي بأبن المديني هذه الزيادة؟

وأما زعمه الثاني أن عمر قصد التخفيف على رسول الله ﷺ، فينتفيه ما سيأتي عن عمر نفسه من بيان قصده في منعه، ولو سلمنا جدلاً، فهل أن عمر كان أبصر بنفس النبي ﷺ منه بنفسه؟

وأما زعمه الثالث أن النبي ﷺ أراد أن يكتب لأُمَّته ما هم مستغنون، مدفوع للحكمة التي بينها النبي ﷺ في كتابة ذلك الكتاب وهي قوله ﷺ: (لن تضلوا بعده أبداً) فإن ذلك يدل على احتياجهم إلى عاصم يعصمهم من الضلالة إلى الأبد، وليس من تأمين على السلامة والصيانة لهم غير كتابة ذلك.

ولو سلمنا جدلاً - ولا نسلم - صواب قول البيهقي أراد أن يكتب لهم ما هم مستغنون عنه، فيلزم منه أن ينسب القائل بذلك إلى مقام الرسالة ما لا

(١) انظر صحيح البخاري ٦/ ٩٠.

يليق بها من العبث، حيث أن ذلك الكتاب لا يزيدهم فائدة ولا يعود عليهم بعائدة، وهو منافٍ للعصمة عند من يقول بها، ومنافٍ للحكمة عند من لا يقول بها.

وأما ما استدل به على مقاله فهو مردود بعد أن انتفتت الفائدة المتوخاة والتي كان يعلمها ﷺ، حيث فتح عمر باباً واسعاً للطعن فيما يكتبه، ويدل على ذلك ما جاء في بعض صور الحديث مما رواه ابن سعد وغيره وفيه: فقال بعض من كان عنده إن نبي الله ليهجر قال فقيل له ألا تأتيك بما طلبت؟ قال: أو بعد ماذا؟ قال: فلم يدع به^(١).

وأما زعمه الرابع أن سفيان حكى عن أهل العلم قبله. فهذا كذب على سفيان، وما روي عن سفيان على اختلاف صور نسخه الخمس عشرة حسب عدد الرواة عنه فلم يأت في واحدة منها أن سفيان حكى ذلك عن أهل العلم قبله. وإنما الوحيد الذي روى ذلك عنه فيما أعلم - هو البيهقي - ومهما يكن فإن الذي حاول إثباته من الكتابة باستخلاف أبي بكر فقد مرّ الجواب عنه في رد ابن حزم فراجع.

وأما زعمه الخامس أن النبي ﷺ تبه أمته على خلافة أبي بكر باستخلافه إياه في الصلاة فيكفي في دحض ما زعمه ما قاله ابن حزم في كتابه الأحكام آنفاً - وقد مرّ نقل ذلك عنه قبل هذا فراجع - مضافاً إلى قوله: واحتجوا باجماع الأمة على تقديم أبي بكر إلى الخلافة، وإن ذلك قياس على تقديم النبي ﷺ له إلى الصلاة ... وهذا من الباطل الذي لا يحل، ولو لم يكن في تقديم أبي بكر حجة إلا أن رسول الله ﷺ قدمه إلى الصلاة لما كان أبو بكر أولى بالخلافة من عليّ. لأن رسول الله ﷺ قد استخلف

(١) انظر الصورة الحادية عشرة من صور الحديث.

علياً على المدينة في غزوة تبوك وهي آخر غزواته ﷺ قياس الاختلاف على الاختلاف اللذين يدخل فيهما الصلاة والأحكام أولى من قياس الأستخلاف على الصلاة وحدها... إلى آخر ما ذكره من مناقشة^(١).

رابعاً: المازري

قال: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك، لأن الأوامر قد يقارنهما ما ينقلها من الوجوب، فكانه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الإختيار، فاختلف اجتهادهم، وصمم عمر على الإمتناع لما قام عنده من القرائن بأنه صلى الله عليه (وآله) وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم، فظهر ذلك لعمر دون غيره.

هكذا حكاه النووي في شرح صحيح مسلم، وابن حجر في فتح الباري، والقسطلاني في المواهب اللدنية، والبدر العيني في عمدة القارئ^(٢)، وغيرهم.

مع المازري:

يتلخص إعتدار المازري في النقاط التالية:

- ١- اختلاف الصحابة في امتثال أمر النبي ﷺ إنما كان لأن الأمر ليس على التحتم بل على الإختيار.
- ٢- تصميم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم.

(١) أنظر كتابه الإحكام ١١٩/٢ - ١٢٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩١/١١، فتح الباري ١٩٨/٩، المواهب اللدنية ٣٧/٢، عمدة القارئ

٣- ظهور ذلك لعمر دون غيره؟

وبين النقطة الأولى والنقطة الثالثة نحو تضاد، إذ أن عمر هو الذي ظهر له أن الأمر عن غير قصد جازم، وهذا مختص به دون غيره كما يزعم المازري، ويعني ذلك أنه خفي على الآخرين، وإذا كانوا كذلك فما بالهم يختلفون في امتثال الأمر ما دام لم يظهر لهم ما ظهر لعمر دون غيره، ثم إن قول المازري: ((عن غير قصد جازم)) يعني ترك الباب مفتوحاً أمام الصحابة فمن شاء أن يمثل امتثال ومن شاء تخلف، لأن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار وهذا ما أكده بقوله: ((عن غير قصد جازم)) والآن لنا أن نسأله.

١- ما معنى بيانه ﷺ لمصلحة الحكم الشرعي من أمره بقوله: (لا تفلون بعدي أبداً). فلو كان على سبيل الاختيار فمن شاء فعل ومن شاء ترك، لما ترتب أمر العصمة من الضلالة لهم جميعاً، بل كان يختص ذلك بمن امتثل ويحرم منه من خالف، ولما كان الخطاب للجميع فلا بد أنه ﷺ توخى هداية الجميع وبذلك تتم فائدة العصمة من الضلالة والأفلا.

٢- ما معنى قوله ﷺ في آخر الحديث: (قوموا عني)، وذلك يعني طردهم عنه ولو كان أمره الأول عن غير قصد جازم وليس على التحتم، بل على الاختيار لما كان لطردهم عنه معنى، وإن تتلع متلع فقال: ((إن طردهم عنه إنما كان بعد تنازعهم ولخطهم فتأذى بذلك فقال: (قوموا عني))). وهذا لا يدل على الوجوب في الامتثال. هنا نقول له إن ذلك النزاع هو وحده كاف في الدلالة على لزوم الأمر، وإلا لو كان الأمر اختيارياً لما حدث النزاع ولما استلزم الطرد.

٣- ما معنى قول عمر: «حسبنا كتاب الله»؟ أليس يدل على فهمه أمر النبي ﷺ أنه كان للوجوب فأراد دفع من يقوم بالامتثال عنه، وإسقاط حجة قول النبي ﷺ بالكلية. ولو لم يكن فهم لزوم الأمتثال لما احتاج إلى قوله: «حسبنا كتاب الله».

٤- ما معنى بكاء حبر الأمة عبد الله بن عباس ؓ وقوله: «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب»؟ أليس يدل ذلك على فوات أمر عظيم وخطير، وله أثر كبير في حياة الأمة فاستدعى فواته ذلك البكاء حتى يبيل دمه الحصى. ولو كان الفاتت أمراً اختيارياً لما لزم ذلك البكاء؟ ولما لزم التعبير عنه بـ (الرزية كل الرزية) ولعيب عليه ذلك التوجع والتفجع، فكم هناك من أمور مندوبة وأحكام مستحبة تركها الناس في أيامه، بل وحتى تغيير بعض الفرائض فلم يمنعها ولم يذكر عنه أنه بكى لها، ولم ينقل التاريخ عنه أنه عبر عن فوت واجب آخر بأنه رزية فضلاً عن المندوب.

٥- وأخيراً من أين للمازري اثبات فهم عمر دون غيره بأن أمر النبي ﷺ كان عن غير قصد جازم، وهذا لا يعلم إلا من قبل عمر نفسه، ولم يرد عنه في ذلك شيء.

ثم إن ما ذهب إليه المازري لم يتأبه عليه أحد يعتد به - فيما أعلم - إلا رجل واحد من المتأخرين هو السيد عبد الرحيم الطهطاوي^(١).

أما باقي أعلام قومه كالقاضي عياض والقرطبي وابن حجر وغيرهم فقد ذهبوا إلى عكس ما قاله المازري وقالوا بأن عمر فهم الوجوب، وإنما

(١) أنظر كتابه هداية الباري ٨/١.

قال الذي قاله إنكاراً على من تخلف عن الإمتثال، وستأتي مقالاتهم التافهة وما أسسوه من مقدمات لتناجهم المردودة وقياساتهم الباطلة ..

خامساً: القاضي عياض

قال: في كتاب الشفاء: فصل: فإن قلت قد تقررت عصيته صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خُلفٌ ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جدٌ ولا مزح ولا رضى ولا غضب، ولكن ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وآله وسلم ...

ثم ذكر حديث الكنف والدواة بسنده إلى قوله: فقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجع ... الحديث.

ثم قال: وفي رواية: (إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً) فتنازعوا فقالوا: ماله أهجر استفهموه فقال: (دعوني فإن الذي أنا فيه خير). وفي بعض طرقه: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يهجر.

وفي رواية هجر، ويروى: أهجراً. وفيه فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اشتد به الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، وكثر اللغظ فقال: (قوموا عني).

وفي رواية: واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرئوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً، ومنهم من يقول ما قال عمر.

قال أئمتنا: في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة الوجع وغشي ونحوه مما يطرأ

على جسمه، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يظن في معجزته، ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان واختلال كلام.

وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هَجَرَ إِذْ مَعْنَاهُ هَذِي يُقَالُ هَجَرَ هَجْرًا إِذَا هَذَى وَأَهْجَرَ هَجْرًا إِذَا أَفْحَشَ وَأَهْجَرَ تَعْدِيَةً هَجْرًا، وإنما الأصح والأولى أَهْجَرَ عَلَى طَرِيقِ الْأَنْكَارِ عَلَى مَنْ قَالَ لَا يَكْتَبُ، وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم، وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة، وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذا الطريق، وكذا روينا عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره، وقد تحمل عليه رواية من رواه هَجَرَ عَلَى حَذْفِ أَلْفِ الْأَسْتِغْهَامِ، والتقدير أهجر، أو أن يحمل قول القائل هَجْرًا أو أَهْجَرَ دَهْشَةً مَنْ قَاتَلَ ذَلِكَ وَحِيرَةً لِعَظِيمِ مَا شَاهَدَا مِنْ حَالِ الرَّسُولِ ﷺ وَشِدَّةِ وَجْهِهِ وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أُخْطِفَ فِيهِ عَلَيْهِ، والأمر الذي همّ بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع، لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر، كما حملهم الشفاق على حراسته والله يقول: ﴿وَاللَّهُ يَنْصِبُكَ مِنْ النَّاسِ﴾^(١) ونحو هذا، وأما على رواية أهجرًا وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعاً إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وآله وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه هجراً ومنكراً من القول، والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق.

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم صلى الله عليه (وآله) وسلم أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم: أوامر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم يفهم أيجابها من نديها من اباحتها بقرائن ففعل قد ظهر من قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة، بل أمر رده إلى اختيارهم، وبعضهم لم يفهم ذلك فقال: أستفهموه، فلما اختلفوا كفّ عنه إذ لم يكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر.

ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما أشفاقاً على النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم من تكليفه في تلك الحال إملأ الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أشد به الوجع.

وقيل: خشي عمر أن يكتب أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرقق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب، فيكون المصيب والمخطيء مأجوراً.

وقد علم عمر تفرّر الشرع وتأسيس الملة وان الله تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١) وقوله صلى الله عليه (وآله) وسلم: (أوصيكم بكتاب الله وعترتي). وقول عمر: حسبنا كتاب الله، ردّ على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم.

وقد قيل: إن عمر خشي تطرّق المنافقين ومَن في قلبه مرض ما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل، كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك.

وقيل: إنه كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه. وقالت طائفة أخرى: إن معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مجيئاً في هذا الكتاب لما طلب منه، لا أنه ابتداء بالأمر، بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها. واستدل في هذه القصة بقول العباس لعلي: انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه، وكراهة علي هذا، وقوله: والله لا أفعل... الحديث.

واستدل بقوله: (دعوني فإن الذي أنا فيه). أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم، وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك^(١).

أقول: هذا كل ما ذكره في هذا الفصل من كتابه الشفاء وليس فيه من النافع إلا شفى - القليل - إذ هو إما تكرار للسابقين أو تليق المتخرمين. ولا بد لنا من محاسبته على بعض ما ذكره مما لم يسبق إليه من وجوه الاحتمالات والتمحلات وإنما نقلناه بطوله لأن جماعة ممن على شاكلته تبعه على رأيه فإنهم بين من نقل جميع كلامه كما صنع النويري في نهاية الإرب^(٢)، ومنهم من لخصه كالقرطبي ولخص من تلخيصه ابن حجر في فتح الباري^(٣) كما سيأتي تلخيصه.

(١) أنظر الشفاء ١٨٥/٢. ١٨٦. ط اسلامبول سنة ١٣٠٤هـ.

(٢) نهاية الإرب ٣٧٣/١٨. ٣٧٨.

(٣) أنظر فتح الباري الجزء التاسع.

مع القاضي عياض:

لقد كانت غاية محاولة القاضي هي تبرير ما صدر من عمر بن الخطاب في ذلك اليوم التيس، يوم الخميس، ولكنها محاولة بائسة وبائسة. فهو استعرض: أولاً: تحقيق الصيغة اللفظية التي كانت سبب الاختلاف، ثم التشكيك في تعيين قائلها وذلك من خلال ما ذكره من سياق الروايات المختلفة. حتى أنهاها إلى ثماني روايات كما يلي:

- ١- فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع.
- ٢- وفي رواية: فتنازعوا فقالوا ما له أهدج أسضهموه.
- ٣- وفي بعض طرقه: أن النبي ﷺ يهجرُ - (بفتحتين هكذا في النسخة المخرية المطبوعة باسلامبول سنة ١٣٠٤ هـ) - .
- ٤- وفي رواية: هجر.
- ٥- ويروى: أهدج.
- ٦- ويروى: أهدجاً.
- ٧- وفيه فقال عمر: أن النبي ﷺ قد أشد به الوجع وعندنا كتاب الله حسينا وكثر اللغط.

- ٨- وفي رواية: واختلف أهل البيت وأخصموا فمنهم من يقول قرأوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً، ومنهم من يقول ما قال عمر.
- أقول: وهذه الروايات التي أشار إليها ترك القارئ في حيرة من أمر القاضي، وكأنه يحاول التعميم على الحقيقة، فيعرض لها دون بيان الصحيح منها، فهو يترك القارئ في دروب من المتاهات.

لكن الباحث الواعي لا يعدم الرواية الصحيحة بينها، وأنها هي الثالثة التي ورد فيها: «إن النبي يهجر» وما تحريكه لها بفتحتين إلا نحو من التعميم المتعمد، لأن الصحيح «يَهْجُر» فانها من باب (نصر ينصر) وتحريكها بفتحتين يخرجها عن المعنى الأصلي للكلمة، وانحراف بمسارها الصحيح، وذلك إن القراءة بفتحتين تكون بمعنى هجرك الشيء، أي تركه كما نصت على ذلك بعض قواميس اللغة. ولكن ذلك لم يعجب الملا علي القاري شارح كتاب القاضي المذكور فقال في المقام: «يَهْجُر» بكسر الجيم مع فتح أوله بتقدير استفهام إنكار (١).

وهذا من غرائب الأعراب في مسائل الإعراب، وإنما حدث بعد زمان الحديث والحدث، تبريراً لمواقف المعارضة عند الحساب.

أما الذي قلناه أنه الصحيح وهي الرواية الثالثة فقد ذكرها القاري وقال هو الموجود في مستخرج الإسماعيلي من طريق ابن خلاد عن سفيان. كما ذكرها غيره^(١) وسيأتي مزيد بيان عن ذلك في محله إن شاء الله.

ثانياً: استعرض ما قاله أئمته في الحديث. ولا يعيننا معرفة أئمته بأعيانهم سواء كانوا هم المالكية، أو الأشعرية، أو أهل السنة والجماعة كما ذكرهم شارح كتابه الملا علي القارئ الحنفي.

والذي يعيننا أن نعرف ماذا قالوا؟ لم يأتوا بشيء جديد، ولم يخرجوا عن إطار التبرير وإن باؤا بإثم التزوير. فكل ما مخض سقاؤهم أن الروايات المختلفة الآتفة الذكر يجب تخريجها على نحو الإستفهام الإنكاري، ولم

(١) جاء في سر العالمين للفضالي / ٩ ط بومبي الهند علي الحجر سنة ١٣١٤، ((إن الرجل يهجر)).

يخرج عن تلك الروايات، إلا الرواية الثالثة التي لم يذكر لهم فيها رأياً ولم يعلق عليها هو بشيء، لكنّ شارح كتابه لم تفته المشاركة في الحلبة، فحشرها مع سابقها ولاحقها فعلق عليها بقوله: بتقدير إستفهام انكار..

ثالثاً: ذكر اختلاف العلماء في معنى الحديث، فذكر أربعة آراء كلّها تدور في فلك التبرير:

أولها: إن الأوامر إذا اقترنت بقرينة تخرجها من الوجوب إلى الندب والإباحة، فلعلمه ظهر من قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا منه أنه لم يكن عزمة، وبعضهم لم يفهم ذلك فقال: استنهموه، فلما أخطفوا كفّ عنه إذ لم يكن عزمة، ولما رأوه من صواب رأي عمر.

وهؤلاء قالوا عن امتناع عمر إنا اشفاقاً عليه ﷺ، وإنا خشي أن يكتب أموراً يعجزون عنها فيحسون بالحرص في المخالفة، فرأى الأرقق بالأمّة سعة الاجتهاد الخ.

ثانيها: أن عمر خشي تطرق المنافقين إلى أن يقولوا فيما كتب في ذلك الكتاب في الخطوة (٩) وأن يقولوا الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك.

ثالثها: إن النبي ﷺ إنما قال لهم ذلك عن طريق المشورة والاختبار ليراهم هل يتفقون أم يختلفون، فلما أخطفوا تركه.

رابعها: إن النبي ﷺ كان مجيئاً لما طلب منه ولم يكن ذلك منه ابتداء، فأجاب رغبة الطالب، وكره غيره ذلك للعلل التي ذكرها في الرأيين الأول والثاني.

وفي كلّ هذه الآراء مواقع للنظر نذكر بعضها:

أما الأول وهو احتمال وجود قرينة في المقام عرفها بعضهم ولم يعرفها آخرون، فهو من واهي الاحتمالات وقد مرّ مثله والجواب عنه فراجع ما مرّ عن المازري وقيل ذلك ما قلناه مع الخطابي.

وأما الثاني وهو إمّا احتمالاً أن يكون عمر أشفق على النبي ﷺ فمنع من أمثال أمره، فهذا من قبيل المثل (اكوس عريض اللحية) فكيف يكون مشفقاً عليه وهو يعلن ردّ أمره ويشغب عليه؟ وأين منه الشفقة وقد سمّاه رسول الله ﷺ مكلباً. كما في حديث ابن عمر الذي أخرجه الدارقطني في سننه قال: «خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسار ليلاً فمرّوا على رجل جالس عند مقرة له^(١) فقال عمر: يا صاحب المقرة أولغت السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له النبي ﷺ: (يا صاحب المقرة لا تخبره هذا مكلب، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور)... اهـ»^(٢).

أقول: والمكلب - بكسر اللام - معلم الكلاب للصيد، وفتحها المقيد ولما كان معروفاً بالغلظة والشدّة، وإذا لاحاه بعض أهله أصطلم أذنه شبهه النبي ﷺ بالمكلب معلم الكلاب، إذ لا يكون معلّمها إلا من هو أكلب منها لتخافه، فمن كان كذلك أين منه الشفقة المزعومة؟

وأما احتمال خشية تطرق المنافقين فيجدوا سبيلاً إلى الطعن فيما لو كتب ﷺ فهذا مرّ عن الخطابي ومرّ الجواب عنه. وأمّا تمثيله لتطرق المنافقين بادعاء الراضة الوصية، فليس ادّعاؤهم من دون دعوى الهكزية أنه ﷺ أراد أن يكتب لأبي بكر بالخلافة، بل ادّعاؤهم كان هو الحقّ الذي لا مرية فيه، لأنّه قد

(١) المقرة: كل ما اجتمع الماء فيه . القاموس.

(٢) سنن الدارقطني ١/٣٦٠.

اعترف بصحة دعوهم عمر بن الخطاب حين قال لابن عباس أراده رسول الله ﷺ للأمر فمنعته من ذلك.

وأما الثالث وهو الجديد - فيما أعلم - إذ لم يأت في زبر الأولين، وهو إن النبي ﷺ قال لهم على طريق المشورة والاختبار، هل يتفقون فيكتب لهم، أو يختلفون فيتركه، فلما اختلفوا تركه.

وصاحب هذا الرأي الفطير من القباء بمكان، إذ تخيل أن النبي ﷺ وهو في أخريات أيامه بعد لم يعرف أصحابه معرفة تامة، وهو الذي عايشهم طيلة ثلاثاً وعشرين سنة فلم يعرفهم وما كان عليه بعضهم من المخالفة له، وكان تلك التجارب التي مرت عليه في اختلافهم عند المشورة لم تترك في نفسه أثراً يذكر حتى احتاج إلى إختبارهم مرة أخرى؟

ألم يستشرهم في حرب بدر فكان منهم السامع المجيب، ومنهم المخذل المريب الذي يقول له: انها قریش ما ذلت منذ عزت.

ألم يستشرهم في أسارى بدر؟ فكان منهم من يرى قتل الأسارى، ومنهم من يرى أخذ الفداء حتى نزلت الآية فحسمت الموقف المترجرج وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنفَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَرَمَّا مِنَّا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾^(١).

ألم يختلفوا عليه في وقعة أحد؟

ألم يختلفوا عليه في وقعة الأحزاب؟

ألم يختلفوا عليه في قضية بني النضير؟

ألم يختلفوا عليه في صلح الحديبية؟

ألم وألم؟ وكل ألم فيها ألم!

وأما الرأي الرابع - وهو كشف جديد كسابقه - ما أنزل الله به من سلطان، إذ يقول صاحبه أن النبي ﷺ لم يكن مبتدأً بأمره، بل قال إئتوني أكتب لكم كتاباً لمن طلب منه ذلك، وأستدل على ذلك بقول العباس لعليّ: أنطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان الأمر فينا علمناه، وكراهة عليّ هذا وقوله: لا أفعل ... الحديث.

وهذا من الغرابة بمكان فإن قول العباس لعليّ - لو صح - إنما كان صباح يوم الوفاة كان بعد حديث الرزية يوم الخميس بأربعة أيام، فكيف يكون هو السبب لتقديم الطلب ويكون النبي ﷺ مجيباً لا مبتدأً، كما في تاريخ ابن الأثير وغيره فراجع.

سادساً: ابن الأثير الجزري

قال في كتابه النهاية: (هجر) ومنه حديث مرض النبي ﷺ: قالوا ما شأنه أهجر، أي اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الإستفهام، أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض، وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل اخباراً فيكون إما من الفحش أو الهديان، والقاتل كان عمر ولا يظن به ذلك^(١).

التبرير الضطير عند ابن الأثير:

ليس من القسوة عليه ما وصفناه به، فهو إذ لم يأتنا بجديد من عنده، وكل ما بذله من جهده، أنه أجتزأ أقوال السابقين من علماء التبرير، واستحسن ذلك،

(١) النهاية في تريب الحديث والأثر ٢٥٥/٤ ط الأولى مطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ (مادة هجر).

وحيث مرّت بنا نماذج من أقوالهم وردّها، فلا نطيل الوقوف ثانياً عندها. إلا أن من حقنا أن نسأله لما ذكر الحديث أولاً مبهماً أسماء القائلين وهم جماعة. ثم صرّح أخيراً باسم عمر وهو مفرد؟ فهل كان عمر هو الجماعة؟ (كلّ عضو في الروع منه جموع)؟

ولماذا قال أخيراً ولا يظن به ذلك؟ أليس ذلك من ابن الأثير هو التبرير القطير، فلماذا لا يظن بعمر ذلك وهو رأس الحرّبة التي طعنت النبي ﷺ في فؤاده، إذ عارضه فلم يمكنه من بلوغ مراده.

فهل أن مقامه فوق مقام الرسول الكريم، فيجب أن يحترم ولو على حساب كرامة النبي ﷺ، اللهم إن هذا الرد بهتان عظيم.

سابعاً: النووي

قال: في شرحه صحيح مسلم: بعد مقدمة في عصمة النبي ﷺ: ممّا يخلّ بالتبليغ: وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها، ممّا لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر ﷺ حتى صار يخيّل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه ﷺ وفي هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قرّرها.

ثمّ قال: فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي همّ النبي ﷺ به.

فقيل: أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لثلاثين نزع وفتن.
وقيل: أراد كتاباً يبيّن فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها، ويحصل الإتفاق على المنصوص عليه وكان النبي ﷺ همّ بالكتاب حين ظهر له

أنه مصلحة أو أوحى إليه بذلك، ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحى إليه بذلك، ونسخ ذلك الأمر الأول.

وأما كلام عمرؓ فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله، ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها وأستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوبة لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر: حسبنا كتاب الله لقوله تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢)، فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن من الضلال على الأمة، وأراد الترفية على رسول الله ﷺ فكان عمر أفتقه من ابن عباس^(٣).

مع النووي:

لابد لنا من وقفة مع النووي

أولاً: في المقدمة التي ذكرها في عصمة الرسول ﷺ في التبليغ وعدمها من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام فقال في ذلك: وقد سحر صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، وقد أعتبر ذلك غير مضر برسالته.

فنقول له: إن ما ورد من أخبار القصاص الجاهل بأنه سحر حتى صار كيت وكيت لا يمكن التصديق بها، وإن رواها البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة وغيرها، فهي أشبه بحديث خرافة، ويكفي في ردّها جملة وتفصيلاً قول الله

(١) الأنعام / ٣٨.

(٢) المائدة / ٣.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/١١ ط مصر.

تعالى حيث أنكر على الكفار الظالمين قولهم: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَبَيَّنَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(١) والمسحور هو الذي خبل عقله، فأنكر الله تعالى ذلك. وذلك لا يمنع من جواز أن يكون بعض اليهود قد اجتهد في ذلك فلم يقدر عليه، فأطلع الله نبيه على ما فعله، حتى استخرج ما فعلوه من التمويه، فكان ذلك دلالة على صدقه ومعجزة له.

قال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد وقد ذكر الحديث عن عائشة فقال: ((وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الأنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفاً مفرداً حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه ان قال غلط وأشتبه عليه الأمر ولم يكن من هذا شيء، قال: لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر فإنه يكون تصديقاً لقول الكفار: ﴿إِن تَبَيَّنَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٢)، قالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مَوْسَى مَسْحُورًا﴾^(٣)، وقال قوم صالح له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(٤)، وقال قوم شعيب له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك يتنافى بحماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين))^(٥).

ثانياً: ما ذكره من اختلاف العلماء فذكر قولين:

أولهما: وهو الحق الذي أباه عمر لأنه اعترف بعد ذلك أمام ابن عباس بأن رسول الله ﷺ أراد حلياً للأمر فمنعته من ذلك فتبين المراد عندما تبين العناد.

(١) الإسراء / ٤٧.

(٢) الإسراء / ١٠١.

(٣) الشعراء / ١٥٣.

(٤) الشعراء / ١٨٥.

(٥) بدائع الفوائد ٢ / ٢٣٣.

وأما ثانيهما: فهو من نسج الخيال ولا نطيل فيه المقال لكننا نسأل النووي عن مزاعمه التالية:

١- قوله اتفق العلماء؟ فإين وقع؟ ومتى وقع؟ ثم كيف يزعم ذلك وهو الذي سبق منه أن قال: «اختلف العلماء» في المراد من الكتاب، فهم حين اختلفوا في المراد كيف اتفقوا على أن الحديث من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب أموراً... الخ وفهم عمر على زعمه لا يتفق مع أصحاب القول الأول ولم يردده عمر. وإنما يتفق مع أصحاب القول الثاني فقط. فكيف يكون اتفاق مع هذا الاختلاف؟

٢- قوله: «إنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره». فكيف يزعم له ذلك ولازمه أن يكون عمر أبصر بمصلحة الأمة من نبيها؟ ولعل النووي يرى ذلك! ولكن لم يجرأ على البوح به فقال الذي قال، ومهما كان عمر فليس يُصدق زعم من يرى فيه أنه خشي أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها، لأن مبنى عذر النووي هو الخشية والاحتمال لا التحقق، ومع ذلك ربما تكون النتيجة المعجز ولربما لا تكون، ولو سلمنا جدلاً أنهم عجزوا عنها فهم معذورون و«لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»^(١).

ثم إن عمر لم يكن مسنداً بالوحي ورسول الله ﷺ كان ينزل عليه الوحي، فهلا احتمل بدقيق نظره؟ - كما يحلو للنووي وصفه بذلك - أن ما أمر به رسول الله ﷺ كان من أمر الوحي فهو مأمور بالتبليغ عند الإطاعة، فإذا هم عصوا تركهم وتركاضهم في الضلال فلماذا منع عمر من امتثال أمر رسول الله ﷺ؟

٣- كيف يكون عمر أئمة من ابن عباس لأنه قال: «حسبنا كتاب الله». ومن المعلوم يقيناً أن الكتاب المجيد لم يتكفل ببيان جميع أحكام الشريعة بتفاصيلها، فخذ مثلاً حكم فريضة الصلاة التي هي عمود الدين فلم يرد في الكتاب المجيد ما يبين جميع فروضها وأركانها وسائر أحكامها وسيأتي مزيد بيان حول عدم الاستغناء في الأحكام بالكتاب وحده، ولا بد من أخذ السنة معه.

ولنعد إلى تفضيل النووي لعمر علي ابن عباس في فقاهته. ولنسأله أين كانت فقهه عمر غائبة عنه يوم يقول لابن عباس: «قد طرأت علينا غُضَلٌ أفضية أنت لها ولأمثالها»^(١).

وأين كانت فقاهته حين يقول له: «غص غواص»^(٢).

فكيف يكون عمر أئمة من ابن عباس؟ وعمر هو القائل: «من كان سائلاً عن شيء من القرآن فليسأل عبد الله بن عباس»^(٣)، وأين غابت عنه فقاهته يوم سئل عن مسألة فقال فيها، فقام إليه ابن عباس فساره فقال: يا أمير المؤمنين ليس الأمر هكذا، فأقبل عمر على العباس - وكان عنده - فقال له: يا أبا الفضل بارك الله لك في عبد الله إني قد أمرته على نفسي فإذا أخطأت فليأخذ علي^(٤) ... إلى غير ذلك مما قاله عمر وغير عمر في علم ابن عباس وسيأتي بعض تلك الأقوال في تاريخه العلمي.

(١) روى ابن سعد قول عمر عن سعد بن أبي وقاص بلفظ آخر؛ ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول عندك قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار (طبقات ابن سعد ٢ / ٢٣ / ١٢٢) وراجع فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل برقم ١٩١٣.

(٢) طبقات ابن سعد (الطبعة الخامسة) ١٤١/١ تح المسمي وسهر أعلام النبلاء ٢٤٦/٣ ط مؤسسة الرسالة. وفضائل الصحابة ٦٨١/٢ ط مؤسسة الرسالة.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل برقم ١٨٩٣ ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٣.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٩٨٢/٢ برقم ١٩٤٢ ط مؤسسة الرسالة.

ولا يفوتني تبييه القارئ إلى أن النووي لم يكن بدعاً في قومه فله أمثال ابن بطلال والقسطلاني من شراح البخاري الذين يذهبون مذهبه فقد قالوا: وعمر أفته من ابن عباس حيث أكتفى بالقرآن ولم يكتب ابن عباس به ١ ولا حاجة بنا إلى إبطال أقوال ابن بطلال وغيره فهم في التزوير أبطال، ولكن لا بد من وقفة قصيرة للموازنة بين فقه عمر وبين فقه ابن عباس، بعد معرفة معنى الفقه.

فأقول: لقد جاء في (المفردات في غريب القرآن الكريم) للراغب الأصبهاني، مادة: فقه: (الفقه): هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم ... ويعني بذلك أن فقه الشيء يحتاج إلى جهد ذهني من الإنسان ليصل إلى فهم أمره، إما باستنباط من أمر، أو ظاهر نص يجده.

أما العلم فهو قد يحصل دون جهد وتفكير، وقد يحصل بهذا جهد أيضاً، فالفقه أخص من العلم، فكم من عالم ليس بفقير، ولذلك قال علماء اللغة: الفقه هو الفهم، أي فهم حقيقة الشيء وإدراك معناه، ولهذا نفى الله تعالى الفقه عن الكفار فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(١). وإذا عرفنا معنى الفقه وأنه الفهم لحقيقة الأمر، فلنرجع إلى مقالة ابن بطلال والنووي لنرى من هو الأفتق من الرجلين ابن عباس أو عمر؟

أيهما أفتق عمر أم ابن عباس؟

لا أريد أستباق الشواهد الدالة على أفتقية ابن عباس وللحديث عنها مجال آخر. ولكن لا بد لي من ذكر شاهد واحد يصلح للموازنة بين الرجلين وذلك ما أخرجته جملة من أئمة الحديث ممن لا يهتمون في نقله كابن الجوزي والحاكم والبيهقي وابن كثير وابن حجر والسيوطي وغيرهم.

عن عكرمة قال: قال ابن عباس: «دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر؟ فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر. فقلت لعمر: إنني لأعلم وإنني لأظن أي ليلة هي، قال: وأي ليلة هي؟ قلت سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر.

قال: ومن أين تعلم؟

قال قلت: خلق الله سبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة أيام وإن الدهر يدور في سبع، وخلق الإنسان فيأكل (٢) ويسجد على سبعة أعضاء، والطواف سبع، والجبال سبع.

فقال عمر رضي الله عنه: لقد فطنت لأمر ما فطنتا له.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: كنت عند عمر وعنده أصحابه فسألهم فقال: أرايتم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر التمسوها في العشر الأواخر وترا أي ليلة ترونها؟ فقال بعضهم: ليلة إحدى وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال بعضهم: ليلة خمس، وقال بعضهم: ليلة سبع، وأنا ساكت فقال: مالك لا تتكلم؟ قلت: إنك أمرتني أن لا أتكلم حتى يتكلموا. فقال: ما أرسلت إليك إلا لتكلم فقلت: إنني سمعت الله يذكر السبع، فذكر سبع سموات ومن الأرض مثلهن، وخلق الإنسان من سبع، ونبت الأرض سبع.

فقال عمر رضي الله عنه: هذا أخبرتني ما أعلم، أرايت ما لم أعلم قولك: (نبت الأرض سبع) قال: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٠﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿١١﴾ وَعِنبًا وَقَضْبًا ﴿١٢﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿١٣﴾ وَحَدَائِقَ غَلْبًا ﴿١٤﴾ وَقَاكِبَةً وَأَبَّأً ﴿١٥﴾﴾^(١).

قال: فالأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب والأنعام ولا يأكله الناس.
قال فقال عمر ﷺ لأصحابه: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم
تجتمع شئون رأسه، والله إنني لأرى القول كما قلت^(١).

هذا شاهد واحد مما يرويه أصحاب الحديث ممن لا يهتمون على عمر.
ثم دع عنك ابن عباس فإنه حبر الأمة وترجمان القرآن، وهلم إلى سائر الناس
الذين كانوا أعلم وأفقه من عمر باعترافه، وإليك جملة من اعترافاته:

- ١- قال: ((كلّ الناس أفقه منك يا عمر))^(٢).
- ٢- قال: ((كلّ الناس أفقه من عمر)) قالها في واقعتين^(٣).
- ٣- قال: ((كلّ أحد أفقه مني قالها ثلاثاً))^(٤).
- ٤- قال: ((كلّ واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر))^(٥).
- ٥- قال: ((كلّ واحد أفقه منك يا عمر))^(٦).
- ٦- قال: ((كلّ الناس أعلم منك يا عمر))^(٧).
- ٧- قال: ((كلّ الناس أعلم من عمر))^(٨).

إلى غير ذلك من أقواله.

(١) انظر مسند عمر / ٨٧، مستدرک الحاكم ٤٣٨/١ وصححه سنن البيهقي ٣١٣/٤، تفسير

ابن كثير ٥٣٣/٤، تفسير السيوطي ٣٧٤/٦، فتح الباري ٢١١/٤.

(٢) العقد الفريد ٤١٦/٣.

(٣) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٦١/١، وذور الأبصار للشبلنجي / ٧٩.

(٤) الرياض النضرة ١٩٦/٢.

(٥) نور الأبصار / ٦٥.

(٦) الرياض النضرة ٥٧/٢.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٧/١٤.

(٨) تفسير الكشاف ٤٤٥/٢.

فكيف يمكن تصديق الزعم بأنه في تصرفه الشاذ يوم الخميس وكلمته
الناية في حق النبي ﷺ وأخيراً قوله حسبنا كتاب الله يكون أفقه من ابن
عباس؟

ولست في مقام المفاضلة ولكن أود تنبيه القارئ إلى أن ابن عباس كان قد
حفظ المحكم على عهد النبي ﷺ. وعمر لم يحفظ سورة البقرة إلا في اثنتي
عشرة سنة^(١).

ثمّ أليس عمر هو الجاهل والسائل من أبي واقد الليثي: ((بأي شيء كان
النبي ﷺ يقرأ في مثل هذا اليوم))^(٢) - وكان ذلك يوم العيد - .

فمن كان يجهل ما كان يقرأه النبي في صلاة العيد كيف يمكن أن يزعم
له بأنه أفقه من ابن عباس؟

اللهم إن ذلك من أكبر الشطط والغلط.

وأخيراً لا أخراً فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان، والضياء المقدسي
في المائة المختارة والخوارزمي في الجامع عن إبراهيم التيمي قال: ((خلا عمر
ذات يوم فأرسل إلى ابن عباس فقال له: كيف تختلف هذه الأمة وكتابتها واحد
ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟

(١) في شرح الموطأ للزرقاني ١٩٤/٢ ما تفضله: وأخرج الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر
قال، تعلم عمر في اثنتي عشرة سنة فلماً ختمها نحر جزيراً.

جاء في ربيع الأبرار ٧٧/٢ ط الأوقاف ببغداد: حفظ عمر سورة البقرة فنحر وأطعم.

(٢) هذا ما أخرجه عنه أصحاب الصحاح والسنن كمسلم في صحيحه ٢٤٢/١، وأبي داود في
سننه ٢٨٠/٢، ومالك في الموطأ ١٤٧/١، وابن ماجه في سننه ١٨٨/١، والترمذي في
صحيحه ١٠٦/١، والنسائي في سننه ١٨٤/٣، والبيهقي في سننه ٢٩٤/٣.

قال ابن عباس: إِنَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ قَرَأْنَاهُ وَعَلِمْنَا فِيهِ نَزْلَ، وَأَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَنَا أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُونَ فِيهِ نَزْلَ، فَيَكُونُ لِكُلِّ قَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ اخْتَلَفُوا...»^(١).

وأخرج أحمد في مسنده^(٢)، والبيهقي في السنن الكبرى^(٣) بعدة طرق: عن كريب عن ابن عباس أنه قال له عمر: «يا غلام هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من أحد من أصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع؟

قال: فبينما هو كذلك إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف قال فيم أنتما؟

فقال عمر: سألت هذا الغلام هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد من أصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع؟ فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إذا شك أحدكم ... الحديث).

فعمر الخليفة وهو لا يعرف حكم الشك في الصلاة - وهي فريضة يأتي بها المسلم كل يوم خمس مرات - حتى يسأل عن حكم الشك فيها من ابن عباس وهو بعد غلام. ولم يكن عند ابن عباس في ذلك سماع في الحكم. كيف يكون هو أفتقه؟

(١) كنز العمال ٢/٢١٥ ط حيدرآباد (ثمانية) ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنّة للسيوطي

٤٦/١ ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط الثالثة والجامع لأخلاق الراوي وآداب

السامع للخطيب البغدادي ٢/١٩٤ ط مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) مسند أحمد ١/١٩٠ و١٩٥.

(٣) السنن الكبرى ٢/٣٢٢.

ثامناً: ابن تيمية

قال في كتابه منهاج السنّة بعد حكايته قول العلامة ابن المطهر الحلبي في حديث الكنف والدواة فقال ردأ عليه: والجواب أن يقال: أما عمر فقد ثبت من علمه وفضله ما لم يثبت لأحد غير أبي بكر، ففي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول: قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر (٢١).

قال ابن وهب: تفسير: (محدثون ملهون)... إلى آخر ما ذكره من سياق وشواهد على إلهام عمر بما لا يتفهم بل عليه أضر.

ثم قال: وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يكتبه فقد جاء مبيّناً في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإنني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، وبأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

ثم ساق حديثاً آخر عن البخاري نحو ما سبق، وأتبعه بثالث عن مسلم عن عائشة وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها ثم من بعد عمر قالت: أبو عبيدة عامر بن الجراح ثم انتهت إلى هذا. ثم قال: وأما عمر فأشبهه عليه هل كان قول النبي ﷺ من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة، والمرض جائر على الأنبياء ولهذا قال: ما له أهجّر، فشك في ذلك ولم يجزم بأنه هجر، والشك جائز على عمر، فإنه لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما وقد شك بشبهة، فإن النبي ﷺ كان مريضاً فلم يدر أكلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض، أو كان من كلامه المعروف الذي يجب قبوله.

ولذلك ظن أنه لم يمت حتى تبين أنه قد مات، والنبي ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة.

وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه، كما قال: (ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر).

وقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب الكتاب، يقتضي أن هذا الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق أو أشبهه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشك.

فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه والله الحمد. ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة (٤). أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه.

وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحيتذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب.

وإن قيل: إن الأمة جحدت النص المعلوم المشهور فلأن تكتم كتاباً حضره طائفة قليلة أولى وأحرى.

وأيضاً فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان إلى مرض موته، ولا يجوز له ترك الكتاب لشك من شك، فلو كان ما يكتبه في الكتاب ممّا يجب بيانه وكتابته

لكان النبي ﷺ بيته ويكتبه ولا يلتفت إلى قول أحد فإنه أطوع الخلق له، فلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجباً ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حيثل، إذ لو وجب لفعله.

ولو أن عمر اشتبه عليه أمر ثم تبين له أو شك في بعض الأمور فليس هو أعظم ممن يفتي ويقضي بأمور، ويكون النبي ﷺ قد حكم بخلافها مجتهداً في ذلك، ولا يكون قد علم حكم النبي ﷺ فإن الشك في الحق أخف من الجزم بنقيضه، وكل هذا باجتهاد سائق كان غايته أن يكون من الخطأ الذي رفع المؤاخدة به^(١) ... إلى آخر ما ذكره من تهوئش وتشوئش لا يسمن ولا يفني.

مع ابن تيمية:

وفي كلامه مواقع كثيرة للنظر نشير إلى بعضها:

أولاً: زعمه فضل عمر على الأمة بعد أبي بكر وانه كان محدثاً ملهماً؟ وهذا منطلق علماء التبرير في كل زمان، ولكن لنا أن نسأل أين يغيب عنه ذلك الفضل والإلهام حين تعاص عليه الأمور، فلا يجد مخرجاً إلا عند الآخرين، فيلجأ إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وما أكثر المواطن التي قال فيها: «لولا عليّ لهلك عمر»، و«لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»؟

وأين يكون ذلك الفضل المزعوم والإلهام الموهوم حين تطرأ عليه العضل وهو لا يعرف لها مخرجاً، فيدعو ابن عباس فيقول له: «قد طرأت علينا عضل أقصية أنت لها ولأمثالها»؟

(١) منهاج السنة ١٣٤/٢، ١٣٥. طه ألفت بولاق سنة ١٣٢٢ هـ.

وخلَّ عنك علياً وابن عباس فالأول باب مدينة علم النبي ﷺ، والثاني حبر الأمة، ولا غضاضة عليه لو رجع إليهما. ولكن كيف يفضل على جميع الأمة عدا أبي بكر، وهو دون مستوى الكثير الكثير من الصحابة وقد مرّت بنا أقواله التي قالها: «كلّ الناس أقره منك يا عمر»^(١). وقوله الآخر: «كلّ أحد أقره من عمر»^(٢). لكن علماء التبرير يابون ذلك لا عن حجة ولكن دفعاً بالصدر.

ثانياً: زعمه أنّ الذي أراد أن يكتبه النبي ﷺ هو خلافة أبي بكر، وهذا قد مرّ مثله عند ابن حزم وغيره، فلا حاجة إلى الوقفة عنده طويلاً سوى إنّنا نود أن نسأل ابن تيمية الذي استدل بثلاثة أحاديث كلّها عن عائشة فالأول عن الصحيحين ثمّ الثاني عن البخاري وحده وهذا ما استدل به غيره أيضاً ومرّ ما عندنا فيهما، ولكن ما رأي علماء التبرير وابن تيمية منهم في الحديث الثالث الذي رواه عن مسلم. وفيه ترشيح أبي عبيدة للخلافة من بعد عمر؟ فأين كان الرواة عنه يوم السقيفة لحسم التزاع بين المهاجرين والأنصار وأحسبه لم يختلق بعد، بل أحسبه من الموضوعات أيام النفرة بينها وبين عثمان حين كانت تقول: «اقتلوا نعتلاً فقد كفر»^(٣)، ولو كان له أدنى نصيب من الصحة لذكر فيه عثمان بعد عمر لأنّه الذي تولى الخلافة، وعلماء السلطان يروون في ترتيبهم ما ينسبونهُ إلى النبي ﷺ في مثل ذلك.

ثالثاً: زعمه أنّ عمر أشتبه عليه الأمر، لماذا ذلك وهو صاحب الإلهام المزعوم وآته لو كان من المحدثين أحد في هذه الأمة لكان هو؟

(١) كشف الخفاء للمجلولي ٤٦٦/١ و ١٥٣/٢ و ١٥٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) سنن سعيد بن منصور ١٩٥/١ ط دار العصيمي بالرياض، وكتاب الزهد لابن أبي عاصم

١١٤/١ ط دار الريان للتراث بالقاهرة.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩٧/٣ و ١١٤ ط الأولى بمصر.

ثم كيف يشتهه عليه قول النبي ﷺ هل كان من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة؟ فهل أن النبي ﷺ قال مبهماً ومتمتماً؟ أو لم يقلها كلمة صريحة فصيحة (إئتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً)؟ أين الكلام الذي يوجب الاشتباه؟

ثم لماذا لم يشتهه ذلك على غير عمر ممن حضر عنده؟ ولماذا أحصر عمر عندما اشتهه عليه الحال إلا أن يقول: ((إن النبي ليهجر))؟

نعم كل ما يهدف إليه ابن تيمية هو تبرئة عمر من وزر الكلمة وإن تم ذلك على حساب قدسية النبي ﷺ وكرامته. ولكن الاعتذار باشتباه عمر لا يرفع عنه الوزر ما دام هو يقر لابن عباس بأنه عرف مراد الرسول ﷺ من الكتاب وأنه أراد أن يكتب لابن عمه فمنع منه وفيما تقدم في الصورتين الثالثة والرابعة من صور الحديث ما يؤكد منعه عن معرفة بالمراد، وكان المنع منه عن سبق إصرار وعناد فراجع.

رابعاً: زعمه أن قول ابن عباس: ((الرزية كل الرزية)) إنما هو في حق من شك في خلافة أبي بكر أو أشتهه عليه الأمر، فأما من علم أن خلافة حق فلا رزية في حقه؟

ولنا أن نسأل ابن تيمية عن ابن عباس صاحب الكلمة هل كان شاكاً أو مشتبهاً عليه الأمر؟ أو كان عالماً بحقيقة خلافة أبي بكر؟ والثاني منفي لأنه هو صاحب الكلمة وهو يتحدث عن نفسه ويعبر عن شعوره، إذن هو من الشاكين أو المشتبه عليهم الأمر في تحديد ابن تيمية. وإذا كان كذلك، فابن عباس غير مؤمن بحكم ما يرويه البخاري عن عائشة من حديث ارادة أستخلاف أبي بكر

وفيه: يأمي الله والمؤمنون إلا أبا بكر. فهل يقول بذلك ابن تيمية؟ وإذا قال بذلك فليعطف عليه كل من أبي خلافة أبي بكر من سائر الصحابة. ثم بعد ذلك ليبحث ابن تيمية وأضرابه عن حجة لإثبات عدالة جميع الصحابة خصوصاً من أبي خلافة أبي بكر ولم يبايعه حتى مات مثل الزهراء وسعد بن عباد، أو تخلف عن البيعة إلى ستة أشهر كعليّ وجميع بني هاشم وآخرين من شيعة من الصحابة كما ستأتي أسماؤهم، أو يتخلوا عن مقولة الصحابة كلهم عدول.

خامساً: زعمه أن من توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة عليّ فهو ضال باتفاق عامة الناس الخ. إذا كان هذا حكم ابن تيمية فيمن توهم ذلك، فما هو حكمه فيمن تيقن وقطع به؟

فهل يبقى ضالاً أم يزيد في عقوبته؟

ومهما يكن حكمه فإننا نقول له لقد حكمت على إمامك عمر بالضلالة من دون أن تشعر. لأن عمر كان يقول بذلك جازماً خير شك ولا مرتاب، وقد اعترف به لابن عباس كما أشرنا إلى ذلك مراراً، وذلك من عمر اعتراف خطير يدمغ رؤوس علماء التبرير.

سادساً: زعمه اتفاق عامة الناس، وتلقيقه الاتفاق من أهل السنة الذين يقولون بتفضيل أبي بكر وهذا لا كلام لنا فيه، ولكن هلمّ الخطب فيما زعمه اتفاق الشيعة معهم على أن الكتاب لم يكن بخلافة عليّ بتقريب أن الشيعة يقولون بالنصر الجليّ على عليّ قبل ذلك اليوم، فهو لا يحتاج إلى الكتاب يومئذ.

وهذا من مناوراته الخيثة، وكأن تأكيد النص كتابة بعد أن كان شفاها ممنوع عقلاً أو شرعاً.

فليكن الشيعة وهم يذكرون النص السابق الجلي الظاهر - وهو بيعة يوم الغدير - وما سبقها منذ بدء الدعوة وما لحق بها، لكن لا مانع من تأكيد ذلك بالكتاب ليكون أقوى حجة في دفع الخصوم الذين سولت لهم أنفسهم فتابلوه وأضربوا على عداوته مع وجود النبي ﷺ بين ظهرانيهم.

ولماذا لا يكون الكتاب - لو تم - أقوى حجة وأظهر دليلاً وهو المتكفل بعصمة الأمة من الضلالة.

لكن عناصر الشغب الذين أظهروا كوامن أحقادهم عرفوا أنه لو تم الكتاب فلا يبقى لهم حساب، لذلك أصروا على التمرد والعناد، وعدم تمثال أوامر النبي ﷺ، وكانت الصلعاء والشوهاد منهم تخلفهم عن جيش أسامة والنبي ﷺ ينادي: (أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة)^(١)، وما كان ذلك منهم إلا بعد أن تيقنوا أن المراد بالكتاب هو خلافة علي، فألقحها ابن الخطاب فتنة عمياء حين قال كلمته الرعناء: ((إن النبي ليهجر)) فنسف كل ما أراده النبي ﷺ لذلك (غم) أغمي عليه من شدة الصدمة، ووقع الاختلاف والتزاع، فأفاق ﷺ وطردهم وقال: (قوموا عني).

ولما قال له بعض أهل بيته ألا نأتيك بالذي طلبت وإن رغمت معاطس؟ فقال: (أبعد الذي قال قائلكم) هذا بعض ما في كلام ابن تيمية من شطط في القول وخطل في الرأي.

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٣٣ ط الثانية سنة ١٣٩٥ هـ.

تاسعاً: الشاطبي

قال في كتاب الاعتصام: ولقد كان للقول حريصاً على إفتنا وهدايتنا، حتى ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما حضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فقال: (هل من كتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده) فقال عمر: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرءوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول كما قال عمر، فلما كثر اللغظ والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (قوموا عني) فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

فكان ذلك - والله أعلم - وجياً أوحى الله إليه أنه إن كتب لهم ذلك الكتاب لم يضلوا بعده البتة، فتخرج الأمة عن مقتضى قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بدخولها تحت قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾^(١). فأبى الله إلا ما سبق به علمه من اختلافهم كما اختلف غيرهم.

رضينا بقضاء الله وقدره، ونسأله أن يثبتنا على الكتاب والسنة ويميتنا على ذلك بفضلته^(٢).

مع الشاطبي:

لعل القارئ أدرك كيف حاول الشاطبي أستغفال القراء في تبريره، ومراوغته، فهو حين يبدو حريصاً على إظهار نفسه بواقعية مقبولة يكسب فيها

(١) الحديد / ٧.

(٢) الاعتصام / ١٢٣.

قارئ كلامه، لكنه سرعان ما تطفئ عليه جبريته في سبيل تبرئة عمر، فيلقى اللوم على السماء، وبتمبير أصبح يلتمس العذر له من السماء. فانظر إلى قوله: «إن النبي ﷺ كان حريصاً على إلفتنا وهدايتنا»، وأستدل بحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو حديث الرزية. وهذا صحيح في واقعه ولا غبار عليه.

وأنظر إلى قوله في تعقيبه على ذلك:

«فكان ذلك - والله أعلم - وحياً أوحى الله إليه إنه إن كتب لهم ذلك الكتاب لم يضلوا بعده البتة، فتخرج الأمة عن مقتضى قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بدخولها تحت قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾^(١)».

وهذا أيضاً من مقبول القول وبه كسب القارئ إلى قبول ما يقوله. فسرعان ما أستغفله بقوله: «فأبى الله إلا ما سبق به من علمه من اختلافهم كما اختلف غيرهم».

فأنظر إلى هذا التبرير الفجأ!

الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى إلى نبيه ﷺ بأن يأمر بالكتاب الذي لا يضلون بعده، والنبي ﷺ بدوره يأمر بذلك. وعمر يمنع من ذلك، وتحدث الفرقة في الحاضرين، ثم يقع الخصام وينتهي بطرد النبي ﷺ للمنازعين. ومع ذلك كله يقول: «فأبى الله إلا ما سبق في علمه من اختلافهم».

ومن الغريب العجيب يتأى عن إدانة السبب في المنع، ويحمل السماء تلك الإدانة، وإن الله أبى إلا ما سبق في علمه؟

وهل هذا إلا إستغفال للقراء واستخفاف بالعقول !! وليس لنا إلا أن نقول كما قال: رضينا بقضاء الله وقدره.

عاشراً: ابن حجر العسقلاني

قال في فتح الباري كلاماً كثيراً نشره وكرّر أكثره في أجزاء كتابه، تبعاً لصحيح البخاري لورود الحديث في مختلف أبوابه، لكنه أطال الكلام في موضعين: في كتاب العلم باب كتابة العلم^(١)، وفي كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ^(٢)، ولم يأتنا بشيء جديد، ولم نتجن عليه في ذلك فقد اعترف بذلك في الموضع الثاني فقال: وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القرطبي تلخيصاً حسناً ثم لخصته من كلامه وحاصله: فذكر ما لخصه، ولما كنا نحن قد ذكرنا كلام عياض بطوله، وناقشنا فيه، لذلك أعرضنا عن ذكر كلام القرطبي إلا عرضاً، وكذلك نعرض عن ابن حجر إلا ما جاء به من عند نفسه. فقد قال وهو ينقل الاحتمالات التي ذكرها القرطبي في تعريف قائل الكلمة: ويظهر منه ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من أشد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك. ولهذا وقع في الرواية الثانية فقال بعضهم: أنه قد غلبه الوجع. ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن خلاد عن سفيان في هذا الحديث فقالوا: ما شأنه يهجر؟! استفهموه، وعن ابن سعد من طريق أخرى عن سعيد بن جبير: إن نبي الله ليهجر، ويؤيده أنه بعد أن قال ذلك استفهموه بصيغة الأمر بالاستفهام، أي اختبروا أمره بأن استفهموه عن هذا الذي أراده وابتحوا معه في كونه الأولى، أولاً.

(١) فتح الباري ٢١٩/١.

(٢) نفس المصدر ١٩٧/٩.

مع ابن حجر العسقلاني:

من الغريب أمر هذا الرجل فهو يختار مرجحاً إن القائل لكلمة الهجر سواء كانت إخباراً أو إنشاءً هو من بعض قرب دخوله في الإسلام؟ مع أنه سبق منه في تفسير معنى الهجر والهديان فقال: ((والمراد به - يعني الهجر - في الرواية ما يقع من كلام المريض الذي لا يتنظم ولا يعتد به لعدم فائدته. ووقوع ذلك من النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم مستحيل، لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، ولقوله صلى الله عليه (وآله) وسلم: (إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقاً). وإذا عرف ذلك، فإنما قاله من قاله منكر على من توقف في أمثال أمره باحضار الكتف والدواة.

فكأنه قال كيف تتوقف؟ أتظن أنه كغيره يقول الهديان في مرضه وأحضره ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق... اهـ).

أقول: فأين صار ترجيحه بأن القائل هو من قرب دخوله في الإسلام وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع الخ؟ ثم ما باله يشرق تارة ويغرب أخرى بين الرأيين، بينما يعترف هو بنفسه تبعاً لما ورد في صحيح البخاري في الموارد الآتية بأن القائل هو عمر. فأي أقواله هو الصحيح؟ ليس ذلك منه إلا استماتة في الستر على مقولة عمر. وهل هذا منه إلا كذباً من القول وتمويهاً على القارئ وتشويهاً للحقيقة.

وما أدري كيف استساغ أن يقول ذلك، وفي صحيح البخاري الذي هو يشرحه قد ورد التصريح بأن القائل هو عمر، ورد ذلك في ثلاثة مواضع، وهي كما يلي:

١- في كتاب العلم باب كتابة العلم: قال عمر: ((إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسينا. فاختلفوا...))^(١).

٢- في كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عني: فقال عمر: ((إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسينا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول: قروا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر...))^(٢).

٣- في كتاب الاعتصام باب كراهية الاختلاف قال عمر: ((إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قروا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر...))^(٣).

هذه هي الموارد التي صرح فيها بأسم عمر، وقد شرحها ابن حجر في كتابه وصرح بها بذكر عمر تبعاً للبخاري، أما الموارد الأربعة الأخرى التي ضمهم فيها البخاري أو الرواة قبله فلم يذكروا اسم عمر. نجد ابن حجر في شرحه لها يورد اسم عمر مدافعاً عنه.

ثم إذا كان في نظره أن القائل (هو بعض من قرب دخوله في الإسلام)، فهل يعني بذلك أن عمر كان كذلك؟ وهذا ما لا يكاد تصديقه ولا يمكن أن يكون مراده، لأن عمر أسلم قبل ذلك اليوم بأكثر من خمس عشرة سنة، وليس هو بقريب عهد بالإسلام وإذا لم يكن يعني عمر فمن هو ذلك الرجل المزعوم

(١) صحيح البخاري ١ / ٣٠.

(٢) نفس المصدر ٧ / ١٢٠.

(٣) نفس المصدر ٩ / ١١١.

الذي قرب دخوله في الإسلام؟ وما اعتذاره إلا استخفاف بعقول الناس واستجهال لهم على غير أستحياء، فهو إذ لم يصب الهدف المنشود يكشف عن بلادته أيضاً حين جانب الدقة في كلامه، فتخيل بهذه الفهفة الفجة يغطي ما لا يضمه ستر، وأنى له ذلك، فهو مهما أوتي من براعة الترييف وامعان في المغالاة لا يستطيع التستر على اسم القاتل، ولا الإعتذار عنه، ولكن ما الحيلة معه ومع أمثاله، وهذا شأن من يقول ما يشاء من دون تورع، ولا يبالي بما يقال فيه، وهذه سجية علماء التهريز إذ يسوقهم خطأ التقدير، إلى مهاوي التحوير والتزوير.

الحادي عشر: القسطلاني

وهذا الرجل لدة قومه يدلي بدلوههم ويمتخ من غربهم، ولا يجاوز طريقتهم في تضارب الأقوال، فهو وبعبارة أوضح يجترأ أقوال السابقين، من دون التفات لما فيها من هنات وهنات. لذلك كثر عنده التناقض، وأظن أن القارئ يكتفي ببعض الشواهد على ذلك:

١- فمثلاً قال في كتابه إرشاد الساري في شرح (أكتب لكم كتاباً): «فيه النص على الأئمة بعدي أو أبين فيه مهمات الأحكام»^(١).

ولكنه جاء بجديده فيما يحسب في شرح (ولا ينبغي عند نبي تنازع) فقال: «والظاهر إن هذا الكتاب الذي أراده إنما هو في النص على خلافة أبي بكر...»^(٢)، وأهمل قول من قال أنه بزيادة أحكام...، لكنه عاد في شرح (لكم كتاباً) فقال: «فيه استخلاف أبي بكر بعدي أو فيه مهمات الأحكام»^(٣).

(١) إرشاد الساري ٢٠٧/١.

(٢) نفس المصدر ١٦٩/٥.

(٣) نفس المصدر ٣٥٥/٨.

فأنظر إلى أقواله هذه: فهو أولاً جعل المراد كتابته النص على الأئمة أو بيان مهمات الأحكام، ثم أستظهر أن الكتاب إنما هو في النص على خلافة أبي بكر قال ذلك بضمير قاطع وقد جاء بأداة المحصر (إنما) وأبطل زعم أن فيه زيادة أحكام، ثم عاد ثالثاً فجعل المراد مردداً بين استخلاف أبي بكر أو مهمات الأحكام.

٢- وشاهد آخر على تناقضه قال: (فاختلفوا) أي الصحابة عند ذلك^(١).

وقال: (فاختلف أهل البيت) الذين كانوا فيه من الصحابة لا أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

لكنه قال مرة أخرى: (فاختلف أهل البيت) النبوي^(٣)؟

فأنظر إلى تناقضه !!

فهو أولاً قال: «هم الصحابة»، وأكد ذلك ثانياً ونفى أن يكون أهل بيته ﷺ من أولئك الذين جاؤا بالاختلاف، ولكنه فجأة وبجرة من القلم بوعي أو غير وعي قال: «فاختلف أهل البيت» النبوي !!

ولا نطيل المقام عنده فمن شاء أن يستريد من عجائب تناقضاته فليرجع إلى كتابه^(٤) ليرى كيف حب الشيء يعمي ويصم. ولا عجب من علماء التبرير خصوصاً شراح الصحيحين فكم لهم من تأويلات وتمحلات لو أتينا على جميع ما قالوه لاحتجنا إلى تأليف مخصوص في ذلك، والآن ولا نبخل على القارئ ببعض الأسماء منهم وشيء مما عندهم، فمسي أن يقبض الله لنصرة دينه من

(١) نفس المصدر ١/٢٠٧.

(٢) نفس المصدر ٦/٤٦٣.

(٣) نفس المصدر ٨/٣٥٥.

(٤) نفس المصدر ٦/٤٦٢ - ٤٦٣.

يجمع جميع ما قالوه ويفند ما زعمه أولئك الخصوم نصرة للحق المهضوم والولي المظلوم.

الثاني عشر: الوشتاني الأبى المالكي

ومن علماء التبرير أيضاً أبو عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني الأبى المالكي المتوفى سنة ٨٢٨ هـ قال في كتابه إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم في شرح قوله: «قال ابن عباس ؓ يوم الخميس وما يوم الخميس» قلت هو - والقاتل هو - استعظام وتفجع باعتبار ما أتفق فيه من موته صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاع الوحي وخبر السماء...؟^(١)

مع الوشتاني وفتحه الجديد:

أنظر برئكَ إلى قوله مفسراً سرَّ بكاء ابن عباس هو لموت النبي ﷺ كيف يزعم ذلك وهو يقول: «يوم الخميس» وهذا اليوم قبل يوم موته ﷺ بأربعة أيام، إذ أن وفاته كانت يوم الاثنين راجع كتب السيرة والتاريخ؟ أليس هذا تهرباً من كشف الحقيقة؟

ثم اقرأ واضحك - وشرّ البلية ما يضحك - قال: «قوله: بكى حتى بلّ دمه الحصى، قلت - والقاتل هو أيضاً - : يحتمل بكاؤه لموته صلى الله عليه وآله وسلم، أو لما ذكر من شدة وجهه وهو يدل على أن شدة المقاساة والتزع عند الإحتضار لا تدل على المرجوحية كما يعتقد بعض العوام...»^(٢).

والآن إن شئت أيها القارئ أن تبك فأبك على إبل حداها غير حادياها، فهذا الرجل جاء بما يضحك الثكلى، لكنه يبكي من له قلب أو ألقى السمع وهو

(١) إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم ٣٥٢/٤.

(٢) نفس المصدر ٣٥٣/٤.

شاهد فأقرأ ما يقوله أيضاً: «قوله: (لا تضلوا بعدي)، قلت - وهو القائل -: لا يعني بالضللال الضلال بعد الهدى، لأنه تقدم في تأويل ما أراد أن يكتب أنه ما يرفع الخلاف بين الفقهاء في المسائل، أو ما يرفع ذلك الاختلاف في الخلافة، والخلاف الواقع في كلٍّ منهما إنما هو عن اجتهاد، والخطأ في الاجتهاد ليس بضللال... اهـ»^(١).

أقول: وهذا هو بيت القصيد كما يقولون. فكل ما حدث من خلاف في الخلافة وأريقته بسببه دماء المسلمين، ليس فيه مؤاخذه، فجميع أهل الجمل وصفين والنهروان وما بعدها من حروب طاحنة، كلهم معدورون فالقاتل والمقتول في الجنة، يا سلام!^(٢)

وعلى هذا الوتر كان ضرب الباقيين من علماء التبرير، فلا عجب إذا ما تبعه السنوسي الحسيني المتوفى سنة ٨٩٥ هـ في كتابه مكمل إكمال الإكمال قال: «(لن تضلوا بعدي) قيل: أراد أن ينص على خلافة إنسان معين حتى لا يقع فيها نزاع ولا فتن.

وقيل: أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة، ليرتفع نزاع العلماء فيها بعد، فالضللال إذن على الوجهين ليس ضلالاً عن هدى، إذ المخطيء في الاجتهاد على القول بالخطأ ليس بضال»^(٣).

أقول - ومن دون تعليق - : «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»^(٤) فهل تجدون للضللال معنى غير الضلال عن الهدى. فدونكم كتب اللغة والتفسير ستجدون الضلال ضدَّ الرشاد وهو بمعنى الباطل والهلاك.

(١) نفس المصدر ٣٥٧/٤ في أدنى الصفحات.

(٢) مكمل إكمال الإكمال ٣٥٣/٤.

(٣) التحل ٤٣.

الثالث عشر: البدر العيني

وهذا من شراح صحيح البخاري ومعاصر لابن حجر، وقيل في كتابه (عمدة القاري) سطو على فتح الباري، ولا يعني هذا بقدر ما يعني ما جاء فيه من قوله: «قوله صلى الله عليه (وآله) وسلم: (لا ينبغي عندي التنازع)، فيه إشعار بأن الأولى كان المبادرة إلى امتثال الأمر وإن كان ما اختاره عمر صواباً»^(١)

أقول: أتريد تهالكا في التبرير أكثر من هذا، الأولى المبادرة إلى امتثال أمره ﷺ، وإن كان ما اختاره عمر صواباً؟ لماذا؟ فإن كان مراده لفظ (لا ينبغي) إنما يدل على الكراهة، كما أن لفظ ينبغي يدل على الاستحباب، فمن أجل ذلك يكون فيه إشعار بأولوية المبادرة، فيكون ما اختاره عمر صواباً وإن كان خلافاً لما هو أولى، فهذا إنما يتم له لو كان خالياً عن القرينة، فكيف والقرينة حالية ومقالية. فالحالية زمان ومكان الصدور والمقالية:

أولاً: قوله ﷺ: (إئتوني) هو أمر والأمر ظاهر في الوجوب إلا أن تكون قرينة صارفة وليست في المقام.

ثانياً: قوله ﷺ: (لن تفضلوا بعده أبداً) وهذا نص في أن الحق هو إمتثال أمره وعند عدمه لا بد أن يبقوا عرضة للضلال، فماذا بعد الحق إلا الضلال. وهل ترك المندوب يوجب الضلال؟

ثالثاً: قوله ﷺ: (قوموا عني) فلو لم يكن أمره للوجوب لما كان لتنازعهم معنى، كما لا موجب لطردهم من بيته.

رابعاً: بكاء ابن عباس ؓ حتى يبل دمه الحصى. فهل كان نفوات إمتثالهم أمراً نديبياً؟ أم أن بكاءه يدل على تفويتهم أمراً وجوبياً يعصمهم وجميع الأمة من

(١) عمدة القاري ١٧٢/٢.

كلّ ضلالة؟... إلى غير ذلك، ولكن علماء التبرير لا تقنهم القرائن ولو كانت ألف قرينة.

وقال أيضاً في عمدة القاري: «واختلف العلماء في الكتاب الذي همّ صلى الله عليه (وآله) وسلم بكتابته، قال الخطابي يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أراد أن ينص على الإمامة بعده فترفع تلك الفتن العظيمة كحرب الجمل وصفين. وقيل أراد أن يبين كتاباً فيه مهمات الأحكام ليحصل الاتفاق على المنصوص عليه، ثم ظهر للنبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أن المصلحة تركه، أو أوحى إليه به. وقال سفيان بن عيينة أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع منهم الاختلاف، ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام قال في أوائل مرضه وهو عند عائشة رضي الله عنها: (ادعوا لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإنّي أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر). أخرجه مسلم، والبخاري معناه، ومع ذلك فلم يكتب.

قوله: قال عمرؓ: إن رسول الله عليه الصلاة والسلام غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، قال النووي: كلام عمرؓ هذا مع علمه وفضله لأنه خشي أن يكتب أموراً فيعجزوا عنها فيستحقوا العقوبة عليها، لأنها منصومة لا مجال للاجتهاد فيها، وقال البيهقي: قصد عمرؓ التخفيف عن النبي عليه الصلاة والسلام حين غلبه الوجع ولو كان مراده عليه الصلاة والسلام أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركهم لاختلافهم..

وقال البيهقي: وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قيل إن النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يكتب استخلاف أبي بكرؓ ثم ترك ذلك اعتماداً على

ما علمه من تقدير الله تعالى، وذلك كما هم في أول مرضه حيث قال: وارأساه ثم ترك الكتاب وقال: يا أي الله والمؤمنون إلا أبا بكر، ثم قدمه في الصلاة، وقد كان سبق منه قوله ﷺ إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجره، وفي تركه صلى الله عليه (وآله) وسلم الإنكار على عمر ؓ دليل على استصوابه.

فإن قيل كيف جاز لعمر ؓ أن يعترض على ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام.

قيل له: قال الخطابي: لا يجوز أن يحمل قوله إنه توهم الغلط عليه أو ظن به غير ذلك مما لا يليق به بحاله، لكنه لما رأى ما غلب عليه من الوجع وقرب الوفاة خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه فيجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدين، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يراجعون النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأمور قيل أن يجزم فيها كما راجعوه يوم الحديبية، وفي الخلاف وفي الصلح بينه وبين قريش، فإذا أمرنا بالشيء أمر عزيمة فلا يرحمه أحد. قال: وأكثر العلماء على أنه يجوز عليه الخطأ فيما لم ينزل عليه فيه الوحي، وأجمعوا كلهم على أنه لا يقرأ عليه.

قال: ومعلوم أنه صلى الله عليه (وآله) وسلم وإن كان قد رفع درجته فوق الخلق كلهم فلم ينتزه من العوارض البشرية، فقد سها في الصلاة فلا ينكر أن يظن به حدوث بعض هذه الأمور في مرضه فيتوقف في مثل هذه الحال حتى يتبين حقيقته، فلهذه المعاني وشبهها توقف عمر ؓ وأجاب المازري...)). ثم ذكر ما تقدم من أقوال المازري .

وختم الكلام فقال: ((بيان استنباط الأحكام:

الأول: فيه بطلان ما يدعيه الشيعة من وصاية رسول الله عليه الصلاة والسلام بالإمامة. لأنه لو كان عند عليّ عهد من رسول الله عليه الصلاة والسلام لأحال عليها (كذا).

الثاني: فيه ما يدل على فضيلة عمر وفقهاء.

الثالث: في قوله: ((إتوني بكتاب أكتب لكم)) دلالة على أن للإمام أن يوصي عند موته بما يراه نظراً للأمة.

الرابع: في ترك الكتابة إباحة الاجتهاد لأنه وكلهم إلى أنفسهم واجتهادهم.

الخامس: فيه جواز الكتابة والباب معقود عليه^(١).

أقول: هذا بعض ما جادت به قريحته من تعقيب وتصويب، مضغ طعام الأولين فلم يحسن مضغه، وقد سبق منا ذكر ما قاله الخطابي والبيهقي والمازري، وبيننا ما في أقوالهم من ملاحظات، فلا حاجة بنا فعلاً إلى إعادة ما قد سبق.

ولكن الذي ينبغي التنبيه عليه في كلام العيني من تفاوت في نقله عن سفيان بن عيينة، حيث حكى عن الخطابي أولاً أنه قال سفيان بن عيينة: أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع منهم الاختلاف. ثم حكى عن البيهقي قوله: وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم، قيل إن النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر... ومن بين الواضح القاضح ما بين القولين من تفاوت! ففي الأول النص على أسماء الخلفاء بعده. وفي الثاني أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر... فأى القولين هو الصحيح، أو لا صحيح في المقام، وإنما ذلك من أضغاث الأحلام ١٩

(١) عمدة القاري ١٧١/٢ دار إحياء التراث بيروت.

وبعد أن شرق وغرب، وفي جميع ذلك أ ضرب، ختم كلامه ببيان استنباط الأحكام، ومنه يعرف القاري مدى تفضله والأصح ضلوعه مع فقهاء الحكم، فقال: الأول: فيه بطلان ما يدعيه الشيعة من وصاية رسول الله عليه الصلاة والسلام بالإمامة، لأنه لو كان عند عليّ ﷺ عهد من رسول الله عليه الصلاة والسلام لأحال عليها (كلدا).

ولا نرد عليه إلا بما قاله عمر ولا نزيد عليه وحسبنا به شاهداً عليه وحاكماً: قال: «ولقد أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن يصرح باسمه - يعني علياً - فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام»^(١).

وستأتي أقوال لعمر في هذا الشأن نذكرها إن شاء الله فيما يأتي.

الرابع عشر: الدهلوي

وهو الشاه ولي الله الدهلوي من علماء المسلمين في الهند في القرن الثاني عشر الهجري وله مؤلفات عديدة أشهرها كتابه حجة الله البالغة ومن مؤلفاته شرح تراجم أبواب صحيح البخاري وهو مطبوع مكرراً، وما نقله عنه هنا فمن طبعة حيدر آباد الدكن الطبعة الثانية.

قال: «إعلم إن هذا المقام، من مزالق الأقدام، كم زلت فيه الأعلام، وصغت فيه الأفهام، وإني قد تحققت بعد تتبع طرق هذا الحديث - يعني أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالكتاب أن قول ابن عباس: الرزية كل الرزية، إنما كان بطريق الشبهة مثل سائر شبهاته، لأنه ثبت في الروايات الصحيحة أن كبار الصحابة مثل أبي بكر وعليّ وغيرهما كانوا حاضرين، ففهموا من أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن مقصوده بالكتابة ليس إلا ما جاء في القرآن والتوثيق به،

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩٧/٢ ط الأولى بمصر.

ولو كان شيئاً آخر لأمرهم به ثانياً وثالثاً. لأنه عاش صلى الله عليه (وآله) وسلم مقيماً بعد ذلك أياماً، ومع ذلك روي أنه صلى الله عليه (وآله) وسلم أمر علياً باحضار القرطاس والدواة، فخاف عليّ فوته بعد أن يذهب، فقال يا رسول الله: أسمع وأعي، فبيّن له رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من أحكام الصدقات، واخراج الكفار من جزيرة العرب، وإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، والإستيلاء بالأنصار خيراً، وغير ما بيّن أكثره قبل ذلك أيضاً.

فبعد ذلك لم يبق مجال في أن يتمسك بشبهة ابن عباس رضي الله عنه، ويقال ما يقال في خيار الصحابة، لأنه كان حديث السن مناهز البلوغ، والاعتبار بما فهمه كبار الصحابة^(١). إلى هنا انتهى ما قاله الدهلوي.

مع الدهلوي:

هذا قول الدهلوي، وهو محق في أوله ومبطل في آخره، وبيان ذلك: إن المقام من مزائق الأقدام ويكفي ما قدمناه من نماذج لعلماء التبرير أمثال الخطابي وابن حزم والبيهقي والمازري وحياض وابن الأثير والنووي وابن تيمية وابن حجر والقسطلاني والوشتابي والعيني وغيرهم ممن ورد ذكرهم تبعاً كابن بطل والنويري والقرطبي والطهطاوي وأضرابهم. فجميع هؤلاء الأعلام ممن زلت قدمه في سبيل تبرير عمر من سوء كلمته. ولم يكن الدهلوي آخرهم، بل هو أسوأ فهماً منهم، فقد خبط خبط عشواء، وأستدل مكابراً بالبهاء، وذلك منه منتهى الغباء، ولو لم يكن غيباً لما قال: إن الاعتبار بما فهمه كبار الصحابة وضرب مثلاً بعليّ وأبي بكر. وهم فهموا مراده بالكتابة ليس إلا تأكيد ما جاء في

(١) شرح تراجم أبواب صحيح البخاري للدهلوي / ١٤، ط حيدرآباد.

القرآن والتوثيق به. ونحن نقول له ما دام كبار الصحابة فهموا ذلك فلماذا إذن اختلفوا وتنازعوا؟ وما ضرهم لو أنهم أمثلوا أمره ﷺ فكتب لهم ذلك التأكيد؟ وما داموا هم ملتزمين بالقرآن، فالقرآن يأمر بإطاعة أمره إذ فيه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١)، وفيه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٢) فلماذا لم يستجيبوا ولم يطيعوا؟

ومن الغريب والغياض أن يستدل على مرامه بقوله: «ولو كان شيئاً آخر لأمرهم به ثانياً وثالثاً»^(٣). إنما لم يأمرهم به ثانياً وثالثاً لعدم الجدوى في ذلك حتى ولو كرر ذلك مائة مرة ومررة، فقد سبق السيف العذك - كما يقول المثل - فعمر حين قال إنه يهجر أصاب مرماه ووضيغ الهدف المنشود للنبي ﷺ، ولو أنه ﷺ كرر ذلك، لصدقت مقولة عمر زمرة المناققين وكان مجالاً للطعن في شخصه الكريم. لذلك طردهم وقال: (قوموا عني).

وإن ما ذكره من وصاياها التي خص بها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تثبت أن علياً وصي رسول الله ﷺ، فكيف يزعم قومه عن عائشة بأن النبي مات ولم يوص، ثم هي القائلة: «متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري»^(٤). والآن فقد أستبان أن علياً أوصى إليه رسول الله ﷺ !!

وبعد هذا أوليس ابن عباس كان على حق في قوله: «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده»؛ أفهل كان على شبهة أم كان على يقين؟

(١) النساء / ٥٩.

(٢) الأنفال / ٢٤.

(٣) انظر صحيح البخاري (كتاب الوصايا باب الوصايا) ٣/٤.

الخامس عشر: اللاهوري

هذا هو الملا يعقوب اللاهوري أحد شراح صحيح البخاري وأسم كتابه (الخير الجاري في شرح صحيح البخاري)، فقد قال فيه في كتاب العلم باب كتابة العلم: لا شك في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى المصلحة في كتابة الكتاب، بدليل قوله ﷺ: (لن تضلوا بعدي).

ولا شك أيضاً: أن عمر نهى الأصحاب عن إحضار الدواة والكتف. ولا شك أيضاً: أن أهل البيت ألحوا على إحضارها، وطال النزاع بين الفريقين حتى أخرجهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً. وهذا القدر مما يتبادر إلى الذهن من نص الحديث، ولا يرتاب فيه أحد^(١).

مع اللاهوري:

وليس من تعليق على ما لا شك فيه، غير أنا نقف عند قوله: «أخرجهم جميعاً» كيف يصح ذلك، وكب الحديث والتاريخ والسيره تقول: ان الذين طردهم رسول الله ﷺ هم الذين تخطفوا عن امتثال أمره وتنازعوا مع أهل البيت في ذلك، أما أهل البيت فلم يخرج منهم أحد، ويقوا عنده، ومنهم الذي قال له بعد خروج أولئك الذين لم يستجيبوا لرسول الله ﷺ: «ألا نأتيك بما طلبت؟» فقال: (لا، أو بعد الذي قال قائلهم)؟

وفي بعض المصادر أن القائل كان هو عمه العباس: «ألا نأتيك بالذي طلبت وإن رخصت فيه معاطس».

وإلى هنا نظوي كشحاً عن استعراض ما قاله علماء التبرير فهم

(١) نقلا عن تشييد المطامن / ٤١١ ط الهند.

عمريون أكثر من عمر :

لقد أوردنا نماذج من أقوال علماء التبرير، فوجدناهم في أندفاعهم يركبون الصعب والدلول، ويقولون المقبول وغير المقبول، بل وحتى غير المعقول، في سبيل تبرئة عمر من معرة كلمته الجافية النابية، والتي لم يتبرأ هو منها، ولكن القوم على مقولة: «ملكيون أكثر من الملك».

فعمر قال كلمته دون استعمال تورية أو كناية. بملء فيه، متحدياً شعور النبي ﷺ، ومشاعر الشرعية النبوية التي تؤيدها رسالة السماء.

ولنقرأ ثانيةً بعض ما قاله في روايته لحديث الرزية، وقد مرّ في الصورة الرابعة: قال: «لما مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بهدي)، فكرهنا ذلك أشد الكراهية...».

لماذا يا أبا حفص كرهتم ذلك أشد الكراهية؟ ولا عليك من الإجابة، فإن علماء التبرير مستعدون للدفاع عنك، ولو كان ذلك على حساب قدسية الرسالة، وقد مرّت بنا نماذج من أقوالهم فليرجع القارئ إليها.

وعمر يقول لابن عباس بعد لأي من الزمن: «ولقد أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن يصرّح بأسمه - يعني علياً - فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام»^(١).

وعلماء التبرير يقولون في تبريرهم: ربما أراد أن يكتب شيئاً من الأحكام، أو أن يكتب خلافة أبي بكر من بعده لا كما يقول الراضية؟ فليرجع القارئ ثانيةً إلى أقوالهم.

(١) النظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٩٧/٣ ط الأولى.

وعمر يقول أيضاً لابن عباس في كلام بينهما في شأن عليّ: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد ذلك وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله؟ أو كل ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان»^(١).

وعلماء التبرير يقولون: ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله ... كما قال ذلك الخطابي وأضرابه.

وعمر يقول ثلاثة لابن عباس: «لقد كان من رسول الله ﷺ ذرواً من قول، لا يثبت حجة ولا يقطع عنراً»^(٢).

وعلماء التبرير يقولون: كان ذلك من دلائل قه عمر وفضائله ودقيق نظره، كما مرّ عن النووي.

ورابعة عمر يقول لابن عباس في كلام في شأن عليّ أيضاً: «أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر»^(٣).

وعلماء التبرير يقولون: ومهما كانت كلمته فلا يظن به ذلك. كما مرّ عن ابن الأثير.

وعمر يقول خامسة لابن عباس في كلام في شأن عليّ أيضاً: «أول من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة»^(٤).

وعلماء التبرير يقولون: فإن عمر أشته عليه هل كان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شدة المرض فشك في ذلك فقال: (ما له أجهز؟)، كما مرّ عن ابن تيمية.

(١) نفس المصدر ١١٤/٣ ط الأولى .

(٢) نفس المصدر ٩٧/٣ ط الأولى .

(٣) انظر محاضرات الرافض ٢١٣/٢ ط مصر الأولى .

(٤) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٤٩٧/٤ .

وبالتالي يقولون: وإنما قصده التخليف عن النبي ﷺ. كما مرّ عن البيهقي.

ويقولون: كان ما اختاره عمر صواباً، كما مرّ عن العيني.

وهكذا ظهرت كوامن نفوسهم على ألسنتهم فخطوها بأقلامهم، ويانت عمرتهم أكثر من عمر. إن ذلك لعجيب. وأعجب من ذلك كله ما سأل به قلم العقاد في عبقرياته من مكابراته ولائحته من المرور به ولتقرأ ما يقول، فإنه جاوز القوم في عمرته وأتى بالمعجب في عبقرته.

مع العقاد ونظراته:

قال في عبقرية محمد ﷺ:

((يكفي أن نستحضر اليوم ما قيل عن الخلافة بعد النبي ﷺ لتعلم مبلغ ذلك الذكاء العجيب في مقبل الشباب، وتُكبر ذلك النظر الثاقب إلى أبعاد العواقب، وتلمس لها العذر الذي يجعل بامرأة أحبها محمد ذلك الحب وأعزها ذلك الإعزاز.

فقد قيل في الخلافة بعد النبي كثير: قيل: فيها ما يخطر على بال الأكثرين، وما يخطر على بال الأقلين، وما ليس يخطر على بال أحد إلا أن يجمع به التعنت والاعتساف أغرب جماع. قيل: أن وصول الخلافة إلى أبي بكر إنما كان مؤامرة بين عائشة وأبيها؟

وقيل: أنه كان مؤامرة بين رجال ثلاثة أعاتتهم عائشة على ما تأمروا فيه، بما كان لهما من الحظوة عند رسول الله، وكان هؤلاء الرجال على زعم أولئك القائلين: أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح، وهم الذين أسرعوا - من

المهاجرين - إلى سقيفة بني ساعدة ليدركوا الأنتصار قبل أن يتفقوا على اختيار أمير أو خليفة لرسول الله.

وقيل: إن هؤلاء الرجال الثلاثة اتفقوا على تعاقب الحكم واحداً بعد واحد: أبو بكر فعمر فأبو عبيدة. ولهذا قال عمر حين حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حياً لعهدت إليه لأنه أمين هذه الأمة. كما قال فيه رسول الله؟ وهذا زعم روجه بعض المستشرقين ولقي بين القراء الأوربيين كثيراً من القبول، لأنه شبيه بما عهدوه في أمثال هذه المواقف من أحاديث التذبير والتمهيد وروايات التواطؤ والإتمار^(١).

وقال في عبقرية عمر:

((ونفس عمر بن الخطاب هي تلك النفس التي تدعم علم الأخلاق من الأساس، وهي ذلك الصرح الشامخ الذي تنظر إلى أساسه فكأننا تسلقنا النظر إلى ذروته العليا، لأنه قرب بين الآمال والقواعد أوجز تقريب، إذ هو التقريب الملموس))^(٢).

وقال بعد ذكره ما صدر من عمر في صلح الحديبية: ((هذه المراجعة كانت من خلاص عمر التي لا يجيد عنها ولا ياباها النبي ﷺ (٩) وكثيراً ما جراه وأستحب ما أشار به وعارض فيه (٩)).

فلا جرم يراجع النبي في كل عمل أو رأي لم يفهم مآتاه ومرماه ما أمكته المراجعة وما قلقت خواطره حتى تثوب إلى قرار. اللهم إلا أن تستعصي المراجعة ويعظم الخطر، فهناك تأتي الخليفة العمرية بآية الآيات من الاستقلال

(١) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية (العبيريات الإسلامية) / ١٨٠.

(٢) نفس المصدر / ٤٣٨.

والحب والحزم الذي يضطلع بجلائل المهمات. فلَمَّا دخل النبي ﷺ في غمرة الموت ودعا بطرس يملي على المسلمين كتاباً يسترشدون به بعده، أشفق عمر من مراجعته فيما سيكتب وهو جد خطير (٢) وقال: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسناً، ومال النبي ﷺ إلى رأيه (٢) فلم يعد إلى طلب الطرس وإملاء الكتاب، ولو قد علم النبي ﷺ أن الكتاب ضرورة لا محيص عنها لكان عمر يومئذٍ أول المجيبين^(١).

وقال في عبقرية الإمام علي عليه السلام:

((وربما كانت أصح العلاقات المعقولة لأنها وحدها العلاقة الممكنة المأمونة، وكل ما عداها فهو بعيد من الأمكان بعده من الأمان. فهو يحبه ويمهد له وينظر إلى غده، ويسره أن يحبه الناس كما أحبه، وأن يحين الحين الذي يكون فيه أمورهم إليه .. وكل ما عدا ذلك، فليس بالممكن وليس بالمعقول .. ليس بالممكن أن يكره له التقديم والكرامة. وليس بالممكن أن يحبهما له، وينسى في سبيل هذا الحب حكمته الصالحة للدين والخلافة ..

وإذا كان قد رأى الحكمة في استخلافه، فليس بالممكن أن يرى ذلك ثم لا يجهر به في مرض الوفاة أو بعد حجة الوداع. وإذا كان قد جهر به، فليس بالممكن أن يتألب أصحابه على كتمان وصيته وعصيان أمره إنهم لا يريدون ذلك مخلصين، وإنهم إن أرادوه لا يستطيعونه بين جماعة المسلمين، وإنهم إن استطاعوه لا يخفي شأنه بيران مبين، ولو بعد حين..

فكل أولئك ليس بالممكن وليس بالمعقول ..
 وإنما الممكن والمعقول هو الذي كان، وهو الحب والإيثار، والتمهيد
 لأوانه، حتى يقبله المسلمون ويتبها له الزمان»^(١).

هذا ما تفتقت عنه عبقرية العقاد، ولا نطيل عند أقواله. ولكن لنا أن نسأل
 منه. ونحن أيضاً نكبر فيه ذلك النظر الثاقب إلى أبعد العواقب. حين حاول جاهداً
 دفع معرفة النشاط المحموم الذي كان من عائشة في تهمة الأجواء لأبيها
 وصاحبه، فدفع ذلك بالصدر دون حجة، بينما هي التي تقول كما رواه مسلم في
 الصحيح واحتج به ابن تيمية - كما مر - وقد مثلت عن كان يستخلف
 النبي ﷺ لو استخلف فسمت أباها ثم عمر ثم أبا عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى
 هذا. فلماذا جعل هذا زعماً روجه بعض المستشرقين؟

وأين هم من عائشة ومعنى ما رواه مسلم عنها، ومن أين لها علم ذلك إن
 لم يكن ثمة تدير وتمهيد، وتواطؤ وائتمار:

ثم الذي قاله في عبقرية عمر من أن نفس عمر هي تلك النفس التي تدعم
 الأخلاق من الأساس وهي ذلك الصرح الشامخ ... كيف يتم له صدق ذلك وهو
 الذي يقول بعد هذا - في مراجعة عمر للنبي ﷺ في صلح الحديبية - : «إنها
 كانت من خلائق عمر التي لا مجيد عنها ولا يابها النبي؟ وكثيراً ما جراه
 واستحب ما أشار به وعارض فيه (٩)».

أليس هذا من زخرف القول؟ فهذه كتب السيرة والتاريخ تذكر ان عمر
 كان فظاً غليظاً ولا يهمننا ذلك بمقدار ما يهمننا تنبيه القارئ إلى ان هذه نفس عمر
 التي كانت تدعم علم الأخلاق من الأساس كما يقول العقاد.

ثم لیت العقاد تروی قليلاً ولم يرسل القول على عواهنه، وراجع الكلمة قبل أن يكتبها.

فقوله: «وكثيراً ما جراه واستحب ما أشار به وعارض فيه»؟ لماذا لم يوثق دعواه بشاهد صدق واحد من ذلك الكثير الذي زعمه. وأين كان ذلك المستحب من مشورته الذي جراه فيه النبي ﷺ.

وما أدري هل أن ما كان من إعراض النبي ﷺ عن أبي بكر وعن عمر حين شاور الناس في يوم بدر فتكلما فأعرض عنهما، كان ذلك من شواهد الكثير الذي زعمه^(١)؟

وما أدري لماذا تغير وجه رسول الله ﷺ حين قال أبو بكر وحين قال في أناس من قريش: «إنهم جيرانك وحلفاؤك... الخ»^(٢) فهل هذا من شواهد ذلك الكثير الذي زعمه ا

وما أدري لماذا قال ﷺ بعد الذي مرّ (يا معشر قريش والله ليعثنّ الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للإيمان فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم)، فقال أبو بكر: «أنا هو يا رسول الله؟» قال: (لا)، قال عمر: «أنا هو يا رسول الله؟» قال: (لا، ولكن ذلك الذي يخصف النمل). وكان أعطى علياً رضي الله عنه نعلًا يخصفها^(٣). وهل هذا من شواهد ذلك الكثير الذي زعمه، ثم إن قوله أشفق عمر من مراجعته فيما سيكتب وهو جد خطير وقال إن النبي غلبه الوجد ... الخ.

(١) انظر مستند أحمد ٣ / ٢١٩ و ٢٥٧.

(٢) نفس المصدر ١ / ١٥٥.

(٣) انظر الخصائص للنسائي / ١١.

كيف يكون قد أشفق من المراجعة، وهو الذي صدّه عن الكتابة وشاق الكلمة وشطر الحاضرين إلى فريقين فريق معه وفريق عليه، حتى وقع النزاع والخصومة فطردهم النبي ﷺ وقال: (قوموا عني لا ينهني عندي تنازع)؟ فهل هذا كان من الإشفاق؟ أو هو من تعلن الشقاق؟

ثم يقول العقاد من دون استحياء: ((ولو قد علم النبي أن الكتاب ضرورة لا محيص عنها لكان عمر يومئذٍ أول المجيبين))؟

يا لله أمكدا تقلب الحقائق ويتلاعب بالعقول؟

أما ما قاله في عبقرية الإمام فقد أتى فيه بالمغالطة الفاضحة حيث أنكر النص وتكّر لجميع ما قاله النبي في حق الإمام علي عليه السلام مصحراً وجهراً بالقول، بدءاً من يوم حديث الإنذار: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^(١) ومروراً بيومي المؤاخاة ويوم المناجاة بالطائف وأيام براءة وحجة الوداع والغدير كل ذلك لم ير العقاد فيها نصاً بل هو إلماح وتأهيل للمستقبل وأقصى ما تدل على الحب والإيثار والتمهيد لأوانه^(١) وخل عنك كل ذلك ولكن هلمّ فاسأل العقاد عن حديث الكتف والدواة فيم كان التنازع بين الصحابة فمنهم من قال القول ما قال النبي، ومنهم من قال القول ما قال عمر؟

سؤال وجواب:

ولا بد لنا الآن من العودة إلى حديث الرزية وطرح الأسئلة التالية، لتعرف من أجوبتها على مدى صدق العقاد في مقاله بأن ذلك تأهيل وتلميح وليس هو نص صريح:

- ١- ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب في ذلك الكتاب؟
 - ٢- ومن أراد النبي ﷺ أن يكتب باسمه ذلك الكتاب؟
 - ٣- ولماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب له ذلك الكتاب؟
 - ٤- ولماذا أراد النبي ﷺ شيئاً دون غيره أن يكتب له ذلك الكتاب؟
- أربعة أسئلة قد تبدو متشابهة، وليست كذلك بل هي متشابهة، يأخذ تاليها برقية أولها والجواب عن أولها يقضي بالجواب عن ثانيها وهكذا. للتداخل فيما بينها، وأخيراً سنعرف من الجواب عليها الجواب على ما قاله العقاد الذي حاول تعقيد الواقع الذي حدث بإنكاره جملة وتفصيلاً فجاوز بعقريته ما قاله علماء التبرير، وزاد عليهم.

والآن إلى الأجوبة عن تلك الأسئلة:

أولاً. ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب في ذلك الكتاب؟

لا يخفى على كل إنسان يمتلك قدرة البحث والوعي ويتحلى بالتزاهة أن يدرك قصد النبي ﷺ من أمره بإحضار الدواة والكف، فهو حين يرجع إلى جوّ الحديث - حديث الكف والدواة - زماناً ومكاناً وملاحظة سائر الحيشيات التي أحاطت ذلك الجوّ المكفهر بوجوه الصحابة، تزول عنه أغشية التضليل التي نسجها علماء التبرير. ويزداد إيماناً واطمئناناً بأن النبي ﷺ لم يرد أن يكتب للصحابة حكماً لم يبلغه كما أحتمله أو طرحه بصورة الاحتمال بعض علماء التبرير.

لأن احتمال ذلك موهون ومردود بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ اكْتُمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١) والآية تقطع جهيزة كل متقطع.

ولو تترنا جدلاً وقلنا بذلك، فهو أيضاً غير مقبول ولا معقول:

أولاً: لأنه ﷺ دعا بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده. وكتابة الحكم الواحد أو المهم كما زعمه بعض علماء التبرير، لا تفي بالغرض ولا تأتي بالنتيجة المرجوة، وكتابة جميع الأحكام تحتاج إلى عدة أكتاف إذ لا يحويها الكتف الواحد، ولا أقل على مثل كتاب الله تعالى في تعدد الأكتاف لأن الأحكام وما جاء به الرسول ﷺ تساوي الكتاب ان لم تزد حجماً عليه.

ثانياً: لم يعهد منه ﷺ أنه كان يكتب لهم الأحكام الشرعية أو يأمر بكتبتها، وإنما كان يبلغهم ذلك شفاهاً، نحو قوله ﷺ صلوا كما رأيتموني أصلي، وخذوا عني مناسككم ونحو ذلك مما عرفهم من الأحكام من طرق قوله وعمله وتقريره. ولم يعهد أن كتب لهم حكماً واحداً. نعم قد يوجد في بعض كتبه وعهوده ومراسلاته إلى الملوك ورؤساء القبائل مما ينبغي التعرض له فهو حين يدعوهم إلى الإسلام فلهم كذا وكذا، وإن أبوا فالجزية عن يدهم صاغرون، وكل ما كان كذلك فهو لمن بعد عنه، ولم يكن لمن معه في المدينة، ولم يذكر ﷺ كتب لأهل المدينة مثلاً والذين هم معه حكماً واحداً.

ثالثاً: لو تجاوزنا ما تقدم فالذي سيكتبه من الأحكام ليس بعاصم لجميع الأمة إنما يعصم من ابتلي بالحكم فقط ولا يعصم غيره ما دام باب الاجتهاد والتأويل قد فتحه علماء التبرير على مصراعيه، والنبي ﷺ يريد ضمان السلامة لجميع أمته من الضلالة.

إذن فاحتمال كتابة حكم أو مهمات الأحكام مستبعد من ساحة الجدل. ويبقى السؤال الذي فرض نفسه، ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب في ذلك الكتاب؟

ولابد في الجواب الصحيح هو الاحتمال الآخر وقد طرحه علماء التبرير، وقال غيرهم بتعيينه وهو كتابته بتعيين ولي الأمر من بعده. ليتولى تسيير الأمة وفق مصالحها المشروعة، وإذا تعين ذلك لهم فهو الذي يحل مشاكلها من بعده، وبالتالي هو الذي يعصمها من الوقوع في هوة الضلالة. إذن مراده ﷺ كان كتابة اسم من يخلفه في قيادة الأمة ويكون على رأس النظام الحاكم، فيتولى قيادة الأمة إلى شاطئ النجاة بما يصلح أمورها في الدين والدنيا.

قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة: ((وكان النبي نفسه قد همّ بكتابة عهد يمنع شغب الطامعين في الحكم، ثم بدا له فاختر أن يدع المسلمين وشأنهم ينتخبون لقيادتهم من يحبون... ها))^(١). ولقد كان في أول كلامه مصيباً ولكنه أخطأ في آخره ويعرف جوابه مما سأتي.

ثانياً. من ذا أراد النبي ﷺ أن يكتب اسمه في ذلك الكتاب؟

والجواب على هذا يختلف عليه المسلمون. ومن الطبيعي أن يكون كذلك، تبعاً لأختلاف الواقع عن الشرعية، فأهل السنة لهم جواب لتبرير الواقع، والشيعية لهم جواب آخر بحسب الشرعية وإرادة النبي ﷺ:

١- أما أهل السنة فقد قالوا إلا من شد منهم: إن النبي ﷺ أراد أن يكتب كتاباً لأبي بكر ثم أعرض عنه بمحض اختياره، وقال: يا أي الله ذلك والمؤمنون إلا أبا بكر، مستدين إلى روايات تنهي كلها إلى عائشة، وأخرجها البخاري ومسلم. وقد مرّت الإشارة إليها والردّ عليها في جملة مناقشة أقوال علماء التبرير. فلا حاجة إلى اهادتها.

٢- وأما الشيعة فقد قالوا أنه ﷺ أراد أن يكتب الكتاب باسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعطيه حجة تحريرية بخلافته من بعده، لكنه صدّ عن ذلك باعتراض عمر ومن تابعه، فترك ذلك بعد انتفاء الغرض المطلوب من الكتاب لظن عمر في الكاتب فضلاً عن الكتاب. ولهم حججهم على ذلك.

والباحث المتجرد عن الهوى والتعصب يدرك أنّ الحقّ معهم، ويؤيدهم في ذلك اعترافات خطيرة صدرت عن عمر بعد ذلك اليوم بقرابة عقدين من الزمن.

وقد مرّ في مناقشات علماء التبرير الالمام إليها. وستأتي بأوفى من ذلك عند البحث عن (ماذا قال عمر؟ وماذا أراد عمر؟).

والآن لنقرأ شيئاً ممّا ساقه علماء الشيعة في حججهم على أنّ المراد للنبي ﷺ هو كتابة الكتاب باسم عليّ. وهو لا يتنافى مع قولهم بالنص عليه قبل ذلك بل هو منه. لأنهم قالوا إنّما أراد التأكيد لما رأى من بوادر الشر المحقق بالامة، فلنقرأ ذلك.

ثالثاً، لماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب له الكتاب؟

قالوا: إن الرسول الكريم ﷺ لما نزل عليه الوحي في حجة الوداع بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رَسُولَاتَهُ وَاللَّهُ يَقْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) وكان قد وصل المسلمون معه إلى غدير خم بين مكة والمدينة فأمر بحط أوزار المسير عند الغدير، وقام في المسلمين في رمضان الهجر على منبر من حدود الإبل ليستشرف الناس، وخطب خطبة طويلة، أبان لهم فيها أن الله تعالى أمره بأن ينصب علياً إماماً وعلماً لأمته من بعده، ثم أخذ بيد عليّ فرفعها حتى بان يياض أبطيها وقال: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ...) إلى آخر الخطبة ثم نصب لعليّ خيمة خاصة وأمر المسلمين بالسلام على عليّ بأمره المؤمنين، فبايعوه.

وكان ممن دخل عليه وبايعه الشيخان أبو بكر وعمر وقالوا له: يخ يخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

وهذا هو النص الذي كان بعد حجة الوداع وجهر به النبي ﷺ، ولكن الاستاذ العقاد ياباه ويقول: «فليس من الممكن أن يرى ذلك فلا يجهر به في مرض الوفاة وبعد حجة الوداع». وما أدري أيّ جهر بالقول أوضح وأفصح من ذلك؟ وما أدري لماذا لم يقرأ العقاد حديث أم سلمة قالت: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه - وقد امتلأت الحجرة من أصحابه - : (أيها الناس

(١) المائدة / ٦٧.

(٢) راجع كتاب الغدير للمرحوم الشيخ الأمينى الجزء الأول ستجد تفصيل ذلك موثقاً بالمصادر المقبولة عند المسلمين من السنة لأنها من كتبهم.

يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت اليكم القول معدرة إليكم، إلا أنني مخلف فيكم كتاب ربي ﷻ وعترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألوهما ما خلفت فيهما))^(١).

ولماذا لم يقرأ الأستاذ وأضرابه أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) وإن حاول هو أو بعض التشكيك في زمان نزولها في ذلك، فليقل لنا هو وغيره ما سبب نزول قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣) أليس كان من أسباب نزولها مجيء بعض الحاقدين الحاسدين لعلي فقال للنبي ﷺ ((أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم فقبلناها منك، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: (من كنت مولاه فهذا مولاه)، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟

قال: (الله الأدي لا إله إلا هو إن هذا من الله)؟

فولّى وهو يقول: اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب اليم، فرماه الله بحجر على رأسه فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾^(٤).

(١) الصوامع المحرقة ٧٥/ ط اليمينية وفي جمع الفوائد للروائي ٣٣٧/٢ عن أم سلمة رفته (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) وأرجح المطالب للامرتسري ٣٤٠/ و ٥٩٨ ط لاهور.

(٢) المائدة ٣/.

(٣) المعارج ١/.

(٤) راجع كتاب الفدير للمرحوم الشيخ الأميني الجزء الأول ستجد تفصيل ذلك موثقاً بالمصادر المقبولة عند المسلمين من السنة لأنها من كتبهم.

بعث أسامة إجماعاً وقائياً:

ولما رأى النبي ﷺ حالة المسلمين يومئذ وما أححق بهم من شر مستطير، لا بدَّ له من اتخاذ تدبير وقائي لوحدة الصف، وما ذلك إلا إبعاد عناصر الشغب الذين كان يخشى منهم الجفاء والعداء لولي الأمر من بعده، لتخلو المدينة منهم ويصفو الجو لخليفته الذي أمرته السماء بنصبه يوم الغدير. وقد تبين له - والوحي يخبره ويأمره - أن الحاقدين والموتورين ممن وترهم عليّ في سبيل الدين - قتل آباءهم وأخوانهم وعشيرتهم - قد هدت منهم كوامن الشحنة على وجوههم، وبدأ التآمر والكيد. كل ذلك أحسن به النبي ﷺ ورأى دنو أجله، فلا بدَّ له من اتخاذ ذلك التدبير الوقائي الذي لو تمّ، لتمّ الأمر لولي الأمر دون منازع.

فأمر بتجهيز جيش أسامة إلى بلاد مؤتة، وفي تأميره شاباً لم يتجاوز العشرين من عمره على قيادة جيش يضم من شيوخ المهاجرين والأنصار أشخاصاً بأعيانهم مؤكداً عليهم الخروج، ولعن المتخلف منهم، كل ذلك له دلالة واضحة وعملية، على أن الفضل للكفاءة وليس للسنّ مهما كان صاحبه وإن هذا الاجراء الاحتياطي الوقائي لو تمّ لكانت الأمة في راحة من عناء الشقاء والشقاق، والذي لم تزل ولا تزال تكوي بناره، فهو ﷺ حين اختار أسامة دون غيره ممن سبق له أن ولاهم قيادة السرايا في الغزوات، كان يعطي أمته درساً بليغاً بأن الجدارة والاستحقاق إنما تكونان بقدر الكفاءة لا بقدر السنّ، ولا شك أن النبي ﷺ لم يرشح في توليته الرجال للمناصب إلا مستحقي الجدارة، فمن

استحق بكفائه موقعاً في القيادة قدمه، وإن كان صغيراً في سنّه، لأن كبر السن لا يهب الأغبياء عقلاً، ولا صغر السن ينقص الأكفاء فضلاً.

فما الحدائث عن فضل بمانعة ولا الكفاءة في سنّ وإن هرموا
قد أرسل الله عيسى وهو ابن ساعته فلم يحايي شيوخاً ما ألدي نقموا

وكانه ﷺ هياً المسلمين لقبول (قاعدة الكفاءة) في ولاية أمورهم، وتبهم عملياً على أن ليست الشهرة أو السن أو غيرها من مقومات الشخصية، كفيلة باستحقاق الإمارة والولاية، فلذا قال ﷺ رداً على من نغم تأمير أسامة عليهم: (وأيام الله إن كان - زيد - لخليقاً للإمارة، وإن ابنه لخليق للإمارة)، كما سيأتي ذلك عن صحيح البخاري وغيره.

وبهذا التدبير الحازم قطع حجة الزاعمين أنّ الأمانة والولاية لمن كان في السنّ متقدماً.

من كان تحت أمرة أسامة:

قال الرواة: لقد عقد اللواء لأسامة بيده، وأمره على جيش عدته ثلاثة آلاف فيهم من قريش سبعمائة إنسان. وقد روى الرواة أسماء بعض الشيوخ الذين كانوا في ذلك الجيش فكان منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم وأسيد بن حضير وبشير بن سعد، وهناك آخرون^(١) ولكن كل من سمينا منهم ومن لم نسم لم يمثلوا أمر النبي ﷺ، بل تخلفوا وطعنوا في تأمير أسامة عليهم.

(١) طبقات ابن سعد ٤/٤٦ و ١٣٦، وتاريخ يعقوبي ٢/٩٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٥٩/١ ط محققه وفتح الباري لابن حجر ٩/٢١٨ - ٢١٩، وكنز العمال ٥/٣١٢ ط الأولى

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «تكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على
جلّة المهاجرين والأنصار؟

فغضب رسول الله ﷺ لما سمع ذلك، وخرج عاصباً رأسه، فصعد المنبر
وعليه طيفة فقال: (أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ لئن
طعتم في تأمير أسامة فقد طعتم في تأميري أباه من قبله، وإيم الله ان كان لخليقاً
بالامارة، وابنه من بعده لخليق بها...))^(١).

وقال أيضاً: «وتقل رسول الله ﷺ وأشد ما يجده، فأرسل بعض نسائه إلى
أسامة وبعض من كان معه يعلمونهم ذلك. فدخل أسامة من معسكره... فخطأ
أسامة عليه فقبله ورسول الله ﷺ قد اسكت فهو لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى
السماء ثم يضعهما على أسامة كالداعي له، ثم أشار إليه بالرجوع إلى معسكره،
والتوجه لما بعثه، فرجع أسامة إلى معسكره.

ثم أرسل نساء رسول الله ﷺ يأمرنه بالدخول وقلن: ان رسول الله ﷺ قد
أصبح بارئاً، فدخل أسامة من معسكره يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول،
فوجد رسول الله ﷺ مفيقاً، فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ، وقال: (أغد على بركة
الله).

وتهذيب تاريخ ابن مساكين ٣٩١/٢، ومن كتب المتأخرين حياة محمد لمحمد حسين هيكل
٤٦٧. والملاحظ في هذه المصادر المذكورة كلها قد ورد اسم أبي بكر واسم عمر فهين
سماهم النبي ﷺ ان يخرجوا تحت قيادة أسامة ولم تذكر انهما سمعا واطاها، بل ذكرت
انهما كانا يخرجان ويهودان بحجة او بغير حجة ويكفي وجودهما عند النبي ﷺ يوم
الخميس حين امر باحضار الدواة والكتف وهو دليل على انهما كانا يراقبان حالة
النبي ﷺ ويترقبان موته ولديهما حيلة يجب ان يقوموا بتنفيذها.
(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥٩/١ ط محقق . صحيح البخاري (كتاب المغازي باب
بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه).

وجعل يقول: (أنفذ وأبعث أسامة)، ويكرر ذلك، فودّع رسول الله ﷺ وخرج ومعه أبو بكر وعمر. فلما ركب جاءه رسول أم أيمن فقال: إن رسول الله ﷺ يموت.

فأقبل ومعه أبو بكر وأبو عبيدة، فانتهاوا إلى رسول الله ﷺ حين زالت الشمس من هذا اليوم وهو يوم الاثنين وقد مات، واللواء مع بريدة بن الحصيب، فدخل باللواء فركزه عند باب رسول الله ﷺ وهو مغلق^(١).

هذا ملخص حادث بعث أسامة ورزية من تخلف عنه.

(سؤال بعد سؤال فهل من جواب؟)

أولاً: لقد مرّ بنا أنّ أبا بكر وعمر وابن عوف وسعداً أو سعيداً والزبير وأبو عبيدة كانوا فيمن سأمهم النبي ﷺ وأمرهم بالخروج فتخلفوا، وقد لعن ﷺ من تخلف عن جيش أسامة^(٢) فهل هم ممّن شملتهم لعنة الرسول ﷺ؟ وكيف وهؤلاء ممّن زعم الزاعمون أنهم من المبشرين بالجنة، فهل يجوز أن يلعن النبي ﷺ من شهد له بالجنة وبشره بها؟

ثانياً: لقد مرّ بنا أنّ بعض نساء النبي ﷺ أرسلت إلى أسامة وبعض من كان

معه.

فمن هي تلكم البعض من نساته ﷺ؟ ومن هم أولئك البعض ممّن كان مع

أسامة؟

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦٠/١ ط. محققة.

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ٣٣/١ ط. الثانية سنة ١٣٩٥، وشرح المواقيف للجرجاني

٤٠٨/٨ ط. دار الكتب العلمية بيروت.

ولماذا لم يفصح الراوي بأسمائهم؟ فهل من المستبعد أن يكون تلكم البعض (الأول) هي من نسائه اللاتي سبق للنبي ﷺ أن أسرَّ إليهن حديثاً فلماً نيات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض كما في سورة التحريم؟ وهل من المستبعد أن يكونا هما اللتان تظاهرا عليه كما في سورة التحريم؟ ثالثاً: لقد مرَّ بنا أيضاً أن نساء النبي ﷺ أرسلن إلى أسامة ثانياً يأمرنه بالدخول، فهل كنَّ جميع نساته؟ أو هنَّ اللاتي أرسلن إليه أولاً؟ ومهما يكن فهل من حقهنَّ الإرسال؟ وما هو حقهنَّ في الأمر؟

رابعاً: لقد مرَّ بنا أيضاً أن أسامة وبعض من كان معه أمتلوا أمر النساء المرسلات، فهل كان أمرهنَّ أوجب طاعة من أمر النبي ﷺ؟ فما بالهنَّ تخلفوا عن أمتثال أمره ﷺ ولم يذهبوا حيث أمرهم وتباطؤوا متخلفين؟ ثم هم هبوا سراعاً لأمتثال من أمرتهم من النساء طائعين سامعين فيعودوا مسرعين؟

خامساً: لقد مرَّ بنا كتمان الرواة لأسماء تلكم النسوة فهل كان كلَّ الرواة نسيّاً فنسوا أسماءهن كما نسوا الوصية الثالثة في حديث الكنف والدواة؟ أم أن في كتمان ذلك ستر عليهن والله يحب الساترين؟

ومهما تكن حقيقة ذلك فسيبقى التساؤل قائماً - وبدون جواب مقنع - هل كان ثمة تنسيق وتديير بين بعض نساء النبي ﷺ وبين أسامة وبعض من كان معه؟ وهذا أيضاً ليس بالمستبعد من ساحة التصور، كما أنه أيضاً غير مستبعد حتى في مرحلة التصديق، لأن أسماء الذين ذكرتهم الرواية أنهم أقبلوا مع أسامة هم الثالث - أبو بكر وعمر وأبو عبيدة - ونجد لهذا الثالث أهلية الترشيح للخلافة فيما ترويه عائشة وقد مرَّ حديثها، كما نجد لهذا الثالث تنسيقاً في

المواقف من بعد موت النبي ﷺ. كل ذلك يصدق ما قيل من وجود تنسيق وتدبير بينهم وبين بعض نساء النبي ﷺ ويوحى بأن ثمة تخطيط وتآمر، حيث كان تشاور وتجاوز، لاقتناص الخلافة من صاحبها بأي ثمن، كان ولو على حساب الشرعية والدين.

لذلك لم يكن تخلف من تخلف عن جيش أسامة عفويًا. كما لم يكن تناقل أسامة بالخروج عاجلاً عفويًا أيضاً. ولم يكن تلك المراسلات بين بعض أزواج النبي ﷺ وبين أسامة وبعض من كان معه عفويًا أيضاً.

كل ذلك يوحى بضلوع عناصر فاعلة وخطيرة في تلك المؤامرة، لذلك كان النفر الذين وردت أسماؤهم يراوون بيت النبي ولا ييارحونه، وان بارحه الرجال فلهم من نساء النبي ﷺ عون وعين.

فهذا كله قد أحسن به ﷺ مضافاً إلى أن السماء توحى إليه بأخبارهم، ثم تأمره بتنفيذ أمر الله سبحانه، وإن كلفه عناءً وجهداً، ولاقى عناداً ونصباً، فلذلك اتخذ التدبير الحازم والسريع. والأكثر ضماناً للنجاح - لو تم - فأمر أن يأتوه بالدواة والكتف، ليكتب للأمة كتاباً لن يضلوا بعده أبداً. وتلك الوثيقة هي الحجة الشرعية التحريرية التي لا يمكن أن تكرر أو تتناسى كسائر ما سبق منه شفاهاً. وتبقى حجة يحتج بها الخليفة من بعده.

فهذا هو ما أراده النبي ﷺ.

وهذا هو ما أدركه عمر وبقية من حضر من طائعين وعاصيين. فنبذه عمر وتبعه قوم فشقوا النبي ﷺ في أمره، وقبله آخرون ودعوا إليه سامعين طائعين. وهذا هو الذي لم يخف من بعد على الصحابة فرووه كما رأوه.

وهذا هو الذي لم يخف على التابعين وتابعي التابعين، وحتى علماء التدوين، لذلك أجهزوا عليه فحرفوه وزوروا فيه، وقد مرّت رواياتهم في صور الحديث وسأتي شواهد أخرى.

وهذا هو الذي تهرب من ذكره صراحة بشكل وآخر علماء التبرير، فحاولوا جاهدين ليكتموا الحق، فقالوا أنه أراد أن يكتب لأبي بكر، ولعمري لو كان ذلك صحيحاً لكان عمر أول المجيبين المستحيين. ولكن ذلك شأن الجدليين المعاندين، أيضاً في صرف النظر عن حق الإمام علي عليه السلام الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتب له ذلك الكتاب، فأمعنوا في إخفاء الحقيقة. وهيئات أن تخفى الشمس وإن جللها السحاب.

رابعاً. لماذا أراد علياً دون غيره؟

والجواب على هذا يستدعي مقدمة نعرف منها دور الرسول ﷺ في ذلك. وتلك هي أن ننظر بتجرد وموضوعية إلى ذلك الدور، فهل كان ﷺ فيه مأموراً؟ أو مختاراً؟ إذ لا يخلو من هاتين الحالتين.

فإن كان مأموراً - وهو لا بد أن يكون كذلك كما هو شأن الرسالة ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(١) - وما كان شأنه في التبليغ إلا على حد قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُمَا الرَّسُولَ يَبْلُغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

(١) النور/ ٥٤.

(٢) المائدة/ ٦٧.

ومن كان دوره التبليغ، والتبليغ قطع لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَكَلَّمَ نَبِيَّ عَلَيْنَا بَغْضِ الْأَقَابِيلِ ﴿١٠٠﴾ لِأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٠١﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَيْبِينَ ﴿١٠٢﴾﴾^(١).

فليس من حقه أن يكون له أي دور سوى تبليغ ما أمره الله به، وقد مرّ التصريح منه ﷺ بذلك حين اعترض عليه جلف جاف في أمر بيعة الغدير لعلي عليه السلام منك أو من الله؟ فأجاب قائلاً: الله الذي لا إله إلا هو. من الله.

وحيث أن بيعة الغدير وكتابة الكتاب لو تمت، كالتأهما كانت لبيعة علي عليه السلام وخلافته، وهما من واد واحد، وفي الأولى كان عبداً مأموراً فكذلك هو في الثانية كان عبداً مأموراً، وأيضاً ليس من حق أي أحد أن يعترض عليه في تنفيذ أمره.

وإذا لم نقل بهذا فما هو إلا الاختيار، وإنما أراد علياً من نفسه لعواطف شخصية - والعياذ بالله - فلنتظر لماذا تلك العواطف؟

هل كانت نسبية، فهو قريبه وابن عمه؟ وهذا غير مقبول ولا معقول، لأن للنبي ﷺ من العمومة وأبناء العمومة غير علي، وفيهم من هو أكبر سناً من علي، وليس فيهم من تحقد عليه قريش كما كانت تحقد على علي لأنه قتل سناديدهم ووترهم في الله. فلماذا لم يشر إلى أي واحد من أولئك الأحياء فيؤمله لأي قيادة أو إمارة أو ولاية لا تصريحاً ولا تلميحاً.

إذن ليست رابطة النسب وحدها هي المرجح لعلي دون غيره، وليس لقاعدة النسب أي دور في الترشيح.

ثم هل كانت رابطة المصاهرة لأنه كان صهراً له علي أخته؟ وهذا أيضاً غير مقبول ولا معقول إذ لم تكن رابطة المصاهرة تكفي للترشيح، على أنها ليست أقوى من رابطة القرى.

وقد كان للنبي ﷺ أصهاراً غير عليّ، وهم أقدم مصاهرة منه، وتجمعه وإياهم قريى نسب من بعد، كما في عثمان وهو من بني عبد مناف. فلماذا لم يحض عثمان بشرف ذلك الإختيار؟

إذن ليس تعيين عليّ ﷺ للخلافة دون غيره على حساب القريى النسبية وحدها، ولا عليها وعلى رابطة المصاهرة. ولا بد أن يكون ليس للأختيار الشخصي من النبي ﷺ في تعيينه أيّ دور، وإنما هو أمر من الله تعالى، ودوره هو التبليغ فقط، للمؤهلات التي كانت في عليّ ﷺ ولم توجد في غيره.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(١).

النتائج:

لقد تبين بوضوح على الأسئلة المتشابهة على النحو التالي:

- ١- ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب في الكتاب؟ الجواب: أراد أن يكتب كتاباً يعين فيه وليّ الأمر بعده.
- ٢- من أراد أن يكتب اسمه في الكتاب؟ الجواب: أراد أن يكتب اسم عليّ في ذلك الكتاب.
- ٣- لماذا أراد أن يكتب له ذلك الكتاب؟ الجواب: لأنه رأى ضغائن قوم خشي عليه منهم.
- ٤- لماذا أراد علياً ﷺ دون غيره؟ الجواب: لأن الله تعالى أمره بذلك.

من هم المعارضة ؟

إذا رجعنا نستقريء صور الحديث نجد تعميماً متعمداً على أسماء المعارضة سوى اسم عمر بطلها المقدم صاحب الكلمة النافذة، كالسهم في قلب النبي ﷺ حتى (غم) أغمي عليه. وباختصار نجد: في الصورتين: (١، ٢) المرويتين عن عليّ ﷺ وابن عباس، فقام بعضهم ليأتي به فمنعه رجل من قريش (٣) وقال: ((إن رسول الله يهجر)).

وفي الصورتين (٣ ، ٤) المرويتين عن عمر: ((فكرهنا ذلك أشد الكراهية)) (٤).

وفي الصورة (٥) المروية عن جابر: فكان في البيت لفظ وكلام وتكلم عمر ...

وفي الصورة (٦) فأختلف من في البيت وأخصموا فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ ومن قائل يقول: القول ما قال عمر.

وفي الصورة (٧) فقال بعض أصحابه: ((أته يهجر))، قال: - وأبى أن يسمى الرجل - فجتنا بعد ذلك، فأبى رسول الله أن يكتبه لنا.

وفي الصورة (٨) فقال بعض من كان عنده: ((إن نبي الله ليهجر)).

وفي الصورة (٩) برواية البخاري: فتنازعا ... فقالوا: ((هجر رسول الله)).

وبروايته الأخرى عن سفيان ... فقالوا: ((ما له أهجر)) استهجموه.

وبرواية الطبري فقالوا: ((ما شأنه أهجر)) استهجموه.

وفي الصورة (١٠) برواية البلاذري، فقال: ((أترأه يهجر))، وتكلموا ولغطوا.

وبرواية ابن سعد، فقالوا: ((إنما يهجر رسول الله)).

- وفي الصورة (١١) فقال بعض من كان عنده: ((إن نبي الله ليهجر)).
- وفي الصورة (١٢) فقال عمر: ((قد غلبه الوجع)) فاختلف أهل البيت فأختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم ... ومنهم من يقول ما قال عمر ... فلما كثر اللغط والاختلاف، وغموا رسول الله ﷺ فقال: (قوموا عني).
- وفي الصورة (١٤) فأقبل القوم في لغطهم.
- وفي الصورة (١٥) فأخذ من عنده من الناس في لغط.
- وفي الصورة (١٧) فلنطوا فقال: قوموا.
- وفي الصورة (١٨) فتنازعا عند رسول الله ﷺ وقال رجل من القوم: إن الرجل ليهجر، فغضب رسول الله ﷺ وأمر بإخراجه وإخراج صاحبه.
- وفي الصورة (١٩) فقال المكدول: إن النبي يهجر كما يهجر المريض، فغضب النبي ﷺ، قال ﷺ: فأخرجوه فأخرجناه.
- وفي الصورة (٢٠) فمنعه رجل ...
- وفي الصورة (٢١) فدعا العباس بصحيفة ودواة، وقال بعض من حضر: ((إن النبي ﷺ يهجر)).
- وفي الصورة (٢٢) فقالوا: ((ما شأنه أهجر)).
- وفي الصورة (٢٤) إن قوما قالوا عن النبي ﷺ في ذلك اليوم: ((ما شأنه هجر)). رواه ابن حزم.
- وفي الصورة (٢٥) فتنازحوا فقال بعضهم: ما له أهجر استعيده، فقال عمر قد غلبه الوجع. كما في رواية المقرئ.

هذه حصيلة ما ورد في صور الحديث الذي تكثرت وتكسرت، حتى يصعب على الرائي فيها تجميع أجزائها بصورة واحدة. وهذا ما يدل على مدى التضبيب الذي لفّ الهالة لتميع الحالة، وتضبيب القالة. ولكن لم يخف وجه الكراهية التي أبدتها المعارضة بشدة، فهم الذين نابذوا الرسول ﷺ منذ بدء دعوته وحتى ساعة وفاته وما بينهما من مواقف، وما بالهم نسوا أن الخير كان ويكون فيما كانوا يكرهون.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١)

وبعد هذا هل يصح أن يقول علماء التبرير أخيرهم المقاد وليس آخرهم، إن النبي كان يحب أن يحب الناس حلياً، فهو يحبه ويمهده له وينظر إلى غده ... ثم يقول: وليس من الممكن ... وليس من الممكن ... ولا بد لنا الآن من النظر في حال عمر وماذا أراد بقوله؟

ماذا قال عمر؟

ليس من شك فيما قال عمر، إذ نسب قول النبي ﷺ إلى الهجر: إن النبي يهجر، إنما يهجر رسول الله.

وليس من شك في أن علماء التبرير أضغوا على جفاء هذه الكلمة، نسيجاً أوهى من نسيج العنكبوت، وألقوا ظلالاً - وضلالاً - من التشكيك في تحوير ما قال لسماجته، وقد مرّ في صور الحديث ما طرأ على الكلمة من تحريف شائن، كما مرّ في أقوال علماء التبرير مقالة متهالك مائن، في تصريف الكلمة على وجوها غير الصرفية، فقالوا يهجر إلى يهجر، إلى أهجر إلى هجر هَجَرَ

وأستبطنوا لكل وجهاً في القراءة، حتى جعلوها من الإنشاء إلى الاخبار ثم عادوا إلى الإستفهام في مقام الإنكار وهو تشرق وتغرب، وتصعيد بلا تصويب، وإذ لم يجدوا مناصاً في إنكارها، جعلوها فضيلة لعمر بعد أن كانت وصمة عليه. فقالوا إنما قال ذلك إنكاراً على من تخلف عن أمثال أمر النبي ﷺ، وهذا التفسير ياباه عليهم حتى عمر.

ومهما يكن فإن الصحيح عندي أنه قال: «إن الرجل ليهجر» كما رواها الغزالي^(١)، وإن ورد أيضاً: «أنه يهجر» كما في الصورة الحادية عشرة من صور الحديث، وقد مرّت نقلاً عن ابن سعد في الطبقات^(٢)، ونقلها البيهقي مسنداً^(٣)، وذكرناها عن المستخرج للإسماعيلي، نقلاً عن الملا علي القارئ في شرح الشفاء^(٤)، وفي طبقات ابن سعد أيضاً، ومسند أحمد^(٥)، وكتاب السنة للخلال المتوفى سنة ٣١١^(٦)، ومعجم الطبراني الكبير^(٧)، وغيرها: «فقالوا: إنما يهجر رسول الله ﷺ»، وفي لفظ الطبري: «(إن رسول الله يهجر)^(٨)»، وفي تاريخ ابن خلدون: «فتنازعوا وقال بعضهم: أنه يهجر، وقال بعضهم: أهجر؟ يستفهم»^(٩).

(١) سرّ العالمين / ٩ ط مصر سنة ١٣١٤ هـ. ولا يضرنا التشكيك في نسبة الكتاب إلى

الغزالي بعد أن نسبته إليه سبط ابن الجوزي الحنبلي في تذكرة الخواص.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٦/٢.

(٣) سنن البيهقي ٤٣٥/٣ ط بيروت سنة ١٤١١ (باب كتابة العلم في الألواح والأكتاف).

(٤) شرح الشفاء لملا علي القارئ ٣٥٣/٢ ط استنبول سنة ١٣١٦، ونسيم الرياض للصفاحي

٧٧٩/٤ ط أهدت دار الكتاب العربي بيروت.

(٥) مسند أحمد ٣٥٥/٥.

(٦) كتاب السنة ٧٧١/١ ط الرياض.

(٧) معجم الطبراني الكبير ٤٤٥/١١ ط الموصل.

(٨) تاريخ الطبري ١٩٣/٣ ط دار المعارف.

(٩) تاريخ ابن خلدون ٨٤٩/١ ط دار الكتب اللبناني.

وجاء في حديث سليم بن قيس الهلالي عن ابن عباس: ((قال رجل منهم: ان رسول الله يهجر))^(١)، وغير هؤلاء.

وبدلنا على نسبة عمر الهجر إليه ﷺ، تلجج بعضهم عند ذكر كلمته فيقول: ((قال كلمة معناها إن الوجد غلب عليه))، وهذا ما صنعه ابن أبي الحديد وسائر من استهجن الكلمة من علماء التبرير لما فيها من مساس بقداصة الرسول وقدسية رسالته. فحذفوها وأثبتوا البديل عنها: ((قد غلب عليه الوجد)).

والآن ليفكر القارئ في أمر عمر أي شيء كان يدعو له تلك المقالة الثانية والكلمة القارصة؟ وماذا عليه لو كان النبي ﷺ كتب ذلك الكتاب ليعصم عمر وغير عمر من الأمة من الضلالة إلى الأبد؟

وهل كان عمر يحب أن يبقى الناس في طخياء الضلالة يعمهون؟ فليقل علماء التبرير ما عندهم؟ وهل كان عمر يعتقد في نفسه ((إن النبي يهجر))؟ وكذلك فليقولوا ما شاؤا في ذلك، وقد مرّ بعض ما عندهم من تخليط.

أم كان عمر يريد أمراً آخر من وراء كلمته، فلم يرّ لديه أبلغ مما قاله ليلجج مراده؟ وهذا ما نراه ولا نتجنّى عليه، فقد كان هو أيضاً يراه، وقد صرح بذلك، ومرّت بعض تصريحاته في التعقيب على ما قاله علماء التبرير (عمريون أكثر من عمر) فراجع حيث علم أن النبي ﷺ يريد أن يكتب الكتاب باسم عليّ فمنع من ذلك.

فمنها قوله: ((ولقد أراد - رسول الله ﷺ - أن يصرح بأسمه - يعني عليّاً - فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام))؟

ومنها قوله: ((لقد كان من رسول الله ﷺ ذرواً من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عدراً)).

(١) وسياتي الحديث بتمامه.

ومنها قوله: ((إن رسول الله ﷺ أراد ذلك وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله، أو كل ما أراد رسول الله كان)) ١٤
ومنها قوله: ((فكرهنا ذلك أشد الكراهية)) (٢)

ولماذا يا أبا حفص؟ ولا نحتاج إلى الجواب، ما دمت أنت القاتل لابن عباس: ((إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة)). ولماذا أيضاً؟ وأنت تعلم أن علياً كان أحق بها من غيره، وأنت الذي اعترفت بذلك وقلت لابن عباس: ((أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر)).

وهذه الأقوال جميعها قد مرّت مسندة إلى مصادر موثوقة فراجع (عمر بن عمر من عمر).

من أين علم عمر مراد الرسول ﷺ؟

والآن لنبحث من أين علم عمر أن النبي ﷺ أراد أن يكتب الكتاب باسم عليّ عليه السلام، وهو لم يذكره باسمه كما في الحديث، ولم يكتب بعد كتابه ليعلم بذلك عمر، فمن أين علم بذلك فقال ((أته ليهجر))؟

لقد علم ذلك من قوله ﷺ: ((لن تضلوا بعده - بعدي - أبداً)).

وهذه الكلمة لم ترد في شيء من الأحاديث النبوية إلا في بضعة أحاديث كلها توحى بفضل عليّ منفرداً أو مجتمعاً مع أهل بيته خاصة، وهم فاطمة والحسن والحسين الذين هم قرناء الكتاب، كما في حديث الثقلين والتمسك بهما عاصم من الضلالة.

وإلى القارئ تلکم الأحاديث التي وردت فيها جملة: (لن تضلوا)، وهي دالة على ان التمسك بعلي وأهل بيته أمان من الضلالة، ولم ترد في حق أي إنسان سواهم:

أولاً: حديث الثقلين وهو من الأحاديث المتواترة رواه أكثر من أربعين صحابياً في ستة مواطن، وأخرجت أحاديثهم المصادر الكثيرة وقد نافت على المائة^(١). ولفظه كما في أكثر من موطن قاله رسول الله ﷺ فيه ذلك: (أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما - الأكبر كتاب الله، والأصغر عترتي أهل بيتي - وإن اللطيف الخبير عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين - أشار بالسبابتين - ولا أن أحدهما أقدم من الآخر، فتمسكوا بهما، لن تضلوا ولا تقدّموا منهما ولا تغفلوا عنهما، ولا تعلموهن فإنهم أعلم منكم).

وهذا ما قاله في حجة الوداع في يوم عرفة وفي مسجد الخيف بمنى وفي غدير خم، سوى ما قاله قبل ذلك في يوم فتح الطائف عام ثمان من الهجرة، وسوى ما قاله بعد حجة الوداع وآخر مرة في هجرته وعلى منبره يوم قبض ﷺ. وقد كان أبو بكر يقول: ((علي عتره رسول الله ﷺ)) كما أخرج ذلك عنه السيوطي في جمع الجوامع وعنه المتقي الهندي في كتر العمال^(٢).

ثانياً: ما رواه الحسن بن علي وعائشة وأنس وجابر مرفوعاً قال: ((ادعوا إلي سيّد العرب - يعني علي بن أبي طالب - فقالت عائشة: ألسن سيّد العرب؟ فقال: (أنا سيّد ولد آدم وعلي سيّد العرب)، فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال

(١) أنظر كتاب علي إمام البصرة ١/٢٩٢ - ٣١٨ ط دار الهدى.

(٢) كتر العمال ١٥/١٠١ ط الثانية حيدرآباد.

لهم: (يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به (لن تضلوا) بعده أبداً)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (هذا عليٌّ فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي، فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم من الله ﷺ) (١).

ثالثاً: ما روته أم سلمة قالت: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صرحه هذا المسجد فنادى بأعلى صوته فقال: (ألا لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلا لرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بينت لكم الأسماء أن لا تضلوا)) (٢).

رابعاً: ما رواه زيد بن أرقم قال: ((كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: (ألا أدلكم على من لو أسترشدتموه (لن تضلوا) ولن تهلكوا)؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: (هو هذا وأشار إلى عليّ بن أبي طالب) ثم قال: (وآخوه ووازره وصدقوه وانصحوه فإن جبرئيل أخبرني بما قلت لكم)) (٣).

خامساً: وثمة حديث - رواه ابن حجر في الصواعق (٤) - جاء فيه التصريح باسم عليّ عقب ذكر حديث الثقلين فاقراً ذلك: ((إنه ﷺ قال - في مرض موته - أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦٣/١ وقال رواه أبو بشر عن سعيد بن جبير عن عائشة نحوه في السؤدد مختصراً، والطبراني في معجمه الكبير ٨٨/٣، والهيتمي في مجمع الزوائد ١٣١/٩، والمحجب الطبراني في الرياض النضرة ١٧٧/٢، وفي الذخائر ٧٠، والسيوطي في جمع الجوامع كما هي ترتيبه كنز العمال ٢١٦/٢ و ١٢٦/٥، وغيرهم وكلهم عن عائشة.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦٥/٧، والسيوطي في اللئالي المصنوعة ١٨٣/١ ط مصر الأولى نقلًا عن سنن البيهقي - وعلى القارئ المقارنة ليجد كيف تلاعبت الأهواء بالسيوطي فحرف وغير.

(٣) أخرجه ابن المغازلي المالكي في المناقب ٢٤٥.

(٤) الصواعق المحرقة ٧٥ ط الميمنية ١٣١٢.

معدرة إليكم، ألا وإني مخلف فيكم كتاب ربي ﷺ وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفتقان حتى يردا عليّ الحوض، فاسألوهما ما خلفت فيهما)).

سادساً: ما رواه ابن عباس ؓ قال: ((قال رسول الله ﷺ: (لن تضلوا ولن تهلكوا وأنتم في موالة عليّ، وإن خالفتموه فقد ضلّت بكم الطرق والأهواء في الغي فاتقوا الله، فإن ذمة الله عليّ بن أبي طالب))^(١).

وأحسب أن هذا هو تنمة ما مرّ قبله، ومهما يكن فهذه جملة أحاديث وردت فيها صيغة (لن تضلوا) (أن لا تضلوا) وكلها في أهل البيت ﷺ منها ما يخصّ عليّاً بمفرده، ومنها ما يعنه وبقية أهل بيته، فهل من المعقول والمقبول دعوى أن عمر لم يسمعها؟ ليس من الممكن أن لا يكون عمر سمعها من النبي ﷺ أو ممن سمعها منه كلّها أو بعضها، وحيث لم يرد في مورد جملة (لن تضلوا) إلا وهي توحى بذكر عليّ وأهل بيته ﷺ، فلذلك لما قال ﷺ: (اتنوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا)، أستشعر عمر من ذلك ما هو إلا التصريح باسم عليّ في ذلك الكتاب، فذلك حجة مكتوبة ليس من السهل عليه ولا على غيره إنكارها. وذلك هو ما اعترف به لابن عباس بعد ذلك، فلم يجد سلاحاً أقوى عنده يشهره في وجه الشرعية في ذلك الوقت غير كلمة ((إن النبيّ ليهجر)) وبذلك نسف للمحاولة الفعلية ولجميع المحاولات اللاحقة التي ربّما يفاجأ بها. وهذا معنى كلماته التي مرّت على القارئ في تعريفاته الخطيرة، فراجع.

(١) انظر يتابع المودة للفتدوري ٢/٢٨٠.

فنسبة الهجر إلى النبي المعصوم إقدامٌ جريء، مع إساءة أدب مع النبي ﷺ ومساس بشخصه الكريم، وأجراً من ذلك دعواه في كلمته الأخرى ((وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله))، ولنستذكر ما مرّ من أقوال علماء التبرير الذين رأوا في هذه الكلمة دليلاً على فقاهة عمر بل وأقهيته على ابن عباس، حيث اكفى بالقرآن ولم يكتف ابن عباس به (١٩) وهذا ما مرّ عن ابن بطال والنوي وغيرهما فراجع. فقد يتنا هناك من هو الأفقه منهما بحجج لا يقوى زوامل الأسفار على حملها فضلاً عن ردّها.

والآن فلنعد إلى تفسير كلمته ((حسبنا كتاب الله)) وما تعنيه من دلالة ظاهرة وما تخفي من معنى أشتملت عليه، وماذا أراد عمر بقوله: ((وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله)):

ماذا أراد عمر بقوله: ((حسبنا كتاب الله))؟

ليس في قوله: ((حسبنا)) أيّ ضموض لغوي، ولا اشتراك لفظي، ومعناه كفانا، و(حَسَبَ) اسم معنى لا اسم فعل، بدليل زيادة الباء عليه في قولهم بحسبك درهم، وهكذا قول الداعي حسبي الله، أي كفاني دون غيره، كما يصح أن يقول (بحسبي) أي كفاني، هذا من ناحية المعنى في اللغة العربية. إذن ماذا أراد عمر غير ذلك؟ وهل وراء ذلك مراد لعمر؟ نعم إنّه الكناية عن الاستغناء بالقرآن دون عديله، وما عسى ذلك الرفض إلا لمن عيّنه رسول الله ﷺ في حديث الثقلين، وهم العترة، الذين هم الثقل الأصغر، وهو الآخر الذي يباه عمر فاستبعده جاهداً، وفرض الاستغناء بالقرآن وحده فقال: ((وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله)). وذلك ما دلّ عليه معنى (حسبنا) أي كفانا، وإن قيل ما الدليل على ان ذلك مراد عمر؟

فإننا نقول: دليلاً على ذلك اعترافاته السابقة بأنه فهم ذلك فقال: «حسبنا... الخ».

ولولا أن يكون ذلك مراد عمر لما كان معنى لقوله: «حسبنا كتاب الله» ولا معنى لقوله: «وعندكم القرآن»، واحتمال أنه أراد الاستغناء بالقرآن وحده لأنه فيه تبيان كل شيء، لقوله تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) كما قاله علماء التبرير فليس ذلك بصحيح ولا يمكن أن يُصحح له، لأن القرآن وحده لا يغني ما لم يكن معه من يعلم تأويله قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢)، والله سبحانه يقول: ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله في تفسير هذه الآية فقال: (نحن أهل الذكر) ولا شك أن علياً عليه السلام كان منهم بل ومن أفاضلهم، كيف لا وهو الذي دعا له الرسول بأن يكون الأذن الواعية، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعْيَبَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾^(٤)، وهذا هو الذي أدركه عمر وفهمه، لذلك استبعد الضميمة عن القرآن، فرفضها ومنع النبي ﷺ من كتابة الكتاب الذي لن تفضل أمته من بعده ما إن تمسكوا به.

وفي حديث الثقلين دلالة واضحة أن التمسك بهما معاً - القرآن والعترة - هو السبيل العاصم من الضلالة. وليس التمسك بأحدهما دون الآخر بعاصم وحده.

(١) الأنعام / ٢٨.

(٢) آل عمران / ٧.

(٣) النحل / ٤٣.

(٤) شواهد التنزيل للحسكاني ٢/ ٢٧٢، وحلية الأولياء ١/ ٦٧، وفرائد السمطين للحموييني وكنز العمال ١٥/ ١٥٧ ط الثانية ومناقب ابن المغازلي الحديث / ٣٦٦، وسقط النجوم الموائى ٢/ ٥٠٤، وتفسير الطبري ٢٩/ ٥٥، وتفسير الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية نقلاً عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

ونحن إذا استذكرنا ما مرّ آنفاً من أنّ عمر كان جاداً في دفع عليّ عما أرادَه الله تعالى له على لسان نبيّه، ولَمَّا كان عليّ عليه السلام هو واحد من العترة بل هو سيدهم، أدركنا المعنى الحقيقي لكلمة عمر: ((حسبنا كتاب الله)) وهي تعني التفكيك بين القرآن والعترة عند التمسك بهما. والرد الحاسم على استبعاد العترة من أهلية التمسك بها، لذلك ارتكب ما ارتكب ممّا لا يجوز لمثله أن يفعله، وقال ما قال ممّا ليس من حقّه أن يقوله. ولكنه اليقظ الحذر والمتمرس على الخلاف على النبي صلى الله عليه وآله، وشواهد ذلك يكفي منها يوم صلح الحديبية، ويوم الصلاة على ابن أبيّ. وغير ذلك.

فأي مانع له الآن أن يعلن الخلاف، ويقول ما لا يحل له ولأي مسلم أن يقوله فينسب الهجر إلى النبيّ المعصوم. ما دام هو بذلك يرفض قرناء الكتاب، وكان من الطبيعي لمثله، وهو يريد ذلك أن يقول للحاضرين: ((وعندكم القرآن))- يعني لا حاجة لنا بالعترة التي يدعونا الرسول صلى الله عليه وآله إلى التمسك بالكتاب وبها كما في حديث الثقلين -.

ولندع هذا الجانب التفسيري لكلمته، ولنعد إلى الجانب اللفظي لها. ولنستغل عقولنا ثانية، وكأننا نبحث عن حاقّ المعنى لقوله. فماذا كان يعني بكلمته: ((حسبنا كتاب الله))؟ أو ليس معنى ذلك هو رفض السنّة؟ التي هي تلو الكتاب؟ أفهل كان يرى حقاً عدم حجية السنّة؟

نعم كان وكان، ولسنا نحمله إلاّ تبعه أفعاله، لأنّه ممّن أمر في أيامه بتحريقها ومحوها^(١). وما دام ليس من حقنا أن نحمله خشية الإتهام بأننا لسنا معه

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/١٧ و ١٠٨/١٤، وشواهد التنزيل ١/٣٣٤-٣٣٧.

على رأي فلتترك الحديث لأئمة عمرين لا يشك في ولائهم لعمري، مثل الإمام الشافعي وابن حزم، والبيهقي، والسيوطي.
فلنقرأ ما يقول كل واحد في عدم الاستغناء بالكتاب وحده ولا به من السنة معه، وهم غير متهمين فيما يقولونه في إدانة من قال بالاستغناء بالكتاب وحده حتى ولو كان عمر:

١- ماذا قال الشافعي؟

قال الإمام الشافعي في الرسالة ونقله عنه البيهقي في المدخل^(١): ((قد وضع الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من دينه وفرضه وكتابه الموضوع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه بما افترض من طاعته، وحرّم من معصيته وأبان من فضيلته، بما قرن بين الإيمان به مع الإيمان به فقال تبارك وتعالى: ﴿قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣) فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله معه.

قال الشافعي: وفرض الله على الناس إتباع وحيه وسنن رسوله فقال في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤).

(١) نقل كلامه بنصه السيوطي في رسالته مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة / ٤٠٣ ضمن مجموعة الرسائل المنبرية أواخر المجلد الثاني.

(٢) الأعراف / ١٥٨.

(٣) النور / ٦٢.

(٤) آل عمران / ١٦٤.

قال الشافعي: فذكر الله الكتاب والقرآن، وذكر الحكمة فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله) وقال: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١). ثم ساق الكلام إلى أن قال: فأعلمهم أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم طاعته فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

واحتج أيضاً في فرض اتباع أمره بقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْكُونَ مِنْكُمْ لِوَأذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤) وغيرها من الآيات التي دلت على اتباع أمره ولزوم طاعته فلا يسع أحد رد أمره لفرض الله طاعة نبيه.

٢- ماذا قال ابن حزم؟

قال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام: «لا تعارض بين شيء من نصوص القرآن ونصوص كلام النبي ﷺ وما نقل من أفعاله فقال سبحانه خيراً عن رسوله: ﴿وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٥)، وقوله تعالى:

(١) النساء/٥٩.

(٢) النساء/٦٥.

(٣) النور/٦٣.

(٤) الحشر/٧.

(٥) النجم/٣-٤.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدْتُمْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢). فأخبر ﷺ أن كلام نبيه وحي من عنده كالقرآن في أنه وحي...ها)^(٣).

٣- ماذا قال البيهقي؟

وقال البيهقي بعد احكامه هذا الفصل: «ولولا ثبوت الحجّة بالسنة لما قال صلى الله عليه (وآله) وسلم في خطبته بعد تعليم من شاهده أمر دينهم (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فربّ حامل مبلّغ أوعى من سامع) ثم أورد حديث: (نصّر الله امرؤاً سمع منا حديثاً فأداه كما سمعه، فربّ مبلّغ أوعى من سامع)». وهذا الحديث متواتر كما سأبينه.

قال الشافعي: «فلما ندب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إلى استماع مقاله وحفظها وأدائها، دلّ على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجّة على من أدى إليه، لأنّه إنّما يؤدي عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحدّ يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا».

ثم أورد البيهقي من حديث أبي رافع قال: «قال رسول الله ﷺ: (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتي الأمر من أمري ممّا أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)»^(٤).

(١) الأحزاب/٢١.

(٢) النساء/٨٢.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام/١٧٤/١.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه والحاكم والبيهقي في دلائل النبوة وإسناده صحيح، وقال الترمذي حسن صحيح مشكاة المصابيح ٥٧/١.

وأخرج البيهقي بسنده عن شيب بن أبي فضالة المكي: ((إن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم: يا أبا نجد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن؟ فغضب عمران وقال لرجل قرأت القرآن؟ قال: نعم، فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً، والغداة ركعتين، والظهر أربعاً، والعصر أربعاً؟ قال: لا، قال: فمن من أخذتم ذلك؟ أستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعير كذا، وفي كل كذا درهماً كذا؟ قال: لا، قال فمن من أخذتم ذلك؟ أستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال: أوجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَبْتَغُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١)، أو وجدتم فيه فطوفوا سبعاً، واركعوا خلف المقام؟ أو وجدتم في القرآن: لاجلب ولاجنب ولا شغار في الإسلام؟

أما سمعتم الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢)؟

قال عمران: فقد أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء ليس لكم بها علم^(٣).

وأخرج البيهقي والحاكم عن الحسن قال: ((بينما عمران بن الحصين يحدث عن سنة رسول الله إذ قال له رجل يا أبا نجد حدثنا بالقرآن، فقال له

(١) الحج/ ٢٩.

(٢) الحشر/ ٧.

(٣) مفتاح الجنة في الإحتجاج بالسنة للسيوطي / ضمن مجموعة الرسائل المنيرية المجلد الثاني.

عمران أنت وأصحابك تقرؤون القرآن؟! أكنت تحدثني عن الصلاة وما فيها وحدودها؟

أكنت تحدثني عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ ولكن قد شهدتُ وغبّتُ أنت، ثم قال: فرضَ رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا، فقال الرجل: أحييني أحياك الله.

قال الحسن فما ماتَ ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين^(١).

٤- ماذا قال السيوطي؟

قال في ديباجة كتابه: «اعلموا رحمكم الله ان من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وان مما فاح ريحه في هذا الزمان. وكان دارساً بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو ان قائلًا رافضياً (٢) زنديقاً أكثر في كلامه: ان السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علواً وشرقاً - لا يصح بها، وأن الحجية في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حديث: ما جاءكم عن من حديث فاعرضوه على القرآن، فإن وجدتم له أصلاً فخلوا به وإلا فردوه. هكذا سمعت هذا الكلام بجملة منه وسمعه منه خلاق غيري ... فاعلموا رحمكم الله من أنكر كون حديث النبي ﷺ وقولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة ... وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من خلافة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاعتصار على القرآن...»^(٣) إلى آخر كلامه.

(١) مفتاح الجنة في الإحتجاج بالسنة للسيوطي / ٣٣ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية المجلد الثاني.

(٢) نفس المصدر / ٢.

ونحن لا نريد مناقشته في حكمه الكلي على الكبرى فهو عين الصواب، ولكن هلمّ الخطاب في تطبيق الحكم على الصغرى في المقام. ويجب أن لا يستغفل القارئ بما قاله السيوطي الذي شتّها حرباً شعواء على ذلك الرافضي المجهول الهوية. كما يجب أن لا نظلمه مادامت حجته صحيحة كما حكاهما عنه السيوطي نفسه.

فإنّ الذي زعمه السيوطي في حكاية قوله: «هو إهمال السنّة بالمرّة فلا يحتاج بها»، بينما الذي حكاه من فحوى دليله هو وجوب عرض السنّة على الكتاب، والأخذ بها ما دامت غير مخالفة له. وأين هذا من عدم حجيتها والاكتفاء بالقرآن؟.

وإذا صحّ ما ذكره السيوطي عنه من الدليل يكون الرافضي المجهول الهوية على حق في كلامه، لأنّ الحديث الذي يخالف القرآن زخرف وباطل ويضرب به عرض الجدار. وهذا هو المنطق الصحيح والسليم الذي يقطع جهيزة كلّ الوضاعين والمدلسين الذين كذبوا في الحديث ونسبوه زوراً إلى النبي ﷺ، وهو منه ومنهم بريء.

وأين هذا ما شهّر به السيوطي بقوله: «إنكار الاحتجاج بالسنّة والاقتصار على القرآن...»؟ وهل من الإنصاف أن يرمي بالزندقة لأنّه يقول إنّ السنّة ليست ناسخة للقرآن ولا قاضية عليه، ولأنّ السنّة الصحيحة هي التي لا تخالف القرآن! ثمّ ما رأي السيوطي في قول عمر: «حسبنا كتاب الله وعندكم القرآن»؟ أليس ذلك نبذه للسنّة نهد الحصاة وراء ظهره؟

ثم ما رأي السيوطي في قول عمر في خطبته: «لا ييقن أحد عنده كتاباً إلا أتاني به فأرى فيه رأيي»، فظنوا أنه يريد النظر فيها ليقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار^(١). كما بعث إلى الامصار يأمرهم: من كان عنده شيء فليمحه؟^(٢).

فيا هل ترى من هو الذي أنكر الاحتجاج بالسنة؟ ذلك الرافضي المنكود حظه؟ أم هو عمر بن الخطاب المشهود رفضه؟

ثم هل من حقنا ان نسأل السيوطي عن حكمه هل هو مخصوص بذلك الرافضي؟ أم هو عام لكل من أنكر الاحتجاج بالسنة؟ وهل يرضى أن يحكم به على عمر؟ وهل يرضى بذلك علماء التبرير وهو منهم؟ ثم ما باله وهو من أهل السنة، وما دام غيوراً على السنة، يستنكر ما قاله الرافضي الذي حامي عن حريم السنة بأن لا تشوبها شوائب الكذابين، بل كان الأولى أن يدعو له ويستغفر له، فهو يريد حماية السنة لاعدم الاحتجاج بها ونبذها كمن قال: «حسبنا كتاب الله وعندكم القرآن»، بالله لقد صبح المثل السائر: (رمتي بدائها وانسلت)، وما علينا الآن إلا أن نقول للسيوطي رضينا بك حكماً بيننا وبينك ورضينا بحكمك على كل من قال بعدم الاحتجاج بالسنة من الأولين والآخرين من أي فرق المسلمين.

ويكفينا في إدانة السيوطي كتابه: «اللاليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعية» لماذا كتبه؟ أليس لتخليص السنة من الشوائب. إذن فقول الرافضي بعرض السنة على الكتاب خير ميزان وليس فيه عين، وكتابه المذكور لم يخلف

(١) طبقات ابن سعد ٥/١٨٨، وتقييد العلم للخطيب البغدادي.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر.

السنة من كل شين. «أَقَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبَيِّحَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^(١).

وأخيراً فقد تبين لنا أن عمر إنما قال: «حسبنا كتاب الله، عليكم بالقرآن» ليستفرد بالكتاب وهو الثقل الأكبر ويستبعد الثقل الأصغر وهم العترة، وسيّد العترة عليّ كما هو معلوم عند المسلمين، وكان أبو بكر يقول ذلك أيضاً^(٢). وليس معنى ذلك الاستبعاد لأهل البيت عن ساحة الخلافة، يعني بالضرورة أن لانجد عمر يتحدث بفضائلهم كما كان أبو بكر يفعل كذلك، حتى لقد عقد المحب الطبري في الرياض النضرة باباً في ذكر ما رواه أبو بكر في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وباباً (في ذكر ما رواه عمر في عليّ)، ووردت عنهما أحاديث كثيرة في فضائل أهل البيت، يقف عليها الطالب في كتب المناقب للخوارزمي الحنفي وابن المغازلي المالكي والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي سوى ما أورده الحاكم في المستدرک وابن عساکر الشافعي في تاريخ دمشق وغيرهم وغيرهم. فالحديث بفضائل أهل البيت ليس بضارّ لهما بل ربّما أصابا منه نفعاً من تطيب النفوس بإظهار المودة بعد ما تمّ استبعادهم عن الخلافة، ثمّ تجريدهم حتى من بعض اختصاصهم.

ألم يروي الطبراني في الأوسط وعنه الهيثمي في مجمع الزوائد عن عمر قال: «لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم جِثَّتْ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى عَلِيٍّ فَقُلْنَا مَا تَقُولُ فِيمَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: فَقُلْتُ وَالَّذِي بَخِيرُ؟

(١) يونس / ٣٥.

(٢) كنز العمال ١٥/١٠ ط حيدرآباد الثانية.

قال: والذي بخير، قلت: والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك. قلت أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير فلا^(١).

٥ - ماذا قال السندي في حاشيته على البخاري؟

قال: إن الأمر الصادر يفيد أنه أمن من الضلال، فالكتاب الذي يريد الرسول ﷺ أن يكتبه سبب للأمن من الضلال ودوام الهداية. فكيف يخطر على بال إنسان أنه سترتب عليه عقوبة أو فتنة أو عجز.

أما قوله: «حسبنا كتاب الله» لأنه تعالى قال: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^(٢)، ويقول: «اليوم أكملت لكم دينكم»^(٣)، فكل من الآيتين لا يفيد الأمن من الضلال ودوام الهداية للناس، ولو كان كذلك لما وقع الضلال، ولكن الضلال والتضيق في الأمة قد وقع بحيث لا يرجى رفعه، كما أن النبي ﷺ لم يقل لهم أن مراده أن يكتب لهم الأحكام حتى يقال على ذلك: إنه يكفي فهمها من كتاب الله، ولو فرض أن مراد النبي ﷺ كان كتابة بعض الأحكام، ففعل النص على تلك الأحكام منه ﷺ سبب للأمن من الضلالة. وعلى هذا لا وجه لقولهم: «حسبنا كتاب الله»، بل لو لم يكن فائدة النص إلا الأمن من الضلالة لكان مطلوباً جداً، ولا يصح تركه للإعتماد على أن الكتاب جامع لكل شيء، كيف والناس محتاجون إلى السنة أشد احتياج مع كون الكتاب جامعاً، وذلك لأن الكتاب وإن كان جامعاً إلا أنه لا يقدر كل أحد على الاستخراج منه. وما يمكن لهم استخراج منه لا يقدر كل أحد استخراج منه على وجه الصواب.

(١) مجمع الزوائد ٣٩/٩.

(٢) الأنعام/٢٨.

(٣) المائدة/٣.

ولهذا فوَضَّ اللهُ لرسوله البيان مع كون الكتاب جامعاً فقال تعالى لنيّته: ﴿لَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)، ولاشك أن إستخراجه ﷺ من الكتاب على وجه الصواب يكفي ويغني في كونه نصاً مطلوباً لنا، لاسيما إذا أمرنا به، ولاسيما إذا وعد على ذلك الأمن من الضلال، فما معنى قول ((حسبنا كتاب الله)) بعد ذلك؟^(٢)

٦ - ماذا هي القراءة الخلدونية^(٣)؟

ليس من جديد عند ابن خلدون سوى التفاهة على حديث الدواة والكف، بقفزة غير بارعة فطواه وطمس معالم الإدانة فيه في موضع مقدمته فقال: - وهو يذكر أمر النبي ﷺ باحضار الدواة والقرطاس ليكتب صلى الله عليه وآله الوصية - : ((وان عمر منع من ذلك))^(١). ثم قال: ((وما تدهيه الشيعة من وصيته لعليّ ﷺ وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة النقل.

والأدي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس ليكتب الوصية وان عمر منع من ذلك، فدليل واضح على أنه لم يقع))^(٢).

ثم عاد في تاريخه فقال: ((في مرضه ﷺ: ثم جمع أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيراً وقال: (أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بحكم واستخلفه

(١) النحل / ٤٤.

(٢) حاشية السندي على صحيح البخاري ١/٣٣، نقلاً عن معالم الفتن لسعيد أيوب / ٣٦٠.

(٣) القراءة الخلدونية اسم لكتاب كان يدرس في الصف الأول من المدارس الابتدائية في العهد الملكي في العراق نسبة لمؤلفها ابن خلدون. وهزمه بعقلية ابن خلدون في رأيه في

المقام ههنا ما لديه بما هي القراءة الخلدونية.

(٤) مقدمة ابن خلدون / ٢٨٠ ط دار الكتاب اللبناني.

عليكم، وأودعكم إليه إني لكم نذير وبشير ألا تعلموا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يربطون ظمؤهم في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(١)، وقال: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾^(٢).

ثم سأله عن مفسيه؟ فقال: (الأذنون من أهلي).

وسأله عن الكفن؟ فقال: (في ثيابي هذه أو بياض مصر أو حلة يمانية).

وسأله عن الصلاة عليه؟ فقال: (دعوني على سريري في بيتي على شفير

قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، حتى تصلي عليّ الملائكة، ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلوا وليبدأ رجال من أهل بيتي ثم نساؤهم).

وسأله عن يدخله القبر؟ فقال: (أهلي).

ثم قال: (إتوني بدواة وقرطاس، اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده) فتنازعوا

وقال بعضهم: إنه يهجر، وقال بعضهم: أهجر؟ يستفهم، ثم ذهبوا يعيدون عليه، ثم

قال: (دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه). وأوصى بثلاث: أن يخرجوا

المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم. وسكت عن

الثالثة أو نسيها الراوي، وأوصى بالأنصار فقال: (إنهم كرشي وعيالي التي أويت

إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم، فقد أصبحتم يامعشر المهاجرين

تزيدون والأنصار لا يزيدون). ثم قال: (سدوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب

أبي بكر فإنني لا أعلم امرأة أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر ولو كنت

متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة إخوان وإيمان حتى يجمعنا الله

عنده).

(١) القصص / ٨٢.

(٢) العنكبوت / ٦٨.

ثم ثقل به الوجع واغمي عليه، فاجتمع إليه نساؤه وبنوه، وأهل بيته والعباس وعلي:

ثم حضر وقت الصلاة فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فقالت عائشة: «إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك فمر عمر»، فامتنع عمر وصلى أبو بكر، ووجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خفة فخرج، فلما أحس به أبو بكر تأخر فجدبه رسول الله ﷺ وأقامه مكانه، وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر.

قيل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة. وكان يدخل يده في القدح وهو في النزح فيمسح وجهه في الماء ويقول: (اللهم أعني على سكرات الموت).

فلما كان يوم الاثنين وهو يوم وفاته خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه، وأبو بكر يصلي فنكص عن صلاته وردده رسول الله ﷺ بيده صلى قاعداً على يمينه ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكرهم. ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر: «إنني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما تحب»، وخرج إلى أهله في السنع، ودخل رسول الله ﷺ في بيته فاضطجع في حجرة عائشة. ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر عليه وفي يده سواك أخضر فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريد ما قالت: «فمضخته حتى لان واعطيته إياه فاستن به ثم وضعه»، ثم ثقل في حجرته^(١) فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص وهو يقول: (الرفيق

(١) وابن خلدون حين يروي لنا حديث عائشة من السواك الأخضر الذي بيد عبد الرحمن بن أبي بكر ومضغ عائشة له وأعطته للنبي فاستن به ثم وضعه ثم ثقل في حجرته... الخ ولم يعقب عليه بشيء. وكأنه مصدق به ومهما تباله الراوي واستفحل القارئ فلا يكاد يصدق بأن إنساناً في حالة النزح يمكنه أخذ السواك ليستن به. وما أدري كيف فعل ابن خلدون أو تفاعل من ذكر تنمة معزوفة السواك الذي مضفته السيدة عائشة حين قالت - فجمع الله بين ريقه وريقه في آخر يوم من الدنيا (سير أعلام النبلاء للذهبي

الأعلى من الجنة)، فعلمت أنه خير فأختار. وكانت تقول: قبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وذلك نصف نهار يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الأول...»^(١).

هذا ما أردنا نقله من قراءة ابن خلدون في مقدمته وتاريخه، لنوقف القارئ على تخبطه في عرض ماجرى في فترة مرض النبي ﷺ وحتى وفاته ﷺ.

وكانه قد جند نفسه لتكثيف حضور أبي بكر وآل أبي بكر. فأبو بكر فهم نبي النبي ﷺ نفسه حين قال: (إن عبداً من عباد الله خيرهُ الله بين الدنيا وبين ما عنده)، وفهمها أبو بكر فهكى فقال: ((بل نفديك بأنفسنا وأبائنا)) فقال: (على رسلك يا أبا بكر)؟

وأبو بكر يحظى ببقاء باه شارحاً إلى المسجد وتغلق سائر الأبواب غير باه؟
وأبو بكر يؤمر بالصلاة دون غيره؟ وأخيراً أضطجع النبي ﷺ في حجرة ابنة أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر يدخل وفي يده سواك أخضر فينظر إليه النبي ﷺ وتعلم عائشة ابنة أبي بكر أنه يريد أن يأخذه وتمضغه حتى لان وتعطيه فيستن به. وأخيراً توفي وهو في حجرها وبين سحرها ونحرها. فهذا الحضور المكثف لأبي بكر وآل أبي بكر يثير التساؤل عن عمل أهل بيت النبي ﷺ وبقية نسائه أين كانوا وماذا كان في حضورهم؟ في قراءة ابن خلدون؟

٤٣١/١ نقلاً عن البخاري. وفي الهامش تخريجه عن مسلم في صحيحه والقرطبي في تفسيره والبيهقي في سننه الكبرى والتبريزي في مشكاة المصابيح والزبيدي في تحائف السادة المتقين والمرائي في المفني عن حمل الأسفار وابن حجر في فتح الباري. (راجع موارد ذكرهم).

وفي لفظ آخر: وإن الله جمع بين ربي وربيته عند الموت (سير أعلام النبلاء ٤٣١/١) نقلاً عن البخاري وفي الهامش مصادر تخريجه فراجع. ولعل الرجل كان على قدر من الحكمة أحسن بأن ذكر الحبكة بجميع خيوطها سيكشف للقارئ عن زيفها جملة وتفصيلاً.

(١) تاريخ ابن خلدون ٨٤٩/٢ ط دار الكتاب اللبناني.

ألم يقرأ ابن خلدون حديث سلمان الفارسي قال: ((دخلت عليه - أي على النبي ﷺ - صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه فقال لي: يا سلمان ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعليّ) فقلت يا رسول الله: ألا أسهر الليلة معك بدله؟ فقال: (لا هو أحق بذلك منك))^(١).

ألم يقرأ ابن خلدون حديث حذيفة قال: ((كان عليّ أسند رسول الله ﷺ إلى ظهره فقلت لعليّ هلمّ أراوحك؟ فقال رسول الله ﷺ: (هو أحق به))^(٢). وإذا كان ابن خلدون لم يقرأ ذلك، فهل هو لم يقرأ. حضور العباس وحديث اللدود^(٣)؟ قال ابن أبي الحديد: ((وقد وقع اتفاق المحدثين كلهم على أنّ العباس كان ملازماً للرسول ﷺ أيام مرضه في بيت عائشة وهذا لا ينكره أحد))^(٣).

وهو لم يقرأ حديث مسارة النبي ﷺ لابنته فاطمة؟ مرتين بكت في الأولى وضحكت في الثانية وهذا ما رواه الشيخان وغيرهما مما جل عن البيان^(٤). وهو لم يقرأ حديث ابن عباس: ((إنه خرج في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بعصابة دسما ملتحقاً بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر وأوصى بالأنصار فكان آخر مجلس جلسه))^(٥).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥٩١/٢ ط مصر الأولى.

(٢) ذخائر العقبى ٩٥ ط القدسي.

(٣) سيرة ابن هشام تح السقا ورفاقه ٢٢٥/٤. وطبقات ابن سعد ٣٣٢/٢. وتاريخ الطبري ٣/ ١٨٩. ١٩٥ و غيرها.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥٩١/١ ط الأولى و ٣٦٨/١٠ ط محققة بمصر.

(٥) صحيح البخاري برقم ٦٢٨٥ و ٦٢٨٦. وصحيح مسلم برقم ٢٤٥٠ و ٩٨/٢٤٥٠ و ٩٩/٢٤٥٠. وسنن ابن ماجه ٣٢٢١/٦. ومسند أحمد ٢٨٢/٦. وطبقات ابن سعد ٢ ق. ومشكل الآثار للطحاوي ٤٨/١. ومشكاة المصابيح للتبريزي ٦١٢٩/١. وحلية أبي نعيم ٤٠/٢. و غيرها.

(٦) صحيح البخاري برقم ٣٧٩٩ و ٣٨٠١ و غيره.

وهو لم يقرأ حديث الفضل بن العباس: «وقال له النبي ﷺ: يا فضل شد هذه العصاة على رأسي فشدها... الخ»^(١).

وهو لم يقرأ حديث أم الفضل قالت: «خرج رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه في مرضه وصلّى بنا المغرب فقرأ بالمرسلات، فما صلّى بعدها حتى لقي الله تعالى»^(٢).

وهو لم يقرأ حديث أم المؤمنين زينب: «- وهي تقول لأصحاب النبي ﷺ الذين لغطوا عندما أمر بأحضار الدواة وصحيفة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً. فقال عمر بن الخطاب من لفلاة وفلاة - مدائن الروم - إن رسول الله ﷺ ليس بميت حتى نفتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبي ﷺ: ألا تسمعون النبي ﷺ يعهد اليكم فلغطوا فقال: (قوموا)، فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه»^(٣).

وهو لم يقرأ حديث أم المؤمنين أم سلمة قالت: «والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ قالت عدنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: جاء عليّ - مراراً - قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة قالت: فجاء بعد وظننت إن له عليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعنا عند الباب فكننت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه عليّ فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهداً»^(٤).

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢٥/٢.

(٢) مسند أحمد ٩١/٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٣٨/٢ ط ليدن.

(٤) مسند أحمد ٣٠٠/٦، والخصائص للنسائي / ٤٠ ط التقديم ومستدرک الحاكم ٣/١٣٨، ١٣٩.

وإذا كان ابن خلدون لم يقرأ كل ذلك، فهل يعقل أنه لم يقرأ ما روته عائشة وأخرجه البخاري عنها مكرراً وكلاهما عنده في المقام الأسمى من خروجه ﷺ متوكئاً على العباس ورجل - هو عليّ - ولكن عائشة لا تطيق لها نفس أن تذكره بخير وهي تستطيع كما قال ابن عباس فيما رواه الطبري^(١).

ألم يقرأ ابن خلدون هذا الحضور لعليّ والعباس عند النبي ﷺ وقد خرج متوكئاً عليهما حين صلى أبو بكر فتحاه وصلى هو ﷺ بالناس؟ أوليس هذا في صحيح البخاري وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد، وابن خلدون قد رأى تلك الكتب جميعها وأخذ عنها خصوصاً عن كتاب الطبري الذي قال عنه - في ذكره أمر الجمل - اعتمدها للوثوق به لسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة.

ثم ما بال الناس الذين سألوه عن مغسله وكفنه والصلاة عليه وحتى عمّن يدخله القبر، ما بالهم لم يسألوه عمّن يتولى أمرهم من بعده؟
ثم ما باله ﷺ لم يقدم أبا بكر للصلاة عليه أولاً مادام قد أمر بتقديمه للصلاة بالمسلمين مكانه كما يروي ابن خلدون وغيره؟ ولتدع ذكر ما في قراءة ابن خلدون من مثار التساؤل، ونعود إلى إنكاره الوصية للإمام كما مرّ عن مقدمته. وإلى إقراره بأن الذي منع من كتابة ذلك هو عمر، وما صرح به ثانياً بأن الذي منع قال: «أنه يهجر» فتكون النتيجة ماسبق أن ذكرناه في (ماذا قال عمر؟) وأنه الذي قال: «إن الرجل ليهجر».

(١) تاريخ الطبري ٤٣٣/٢، صحيح البخاري ١٣٥/١ باب إنّما جعل الإمام ليؤتم به... ط بولاق.

وأما كون النبي ﷺ لم يكتب الكتاب لمنع عمر ليس يعني أنه لم يكن قد أوصى علياً، فما نعى به على الشيعة في ذلك، وزعم أنه أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة النقل. فنقول له إنه أمر صحيح ونقله جماعة من أئمة النقل.

ونحن لا نطيل الوقوف معه في سرد ما يستدل به الشيعة على وصاية علي عن النبي ﷺ إذ لم يكن دليلهم منحصرأً بذلك الكتاب الذي أراد ﷺ أن يكتبه ومنع عمر منه فلم يقع. فإن لديهم من الأدلة الأخرى والتي رووها عن مصادرهم ومصادر غيرهم وفي هذا القسم الثاني ما يرغم ابن خلدون على قبول أحاديثهم ففيها من صحاح قومه وسنتهم ومسانيدهم وتواريخهم، وفيها أحاديث دلت على أن علياً كان وصي رسول الله ﷺ من قبل يوم الخميس يوم حديث الرزية، بل كان هو وصي رسول الله ﷺ من يوم بدء الدعوة كما في حديث الإنذار. وإليك بعض ما جاء في ذلك صريحاً بالوصية:

١- قال ﷺ: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم)^(١).

٢- قال ﷺ: (فأنت أخي ووزير ووصي وخليفتي من بعدي...)^(٢).

فإذا كان رسول الله ﷺ جعله وصياً واختاره أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً وخليفةً من بعده منذ بدء الدعوة وحتى سائر المشاهد بعد ذلك وفيها أكثر من شاهد، فما ذنب الشيعة إذا آمنوا بصحة ما رواه أسلافهم وأخلافهم، وواقفهم عليه سواهم من لم يمنعهم خلافهم. وحديث الوصية شائع ذائع هتف به الصحابة شعراً ونثراً، ولم ينكر عليهم أحد ذلك.

(١) انظر تاريخ الطبري ٢١٦/٢ ط الحسينية و ٣١٩/٢ ط دار المعارف و ١١٧٢/٣ ط لندن وكتز العمال ٣٩٢/٦ - ٣٩٧ ط الأولى هيدراآباد، و ١٠٠/١٥ ط الثانية هيدراآباد، نقلاً من ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي كليهما في الدلائل.

(٢) انظر السيرة الحلبية ٢٨٦/١ ط البهية، من ابن جرير والبيهقي انهما روايا ذلك.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي - على ما بيالي - : ((ومما روته من الشعر القول صدر الإسلام المتضمن كونه عليه السلام وصي رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:

ومنا عليّ ذاك صاحبٌ خيرٍ وصاحب بدر يوم سالت كتابه
وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

- ثم استورد يذكر أشعاراً لجماعة من الصحابة في ذلك منهم: عبد الرحمن بن جميل، وأبو الهيثم بن التيهان - وكان بدرياً - وعمر بن حارثة الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وزيد بن لييد الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، وخزيمة بن ثابت الأنصاري ذي الشهادتين - وكان بدرياً - وابن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعمرو بن أحيحة، وزحر بن قيس الجعفي ... وقال بعد ذكر أشعار هؤلاء العشرة - ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل، وأبو مخنف من المحدثين وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها ثم قال:

ومما روته من أشعار صفين التي تتضمن من تسميته عليه السلام بالوصي ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين وهو من رجال الحديث، ثم ذكر أشعاراً وأراجيز لكل من الإمام أمير المؤمنين نفسه، وللأشعث بن قيس، وزحر بن قيس أيضاً، وجريز بن عبد الله البجلي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وعبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي، والمغيرة بن الحرث بن عبد المطلب وأخيراً قول صاحبنا عبد الله بن عباس حبر الأمة:

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل

فدونكه إن كنت تبغي مهاجرا أشم كنعل السيف غير حلالحل

- ثم ختم ابن الحديد ذلك بقوله: - والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً، ولكننا ذكرنا منها ههنا بعض ما قيل في هذين الحريين - يعني الجمل وصفين - فأما ما عداهما فإنه يجلّ عن الحصر، ويعظم عن الإحصاء والعدّة. ولولا خوف الملالة والإضجار، لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة ... اهـ^(١).

ولنعم ما استدلل به عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف فقد ذكر فيه بسنده عن معمر عن قتادة أن علياً قضى عن النبي ﷺ أشياء بعد وفاته كان عامتها عدّة. قال: حسبت أنه قال خمس مائة ألف.

قال عبد الرزاق: يعني دراهم.

قلنا لعبد الرزاق وكيف قضى النبي ﷺ وأوصى إليه النبي ﷺ بذلك؟

قال: نعم لا أشك أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فلولا ذلك ما تركوه أن يقضي^(٢).

فبعد هذا كيف يستكر ابن خلدون ما تدعيه الشيعة من وصية النبي ﷺ لعليّ ﷺ وما دام هو نفسه اعترف بأن النبي ﷺ أمر بإحضار دواة وقرطاس ليكتب لأتمه كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، واعترف أيضاً بأن عمر هو الذي منع واعترف بأن بعضهم - المانعين - قال: (إنه يهجر). ولم يكن ذلك إلا عمر. فما دام ابن خلدون اعترف بجميع ذلك عليه أن يذعن بصحة ما تدعيه الشيعة، لأن ذلك ورد في اعترافات عمر، كما ذكرنا في (عمريون أكثر من عمر).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤٧/١ ط الأولى بمصر. وقد ترجم المرحوم السيد هاشم البحراني في كتابه التحفة البهية طالفة من اقوال قدماء الشعراء المتضمنة ان امير المؤمنين ﷺ وصي النبي ﷺ فناهزت التسعين وما فاته منهم ومن اشعار المحدثين اضعاف ذلك.

(٢) انظر المصنف لعبد الرزاق ٢٩٤/٧.

فقد اعترف لابن عباس حبر الأمة - في حديث بينهما حول الإمام والخلافة - : «ولقد أراد - رسول الله ﷺ - في أن يصرح باسمه - يعني علياً - فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيلة على الإسلام».

وقال مرة أخرى في محاوره بينهما في الموضوع نفسه: «إن رسول الله ﷺ أراد ذلك وأراد الله غيره فتغذ مراد الله ولم يتغذ مراد رسول الله ﷺ» ١٩
وقال في مرة ثالثة: «لقد كان من رسول الله ﷺ ذرواً من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً».

إلى آخر ما هنالك من اعترافات خطيرة ذكرناها هناك فليرجع إليها من شاء.

والذي يلفت النظر في القراءة الخلدونية التصريح بأن النبي ﷺ هو الذي عين قبره في بيته فقال: (دعوني على سريري في بيتي على شفير قوري)، فهو لم يترك ذلك مجهولاً حتى يحار أهل البيت في مكان دفنه فينقلدهم من الحيرة أبو بكر بتعيين المكان كما يحلو رواية ذلك للبكرين، كما إن في تصريحه ذلك أيضاً نفي لمن زعم أن البيت هو لعائشة بل هو بيت النبي ﷺ وإنما لها حجرتها فيه.

ومهما قيل عن فهم ابن خلدون في الاجتماع وفلسفة التاريخ فهو غير بارع في التحوير، ولا أمين في المرض كما رأيناه فيما مر من خلط عنده وخطب ممّا لا يخفى على القارئ النبيه.

وإن لم يكن هو بدعاً في ذلك فقد رأينا قبله من وافق ابن خلدون في هواه، ومن بعده من شايعه على دعواه، وذلك هو الشهاب الخفاجي الذي بهت الشيعة كما بهتهم ابن خلدون، فقال: «وقد ادعى الرافضة أن الكتاب

الذي أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي، فلذا منع منه عمر. وهو كذب منهم عليه»^(١).

وبقيت تهمة للشيعة بوضع حديث الرزية منطوقاً ومفهوماً حتى الأمس القريب. ألم يقل محمد عزة دروزة في كتابه (تاريخ العرب في الإسلام تحت راية الخلفاء الراشدين): «ونحن لا نستبعد أن تكون الرواية من مصنوعات الشيعة المتأخرين»^(٢).

أقول: ونحن قد ذكرنا مصادر الرواية وعرضنا أسماء الرواة حسب القرون ولم نذكر فيهم من الشيعة أحداً، فهل كل أولئك الحفاظ كانوا في غفلة عما رآه دروزة أو أنها منه طعنة الهمزة اللمزة

والرجل بالرجم من كثرة كتبه التاريخية لا أراه إلا راجلاً في تميز أحداث التاريخ، ولست متجنياً عليه، فهنا يقرأ له قوله بعد ذكر رواية الطبري في إيجاب أمير المؤمنين على البيعة لأبي بكر: «ونرجح أن هذا الخبر مصنوع مدسوس من الشيعة»^(٣)، ولم يزل يرسل في غير سدد، حتى جعل رواية أبي بكر في مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك فروى لها «إنا لا نورث ما تركناه صدقة»، هي نهاية الخصام وبها انقطع الكلام، ولعله يحاول من طرف خفي إشارة إلى الوثام فقال: «ويكون ماعدا ذلك من مزيدات الشيعة ومدسوساتهم»^(٤).

(١) تسييم الرياض بشرح الشفاء للقاضي عياض للشهاب الخفاجي ٢٨٤/٤ طد افست دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) تاريخ العرب في الإسلام تحت راية الخلفاء الراشدين ١٦-١٧.

(٣) نفس المصدر ١٦-١٧.

(٤) نفس المصدر.

وكم له ولغيره من تهم بهتوا بها الشيعة، ومرّت نحو هذه النغمة عن غيره، ومهما يكن فالجواب على بهتانه، يعلم ممّا مرّ في ردّ ابن خلدون وطلاته وممّا مرّ فيما سبق من بيان ماذا أراد أن يكتبه النبي ﷺ، فراجع.

ثم إن من الغريب من ابن خلدون وأضرابه من الناصبة ذكرهم لقول عائشة: «مات بين سحري ونحري»، من دون أي تعليق عليه، أو توجيه له، مع أنّها لما حدثت به من سألها عن مرض النبي ﷺ وجاء السائل فذكر ذلك لحبر الأمة عبد الله بن عباس فاستكر عليه قولها وأبى تصديقها في زعمها، فقال له: «أتعقل والله لتوفي رسول الله ﷺ وإنه لمستند إلى صدر عليٍّ^(١)»، وفي حديث ثانٍ رواه الطبراني عن ابن عباس قال: «جاء ملك الموت إلى النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه فاستأذن ورأسه في حجر عليٍّ^(٢)».

وفي حديث ثالث عن ابن عباس أيضاً: «إن النبي ﷺ ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل عليٌّ^(٣) فلما رآه النبي ﷺ رفع رأسه ثم قال أدن مني أدن مني فأسنده إليه فلم يزل عنده حتى توفي^(٤)».

فهذا يعني أنّ قول عائشة لم يكن متفقاً على صحته بل هو مرفوض من قبل حبر الأمة عبد الله بن عباس وهو من أهل البيت الذين كانوا عند النبي ﷺ حين الوفاة، فكان على من يقول بقول عائشة معالجة ماورد عن ابن عباس في رفضه،

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ط ليدن.

(٢) مجمع الزوائد ٣٥/٩.

(٣) نفس المصدر ٣٦/٩.

وليعلم القارئ أنه لم يكن ابن عباس وحده يرفض ذلك فمن أم سلمة ورد مثل ذلك كما مر^(١) وعن عمر ما يؤيده أيضاً^(٢).

أيهما الشفيق الرفيق النبي ﷺ أم عمر؟

لقد مرّت بنا كلمة عمر - مراراً - «فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيلة على الإسلام»؟ كما مرّ في أقوال علماء التبرير أنّ ذلك اشفاقاً منه على النبي ﷺ ومرّت كلمته الأخرى: «أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددت عنه خوفاً من الفتنة»، وليس فيها من الشفقة شيء، وقد استوجب ذلك علينا أن نعمل الموازنة في الشفقة على المسلمين والرفق بهم بين الرسول الكريم الأمين ﷺ، وبين عمر. وإنها من سخرية القدر واحدى الكبر، ولكن فرضها علينا أبناء عمر ورددتها البيهاتيون فلا ضير ولا جبر في ذلك:

فالرسول الكريم ﷺ الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، وقال فيه تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤)، فهل بعد هذا من مجال للقول؟ أم هل يكون من المقبول والمعقول أن لا يكون شفيقاً رفيقاً بالمؤمنين ويكون عمر هو الشفيق الرفيق فيحاط على الإسلام ويخاف الفتنة؟

(١) مسند أحمد ٦/٣٠٠ ط مصر الأولى، والخصائص للنسائي ٤٠/ ط التقدم بمصر
ومستدرک الحاكم ٣/١٣٨. ١٣٩، والرياض النضرة ٢/١٨٠ ط الخانجي وإخائر العقبين
٧٢/ ط القدسي، ومجمع الزوائد ٩/١١٢، وتذكرة الخواص ٤٧/ ط الفري.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٥١/٢.

(٣) القلم /٤.

(٤) التوبة /١٢٨.

سبحانك اللهم إن هذا إلا بهتان عظيم. وإشفاق عمر على من؟ أعلى النبي ﷺ وقد صدمه بكلمته حتى أغمي عليه! أم على المسلمين وقد أضاع عليهم نعمة الاعتصام من الضلالة بالكتاب؟ وكيف يصدق ذلك إنسان في مثل عمر الذي كان في أخلاقه وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة - كما وصفه ابن أبي الحديد - وهو ممن لا يهتم عليه^(١) فهل يُصدق في زعمه؟ اشفاقاً وحيطةً على الإسلام؟

وعمر هو الذي قال فيه الصحابة لأبي بكر حين أراد استخلافه عليهم بعده: «تستخلف علينا فتناً غليظاً، فلو قد ولينا كان أظف وأغلظ فما تقول لربك إذا لقيته»^(٢).

وعمر هو الذي خطب في الناس فقال: «بلغني أن الناس قد هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، قد كان عمر يشدد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم أشتد علينا وأبو بكر ﷺ والينا دونه، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه. ولعمري من قال ذلك فقد صدق»^(٣).

وهو الذي وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية أيامه وطبيعته في الحكم فليرجع إليها.

أمكدا إنسان يمكن أن يوصف بأن ماصدر منه بتلك الغلظة والشدّة، وتبو الكلمة وجفوة اللهجة، كان منه ذلك إشفاقاً وحيطةً وخوف الفتنة!! والرسول الصادق الأمين الذي يسنده الوحي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﷻ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤)، ويقول

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨٣/١ ط محقق.

(٢) كنز العمال ١٣١/٣ ط الأولى.

(٣) أنظر حياة الحيوان للدميري ٤٩/١.

(٤) النجم ٣ - ٤.

لأتمته: (اتنوني بدواة وكف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) ليس شقيقاً على أمته ؟! وعمر بمنعه يكون منه اشفاقاً وحيطة على الإسلام ١٩ ولا مجال لأن يكونا معاً شقيقين لتعارضهما في مورد الشفقة، وهكذا تضيغ المقاييس عند ضياع العقول في متاهات الهوى، فما ذكر من تعليل زعم الشفقة من عمر تعليل عليل، وليس هو بمقبول، حتى لدى السذج وسطاء العقول، فضلاً عن النابهين والباحثين من العلماء الواعين.

عملية التزوير من أنحاء التبرير:

لما كان حديث الكتف والدواة واضح الدلالة على أن المراد منه كان هو تأكيد النص على ولاية علي عليه السلام ولذلك منع منه عمر كما أترف هو بذلك، وقد مرّ ذكره والإشارة إليه مراراً. وكذلك فهمه من تابعه على منعه. ولكن تعرض للمسوخ والتشويه والتشكيك ولم يسلم من زبانية الوضاعين، ويزيد القارئ إيماناً بأنهم فهموا ذلك منه، ما تشبث به رواية السوء وسجلته الأقلام المشبوهة تشويهاً للحقيقة، وإمعاناً في غثيثة التزوير حيث اتبرى فريق منهم إلى مسخ أصل الحديث وتحوير نصه، بعد أن عجزوا في تبرير ما قاله عمر وما ساقوه من أعدار نافهة. فذكروا أن الحديث كان لصالح أبي بكر، فرووا في ذلك عن عائشة وعن أخيها عبد الرحمن. فقد أخرج مسلم وأحمد والبخاري وغيرهم عن عائشة قالت: ((قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: (ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتاباً لا يخطف عليه أحد). ثم قال: (معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر))^(١).

(١) وروى نحو هذا الحديث كثير من المؤلفين في الحديث والتاريخ. فراجع مصابيح السنّة للبخاري ١٩٤/٢، وصواعق ابن حجر ١٣/، ومشكاة المصابيح ٢٢٠/٣، وشرح مشارق الأنوار

وأخرج ابن عساكر كما نقله عنه المتقي في كثر العمال عن عبد الرحمن ابن أبي بكر عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إتني بدواة وكف أكتب كتاباً لاتضلوا بعده أبداً). ثم قال: (يا أي الله والمؤمنون إلا أبا بكر)^(١).

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ((وضعه في مقابلة الحديث المروي عنه ﷺ في مرضه: (إتوني بدواة وياض أكتب لكم ما لاتضلون بعده أبداً). فاختلفوا عنده، وقال قوم لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله))^(٢).

وفي قول هذا المعترلي وهو غير متهم على الوضاعين البكرين وهو من علماء التبرير أيضاً. ما يفتي عن التعليق على ما في الحديثين من نظر، وفيه ما يكفينا للتدليل على كذب الحديثين.

ففي آخر الحديث الأول: (معاذ الله أن يخلف المؤمنون في أبي بكر) وهذا ما قد وقع في السقيفة وخارجها، وتخلف عن يمينه أمير المؤمنين ﷺ ومعه بنو هاشم وتخلف عنها سعد بن عباد ومن معه من الأنصار وتخلف عنها سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبرددة و و فهل يجراً أحد ان يقول هؤلاء جميعاً ليسوا من المؤمنين - والعباد بالله - معاذ الله أن يقول ذلك أحد، كيف وهم من خيرة المؤمنين وفيهم أول المؤمنين إيماناً وهو علي ﷺ فمعاذ الله أيضاً أن يكون النبي ﷺ قال كذلك.

لابن الملك ٢٥٨/٢، وبهجة المحافل للعامري، وشرح البهجة للأشعر اليماني، ونور الأبصار للشبلنجي، وقد مر اعتماد ابن حزم في كتابه الأحكام ١٣٢/٧ على هذا الحديث في حل ما استشكل عليه من حديث ابن عباس في حديث الرزية. ومرنا التعليق عليه في اقوال علماء التبرير.

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٣٩/٣، ومنهاج السنة لابن تيمية ١٣٥/٣ ط الأولى. وغير ذلك.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧/٣ ط الأولى.

واعطف على ذلك ما جاء في الحديث الثاني: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)، فقد أبى ذلك حين تخلف عنه مَنْ ذكرنا واختلفوا فيه، فأين مانسب إلى النبي ﷺ من قوله: (يأبى الله)، والذي وقع خارجاً يثبت أنه تعالى لم يَأْبَ ذلك، وأن المؤمنين أيضاً لم يَأبوا ذلك حين تخلفوا عنه واختلفوا فيه.

قال الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه: ((ولا شك أن الوضع ظاهر في هذا الحديث وانه أريد به معارضة حديث الشيعة في أمر كتاب النبي ﷺ الذي ينسب إلى عمر أنه منعه، ولو صح كتاب النبي ﷺ إلى أبي بكر لكان نصاً جليلاً لأبي بكر، وهو مالم يقل به جمهور المسلمين، ثم لم يطلب النبي أن يكتب الكتاب ثم يعدل عنه؟ ولم يثبت ان عائشة دعت أباها ولا أخاها وما أحرصها على دعوتها في أمر جليل كهذا... اهـ))^(١).

سبحان الله حديث الدواة والكف الذي ترويه كتب الصحاح والمسايد والتاريخ والسير من جميع المسلمين، يقول عنه الدكتور: (حديث الشيعة)؟ وحديث عائشة الذي لا يشك هو بوضعه يقول لو صح ... لكان نصاً جليلاً لأبي بكر؟ وهو مالم يقل به جمهور المسلمين؟ ولعله لم يقف على قول ابن حزم في الفصل: ((فهنا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعد...))^(٢)، وهكذا تبقى ازدواجية المعايير عند المحققين كما كانت عند السابقين.

ونعود لحديث عائشة وحديث عبد الرحمن فنقول: ولو كان للحديث أدنى نصيب من الصحة لأظهراه عند حاجة أيهما إلى أدنى دعم في أخرج وقت، فلماذا كتماه وهما ولداه.

(١) نظرية الإمامة لدى الشيعة الأئمة عشرية / ٣٣٦ ط دار المعارف بمصر.

(٢) الفصل ٤ / ١٠٨.

ولا يبعد - كما أرى - أن الحديثين كانا في بطن الريب، ولم ينزلا من ظهر الغيب. ولم يولدا إلا بعد حين من الدهر، ولم يكونا من قبل شيئاً مذكوراً، لكن صبرار معاوية وتعاون الحاقدين على الإمام معه اختلق كثيراً من نحو ذلك.

محاولات بائسة يائسة:

لقد كان حديث الكنف والدواة واضح الدلالة على المراد كتابته، وهو تأكيد النص - تحريرياً - على خلافة الإمام علي عليه السلام وهذا هو الذي فهمه الحاضرون، ومنهم عمر لذلك منع منه، وقد مرّت بنا في أجوبة التساؤلات الأربعة إثبات ذلك فلا حاجة إلى إعادته.

ولما كان الحديث المذكور أفضّ مضاجع الكثير من القائلين بخلافة أبي بكر، فبدلوا جهداً جهيداً وأصروا عناداً على التماس مخرج من المأزق الذي أوقعهم فيه الحديث المذكور. فقالوا وقالوا وقد مرّت بنا نماذج من ذلك في أقوال علماء التبرير.

وأظن أن القارئ على ذكر من مقالة ابن حزم الظاهري الذي ذكر الحديث ثم عقّب قائلاً: «هذه زلة العالم التي حذر منها الناس قديماً، وقد كان في سابق علم الله تعالى أن يكون بيتنا الإختلاف وتفضل طائفة وتهتدي بهدى الله أخرى، فلذلك وافق عمر ومن وافقه بما نطقوا به، مما كان سبباً إلى حرمان الخير بالكتاب الذي لو كتبه لم يُفضل بعده.

ولم يزل أمر هذا الحديث مهماً لنا، وشجى في نفوسنا، وغصة نتألم لها، وكنا على يقين من الله تعالى لا يدع الكتاب الذي أراد نبيّه صلى الله عليه وآله

وسلم أن يكتبه فلن يُفضل من بعده دون بيان، ليحيا - كذا - من حي عن بيته، إلى أن من الله تعالى بأن أوجدناه فانجلت الكربة والله المحمود^(١).

ثم ذكر ما انجلت به عنده الكربة وذلك ماروته عائشة وعبد الرحمن ابنا أبي بكر لصالح أبيهما. وقد مرّ ذكرهما قريباً في التلاعب الرخيص، كما ذكرنا أوجه الخلل فيهما في التعميق على ما قاله ابن حزم، وفي التلاعب الرخيص، وليس يعنينا ذلك.

لكن هلمّ الخطب فيمن زاد على ابن حزم في حزمته، وأفرغ كلّ ما في جعبته من سهام مسمومة لأسباب معلومة، ذلك هو ابن كثير الشامي الذي أغرب وأسهب، وشرّق وغرّب فهو ذكر في سيرته حديث الكتف والدواة نقلاً عن البخاري ومسلم ثم عقّب قائلاً: «وهذا الحديث ممّا قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم، كلّ مدّع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمشابه وترك المحكم. وأهل السنة يأخذون بالمحكم ويردون المشابه إليه، وهذه طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله ﷻ في كتابه. وهذا الموضع ممّا زلّ فيه أقدام كثير من أهل الضلالات، وأمّا أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحقّ يدورون معه كيفما دار.

وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة بالتصريح بكشف المراد منه.

فإنه قد قال الإمام أحمد: ثمّ ذكر حديث عائشة^(٢).

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١٢٢/٧.

(٢) انظر البداية والنهاية ٤/٤٥٠ - ٤٥١.

كشف جديد في رواية الحديث عن عكرمة:

لقد مرّ في صور الحديث رواية عكرمة لأربع من صوره، وهي على ماينها من تفاوت الألفاظ الذي قد تحمّل عبه الرواة عنه، لكن القاسم المشترك بينها يوحي بأن حديث الكتف والدواة، كان يوم الاثنين اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ (الصورة ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠).

وهذا كشف جديد لم يسبق إليه غير عكرمة، ولما كان احتمال أن يكون النبي ﷺ دعا بكتابة الكتاب مرتين، مرة في يوم الخميس في مرضه قبل وفاته بأربعة أيام، ومرة أخرى في يوم الاثنين يوم وفاته، احتمال مستبعد جداً، لأنه ﷺ لما كان في دعوته يوم الخميس لم يلق استجابة مرضية، بل سمع كلمة نارية جافية، لماذا يكرر الطلب ثانياً وهو القائل لمن سأله في يوم الخميس بعد طرد المنازعين: أنأتيك بالذي طلبت فقال أو بعد ماذا؟ (الصورة ١٨).

وفي رواية عكرمة (الصورة ١٨): ثم أتوه بالصحيفة والدواة فقال: (بعد ما قال قائلكم ما قال؟) فمن أبي أن يكتب بعد الذي سمعه من عمر، كيف يستدعي مرة أخرى باحضار الدواة والكتف لسمع عين الجواب الأول منه أيضاً؟

فما ورد في روايات عكرمة في المقام لا يخلو من نظر، خصوصاً وان عكرمة كان كذاباً وقد كذب على ابن عباس حتى حبسه علي بن عبد الله بن عباس على باب الكتيف قبيل له فيه: فقال: ((أته يكذب على أبي))^(١)، وأمره في الكذب مشهور، حتى أن ابن عمر قال لمولاه سالم: ((ياك أن تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس))^(٢).

(١) سهر اعلام النبلاء ٥١٢/٥ ط دار الفكر.

(٢) نفس المصن.

فالصحيح ما عليه بقية الرواة عن ابن عباس ؓ من أن الحديث كان يوم الخميس.

ما هي الوصية الثالثة؟

سؤال فرضته صورة الحديث التاسعة، المروية عن طريق سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ بأشكالها المختلفة. ولما كانت تلك الصورة - كما قلنا عندها - تكاد ينعدم عندها وضوح الرؤية، لاختلاف الرواة عن سفيان إلى نحو من خمس عشرة رواية، يمكن أن تكون كل رواية صورة بحد ذاتها. ومهما كان الاختلاف بين الرواة عن سفيان، فثمة أمر بالغ الأهمية يرويه سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وذلك أن النبي ﷺ بعد أن طرد المنازعين له المشاقين أمره: قال أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيتها؟

هذه الوصايا الثلاث لم ترد مسندة عن غير طريق سفيان بن عيينة، وإن وردت مرسله كما في الصورتين (٢١ - ٢٣).

ثم ما ورد عن طريق سفيان فيه غمقمة في تعيين الثالثة، فمن هو الذي غصّ بريقه فلم يفصح بها، ولا يذم من عرض نماذج لما ورد عسى أن نستشف كنه الوصية الثالثة التي شق على الراوي الإفصاح بها لأي غرض كان:

١- أوصى بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد ... وسكت عن الثالثة عمداً، أو قال فنسيتها (وهذا ما رواه يحيى بن آدم وأحمد بن حماد عن سفيان).

فيا ترى من هو الذي سكت عمداً؟ أهو رسول الله ﷺ - وحاشاه - لماذا أراد أن يوصي بها؟ ولماذا سكت عنها؟ فإن كان هو لماذا لم يستفهموه عنها؟ أهو ابن عباس؟ فلماذا حدثت بها؟ ولماذا سكت عنها؟ أهو سعيد بن جبير الراوي عنه؟ أهو، أهو؟ سؤال بعد سؤال. يطول بذلك المقام والمقال. والجواب على احتمال أن يكون الرسول ﷺ أو من ذكرنا أسماءهم هو الذي سكت عنها يدفعه ما يأتي من قول سفيان إن هذا من قول سليمان.

إذن لماذا اختلف الرواة في النقل عن سفيان في ذلك، فقد جاء: «ونسيت الثالثة» كما في رواية قبيصة عن سفيان.

وجاء: «والثالثة خير، أمّا أنه سكت عنها، وأمّا ان قال فنسيتها» كما في رواية محمد بن سلام عن سفيان، وجاء في هذه الرواية قال سفيان هذا من قول سليمان.

وجاء: «فإمّا أن يكون سعيد سكت عن الثالثة عمداً، وإمّا أن يكون قالها فنسيتها» كما في رواية عبد الرزاق عن سفيان أنه قال الخ ...

وجاء: «قال ابن عباس وسكت عن الثالثة أو قال: فأنسيتها» كما في رواية سعيد بن منصور عن سفيان برواية سنن أبي داود في المتن.

وجاء في رواية في هامش سنن أبي داود: «قال الحميدي عن سفيان قال سليمان: لأدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها».

إلى غير ذلك من تهوئش وتشويش لتضيق الوصية الثالثة. ولكن الباحث المجد والقارئ الواعي لا يخفى عليه ما وراء الأكمة، فقد ورد في رواية أبان بن عثمان عن بعض أصحابه - وذكر حديث الدواة والصحيفة - وقد مرّ بلفظه في

(الصورة ٢١) وفيها فدعا العباس بصحيفة ودواة فقال بعض من حضر: ((إن النبي يهجر)) ثم أفاق النبي ﷺ فقال له العباس: ((هذه صحيفة ودواة قد أتينا بها يارسول الله)) فقال: (بعد ما قال قاتلكم ما قال) ثم أقبل عليهم وقال: (احفظوني في أهل بيتي، واستوصوا بأهل الدمة خيراً، وأطعموا المساكين، واكثروا من الصلاة، واستوصوا بما ملكت أيماكمم - وجعل يردّد ذلك ﷺ - وإني لأعلم إن منكم ناقض عهدي، والباضي على أهل بيتي).

فتبين أن الثالثة هي الوصية بأهل بيته فهي التي تنصّ بها النفوس فلا تطيق ذكرها أمّا لُنُصب أو من خوف الحاكمين، وإذا عرفنا أن الساكت هو سليمان الأحول - وهو صاحب القول: ((أو فسيتها)) - عرفنا أن الرجل كان في أيام الحجاج الذي كان يطارد سعيد بن جبير حتى القي القبض عليه وهو عائد بمكة، فلعلة كان معه بمكة مختفياً، أمّا الوصايا الأخرى فليس فيها ما يدعو للسكوت عنها أو زعم نسيانها.

ولشراح الحديث حول تفسير ((ونسيت الثالثة)) تشريق وتغريب، فمنهم من رأى أنها تجهيز جيش أسامة، ومنهم من قال: ((يحتمل أنها قوله ﷺ: (لا تتخذوا قبوري وثناً)).

إلى غير ذلك ممّا لا يقره المنطق، فإنّ كلّ ما ذكره ليس فيه ما يستدعي الكتمان، والتحايل عليه، وما ذلك إلا استهجان بالعقول الواحية.

والذي يؤكد ما نذهب إليه شهادة ثلاثة من الصحابة أن النبي ﷺ كان آخر ما تكلم به هو الوصية بأهل بيته كما قال ابن عمر:

١- فقد ذكر ابن حجر في صواعقه نقلاً عن الطبراني عن ابن عمر: «إن آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اخطفوني في أهل بيتي)»^(١).

٢، ٣- وأخرج التابعي الجليل سليم بن قيس الهلالي في كتابه السقيفة قال: «قلت: لعبد الله بن العباس - وجابر بن عبد الله الأنصاري إلى جنبه - : شهدت النبي عند موته؟ قال: نعم، لما ثقل رسول الله ﷺ جمع كل محتلم من بني عبد المطلب وامرأة وصبي قد عقل، فجمعهم جميعاً فلم يدخل معهم غيرهم إلا الزبير - فإنما دخل لمكان صفية - وعمرو بن أبي سلمة^(٢) وأسامة بن زيد. ثم قال^(٣): إنما هؤلاء الثلاثة منا أهل البيت، أسامة مولانا ومنا، وقد كان رسول الله ﷺ استعمله على جيش وعقد له - وفي ذلك الجيش أبو بكر وعمر، فقال كل واحد منهما لا ينتهي أمره - يعني النبي ﷺ فإنه يستعمل علينا هذا الصبي - فاستأذن أسامة رسول الله ﷺ ليودعه ويسلم عليه، فوافق ذلك اجتماع بني هاشم فدخل معهم، واستأذن أبو بكر وعمر وأسامة ليسلما على النبي ﷺ فأذن لهما.

فلما دخل أسامة معنا - وكان من أوسط بني هاشم، وكان شديد الحب له - فقال رسول الله ﷺ لنسائه: قمن عني فأخيطيني وأهل بيتي، فقمن كلهن إلا عائشة وحفصة، فنظر إليهما رسول الله ﷺ وقال: (أخيطاني وأهل بيتي)، فقامت عائشة آخذة بيد حفصة وهي تدمر غضباً وتقول: قد أخيطناك وإياهم، فدخلنا بيتاً من خشب.

فقال رسول الله ﷺ: (يا أخي أقعدني)، فأقعدته علي^(٤) وأسنده إلى نحره.

(١) الصواعق المحرقة / ٨٩، ٩٠.

(٢) أمه أم المؤمنين أم سلمة.

(٣) القائل هو ابن عباس.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا بني عبد المطلب اتقوا الله وابعده، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ولا تختلفوا، إن الإسلام بني علي خمس: على الولاية، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، والحج، فأما الولاية: فآله ورسوله وللمؤمنين الذين يؤتون الزكاة وهم راكمون، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغَالِبُونَ﴾^(١)).

قال ابن عباس: فجاء سلمان والمقداد وأبو ذر، فأذن لهم رسول الله ﷺ مع بني عبد المطلب فقال سلمان: يا رسول الله للمؤمنين عامة؟ أو خاصة لبعضهم؟ يعني الولاية. قال: بل خاصة لبعضهم الذين قرنهم الله بنفسه ورسوله في غير آية من القرآن. قال: من هم؟ قال: أولهم وأفضلهم وخيرهم هذا أخي علي بن أبي طالب - ووضع يده على رأس علي ﷺ - ثم ابني هذا من بعده - ووضع يده على رأس الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ - ثم ابني هذا من بعده - ووضع يده على رأس الحسين ﷺ - والأوصياء تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد، جبل الله المتين وعروته الوثقى، هم حجة الله على خلقه، وشهداؤه في أرضه، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله وعصاني، هم مع الكتاب، والكتاب معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه حتى يردوا عليّ الحوض^(٢).

فهؤلاء الثلاثة من الصحابة شهد اثنان منهم - وهما ابن عباس وابن عمر - بالوصية بأهل البيت كانت آخر وصايا النبي ﷺ عند موته وشهادة الثالث - وهو جابر بن عبد الله - كانت بتقريره صحة شهادة ابن عباس رضي الله عنه.

(١) المائدة / ٥٦.

(٢) السقيفة / ٩٠٥ - ٩٠٦ تح. الأنصاري نشر الهادي.

تدخل العنصر النسوي في النزاع:

لقد مرّت بنا صور الحديث، وقرأنا فيها ما يشجي النفوس، وقرأنا في خمس منها تدخل العنصر النسوي عندما وقع الخلاف على رسول الله ﷺ ووقع التنازع بين الصحابة، فمنهم القائل قروا لرسول الله ﷺ يكتب ما أراد، ومنهم القائل القول ما قال عمر.

فقد جاء في (الصورة ١٤) قال: «فأقبل القوم في لخطهم فقالت المرأة: ويحكم عهد رسول الله ﷺ...»، ولئن كانت هذه الصورة غير واضحة المعالم، فإن التي بعدها مثلها إلا أنها أشمل لبعض ما جرى.

فقد جاء في (الصورة ١٥): «فأخذ من عنده من الناس في لخط فقالت امرأة من حضر: ويحكم عهد رسول الله ﷺ إليكم، فقال بعض القوم: «اسكتي فإنه لا عقل لك، فقال النبي ﷺ: (أنتم لا أحلام لكم)».

وأوضح منها ما جاء في (الصورة ١٧): «فقالت زينب زوج رسول الله ﷺ: ألا تسمعون النبي ﷺ يمهّد إليكم، فخطوا. فقال: (قوموا...)».

وإذا بحثنا في ثابا تلك الصور نجد فيما رواه عمر نفسه، أنّ من استنكر ذلك من النساء أكثر من واحدة فقد جاء عنه كما في (الصورة ٣): «فقال النسوة: اتوا رسول الله ﷺ بحاجته، قال عمر فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ: (هن خير منكم)».

ونحو ذلك جاء في (الصورة ٤): «فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ، فقلت: إنكن صواحيات (صواحب) يوسف، إذا مرض رسول الله ﷺ عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن عنقه، فقال رسول الله ﷺ: (هن خير منكم)».

ولئن كان عمر لم يفصح عن أسماء تلكم النساء التي دخلن المعركة الكلامية من وراء الستر، فليس يعسر على الباحث معرفتهن، خصوصاً وقد عرفنا اسم واحدة منهن وهي أم المؤمنين زينب بنت جحش. ولما كنّ نساء النبي ﷺ حزين كما في حديث عائشة وقد أخرجه البخاري في صحيحه^(١)، قالت: ان نساء رسول الله ﷺ كنّ حزين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ...^(٢) وإذا لا يعقل أن تكون عائشة وحزبها من اللاتي أنكرن الاختلاف.

ولما كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش من سائر نساء رسول الله ﷺ اللاتي لم تذكرهن عائشة باسماتهن عرفنا أنها هي ومن كان معها من حزبها من اللاتي أنكرن على عمر ومن معه امتناعهم من امثال أمر النبي ﷺ وفيهن ممن يوالين أهل بيت النبي ﷺ وإلى القارئ أسماؤهن.

- ١- أم المؤمنين أم سلمة.
- ٢- أم المؤمنين زينب بنت جحش.
- ٣- أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.
- ٤- أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان.
- ٥- أم المؤمنين جويرية بنت الحارث: فهذه هي النسوة اللاتي أدركن ما يريدن النبي ﷺ وهو العهد بالأمر إلى ولي الأمر من بعده لكن عمر يجبههن ويتصر لهن النبي ﷺ فيقول له: (أنتم لا أحلام لكم، دعوهن فإنهن خير منكم).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوبة باب قبول الهدية ١٥٦/٣ ط بولاق.

(٢) أنظر مجمع الطبراني ٤١/٣٣ ط الثانية بالموصل.

عمر يقول بالغيبة ويقول بالرجعة فماذا يقول العمريون؟

لقد مرّت في بعض صور الحديث لمحات عابرة، ذات دلالة معينة، وهي تكفي لإدانة منكري الغيبة والرجعة، والذين كثر منهم الهرج والمرج على الشيعة لقولهم بالغيبة وبالرجعة، فنسبوا اليهم كلّ قبيح، وأكثروا التشنيع والتبديع، ولسنا في مقام اثبات صحة عقيدة الغيبة والرجعة، وامكان وقوعها، ومن نافلة القول الخوض فيما أثبتته الله سبحانه في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ قَوْمًا﴾^(١) وليس يعني ذلك الحشر يوم القيامة، لأن ذلك قال فيه: ﴿وَحَشَرْتَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢) فإذا هو حشر خاص^(٣). كما قال في الغيبة في موسى عليه السلام واستدل بذلك عمر نفسه لقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤).

(١) النمل / ٨٣.

(٢) الكهف / ٤٧.

(٣) يستدل القائلون بالرجعة على إثباتها بآيات من القرآن المجيد مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاصْتَرْفَتْنَا يُدْخِلُنَا بِدُخُونِنَا قَهْرًا هَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ المؤمن ١١/ وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوقِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ البقرة / ٢٥٩. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ البقرة / ٢٤٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَا قَلْبُكُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وقوله تعالى في أصحاب الكهف في الآية ٢٥ ﴿وَلْيَبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ فقال فيهم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَلْمَ أَيَّ الْحَزِينِينَ أَخَصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ الكهف / ١٧.

(٤) الأعراف / ١٤٧.

ولسنا بصدد البحث عن ذلك، لكن وجدنا لعمر بن الخطاب مقالة على نحو ما قاله يوم وفاة النبي ﷺ حين أوعده وتوعد من قال مات رسول الله ﷺ ومقالته في ذلك اليوم لا يخفى غرضه منها فقد كان منتظراً مجيء أبي بكر من السُّح. أما يوم حديث الرزية فلماذا قال: «(من فلاتة وفلاتة - مدائن الروم - إن رسول الله ﷺ ليس بميت حتى نفتحها، ولو مات لأنتظرناه، كما أنتظرت بنو إسرائيل موسى)»؟
وليس من شك أن ذلك كان لبليلة الأفكار، وهو في نفس الحال كان تمهيداً لما سيحدث مما دبر أمره. ومهما يكن الغرض فإن عمر قائل بالرجعة فماذا يقول العمريون؟

صور من مسخ الحديث:

لقد جرت على حديث الكتف والدواة عمليات مسخ وتحريف، بل وتقطيع أوصال، كل ذلك لتضييع معالم الحق وتشويه الحقيقة.
وإلى القارئ بعض النماذج من تلك الصور:

١- فمنها ما أخرجه البخاري بسنده إلى نعيم بن زيد قال: «حدثنا علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أن النبي ﷺ: لَمَّا ثَقُلَ قَالَ: (يَا عَلِيُّ إِنِّي بَطِيقٌ أَكْتُبُ فِيهِ مَا لَا تَضِلُّ أُمَّتِي)، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقَنِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَأَحْفَظُ مِنْ ذِرَاعِي الصَّحِيفَةَ، وَكَانَ رَأْسُهُ بَيْنَ ذِرَاعِي وَعَضُدِي، يَوْمَ صُمِّيَ بِالصَّلَاةِ وَبِالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتِ

أيمانكم، وقال: كذلك حتى فاضت نفسه، وأمره بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله من شهد بها حرم على النار... (١).

فهذا الحديث الذي رواه البخاري صريح في أن النبي ﷺ أوصى علياً والمسلمين بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانهم، حتى فاضت نفسه بين ذراع عليّ وعضده.

بينما روى البخاري نفسه في صحيحه ((عن عائشة: إن النبي ﷺ مات بين سحرها ونحرها وقالت: متى أوصى إليه)) (٢).

فيا ترى أيّ الحديثين أولى بالاعتبار؟ على أنه قد ورد في صحاح الآثار والأخبار ما يدل على وصاية علي عليه السلام عنه ﷺ، كما ورد أيضاً ما يدل على موته ﷺ وهو مستند إلى صدر علي عليه السلام (٣).

لكن الذي يسترب الباحث فيه هو ما ورد في حديث البخاري في الأدب المفرد من تقاعس الإمام عن إحضار الطبق، وبذلك يكون شأنه شأن من لم يحضر الدواء والكف، فالكل لم يمثل أمر النبي ﷺ، وإن كان في حديث البخاري في الأدب المفرد ما ينم عن جهل واضعه حين ذكر الطبق، ولم يعهد الكتابة عليه ولم يرد في شيء من النصوص ما يدل على أن الطبق من الأدوات الكتابية، ودون القارئ المعاجم اللغوية ليرى معاني الطبق فليس بينها ما يشير إلى ذلك.

(١) الأدب المفرد / ٥٠- تحقق محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية سنة ١٣٧٥ هـ، وقد مرّ هذا في الصورة الأولى من صور الحديث مروياً عن ابن سعد في الطبقات وأحمد بن حنبل في المسند. فراجع.

(٢) راجع كتاب الوصايا من صحيح البخاري ٣/٤، وصحيح مسلم ٧٥/٥.

(٣) انظر ما رواه ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٥١/٢.

٢- ومنها ما جاء من تزيد فاضح لراويهِ، وذلك نحو ما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي معقّباً على ما رواه عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة من حديث الكنف والدواة فقال: «هذا الحديث قد خرّجه الشيخان محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما. واتفق المحلّون كافة على روايته».

ولدى مقابلة ما رواه عن الجوهري بما خرّجه الشيخان وغيرهما نجد حشواً زائداً فيه وهو قول الراوي: «فمات رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلّم في ذلك اليوم» وهذا مثل ما قد مرّ في (الصورة ١٦) من صور الحديث رواية هلال ابن مقلّاص وفي آخرها: «فأبطأوا بالكنف والدواة فقبضه الله». وهذا أيضاً من التريد الفاضح إذ ليست هذه الزيادة جزءاً من الحديث، ولا يصح أن تكون جزءاً. لأنّ الحديث كان يوم الخميس كما هو صريح قول ابن عباس ؓ حين كان يقول: «يوم الخميس وما يوم الخميس». ومن المعلوم والمتيقن أنّ وفاة الرسول ﷺ كانت يوم الاثنين، فتكون وفاته بعد يوم الحديث بأربعة أيام، فكيف يصح قول الراوي: «فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم». وقد صرح شراح الصحيحين وغيرهم بذلك^(١).

٣- ومنها النقص الواضح من أصل الحديث. كما صنع السهودي في كتابه وفاء الوفا فإنه ذكر الحديث من آخره ولم يذكر أوله تحاشياً من ذكر ما جرى من عمر ومن شايعه في ذلك اليوم^(٢).

(١) راجع فتح الباري لابن حجر ١/١٦٨، والأحكام لابن حزم ٧/١٢٤.

(٢) انظر وفاء الوفا ١/٢٢٧ - ٢٢٨.

٤- ومنها ما هو أقبح فعلاً من صورتى التزيد السابق والتقص اللاحق في الحديث، وذلك كما أجهز عليه جماعة، فآلفوا حديث الكتف الدواة جملة وتفصيلاً، ولم يذكروا منه سوى وصايا النبي ﷺ في آخره كما مرّ في رواية أبي داود في سننه^(١) فلا يكاد ابن عباس وتلفه وأسفه على ما فات الأمة من الخير في الأمن من الضلالة. ولا دعوة النبي ﷺ بالدواة والكتف. ولا قول عمر: «إن النبيّ ليهجر». ولا قوله: «حسبنا كتاب الله». ولا وقوع النزاع والتخاصم بين الحاضرين. ولا طرد النبي ﷺ لمن شاقه في أمره وقوله: (لا ينبغي عندي تنازع).

٥- ومنها ما صنعه كثيرون ممن كتبوا في السيرة النبوية من الغاء الحديث من صفحة السيرة بالمرّة حتى ولم يشيروا إليه بأدنى إشارة، كما صنع محمد بن عبد الوهاب. إمام الوهابية. في كتاب مختصر سيرة الرسول ﷺ، وكما فعل مثل ذلك أمين الدويدار في كتابه صور من حياة الرسول ﷺ. إلى غيرهما من الكتاب المحدثين.

فهكذا تعرّض الحديث لعمليات كثيرة من ابتزاز إلى تحريف إلى إجهاز عليه وإلى إهمال. كل ذلك إخفاء للحقيقة، وفات المفروضون أن الحق أقوى منهم، ولا يقهر بتلك الأساليب، ولا تخفى الشمس وإن جُلّها السحاب، أو لُقّها الضباب. كيف؟ وأتى؟ والحديث - كما يقول المثل - سارت بذكره الركبان، فتناقله الرواة قرناً بعد قرن - كما مرّ عليك - وأخرجه الحفاظ وأئمة الحديث من أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد ومعاجم اللغة وأسفار التاريخ والسيرة فراجع ما مرّ من ذكر مصادر الحديث.

(١) راجع الصورة (٩) من صور الحديث.

الحديث في الشعر العربي:

لم أبحث كثيراً عن الشعراء الذي أشاروا إلى الحديث، وليس ذلك من غرض كتابي هذا، ولكنني وقفت على شعر شاعر مؤمن ممن لم يتبع الغاوين، لهج به فنظم مشيراً إليه بقوله:

وصى النبي فقال قائلهم قد ظل يهجر سيد البشر
وروا أبا بكر أصاب ولم يهجر وقد وصى إلى عمر^(١)

ومن النظم في ذلك قول الشاعر:

وما رأيت من الآيات معتبرا إن كنت مذكرا أو كنت معتبرا
أوصى النبي أمير النحل دونهما وخالفاه لأمر عنده اشتورا
وقال هاتوا كتاباً لا تضلوا به بعدي فقالوا رسول الله قد هجرا
تصبأ لأبي بكر فحين ثوى وفقى فوصى به من بعده عمرا
تحمل العباء فيها ميتاً عجبا وقال حياً أقبلوني بها ضجرا
إن قال أن رسول الله غادرها شورى فهلا اقتضى من بعده الأثرا
أو قال أوصى فلم تقبل وصيته يوم الغدير فلا تعجل فسوف ترى^(٢)

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢٠٢/١، وكشف الغمة للأربلي ١٦٥/١ منشورات الشريف الرضي، والصراط المستقيم للبياضى ٧/٣.

(٢) آيات الهداة لبحر العاملي ٤/٢٢٤، والصراط المستقيم للبياضى ٧/٣. ووردت هذه الأبيات في أول الحجة الخامسة من كتاب الوصية لأحد معاصري الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ. والكتاب في مجموعة برقم ١٣/مجاميع خطية بمكتبة المرعوم الحجة المظفور له الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

نهاية البحث عن المأساة في حديث الرزية:

لقد طالت مسيرتنا مع حديث الكتف والدواة، والذي سميناه حديث الرزية، لأنه كان حديث مأساة وهو كذلك حديث رزية وزرية.

ولئن طالت المسيرة، فلا ضير ما دامت تكشف العمى عن البصيرة، وما دمتنا أنا قرأنا جوانب في الحديث فيها مآسي مريرة.

١- فلقد قرأنا صور الحديث المتفاوتة، وذكرنا منها (٢٥) صورة لا تتفق صورة منها مع أخرى. بل لقد قرأنا في الصورة التاسعة عدة صور، مما زادت العدد، وذلك يكشف لنا مدى الدور الذي قام به الرواة في إخفاء معالم الإذانة.

٢- ولقد قرأنا ذكر رواية الحديث جمهرة كثيرة مرتين حسب القرون، حتى لا يرقى الشك إلى أصل الحديث، وبذلك يثبت التواتر.

٣- وقرأنا أيضاً مصادر الحديث منبثة في ثنايا أسماء الرواة، وكلها من كتب الصحاح والسنن والمسانيد وأمّهات كتب التاريخ والتراجم، مما لا يرقى الشك إليها.

٤- وقرأنا السبب في إطالة البحث في الأسانيد، لإلقاء تبة التضييب على الرواة فهم الذين يحملون إصر ذلك.

٥- وقرأنا موقف المعارضة المحمومة ضد أمر الرسول ﷺ. وتبيننا من كان هو أبرز رموزها في وقفة مع الحديث.

٦- وقرأنا ماذا كان عند علماء التبرير أزاء موقف الردّ والإباء، وعرفنا من

هم؟

٧- وقرأنا ماذا قال كل واحد من علماء التبرير؟ وماذا كان عند كل واحد

من هنات؟ كما قرأنا الرد على ما قالوه هم دفعاً بالصدر.

- ٨- وقرأنا ماذا قاله العمريون وعرفناهم في عمرتهم أكثر من عمر.
- ٩- وقرأنا تحقيق ماذا قال عمر؟ واثبات رواية كلمته الثانية، المجافية: ((إن النبي ليهجر)).
- ١٠- وقرأنا الجواب على التساؤلات الأربعة التي فرضتها حادثة الرزية، وتبيننا أخيراً لماذا أراد النبي ﷺ علياً دون غيره.
- ١١- وقرأنا سرَّ المنع وتصميم عمر عليه، لأنه علم مراد النبي ﷺ، كما عرفنا من أين علم عمر مراد النبي ﷺ.
- ١٢- وقرأنا أن عمر نبذ السنة نبذ الحصاة وراء ظهره حين قال: «حسبنا كتاب الله»، و«عندكم القرآن»، وهو بذلك يحتج بالقرآن للقرآن وحده فقط وقطع، وليس للسنة عنده أي دور أو كرامة.
- ١٣- وقرأنا آراء علماء السنة وأئمتهم في الرد على من يرى مثل رأي عمر في ذلك الاحتجاج والاحتجاج.
- ١٤- وقرأنا بعد ذلك آراء عمرية خطيرة ويأبها العمريون.
- ١٥- وقرأنا الموازنة بين شفقة النبي ﷺ على أمته وبين شفقة عمر.
- ١٦- وقرأنا ما جرى على الحديث من تلاعب رخيص لصالح أبي بكر؟
- ١٧- وقرأنا كشفاً جديداً في رواية عكرمة. وهو من رواية الحديث. حين سرب الشك إلى يوم الحديث.
- ١٨- وقرأنا تحقيقاً حول تعيين الوصية الثالثة التي في آخر الحديث والتي لفها الغموض، وحشرجت في فم الرواة فقصوا بها، فلا هم ابتلعوها ولم يذكروها بالمرة، ولا هم صرّحوا بها. فقالوا عنها: إنا نسيها أوسكت عنها.

١٩- وقرأنا كيف اشتدت الأزمة ذلك اليوم حتى تدخل العنصر النسوي في النزاع، وقرأنا من كان يمثل ذلك العنصر من نساء النبي ﷺ، لأنهن كن حزينين.

٢٠- وقرأنا ان عمر ممن كان يقول بالرجعة، ولا غضاضة في ذلك، ولكن لتبئيه العمرين الذين يشهرون بالقاتلين بها من بقية فرق المسلمين.

٢١- وقرأنا صوراً من مسخ الحديث، مما دلنا على تظافر الجهود المتوالية في القرون المتتالية لطمس معالمه.

٢٢- وأخيراً قرأنا الحديث في الشعر العربي في نموذج منه.

كل ذلك قرأناه، وأحسب أن هناك جوانب لم نشع البحث فيها، فمسي أن يتبها لها من يشبعها بحثاً وتدقيقاً، كما أحسب أن هناك جوانب لم نبعتها، فمسي أن يذكرها من يلتفت إليها.

وبعد كل تلك القراءات الفاحصة المتأنية، تبين لنا:

أن ابن عباس ؓ كان على حقّ لو أبدى أسفه وتلفه حين قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس».

وأنه كان على حقّ لو بكى وجرى دمه مثل نظام اللؤلؤ على خديه.

وأنه كان على حقّ لو بكى حتى يبل دمه الحصباء.

وأنه كان على حقّ لو قال: «الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لنا ذلك الكتاب».

لقد كان على حقّ في جميع ذلك.

وإننا على حقّ كذلك إن طالت بنا مسيرتنا مع ذلك الحديث، فهو حديث الرزية، ولولاها لما حدثت في المسلمين بلية، إنها لرزية ما مثلها رزية، لن تمحي

آثارها المحزنة من الذاكرة، كما لا تضيغ معالمها مهما تكثرت نزوات الاقلام الماكرة. إذ لولاها لما استولت على المسلمين الحكومات الجائرة وحتى الكافرة. قال المعلمي في الأتوار الكاشفة: ((تكلم بعض المتأخرين في هذا الحديث وذكر أنه لو كانت الواقعة بنحو هذه الصورة لما أغفل الصحابة ذكرها والتويبه بشأنها، فما باله لم يذكرها إلا ابن عباس مع أنه كان صغيراً يومئذٍ. ويميل هذا المتأخر إلى أنها كانت واقعة لا تستحق الذكر تجسّمت في ذهن ابن عباس واتخذت ذاك الشكل ... اهـ))^(١).

أقول: ولا يهمننا معرفة ذلك البعض النكرة وإنما الذي يهمننا تنبيه القراء على حكمة إطالنا الحديث حول ذلك الحديث بدءاً من الصحابة الذين رووه وهم الإمام عليّ وعمر وجابر وابن عباس، ومروراً بصور الحديث وانتهاء بما قاله علماء التبرير حوله، ومع كلّ ذلك يتقوّ بعض التكرات من المتأخرين، ويميل إلى (أنها واقعة لا تستحق الذكر تجسّمت في ذهن ابن عباس واتخذت ذاك الشكل).

كيف لا تستحق الذكر ! ومنها كان المنطلق نحو الخلافة، وعليها بنى أصحاب النص ادّعاءهم، وبها هدموا على أصحاب الاختيار بناءهم.

قال سليم بن قيس الهلالي - تابعي جليل - : ((أني كنت عند عبد الله بن عباس في بيته وعنده رهط من الشيعة، فذكروا رسول الله ﷺ وموته، فبكى ابن عباس وقال: قال رسول الله ﷺ يوم الاثنين - وهو اليوم الذي قبض فيه - وحوله أهل بيته وثلاثون رجلاً من أصحابه: (أبتوني بكف اكتب لكم فيه كتاباً لن

(١) الأتوار الكاشفة / ٥٨ ط السلفية.

تضلوا بعدي، ولن تختفوا بعدي (...). فقال رجل: إن رسول الله يهجر (١). فغضب رسول الله ﷺ وقال: (إني أراكم تخالفوني وأنا حي فكيف بعد موتي)؟ فترك الكتف.

قال سليم: ثم أقبل عليّ ابن عباس فقال: يا سليم لولا ما قال ذلك الرجل لكتب لنا كتاباً لا يضل أحد ولا يختلف.

فقال رجل: يا بن عباس، ومن ذلك الرجل، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، فخلوت بابن عباس بعد ما قام القوم فقال: هو عمر، فقلت: صدقت، قد سمعت عليّاً وسلمان وأبا ذر والمقداد يقولون: أنه عمر، فقال: يا سليم اكتم إلا من تتق به من اخواتك، فإن قلوب هذه الأمة أشربت حبّ هذين الرجلين كما أشربت قلوب بني إسرائيل حبّ العجل والسامري^(٢).

فهذا الخبر يدلّ بتكرار المحاطولة مرة أخرى يوم الاثنين، يوم وفاة النبي ﷺ وتكرّر الموقف من عمر، وليس ذلك ببعيد، لأن الموقف دقيق والظرف حسّاس ولولا كلمة عمر لما أصاب الأمة ما أصابها.

فهلّمّ وأقرأ ما قاله أحمد أمين في كتابه: ((وقد أراد الرسول ﷺ في مرضه الذي مات فيه أن يعيّن من يلي الأمر من بعده، ففي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ لما احتضر قال: (هلّمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وكان في البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف القوم

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ٧٩٤/٢ ط الهادي سنة ١٤١٥ تح الشيخ محمد باقر الأنصاري.

وأختصموا، فمنهم من يقول: قرَّبوا إليه يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول: ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عنده ﷺ قال لهم: (قوموا) فقاموا. وترك الأمر مفتوحاً لمن شاء، جعل المسلمين طوال عصرهم يختلفون على الخلافة حتى إلى عصرنا هذا بين السعوديين والهاشميين^(١).

فهذا هو السبب الذي جعلنا نطيل البحث، ونجترُّ المرارة، ونكرَّر ذكر حديث الرزية. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن أنس قال: «ما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأيدي - من دفعه - حتى أنكرنا قلوبنا»^(٣).

وأخرج ابن حجر في تهذيب التهذيب عن الأجرى: «قال عمرو بن ثابت لما مات النبي ﷺ كفر الناس إلا خمسة»^(٤).

وقد يستفز هذا الكثير الكثير من القراء ويطعنون في صحته. ولكن نطمئنهم بأن ذلك صحيح وهو ليس بدعاً مما أخرجه البخاري في عشرة مواضع من صحيحه من أحاديث الحوض.

وإلى القارئ واحداً منها: «أخرج في صحيحه كتاب التفسير باب ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ

(١) يوم الإسلام / ٤١.

(٢) الضمراء / ٢٣٧.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٣٦٤/١٣، وابن ماجه في سننه ١١٩، والهيثمى في موارد الضمآن / ٥٣٠.

(٤) تهذيب التهذيب ٩/٨.

شَيْءٍ شَهِدْتُ^(١) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله (وآله) وسلم فقال: (أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا^(٢)) ثم قال: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَهَذَا عِلْمُنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ...) ^(٣) إلى آخر الآية، ثم قال: (ألا وإن أول الخلاق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم))^(٥).

النهاية المحزنة:

لقد مرّ بنا ما كان من الرزية التي حاقت بالمسلمين في يوم الخميس وهو اليوم الذي أعلن فيه التمرد على النبي صلى الله عليه وآله فردّ أمره الناطق عن المعارضة، وصدمه بكلمة أغمي عليه منها لشدة وقعها، وكانت بداية النهاية المحزنة، أما نهاية تلك البداية فكانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله في يوم الاثنين. وما حدث من الصحابة فيما بين

(١) المائدة / ١١٧ .

(٢) غرل: أي غير مختولين.

(٣) الأنبياء / ١٠٤ .

(٤) الأنبياء / ١٠٤ .

(٥) صحيح البخاري ٥٥/٦ ط بولاق وأخرجه مسلم في صحيحه ٣٥٥/٢ ط بولاق في كتابه الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة. فالحديث متفق عليه كما يقول علماء الحديث من أهل السنة.

اليومين - الخميس والاثنين - من أحداث تابعت بعنفها على النبي ﷺ حتى تبرم بأصحابه وسأم منهم وتمنى أن يريحه الله منهم.

والى القارئ بعض الشواهد على ذلك:

١- في حديث عبد الرزاق في المصنف عن العباس بن عبد المطلب: قلت: يا رسول الله لو اتخذت شيئاً تجلس عليه ... وفي لفظ المحب الطبري: مكاناً تكلم الناس فيه يدفع عنك الغبار ويردّ عنك الخصم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لأدعنهم ينازعوني ردائي، ويطؤون عقي، ويغشاني غبارهم، حتى يكون الله يريحي منهم). فعلمت أن بقاءه فينا قليل^(١).

وفي لفظ البزار في مسنده ((قال: لا أزال بين أظهرهم يطؤون عقي وينازعون ردائي حتى يكون الله يريحي منهم))^(٢).

وليس من شك في أنه ﷺ أراد الكناية بقوله: (ينازعوني ردائي) يعني منازعتهم له فيما هو له ومن حقه واختصاصه كاختصاصه وحقه بردائه، ولكنهم نازعوه وجاذبوه، فهو يريد أن يوحى بالأمر ويقول: (هلمّ أكتب لكم) وهم يقولون: أنه هجر. كما أن قوله ﷺ: (ويطؤون عقي) كناية عن مبلغ تعديهم على من يخلف بعده، حتى وكأنهم يطؤون عليهم بأقدامهم سحقاً لهم وإبعاداً لهم عن الساحة.

وقوله ﷺ: (ويغشاني غبارهم) كناية عما يلحقه من شدة الأذى والعنت فيتأثر لما يصيب أهل بيته وعقبه من ظلم كما يتأثر الإنسان إذا غشيه الغبار. وغير

(١) المصنف ٤٢٤/٥، قارن سنن الدارمي ٢١/، وأخبار العقبى ٢٠٤/.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٩، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

خفي دقة التعبير بغشيان الغبار ومن قوله ﷺ: (حتى يكون الله يريحني منهم) نعرف مبلغ سخطة علي من نازعه رداءه ووطى عقبه وغشيه بما أثار من غبار الفتنة، وبعد صريح هذا القول فليقل الذين يستغفلون العقول، لقد مات رسول الله ﷺ وهو راض عنهم ١٩

٢- وتعقياً على ما مرّ كان موقفه الآخر الذي سبّب له إزعاجاً بالغاً، وكان أحد الموارد التي نازعوه فيها رداءه، وهو موقفه من الصلاة بالناس في مرضه في الوقت الذي ثقل فيه حاله. وإليك الحديث برواية ابن سعد في الطبقات الكبرى بسنده عن عبيد بن عمر الليثي^(١): ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، فلما أفتتح أبو بكر الصلاة وجدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خفةً فخرج فجعل يفرّج الصفوف، فلما سمع أبو بكر الحسن علم أنه لا يتقدم ذلك التقدّم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته فخنس إلى الصف وراءه فردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنب أبي بكر وأبو بكر قائم، فلما فرغوا من الصلاة قال أبو بكر: أي رسول الله أراك أصبحت بحمد الله صالحاً وهذا يوم ابنة خارجة - امرأة لأبي بكر من الأنصار في بلحارث بن الخزرج - فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجلس رسول الله في مصلاه وإلى جانب الحجر، فحدّر الناس الفتن ثم نادى بأعلى صوته - حتى أن صوته ليخرج من باب المسجد - فقال: (إني والله لا يمسك الناس عليّ بشيء، لا أحلّ إلا ما أحلّ الله في كتابه، ولا

(١) كان قاصاً أهل مكة. وهذا يكفينا من تعريف ابن حجر له في تقريب التهذيب.

أحرم إلا ما حرم الله في كتابه، ثم قال: يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله أعمالا لما عند الله فأني لا أغني عنكما من الله شيئا) ثم قام من مجلسه ذلك فما انتصف النهار حتى قبضه الله^(١).

وروى ابن سعد أيضاً بسنده عن عبيد الله بن عبد الله قال: ((دخلت على عائشة فقلت لها حدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أصلي الناس؟) فقلت: لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال: (ضموا لي ماء في المخضب)^(٢) قالت: ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق، فقال: (أصلي الناس؟) فقلت: لا هم ينتظرونك، فقال: (ضموا لي ماء في المخضب)، قالت: ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: (أصلي الناس؟) فقلت: لا هم ينتظرونك والناس يحكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة العشاء الآخرة قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر: وكان رجلاً رقيقاً يا عمر صل بالناس فقال عمر: أنت أحق بذلك فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين أحدهما العباس، فصلى الظهر وأبو بكر يصلي بالناس. قالت: فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوما إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتأخر، وقال لهما اجلسا إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر. قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ١٧/٢ ط اهدت من ط لندن.

(٢) المخضب: الممرن تغسل فيه الثياب.

بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعد.

قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: هات، فعرضت عليه فما أنكروا منه شيئاً غير أنه قال: سمعت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قال قلت: لا؟ قال: هو علي بن أبي طالب^(١).

وروى ابن سعد أيضاً هذا الحديث بأخصر من ذلك وفيه: ((فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - وبين رجل آخر. قال عبيد الله: فأخبرت ابن عباس بما قالت قال: فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال قلت: لا قال ابن عباس: هو علي إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير^(٢))).

أقول: ولئن كنت عنه برجل فقد أهدته حتى عن تلك الكناية في حديث آخر عنها فقالت: ((وأصبح - رسول الله ﷺ - يوم الاثنين مفيقاً فخرج يتوكأ على الفضل بن عباس وعلي ثوبان مولاه حتى دخل المسجد^(٣))).

وما أكثر الشواهد التي حفظتها عنها كتب السيرة فكشفت عما تكنه لعلي من شتان، وكانت على حدة ما وصفها ابن عباس حبر الأمة بقوله: ((إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير)).

ومهما كانت الدوافع والنوازع ولكن هلم الخطب فيما ورد عنها - وعن غيرها أيضاً - في مسألة صلاة أبي بكر بالمسلمين أيام مرض النبي ﷺ، ولكثرة

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ١٩/٢.

(٢) نفس المصدر ٢ ق ١٩/٢.

(٣) نفس المصدر ٢ ق ٢٠/٢.

التناقضات فيما روي في ذلك أصبحت مثار جدل وخلاف. وحيث أنها من الأحداث التي شاهدها حبر الأمة عبد الله بن عباس وعاشها بجميع تداعياتها ومدخلاتها، حتى كان يعرض عليه بعض الرواة ما سمعه من عائشة، كما مرّ قريباً شاهد ذلك، فلا مناص من الإلمام بشيء عنها.

ماذا عن صلاة أبي بكر؟

تكاد تكون المسألة من المتسالم عليها أن أبا بكر صلى بالمسلمين في مرض النبي ﷺ.

ولكن الخلاف نشأ في متداعياتها، وبدا التناقض في مرويات من رواها فأثار ذلك كثيراً من الشكوك والتساؤلات، وإليك بعضاً منها:

١- هل صحيح أن النبي ﷺ أمر أحداً بعينه - سواء أبا بكر أو غيره - ليؤم المسلمين في صلاتهم في مرضه؟ والجواب نقرؤه في رواية عبد الله بن زمعة بن الأسود يقول: «عدتُ رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في مرضه الذي توفي فيه، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال لي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: (مرّ الناس فليصلوا).

قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناساً لا أكلهمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبع من وراءه وكان أبو بكر غائباً، فقلت له: صل بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام، وكان عمر رجلاً مُجهرًا، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه الناس من حجرتة فقال: لا لا لا، ليصل بهم ابن أبي قحافة، قال: يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم مغضباً.

قال: فانصرف عمر فقال لعبد الله بن زمة: يا بن أخي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تأمرني؟

قال: قلت لا ولكني لما رأيتك لم أبغ من وراءك، فقال عمر: ما كنت أظن حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، فقال عبد الله لما لم أر أبا بكر رأيتك أحق من غيره بالصلاة.

فظهر من هذه الرواية أن النبي ﷺ لم يأمر أحداً بعينه حين آذنه بلال بالصلاة.

وأن جميع ما جرى كان من تصرف عبد الله بن زمة الشخصي، ولذا عاتبه عمر على ذلك. كما ظهر أن الراوي كان هواه مع أبي بكر وعمر، فهو رأى أناساً غيرهما فلم يكلمهم، لماذا؟ (؟) وهو ما إن رأى عمر فلم يبغ من وراءه، لماذا؟ وهو الذي كشف عن دخيلة هواه حين قال لعمر: لما لم أر أبا بكر رأيتك أحق من غيره بالصلاة، لماذا؟ ولنا أن ندرك ما تزیده على النبي ﷺ فنسب إليه قوله لما سمع صوت عمر فأخرج رأسه حتى أطلعه الناس من حجرته فقال: لا لا ليصل بهم ابن أبي قحافة. يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغضباً. وعبد الله بن زمة هذا استشهد يوم الدار مع عثمان^(١)، فهو غير متهم عند من يحتاج بأمثاله في مثل المقام، وقد تبين لنا أنه لم يكن أمر من النبي ﷺ إلى أحد بعينه يقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين. وهذا ما سيأتي عن الإمام علي^(عليه السلام) أيضاً.

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ٤١٦/١.

٢- إن المروي في مسألة صلاة أبي بكر فيه من التناقض العجيب الغريب ما يدعو إلى الريبة في ذلك وإن تضخم كماً وكيفاً. ولثلاث نطيل الوقوف كثيراً فلنقرأ بعض ما جاء عن عائشة وحدها مضافاً إلى ما مرّ عنها أيضاً، وعليها مدار أكثر المروي في ذلك، لنرى مدى التناقض فيه:

أ- في حديث قالت: «أوذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة في مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس ثم أغمي عليه فلما سرّي عنه قال: هل امرتن أبا بكر يصلي بالناس؟ فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر. قال: إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس فربّ قائل ومتمنّ ويأبى الله والمؤمنون»^(١).

ب- وفي حديث آخر عنها: «لما كانت ليلة الاثنين بات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دنفاً، فلم يبق رجل ولا امرأة إلا أصبح في المسجد لوجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فجاء المؤذّن يؤذنه بالصبح فقال: قل لأبي بكر يصلي بالناس، فكبر أبو بكر في صلاته، فكشف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الست فرأى الناس يصلون، فقال: إن الله جعل قرّة عيني في الصلاة، وأصبح يوم الاثنين مفيقاً فخرج يتوكأ على الفضل بن عباس وعلى ثوبان غلامه حتى دخل المسجد وقد سجد الناس مع أبي بكر سجدة من الصبح وهم قيام في الأخرى، فلما رآه الناس فرحوا به، فجاء حتى قام عند أبي بكر، فاستأخر أبو بكر فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيده فقدمه في مصلاه فصفا جميعاً، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جالس وأبو بكر قائم على

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢٠/٢٠.

ركنه الأيسر يقرأ القرآن، فلما قضى أبو بكر السورة سجد سجدتين ثم جلس يتشهد، فلما سلم صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الركعة الآخرة ثم انصرف»^(١).

ج- وفي حديث ثالث عنها قالت: «ما مرت علي ليلة مثل ليلة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة هل طلع الفجر؟ فأقول: لا حتى أذن بلال بالفجر، ثم جاء بلال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا؟ فقلت: هذا بلال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مري أبا بكر فليصل بالناس»^(٢). وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «تضافرت الروايات عن عائشة بالجزم بما يدل على أن النبي ﷺ كان هو الإمام في تلك الصلاة»^(٣). ومع ذلك فقد رووا عنها تارة الإشتراك في الإمامة، كما روى ابن سعد ذلك عنها في الطبقات^(٤) فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد.

وأخرى زادت على المشاطرة فجعلت النبي ﷺ مأموماً صلى بصلاة أبي بكر، وهذا أيضاً قد مرّ عن عائشة ورواه عنها ابن سعد في الطبقات^(٥) فلماذا الاختلاف منها في كيفية صلاة النبي ﷺ؟

(١) نفس المصدر ٢ ق ٢٠/٢.

(٢) مجمع الزوائد ٣٥/٩.

(٣) فتح الباري ١٣٣/٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ ق ١٩/٢.

(٥) نفس المصدر ٢ ق ٢٠/٢.

٣- ثم ماذا تعني جملة رفع الستر فرأى أبا بكر يصلي والمسلمون وراءه فسرَ بذلك فأسدل الستر، كما في روايات أنس بن مالك عند ابن سعد في الطبقات^(١) فأين صار خروجه ﷺ متوكئاً على الفضل بن عباس ورجل كما تقول عائشة؟ وأين صار قول إبراهيم النخعي: ((أم رسول الله ﷺ الناس وهو ثقيل معتمداً على أبي بكر))؟^(٢) وأين زعمهم في حديث نسبوه إلى أم سلمة: ((كان ﷺ في وجهه إذا خف عنه ما يجد خرج فصلى بالناس، وإذا وجد ثقله قال مروا الناس فليصلوا، فصلى بهم ابن أبي قحافة يوماً الصبح فصلى ركعة ثم خرج رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبه فاتم بأبي بكر فلما قضى أبو بكر الصلاة أتم رسول الله ﷺ ما فاته))؟^(٣)

٤- لماذا الاختلاف في مدة إمامة أبي بكر في الصلاة فقالوا ثلاثة أيام^(٤)، وقالوا سبع عشرة صلاة كما رواه ابن سعد^(٥)، وهي تزيد على ما سبق في مدتها، ولا تكون الوفاة ضحى أو صدر النهار كيفما حسبنا الصلوات، إلا أن تنمها فنجعلها أكثر من أربعة أيام، فتبدأ من عشاء يوم الخميس وتنتهي بغداة يوم الاثنين.

٥- لماذا الاختلاف في الصلاة التي كان خروج النبي ﷺ إليها - بعد أن وجد خفته كما يقولون - فتارة خرج لصلاة الظهر وذلك عن عائشة كما في الطبقات^(٦)، وتارة أخرى كان خروجه لصلاة العشاء كما في حديثها الآخر ورواه

(١) نفس المصدر ٢ ق ١٨/٢ و١٩.

(٢) نفس المصدر ٢ ق ١٧/٢.

(٣) نفس المصدر ٢ ق ٢٢/٢.

(٤) نفس المصدر ٢ ق ٢٣/٢ من هكرمة.

(٥) نفس المصدر ٢ ق ٣٣/٢.

(٦) نفس المصدر ٢ ق ٢٩/٢.

أيضاً ابن سعد في الطبقات^(١)، وثالثة كان خروجه لصلاة الغداة - الصبح - كما في حديثها الثالث ورواه أيضاً ابن سعد في الطبقات^(٢)؟ فأيهما الصحيح؟ أو لا صحيح في المقام.

٦- لماذا خرج النبي ﷺ بعدما أمر أبا بكر بالصلاة مكانه كما يقولون؟ هل حدث ما استدعي خروجه وتحمل العناء حتى خرج يتهادى بين رجلين وهو يجرّ رجله تخط رجلاه الأرض؟ سؤال أجابوا عنه بأنه وجد في يده خفّة، وهذا منهم لا يكاد يصدقه ذو مسكة، فمن أين أتته الخفّة مع ذلك المرض؟ وإذا كان - كما يزعمون - وجد خفّة لماذا توكأ على رجلين ولم يكف بواحد؟ إذن فجواب الخفّة فيه خفّة.

ويبدو أن بعضهم أحسن بخفّة وزن ذلك الجواب، فأبتدع حديثاً على لسان الفضل بن عباس - وهو أحد الرجلين اللذين توكأ عليهما النبي ﷺ - قال فيه: ((وكان ﷺ ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، فلما كان يوم الأحد ثقل في مرضه فأذن بلال بالأذان، ثم وقف بالباب فنادى السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، أقيم الصلاة؟ فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال، فقالت فاطمة: يا بلال إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، فدخل بلال المسجد، فلما أسفر الصبح قال: والله لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسول الله ﷺ فخرج بلال فقام بالباب ونادى السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله.

(١) نفس المصدر ٢ ق ٢٠/٢.

(٢) نفس المصدر ٢ ق ٢٠/٢.

فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال فقال: أدخل يا بلال إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، ثم أبا بكر يصلي بالناس، فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول: واغوثاه... ثم قال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ أمرك أن تصلي بالناس، فتقدم أبو بكر فصلى بالناس، وكان رجلاً رقيقاً، فلما رأى خلو المكان من رسول الله ﷺ خرّ مغشياً عليه وصاح المسلمون بالبكاء، فسمع رسول الله ﷺ ضجيج الناس فقال: ما هذه الضجة؟ قالوا: ضجيج المسلمين لفقدك يا رسول الله، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وابن عباس فاتكأ عليهما، فخرج إلى المسجد فصلى بالناس ركعتين خفيفتين...^(١) فاین صارت صلاة أبي بكر بالناس واتمام النبي ﷺ به في ركعة؟ والجواب عند من أتى بغشية أبي بكر، ولكنه ضاع وسط ضجيج الناس المفتعل.

٧- وعلى فرض الخفة والغشية يبقى الحديث يحمل أكثر من إشارة وإثارة بأنه لم يكن ﷺ قد أمر أبا بكر، وهذا ما تنبّه له ابن الإسكافي في كتابه المعيار والموازنة فقال: ((متى نظرنا إلى آخر الحديث احتجنا إلى أن نطلب للحديث مخرجاً عن النقص والتقصير، وذلك إن آخره: أن رسول الله ﷺ لما وجد إفاقة وأحسن بقوة خرج حتى أتى المسجد وتقدم فنحى أبا بكر عن مقامه وقام في موضعه، فلو كانت إمامة أبي بكر بأمره ﷺ لتركه على إمامته وصلى خلفه، كما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف))^(٢).

(١) رواه التهشمي في مجمع الزوائد ٢٨/٩ وقال رواه الطبراني وفيه عبد المنعم بن إدريس وهو كذاب.

(٢) المعيار والموازنة ٤١/ ٤٢، ط الأولى.

ويؤيد قول ابن الإسكافي في تنحية أبي بكر قول محمد بن إبراهيم الراوي لحديث الصلاة بأمر النبي ﷺ فقد روى ابن سعد حديثه في الطبقات . إلى أن قال : ((فلم يشعر أبو بكر حتى وضع رسول الله ﷺ يده بين كتفيه فنكص أبو بكر وجلس النبي ﷺ عن يمينه))^(١).

فلماذا دفعه وهو الذي أمره؟ ولماذا نكص هو الآخر ما دام قد صلى بأمر منه؟ فهذه هي التنحية التي قالها ابن الإسكافي.

٨- لماذا أثار مسألة الصلاة خلافاً وتسايقاً بين الزوجتين عائشة وحفصة؟ فما دام النبي ﷺ هو صاحب الحق في التعيين فليس من حق أي إنسان أن يفرض رأيه - ولتقل بتهديب العبارة - يعرض رأيه عليه حتى يسبب له ازعاجاً فيقول لهن: ((إنكن لصواحب يوسف))^(٢).

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في شرح قوله ﷺ ومن كلام له خاطب به أهل البصرة على جهة إقتصاص الملاحم: (فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل ... وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغنٌ غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتتال من غيري ما أتت إلي لم تفعل، ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله).

قال الشارح: ((وأما الضغن فاعلم ان هذا الكلام يحتاج إلى شرح وقد كنت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني رحمته أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، وسألته عما عنده فأجابه بجواب طويل أنا أذكر محصوله بعبارة بلفظه وبعضه بلفظي، فقد شد عني الآن لفظه كله بعينه ... ثم ذكر كلامه إلى أن

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢٢/٢.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢ ق ٢١/٢، وقارن البخاري ١٣٩/١ ط بولاق.

قال... ومن حديث الصلاة ما عرفت، فنسب عليّ ﷺ عائشة إلى أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله ﷺ كما روي قال: ليصل بهم أحدهم ولم يعين وكانت صلاة الصبح فخرج رسول الله وهو في آخر رمق يتهادى بين عليّ والفضل بن العباس حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل فمات ارتفاع الضحى فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه ... فبويج على هذه النكته التي اتهمها عليّ ﷺ على أنها ابتدأت منها، وكان عليّ ﷺ يذكر هذا لأصحابه في خطواته كثيراً ويقول: (إنه لم يقل ﷺ: إنكن لصويحات يوسف إلا إنكاراً لهذه الحال وغضباً منها، لأنها وحفصة تادرتا إلى تعيين أبيهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب).

وفي حديث أم سلمة كما رواه الحاكم قالت: ((والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ، عدنا رسول الله ﷺ خدأة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مراراً. فقالت فاطمة ~~رضي الله عنها~~: كأنك بعته في حاجة قالت: فجاء بعد قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت من أذناهم إلى الباب فأكتب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهداً^(١)). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي في التلخيص على تصحيحه. فقال: صحيح^(٢).

(١) مستدرک الحاكم ١٣٨/٣ - ١٣٩.

(٢) وقارن مسند أحمد ٣٠٠/٦ ط المست دار صادر، ومجمع الزوائد ١١٢/٩، والبيدایة والنهاية

٣٩٧/٧ نقلاً عن ابن أبي شيبة.

ولترك الحديث ومقدماته وتداعياته، وهلم إلى خطبة النبي ﷺ التي خطبها وتلك هي آخر خطبة له، فقد رواها البخاري في صحيحه مبتورة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بمصاصة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم)، فكان آخر مجلس جلس به النبي ﷺ»^(١).

وهذه الخطبة لها إضافات قطعها الرواة، ويهمننا منها قوله ﷺ: (أيها الناس شعرت النار وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم)، وهذا منه نذير بشر مستطير سيحيق بالامة فحذار لهم ثم حذار.

وقوله ﷺ: (وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أحلّ إلا ما أحل الله - القرآن - ولم أحرّم إلا ما حرّم الله - القرآن)^(٢) وهذا يوحي أن بين الصحابة من كان يتهم الرسول ﷺ في تصرفاته، فهو يقسم لثفي التهمة عن نفسه.

فما هي التهمة؟ ومن هم أصحابها؟ ولو بحثنا عنها وعنهم فهل نجد ما يكشف عنها وعنهم؟ ربما نجد ما يشير إليها ولو بعد حين في حوار جرى بين عمر وابن عباس بعد ذلك، فقد قال عمر: «ولقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلّم في أمره - يعني علياً - ذرواً من قول، لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه

(١) صحيح البخاري ٤/٢٤٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٣٢٦، طبقات ابن سعد ٢ ق ٤٦/٢، وتاريخ الطبري ٣/١٩٦.

أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك»^(١). إذن عرفنا ان التهمة هي ما كان يبلغه ﷺ عن ربه في أمر عليّ وآنه وصيّته وخليفته من بعده، فأبى ذلك عمر وآخرون، فاتهمه عمر بأنه كان يربع في أمره ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(٢).

ولقد قال ابن عباس: «ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس يوم توفي عليّ أربعة منازل: مؤمن مهاجر، والأنصار، وأعرابي يؤمن لم يهاجر إن استنصره النبي نصره، وإن تركه فهو إذن له، وإن استنصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان حقاً عليه أن ينصره وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾»^(٣)، والرابعة: التابعين بإحسان»^(٤).

وهذا تقسيم دقيق وهو تقييم للصحابة على ضوء الدين في القرآن المجيد، وفيه استبعاد الإطلاق اللغوي في معنى الصحبة وتقريب لمعناها الشرعي القرآني. فرحم الله ابن عباس، فقد قطع جبهة المتطعين المغالين في أمر الصحبة والصحابة.

وعند قوله هذا فلتقف في ختام هذا الجزء من تاريخ حياته في العهد النبوي الشريف، لنستقبل في الجزء الثاني تاريخه من بعد ذلك العهد الزاهر، ونمرّ بما له وعنده في فترة بين عهديين.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩٧/٣ ط مصر الأولى، كشف الغمة للإربلي ٤٦/٢، وكشف اليقين للعلامة الحلي/٩٤ ط حجرية.

(٢) الكهف/٥.

(٣) الأنفال/٧٢.

(٤) أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٢٠٧/٣ في تفسير الآية ٧٢ من سورة الأنفال.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

فهرس الجزء الأول

الإهداء.....	١١
تقرض.....	١٣
تقرض.....	١٥
مقدمة المؤلف.....	١٩
فكرة الكتاب من أين ؟ والى أين؟.....	٢٠
ماذا نقرأ في هذا الكتاب؟.....	٢٢
نور على الدرب لما فيه.....	٢٤
تمهيد.....	٤١
الحياة العربية بمكة قبل الإسلام.....	٤١
شعبية بنفيسة.....	٤٤
حالة العرب قبل الإسلام.....	٤٦
نبوغ قصبي في مكة.....	٤٨
آل الله.....	٥٠
مكانة قريش بين العرب.....	٥٢
الحالة الدينية بمكة.....	٥٥
حديث البعثة النبوية.....	٥٦
صحيفة المقاطعة.....	٦٠
معاناة الحصار.....	٦٤

الفصل الأول

بداية حديثنا عن ابن عباس

- وليد الشعب ٦٩
- مباركة الوليد الجديد ٧١
- تحقيق في تاريخ زمان ومكان الولادة ٧٤
- كنيته ولقبه ٧٦
- ابن عباس في خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ٨٢
- نشأة حبر الأمة ٩٩
- أولاً: أبوه - العباس بن عبد المطلب ١٠٣
- ولادة العباس ١٠٣
- نشأة العباس ﷺ ومكانته ١٠٥
- صفة العباس خُلُقاً وَخُلُقاً ١٠٧
- وظائفه قبل الإسلام ١٠٨
- إسلام العباس ١١٤
- هجرة العباس ١١٩
- مشاهده في الإسلام ١٢١
- مكانة العباس عند النبي ﷺ ١٢٦
- أستقاء عمر بالعباس ١٣٠
- أدب العباس ١٣٤
- وصية العباس لعثمان ١٤٠
- وصية العباس للإمام ١٤٢

- ١٤٣..... تعقيب ابن أبي الحديد على الوصية
- ١٤٥..... رأي علي رأي ا.....
- ١٥١..... وفاة العباس.....
- ١٥٥..... أولاد العباس.....
- ١٥٧..... أحاديث العباس.....
- ١٦٠..... مسك الختام بالسلام عليه (عليه السلام).....
- ١٦١..... ثانياً: أمه - لبابة بنت الحارث.....

الفصل الثاني

فترة عهد النبي الأكرم ﷺ

- ١٧٣..... في عهد النبي الأكرم ﷺ.....
- ١٧٧..... هجرته وبعثته.....
- ١٨١..... شواهد ومشاهد.....
- ١٩٤..... وصايا نبوية خاصة له.....
- ٢٠١..... رؤيته الروح الأمين.....
- ٢٠٢..... رؤيته لجبرئيل.....
- ٢٠٣..... هل رؤية المَلَك تسبب العمى؟.....
- ٢٠٩..... عودة إلى الشواهد.....
- ٢١٢..... شواهد الألفية.....
- ٢٢١..... أولاً: حجة الوداع ((حجة الإسلام)).....
- ٢٣٧..... ثانياً: بيعة الغدير.....
- ٢٤١..... ثالثاً: حديث الرزية.....

- ٢٤٥..... صور الحديث..... صور الحديث
- ٢٤٧..... الصورة الأولى..... الصورة الأولى
- ٢٤٨..... الصورة الثانية..... الصورة الثانية
- ٢٤٩..... الصورة الثالثة..... الصورة الثالثة
- ٢٥٠..... الصورة الرابعة..... الصورة الرابعة
- ٢٥١..... الصورة الخامسة..... الصورة الخامسة
- ٢٦٢..... الصورة السادسة..... الصورة السادسة
- ٢٦٣..... الصورة السابعة..... الصورة السابعة
- ٢٦٣..... الصورة الثامنة..... الصورة الثامنة
- ٢٦٤..... الصورة التاسعة..... الصورة التاسعة
- ٢٧٤..... الصورة العاشرة..... الصورة العاشرة
- ٢٧٦..... الصورة الحادية عشرة..... الصورة الحادية عشرة
- ٢٧٧..... الصورة الثانية عشرة..... الصورة الثانية عشرة
- ٢٨١..... الصورة الثالثة عشرة..... الصورة الثالثة عشرة
- ٢٨١..... الصورة الرابعة عشرة..... الصورة الرابعة عشرة
- ٢٨٢..... الصورة الخامسة عشرة..... الصورة الخامسة عشرة
- ٢٨٣..... الصورة السادسة عشرة..... الصورة السادسة عشرة
- ٢٨٣..... الصورة السابعة عشرة..... الصورة السابعة عشرة
- ٢٨٤..... الصورة الثامنة عشرة..... الصورة الثامنة عشرة
- ٢٨٥..... الصورة التاسعة عشرة..... الصورة التاسعة عشرة
- ٢٨٦..... الصورة العشرون..... الصورة العشرون
- ٢٨٦..... الصورة الحادية والعشرون..... الصورة الحادية والعشرون

- ٢٨٧..... الصورة الثانية والعشرون
- ٢٨٨..... الصورة الثالثة والعشرون
- ٢٨٨..... الصورة الرابعة والعشرون
- ٢٩٠..... الصورة الخامسة والعشرون
- ٢٩٠..... تعقيب عرض الصور وحصيلة ذلك
- ٢٩٥..... رواة الحديث ومصادره
- ٢٩٦..... القرن الأول
- ٢٩٨..... القرن الثاني
- ٣٠٣..... القرن الثالث
- ٣٠٩..... القرن الرابع
- ٣١٠..... القرن الخامس
- ٣١١..... القرن السادس
- ٣١٢..... القرن السابع
- ٣١٣..... القرن الثامن
- ٣١٤..... القرن التاسع
- ٣١٥..... القرن العاشر
- ٣١٥..... لماذا الإطالة مع الإسناد؟
- ٣١٦..... وقفة عند الحديث
- ٣١٨..... مع علماء التبرير وقراءة بين السطور
- ٣١٨..... من هم علماء التبرير؟
- ٣٢٠..... ماذا قال علماء التبرير؟
- ٣٢٠..... أولاً: الخطابي

- ٣٢١ مع الخطابي
- ٣٢٤ ثانياً: ابن حزم الظاهري
- ٣٢٧ وقفة مع ابن حزم
- ٣٢٨ ثالثاً: البيهقي
- ٣٣٠ مع البيهقي في دعاواه
- ٣٣٣ رابعاً: المازري
- ٣٣٣ مع المازري
- ٣٣٦ خامساً: القاضي عياض
- ٣٤٠ مع القاضي عياض
- ٣٤٥ سادساً: ابن الأثير الجزري
- ٣٤٥ التحرير الفطير عند ابن الأثير
- ٣٤٦ سابعاً: النووي
- ٣٤٧ مع النووي
- ٣٥١ أيهما أفقه عمر أم ابن عباس؟
- ٣٥٦ ثامناً: ابن تيمية
- ٣٥٨ مع ابن تيمية
- ٣٦٣ تاسعاً: الشاطبي
- ٣٦٣ مع الشاطبي
- ٣٦٥ عاشراً: ابن حجر العسقلاني
- ٣٦٦ مع ابن حجر العسقلاني
- ٣٦٨ الحادي عشر: القسطلاني
- ٣٧٠ الثاني عشر: الوشتاني الأبي المالكي

- ٣٧٢..... الثالث عشر: البدر العيني
- ٣٧٦..... الرابع عشر: الدهلوي
- ٣٧٧..... مع الدهلوي
- ٣٧٩..... الخامس عشر: اللاهوري
- ٣٧٩..... مع اللاهوري
- ٣٨٠..... عمريون أكثر من عمر
- ٣٨٢..... مع العقاد ونظراته
- ٣٨٢..... قال في عبقرية محمد ﷺ
- ٣٨٣..... وقال في عبقرية عمر
- ٣٨٤..... وقال في عبقرية الإمام علي عليه السلام
- ٣٨٧..... سؤال وجواب
- ٣٨٨..... أولاً. ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب في ذلك الكتاب؟
- ٣٩٠..... ثانياً. من ذا أراد النبي ﷺ أن يكتب اسمه في ذلك الكتاب؟
- ٣٩٢..... ثالثاً. لماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب له الكتاب؟
- ٣٩٤..... بحث أسامة إجراء وقائي
- ٣٩٥..... من كان تحت أسرة أسامة
- ٣٩٧..... (سؤال بعد سؤال فهل من جواب؟)
- ٤٠٠..... رابعاً. لماذا أراد علياً دون غيره؟
- ٤٠٢..... النتائج
- ٤٠٣..... من هم المعارضة؟
- ٤٠٥..... ماذا قال عمر؟
- ٤٠٨..... من أين علم عمر مراد الرسول ﷺ؟

- ٤١٢..... ماذا أراد عمر بقوله ((حسبنا كتاب الله))؟
- ٤١٥..... ١- ماذا قال الشافعي؟
- ٤١٦..... ٢- ماذا قال ابن حزم؟
- ٤١٧..... ٣- ماذا قال البيهقي؟
- ٤١٩..... ٤- ماذا قال السيوطي؟
- ٤٢٣..... ٥- ماذا قال السندي في حاشيته على البخاري؟
- ٤٢٤..... ٦- ماذا في القراءة الخلدونية؟
- ٤٣٧..... أيهما الشفيق الرفيق النبي ﷺ أم عمر؟
- ٤٣٩..... عملية التروير من أنحاء التبرير.
- ٤٤٢..... محاولات بائسة يائسة.....
- ٤٤٤..... كشف جديد في رواية الحديث عن حكمة.....
- ٤٤٥..... ما هي الوصية الثالثة؟
- ٤٥٠..... تدخل العنصر النسوي في النزاع.....
- ٤٥٢..... عمر يقول بالغيبة ويقول بالرجعة فماذا يقول العمريون؟
- ٤٥٣..... صور من مسخ الحديث.....
- ٤٥٧..... الحديث في الشعر العربي.....
- ٤٥٨..... نهاية البحث عن المأساة في حديث الرزية.....
- ٤٦٤..... النهاية المحزنة.....
- ٤٦٩..... ماذا عن صلاة أبي بكر؟
- ٤٨١..... فهرس الجزء الأول.....